١

سو باسه الهادی صاحب الكتاب علي بن محمد ...

۱۰۲۷۰
فیلموتیک تاسیس ۱۳۰۲

المنتسب الی الحسن الواثق بالله الهادی ...

... الرسالة الزاجرة للصغار ...
وضع الحد للجحود ...
عند كلامه في الجبر على الانصاف ...

بازدید شد
۱۳۸۲

۷۷۹۱

کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب دلائل الاعجاز
مؤلف عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجانی
شماره قفسه ۸۳۸۰
شماره ثبت کتاب ۷۸۱۰۸

۱۰۲۷۰
فیلموتیک تاسیس ۱۳۰۲

خطی «فهرست شده»
۸۳۸۰

من كتاب [illegible] للجاحظ

فاما الرقيق والغزل والتشبيب والهجاء والمديح فيعدون عنه الى من دخل منهم الحضر وقرا الاشعار وسمع من
صنوف الآداب مثل جرير والفرزدق والاخطل وذي الرمة فانهم لما خالطوا اهل الحضر وحضروا
الخلفاء حسنت اشعارهم ٥ حدثني مسكين بن [illegible] عن ثور بن [illegible] اليشكري وكان من علماء اهل الادب [illegible]
الفرزدق وهو مشوق فعلت ما فعل جرير قال والله لقد حفظت الف قصيدة ما منهن واحدة اقل من مائة [illegible]
فقال لابن المراغة تقبلا او تدبر فلهو اهون علي من عير بواد اذا ٥ قال ورايت جريرا فسالته عن [illegible]
فقال قد حفظت شعر امرئ القيس وعمرو بن كلثوم وزهير بن ابي سلمى ولبيد بن ربيعة والنابغة
ما ذهب علي منه بيت فقال ابن [illegible] احتمل ما هو الا الموت او اتاه ٥ وحدثني المؤرج بن عمرو
سابور بن زيد قال قلت للاخطل انت اشعر ام جرير والفرزدق قال رزقت من الحفظ ما لم يرزق [illegible]
سمعت بقصيدة قط الا حفظتها واني لانشد القصيدة مائة قافية وانا نائم وغنيت بمعرفتها
واستغنا عن ذلك بالتقادف فسمعت والله سعي النجيب وحلف على جودة شعري كل [illegible]
وحدثني الاصمعي عن العطر بن المسور عن ابيه قال كنت عند سعيد بن المسيب ورجل ينشده شعر [illegible]
فقال هذا معلم ثم انشده شعر جرير فقال هذا عالم ٥ وحدثني احمد بن [illegible] عن الوضين بن سلمة
حدثني من راى ابا النجم بالبصرة وهو يسال عن شعر عبيد بن الابرص ولبيد بن ربيعة ثم وقف عليه في المربد
وهو ينشد ابا الازهر شعر لبيد فقال ابو الازهر قاتلك الله يا ابا النجم دخلت البصرة بالامس فعلمها [illegible]
منها عالما دونك لان قائل الشعر كثير [illegible] ٥ وكان العجاج يقول [illegible] على تقول الشعر [illegible]
الحفظ ودراسة شعر لبيد بن ربيعة ٥ قال ورايت الاعشى بالبصرة ومعه [illegible] وهو يقول [illegible]
حافظ الشعر عمرو بن كلثوم فوالله ما حفظه احد الا صار عالما ٥ قال وقيل لذي الرمة لقد احسنت
البكا في الديار والمساسر لولا اشتغالك بمي قال قد كان ذاك فاما اليوم فانا اهذ شعر زهير فوالله
[illegible] الشعر الا الجواد النجيب ٥ ومن لم يدخل الحضر منهم فشعره جلف جاف ٥ حد[illegible]
عاصم بن الوفا الضبي قال انشدني عمارة بن عقيل قصيدة قد مدح بها المعتصم فكانت والله [illegible]
فجعلت اقول هذا البيت يحال كذا وهذا البيت يحال كذا وهو يرجع فما اقول فيقول [illegible]
قلت قال فقلت له ارجع الى شعر جرير فانظر فيه قال فرجع ذلك العام ثم عاد في العام [illegible]
كانها والله من شعر جرير فقال لي يا عاصم جزيت عن ابن عمك خيرا فعدوا الله للتة على شر[illegible]

ان الكسائي واصحابه [illegible] في النحو الى [illegible]

٢

عن ابي حرب الهلالي قال سمعت ابا عبيدة يقول بكي على ابي عمرو
عند موته فقال لا تبكوا علي فاني لم اصنف الا ما فهمت
قال وكان قد بلغ تسعين سنة وهو ابو عمرو بن العلاء البصري رحمه الله

حكى ابن الفرزدق

حكي ان ذا الرمة مر بجرير فقال يا جرير انشدني قصيدتك في المرائي فانشده كلمته التي اولها بنت عمك اكرم طللا
فقال له الا انجدك فيها فقال بلى فقال اجعل وسطها بعد الناس يعيرون بني تميم بيوت المجد اربعة كبار
يعدون الرباب وال سعد ونبهان حنظلة الخيارا ٥ ويسقط وسطها المرائي لغوا كما الغيت [illegible]
فجعلها ذو الرمة في قصيدته ثم مر بعده بالفرزدق فاستنشده القصيدة فانشده اياها فلما [illegible]
الى قالها جرير استعاده اياها فاعادها فقال له انت قلت هذه الابيات الملعونة قال نعم
لقد علكها اشد لحيين منك

قال الفتى
ما سبق ابو البرجام الطائي قوله
اذا كان بعض المال ربا لاهله فاني بحمد الله مالي [illegible]
[illegible] ذريني اكن للمال ربا ولا يكن لي المال ربا [illegible]
ارى جوادا [illegible]

قد صار في ملك العبد الفقير علي بن ظفر بن كثير في سنة اربع وتسعين وخمسمائة لعونه تعالى

مجلس شوراى ملى

الرسالة الباعثة على النظر في دلائل الاعجاز للشيخ الامام شيخ الاسلام عبد القاهر عبد الرحمن رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم رب زدني علما نافعا

قال الشيخ الامام ابو بكر رحمة الله عليه الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين و
صلواته على محمد سيد المرسلين وعلى آله اجمعين هذا الكلام وجيز يطلع
به الناظر على اصول النحو جملة وكل ما به يكون النظم دفعة وينظر منه في
مرآة تريه الاشيا المتباعدة الامكنة قد التقت له حتى رآها في مكان
واحد ويرى بها مشئما قد ضم الى معرق ومغربا قد اخذ بيد مشرق
وقد وصلت بآخره كلاما من اصغى اليه وتدبر تدبر ذي دين وفتوة دعاه الى
النظر في الكتاب الذي وضعناه وبعثه على طلب ما دوناه والله تعالى الموفق
للصواب والملهم لما يؤدي الى الرشاد بمنه وفضله قال رحمه الله معلوم
ان ليس للنظم معنى سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من
بعض والكلم ثلث اسم وفعل وحرف وللتعليق فيما بينها طرق معلومة
وهو لا يعدو ثلاثة اقسام تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف
بهما فالاسم يتعلق بالاسم بان يكون خبرا عنه او حالا منه او تابعا له صفة
او تاكيدا او عطف بيان او بدلا او عطفا بحرف او بان يكون الاول مضافا
الى الثاني او بان يكون الاول يعمل في الثاني عمل الفعل ويكون الثاني في حكم
الفاعل له او المفعول وذلك في اسم الفاعل كقولنا زيد ضارب ابوه
عمرا وكقوله تعالى اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وقوله تعالى لاهية
قلوبهم واسم المفعول كقولنا زيد مضروب غلمانه وكقوله تعالى ذلك يوم
مجموع له الناس والصفة المشبهة كقولنا زيد حسن وجهه وكريم اصله و

المصدر كقولنا عجبت من ضرب زيد عمرا وكقوله تعالى او
اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وبان يكون تمييزا قد جا منتصبا عن تمام الاسم
ومعنى تمام الاسم ان يكون فيه ما يمنع من الاضافة وذلك ان يكون فيه نون تثنية
كقولنا قفيزان برا او نون جمع كعشرون درهما او تنوين كقولنا راقود خلا
وما في السما قدر راحة سحابا او يقدر تنوين كقولنا خمسة عشر رجلا او يكون
قد اضيف الى شي فلا يمكن اضافته مرة اخرى كقولنا لي ملؤه عسلا وكقوله
تعالى ملء الارض ذهبا واما تعلق الاسم بالفعل فبان يكون فاعلا له او
مفعولا فيكون مصدرا قد انتصب به كقولنا ضربت ضربا ويقال له
المفعول المطلق او مفعولا به كقولك ضربت زيدا او ظرفا مفعولا
فيه زمانا او مكانا كقولك خرجت يوم الجمعة ووقفت امامك او مفعولا
معه كقولنا جا البرد والطيالسة ولو تركت الناقة وفصيلها لرضعها
او مفعولا له كقولك جئتك اكراما لك وفعلت ذلك ارادة الخير بك و
كقوله تعالى ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله او يكون منزلا من الفعل منزلة
المفعول وذلك في خبر كان واخواتها والحال والتمييز المنتصب عن تمام
الكلام مثل طاب زيد نفسا وحسن وجها وكرم اصلا ومثله الاسم المنتصب
على الاستثنا كقولك جاني القوم الا زيدا لانه من قبيل ما ينتصب عن تمام الكلام
واما تعلق الحرف بهما فعلى ثلثة اضرب احدها ان يتوسط بين الفعل
والاسم ويكون ذلك في حروف الجر التي من شانها ان تعدي الافعال الى ما لا
تتعدى اليه بانفسها من الاسما مثل انك تقول مررت فلا يصل الى نحو زيد

وعمرو واذا قلت مررت بزيد او على زيد وجدته قد وصل بالبا وعلى وكذلك سبيل
الواو الكاينة بمعنى مع في قولنا لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها بمنزلة
الحرف الجاري في التوسط بين الفعل والاسم وايصاله اليه الا ان الفرق انها لا
تعمل بنفسها شيا ولكنها تعين الفعل على عمله النصب وكذلك حكم الا في الاستثنا
فانها عندهم بمنزلة هذه الواو الكاينة بمعنى مع في التوسط وعمل النصب في
المستثنى للفعل ولكن بوساطتها وبعون منها ٥ والضرب الثاني من تعلق الحرف
بما يتعلق به العطف وهو ان يدخل الثاني في عمل العامل في الاول كقولنا جاءني زيد
وعمرو ورايت زيدا وعمرا ومررت بزيد وعمرو ٥ والضرب الثالث تعلقه
بمجموع الجملة كتعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزا بما يدخل عليه وذلك
ان من شان هذه المعاني ان تتناول ما تتناوله بتقييد وبعد ان يسند الى شي معنى
ذلك انك اذا قلت ما خرج زيد او ما زيد خارج لم يكن النفي الواقع بها متناولا الخروج
على الاطلاق بل الخروج واقعا من زيد ومسندا اليه ولا يغرنك قولنا في نحو
لا رجل في الدار انها لنفي الجنس فان المعنى في ذلك انها لنفي الكينونة في الدار عن
الجنس ولو كان يتصور تعلق النفي بالاسم المفرد لكان الذي قالوه في كلمة
التوحيد من ان التقدير فيها لا اله لنا او في الوجود الا الله فضلا من القول
وتقديرا لما لا يحتاج اليه وكذلك الحكم ابدا فاذا قلت هل خرج زيد لم تكن
قد استفهمت عن الخروج مطلقا ولكن عنه واقعا من زيد واذا قلت ان
ياتني زيد اكرمه لم تكن جعلت الاتيان مطلقا شرطا بل الاتيان من زيد و
كذلك لم تجعل الاكرام على الاطلاق جزاء بل الاكرام واقعا منك كيف

وذلك يؤدي

وذلك يؤدي الى اشنع ما يكون من المحال وهو ان يكون هاهنا اتيان من غير آتٍ
واكرام من غير مكرم ثم يكون هذا شرطا وذاك جزاءً وتحصيل ذلك الامر انه لا
يكون كلام من جزء واحد وانه لا بد من مسند ومسند اليه وكذلك السبيل
في كل حرف رايته يدخل على جملة كانّ واخواتها الا ترى انك اذا قلت كأنّ
فانها تقتضي مشبها ومشبها به كقولك كان زيدا الاسد وكذلك اذا قلت لو
ولولا وجدتهما يقتضيان جملتين تكون الثانية جوابا للاولى وجملة
الامر انه لا يكون كلام من حرف وفعل اصلا ولا من حرف واسم الا في
النداء نحو يا عبد الله وذلك ايضا اذا حقق الامر كان كلاما بتقدير الفعل
المضمر الذي هو اعني واريد وادعو ويا دليل عليه وعلى قيام معناه
في النفس فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض و
هي كما تراها معاني النحو واحكامه وكذلك السبيل في كل شي كان له مدخل
في صحة تعلق الكلم بعضها ببعض لا ترى شيا من ذلك يعدو ان يكون حكما
من احكام النحو ومعنى من معانيه ثم انا نرى هذه كلها موجودة في كلام
العرب ونرى العلم بها مشتركا بينهم واذا كان ذلك كذلك فما جوابنا
لخصم يقول لنا اذا كانت هذه الامور وهذه الوجوه من التعلق التي
هي محصول النظم موجودة على حقايقها وعلى الصحة وكما ينبغي في
منثور كلام العرب ومنظومه ورايناهم قد استعملوها وتصرفوا
فيها وكملوا بمعرفتها وكانت حقايق لا تتبدل ولا يختلف بها الحال
اذ لا يكون للاسم بكونه خبرا للمبتدا او صفة لموصوف او حالا لذي حال

ای من الکلام المنظوم

او فاعلا او مفعولا لفعل فی کلام حقیقة هی خلاف حقیقته فی کلام
آخر فما هذا الذی تجدد فیها بالقرآن من عظیم المزیة وباهر الفضل والعجیب
من الوصف حتی اعجز الخلق قاطبة وحتی قهر من البلغاء والفصحاء القوی
والقدر وقید الخواطر والفکر وحتی خرست الشقاشق وعدم
نطق الناطق وحتی لم یجر لسان ولم یبن بیان ولم تساعد امکان
ولم ینقدح لاحد منهم زند ولم تمض له حد وحتی اسال الوادی علیهم
عجزا واخذ منافذ القول علیهم اخذا ایلزمنا ان نجیب هذا الخصم
عن سؤاله ونرده عن ضلاله وان نطب لدائه ونزیل الفساد عن رایه
فان کان ذلک یلزم فینبغی لکل ذی دین وعقل ان ینظر فی الکتاب الذی وضعناه
ویستقصی التامل لما اودعناه فان علم انه الطریق الی البیان والکشف
عن الحجة والبرهان تبع الحق واخذ به وان رأی ان له طریقا غیره اومی
لنا الیه ودلنا علیه وهیهات ذلک وهذه ابیات فی مثل ذلک

قصیده انشاها الشیخ الامام شیخ الاسلام عبد القاهر رحمة الله علیه

انی اقول مقالا لست اخفیه ولست ارهب خصما ان یدافیه
ما من سبیل الی اثبات معجزة فی النظم الا بما اصبحت ابدیه
فما لنظم کلام انت ناظمه معنی سوی حکم اعراب تزجیه
اسم یری وهو اصل للکلام فما یتم من دونه قصد لمنشیه
وآخر هو یعطیک الزیادة فی ما انت تثبته او انت تنفیه
تفسیر ذلک ان الاصل مبتدأ یلقی له خبرا من بعد تنبیه
وفاعل مسند فعلا تقدمه الیه یکسبه وصفا ویعطیه
هذان اصلان لا تاتیک فائدة من منطق لم یکونا من مبانیه
وما یزید کشیء بعد التمام فما سلطت فعلا علیه فی تعدیه
هذی قوانین تلقی من تتبعها ما یشبه البحر فیضا من نواحیه
فلست تاتی الی باب لتعلمه الا انصرفت بعجز عن تقصیه
هذا کذاک وان کان الذین تری یرون ان المدی دان لباغیه

ثم الذی هو قصدی ان یقال لهم بما یجیب الفتی خصما یماریه
بحکیه
یقول من ای انظم نشبهه ولیس من منطق فی ذاک
وقد علمنا بان النظم لیس سوی حکم من النحو نمضی فی توخیه
لو نقب الارض باغ غیر ذلک له وصعد یعلو فی ترقیه
ما عاد الا بخسر فی تطلبه ولا رای غیر غی فی تبغیه
ونحن ما ان بثثنا الفکر ننظر فی احکامه ونروی فی معانیه
کانت حقائق یلقی العلم کثرتها بها وکلا تراه نافذا فیه
فلیس معرفة من دون معرفة فی کل ما انت من باب تسمیه
تری تصرفهم فی الکل مطردا یجرونه باقتدار فی مجاریه
فما الذی زاد فی هذا الذی عرفوا حتی غدا العجز یتهمی سیل وادیه
قولوا والا فاصغوا للبیان تروا کالصبح منبلجا فی عین رائیه
والحمد لله رب العالمین تمت الرسالة ٥

کتاب ———— دلائل الاعجاز بسم الله الرحمن الرحیم وبه نستعین

بلائه نعمته
الحمد لله رب العالمین حمد الشاکرین احمده علی عظیم نعمائه وجمیل بلائه واستکفیه
نوائب الزمان ونوازل الحدثان وارغب الیه فی التوفیق والعصمة وابرأ الیه من الحول
وابرأ الیه ای ارجع الیه
والقوة واساله یقینا یملأ الصدر ویعمر القلب ویستولی علی النفس حتی یکفها اذا نزعت
نزعت ای اشتاقت
ویردها اذا تطلعت وثقة بانه عز وجل الوزر والکالئ والراعی والحافظ وان الخیر والشر
بیده وان النعم کلها من عنده وان لا سلطان لاحد مع سلطانه نوجه رغباتنا الیه ونخلص
نیاتنا فی التوکل علیه وان یجعلنا ممن همه الصدق وبغیته الحق وغرضه الصواب
وما تصححه العقول وتقبله الالباب واعوذ به من ان ادعی العلم بشیء لا اعلمه وان
الحجه یود کنتشر
اسدی قولا لا احکمه وان اکون ممن یغره الکاذب من الثناء وینخدع للمتجوز
فی الاطراء وان یکون سبیلی سبیل من یعجبه ان یجادل بالباطل ویموه علی السامع
داج داجی شئه
ولا یبالی اذا راج عنه القول ان یکون قد خلط فیه ولم یسدد فی معانیه و
استانف الرغبة الیه عز اسمه فی الصلاة علی خیرة خلقه المصطفی من بریته محمد سید
المرسلین وعلی اصحابه الخلفاء الراشدین وعلی آله الاخیار من بعدهم اجمعین ٥

وبعد فإنا إذا تصفحنا الفضائل لنعرف منازلها في الشرف ونتبين مواقعها من
العظم ونعلم أيّ منها أحق بالتقدم وأسبق في استيجاب التعظيم وجدنا العلم
أولاها بذلك وأولها هنالك إذ لا شرف إلا وهو السبيل إليه ولا خير إلا وهو
الدليل عليه ولا منقبة إلا وهو ذروتها وسنامها ولا مفخرة إلا وبه صحتها
وتمامها ولا حسنة إلا وهو مفتاحها ولا محمدة إلا ومنه تستقد مصباحها هو
الوفي إذا خان كل صاحب والثقة إذا لم يوثق بناصح لولاه لما بان الإنسان من سائر
الحيوان إلا بتخطيط صورته وهيئة جسمه وبنيته لا ولا وجد إلى اكتساب
الفضل طريقا ولا وجد بشيء من المحاسن خليقا ذاك لأنا وإن كنا لا نصل إلى
اكتساب فضيلة إلا بالفعل وكان لا يكون فعل إلا بالقدرة فإنا لم نر فعلا
زان فاعله وأوجب الفضل له حتى يكون عن العلم صدوره وحتى يبين ميسمه
عليه وأثره ولم نر قدرة قط كسبت صاحبها مجدا وأفادته حمدا دون أن يكون
العلم رائدها فيما تطلب وقائدها حيث تؤم وتذهب ويكون المصرّف
لعنانها والمقلب لها في ميدانها فهي إذا مفتقرة في أن تكون فضيلة إليه
وعيال في استحقاق هذا الاسم عليه وإذا هي خلت من العلم أو أبت أن
تمتثل أمره وتقتفي رسمه آلت ولا شيء أجلب للذم على صاحبها منها
ولا أشين من إعماله لها فهذا في فضل العلم لا تجد عاقلا يخالفك فيه ولا
ترى أحدا يدفعه أو ينفيه فأما المفاضلة بين بعضه وبعض وتقديم فن منه
على فن فإنك ترى الناس فيه على آراء مختلفة وأهواء متعادية ترى كلا منهم
لحبه نفسه وإيثاره أن يدفع النقص عنها يقدم ما يحسن من أنواع العلم

على ما لا يحسنه ويتحامل على الذي لم يحظ به والطعن على أهله والغض
منهم ثم تتفاوت أحوالهم في ذلك فمن مغمور قد استهلكه هواه وبعد في الجور
مداه ومن مترجح متردد فيه بين الإنصاف والظلم يجور تارة ويعدل أخرى
في الحكم فأما من يخلص في هذا المعنى من الحيف حتى لا يقضي إلا بالعدل و
حتى يصدر في كل أمره عن العقل فكالشيء الممتنع وجوده ولم يكن ذلك كذلك
إلا لشرف العلم وجليل محله وأن محبته مركوزة في الطباع ومركبة في النفوس
وأن الغيرة عليه لازمة للجبلة وموضوعة في الفطرة وأنه لا عيب أعيب
عند الجميع من عدمه ولا ضعة أوضع من الخلو عنه فلم يعاد إذا إلا من
فرط المحبة ولم يسمح به إلا لشدة الضن ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا و
أبسق فرعا وأحلى جنى وأعذب وردا وأكرم نتاجا وأنور سراجا من علم
البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ويصوغ الحلي ويلفظ الدر و
ينفث السحر ويقري الشهد ويريك بدائع من الزهر ويجنيك الحلو اليانع من الثمر
والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها وتصويره إياها لبقيت كامنة
مستورة ولما استبنت لها يد الدهر صورة ولاستمر السرار بأهلتها واستولى
الخفاء على جملتها إلى فوائد لا يدركها الإحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء
إلا أنك لن ترى على ذلك نوعا من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه ومني من الحيف
بما مني به ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه فقد سبقت إلى
نفوسهم اعتقادات فاسدة وظنون ردية وركبهم فيه جهل عظيم و
خطأ فاحش ترى كثيرا منهم لا يرى له معنى أكثر مما يرى للإشارة بالرأس

والتمييز وما يجده للخط والعقد يقول انما هو خبر واستخبار وامر ونهي و
لكل من ذلك لفظ قد وضع له وجعل دليلا عليه وكل من عرف اوضاع لغة
من اللغات عربية كانت او فارسية وعرف المغزى من كل لفظة ثم ساعده
اللسان على النطق بها وعلى تأدية اجراسها وحروفها فهو بيّن في تلك اللغة
كامل الاداة بالغ من البيان المبلغ الذي لا مزيد عليه منتهٍ الى الغاية التي لا
مذهب بعدها يسمع الفصاحة والبلاغة والبراعة فلا يعرف لها
معنى سوى الاطناب في القول وان يكون المتكلم في ذلك جهير الصوت جاري
اللسان لا تعترضه لكنة ولا تقف به حبسة وان يستعمل اللفظ الغريب
والكلمة الوحشية فان استظهر للامر وبالغ في النظر فان لا يلحن فيرفع
في موضع النصب او يخطئ فيجيء باللفظة على غير ما هي عليه في الوضع اللغوي
وعلى خلاف ما ثبتت به الرواية عن العرب وجملة الامر انه لا يرى النقص
يدخل على صاحبه في ذلك الا من جهة نقصه في علم اللغة لا يعلم ان هاهنا
دقائق واسرارا طريق العلم بها الروية والفكر ولطائف مستقاها
العقل وخصائص معانٍ ينفرد بها قوم قد هُدوا اليها ودُلّوا عليها وكُشف
لهم عنها ورُفعت الحجب بينهم وبينها وانها السبب في ان عرضت المزية
في الكلام ووجب ان يفضل بعضه بعضا وان يبعد الشأو والهمه في ذلك
ويمتد الغاية ويعلو المرتقى ويعز المطلب حتى ينتهي الامر الى الاعجاز والى
ان يخرج من طوق البشر ولما لم تعرف هذه الطائفة هذه الدقائق وهذه
الخواص واللطائف لم تتعرض لها ولم تطلبها ثم عنّ لها بسوء الاتفاق رأي

والعليد على صحة ما قاله المنكر
[illegible]
يحاور العرب مع
علمه بالمفردات
المتبدله عنهم
والاوضاع [illegible]

صار حجازا بينها وبين العلم بها وسدا دون ان تصل اليها وهو ان ساء اعتقادها في
الشعر الذي هو معدنها وعليه المعول فيها وفي علم الاعراب الذي هو لها
كالناسب الذي ينميها الى اصولها ويبين فاضلها من مفضولها فجعلت تظهر
الزهد في كل واحد من النوعين وتطرح كلا من الصنفين وترى التشاغل عنهما
اولى من الاشتغال بهما والاعراض عن تدبرهما اصوب من الاقبال على تعلمهما
اما الشعر فخُيّل اليها انه ليس فيه كثير طائل وان ليس الا ملحة وفكاهة او بكاء
منزل او وصف طلل ونعت ناقة او جمل واسراف قول في مدح او هجاء
وانه ليس بشيء تمس الحاجة اليه في صلاح دين او دنيا واما النحو فظنته
ضربا من التكلف وبابا من التعسف وشيئا لا يستند الى اصل ولا يعتمد فيه
على عقل وان ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده
في المبادي فهو فضل لا يجدي نفعا ولا تحصل منه على فائدة وضربوا له المثل
بالملح كما عرفت الى اشباه من هذه الظنون في القبيلين وآراء لو علموا مغبتها
وما تقود اليه لتعوذوا بالله منها ولأنفوا لانفسهم من الرضى بها ذاك لانهم
بايثارهم الجهل بذلك على العلم في معنى الصاد عن سبيل الله والمبتغي اطفاء
نور الله وذلك انا اذا كنا نعلم ان الجهة التي منها قامت الحجة بالقران وظهرت
وبانت وبهرت هي ان كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر
ومنتهيا الى غاية لا يطمح اليها بالفكر وكان محالا ان يعرف كونه كذلك
الا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الادب والذي
لا يشك انه كان ميدان القوم اذا تجاروا في الفصاحة والبيان وتنازعوا

فيها قصب الرهان ثم بحث عن العلل التي كان بها التباين في الفضل وزاد بعض
الشعر على بعض كان الصادّ عن ذلك صادًّا عن أن تعرف حجة الله وكان مثله
مثل من يتصدى للناس فيمنعهم عن أن يحفظوا كتاب الله ويتلوه ويقوموا
به ويقرئوه ويصنع في الجملة صنيعًا يؤدي إلى أن يقلّ حفاظه والقائمون
به والمقرئون له ذاك لأنا لم نتعبد بتلاوته وحفظه والقيام بأداء
لفظه على النحو الذي أنزل عليه وحراسته من أن يُغيَّر ويُبدَّل إلا لتكون
الحجة به قائمة على وجه الدهر تُعرف في كل زمان ويتوصل إليها في كل
أوان ويكون سبيلها سبيل سائر العلوم التي يرويها الخلف عن السلف
ويأثرها الثاني عن الأول فمن حال بيننا وبين ما له كان حفظنا إياه واجتهادنا
في أن نؤديه ونرعاه كان كمن رام أن ينسيناه جملة ويذهبه من قلوبنا دفعة
فسواء من منعك الشيء الذي تنتزع منه الشاهد والدليل ومن منعك
السبيل إلى انتزاع تلك الدلالة والاطلاع على تلك الشهادة ولا فرق
بين من أعدمك الدواء الذي تستشفي به من دائك وتستبقي به حشاشة
نفسك وبين من أعدمك العلم بأن فيه شفاء وأن لك فيه استبقاء فإن
قال منهم قائل إنك قد أغفلت فيما رتبت فإن لنا طريقًا إلى معرفة
إعجاز القرآن غير ما قلت وهو علمنا بعجز العرب عن أن يأتوا بمثله
وتركهم أن يعارضوه مع تكرار التحدي عليهم وطول التقريع لهم بالعجز
عنه ولأن الأمر كذلك ما قامت به الحجة على العجم قيامها على العرب
واستوى الناس قاطبة فلم يخرج الجاهل بلسان العرب من أن

يكون محجوجا

يكون محجوجًا بالقرآن قيل له خبّرنا عما اتفق عليه المسلمون من
اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بأن كانت معجزته باقية على وجه الدهر
أتعرف له معنى غير أن لا يزال البرهان منه لائحًا معرضًا لكل من أراد العلم
به وطلب الوصول إليه والحجة فيه وبه ظاهرة لمن أرادها والعلم بها
ممكنًا لمن التمسه فإذا كنت لا تشك في أن لا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن
إلا أن الوصف الذي كان له معجزًا قائم فيه أبدًا وأن الطريق إلى العلم
به موجود والوصول إليه ممكن فانظر أي رجل تكون إذا أنت زهدت
في أن تعرف حجة الله وآثرت فيها الجهل على العلم وعدم الاستبانة على
وجودها وكان التقليد فيها أحب إليك والتعويل على علم غيرك آثر
لديك ونحّ الهوى عنك وراجع عقلك واصدق نفسك يبن لك فحش
الغلط فيما رأيت وقبح الخطأ في الذي توهمت وهل رأيت رأيًا أعجز
واختيارًا أقبح ممن كره أن تعرف حجة الله تعالى من الجهة التي إذا عُرفت
منها كانت أنور وأبهر وأقوى وأقهر وآثر أن لا يقوى سلطانها
على الشرك كل القوة ولا تعلو على الكفر كل العلو والله المستعان

فصل في الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه وذمّ
الاشتغال بعلمه وتتبعه لا يخلو من كان هذا رأيه من أمور أحدها أن يكون
رفضه له وذمّه إياه من أجل ما يجده فيه من هزل وسخف وهجاء
وسبّ وكذب وباطل على الجملة والثاني أن يذمه لأنه موزون مقفّى
ويرى هذا بمجرده عيبًا يقتضي الزهد فيه والتنزه عنه والثالث

ان يعلو باجوال الشعراء وانها غير جميلة في الاكثر ويقول قد ذموا في التنزيل
وان كان من هذه رايا له فهو في ذلك على خطاء ظاهر وغلط فاحش وعلى خلاف
ما توجبه القياس والنظر وبالضد مما جاءت به الاثر وصح به الخبر اما ان زعم ان ذمه
له من اجل ما يجد فيه من هزل وسخف وكذب وباطل فينبغي له ان يذم الكلام
كله وان يفضل الخرس على النطق والعي على البيان فمنثور كلام الناس على
كل حال اكثر من منظومه والذي زعم انه ذم الشعر من اجله وعاداه بسببه
فيه اكثر لان الشعراء في كل عصر وزمان معدودون والعامة ومن لا يقول
الشعر من الخاصة عديد الرمل ونحن نعلم ان لو كان منثور الكلام يجمع
كما يجمع المنظوم ثم عمد عامد فجمع ما قيل من جنس الهزل والسخف نثرا
في عصر واحد لاربى على جميع ما قاله الشعراء في الازمان الكثيرة ولغمره
حتى لا يظهر فيه ثم انك لو لم ترو من هذا الباب شيئا قط ولم تحفظ الا الجد
المحض والا ما لا معاب عليك في روايته وفي المحاضرة به وفي نسخه وتدوينه
لكان لك في ذلك غنى ومندوحة ولوجدت طلبتك ونلت مرادك
وحصل لك ما نحن ندعوك اليه من علم الفصاحة فاختر لنفسك ودع
ما تكره الى ما تحب هذا وراوي الشعر حاك وليس على الحاكي عيب ولا
عليه تبعة اذ هو لم يقصد بحكايته ان ينصر باطلا او يسوء مسلما
وقد حكى الله تعالى كلام الكفار فانظر الى الغرض الذي له روي الشعر ومن
اجله اريد وله دون فتعلم انك قد زغت عن المنهج وانك مسيء في هذه
العداوة وهذه العصبية منك على الشعر وقد استشهد العلماء

لغريب القرآن

لغريب القرآن واعرابه بالابيات فيها الفحش وفيها ذكر الفعل القبيح ثم لم يعبهم
ذلك اذ كانوا لم يقصدوا الى ذلك الفحش ولم يريدوه ولم يرووا الشعر من اجله قالوا
وكان الحسن البصري رضي الله عنه يتمثل في مواعظه وكان من اوجعها عنده شعر قال
قائله اليوم عندك دلها وحديثها وغدا لغيرك كفها والمعصم ن وفي الحديث
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكره المرزباني في كتابه باسناده عن عبد الملك بن
عمير انه قال اتي عمر رضي الله عنه بحلل من اليمن فاتاه محمد بن جعفر بن ابي طالب ومحمد بن
ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن حاطب فدخل عليه
زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون
الكسوة فقال ايذن لهم يا غلام فدعا بحلل فاخذ زيد اجودها وقال هذا
لمحمد بن حاطب وكانت امه عنده وهو من بني لؤي فقال عمر ايهات
ايهات وتمثل بشعر عمارة بن الوليد شعر اسرك لما صرع القوم نشوة
خروجي منها سالما غير غارم بريئا كاني قبل لم اك منهم وليس الخداع مرتضى
في التنادم ن ردها وقال ايتني بثوب فالقه على هذه الحلل وقال ادخل
يدك فخذ حلة وانت لا تراها فاعطهم قال عبد الملك فلم ار قسمة اعدل
منها وعمارة هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة خطب امراة من قومه فقالت
لا اتزوجك او تترك الشراب فابى ثم اشتد وجده بها فحلف لها
ان لا يشرب ثم مر بخمار عنده شرب يشربون فدعوه فدخل عليهم
وقد انفدوا ما عندهم فنحر لهم ناقته وسقاهم ببرديه ومكث اياما
ثم خرج فاتى اهله فلما راته امراته قالت الم تحلف ان لا تشرب فقال

ولسنا بشرب ام عمرو اذا انتشوا ثياب الندامى عندهم كالغنائم
ولكننا يا ام عمرو نديمنا بمنزلة الريان ليس بعايم اسرك البشر
فاذا دارت هزل صار اداة في جد وكلام جرى في باطل ثم استعين به على
حق كما ترى كما انه رب شي حسن توصل به الى شريف مارضرب مثلا فيه
وجعل مثالا له كما قال ابو تمام والله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من
المشكاة والنبراس وعلى العكس فرب كلمة حق اريد بها باطل فاستحق
عليها الذم كما عرفته في خبر الخارجي مع علي رضي الله عنه ورب قول
حسن لم يحسن من قائله حين تسبب به الى قبيح كالذي حكى الجاحظ قال رجع
طاوس يوما عن مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والي اليمن فقال ما ظننت ان قول
سبحان الله يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلا ابلغ ابن يوسف عن رجل كلاما
فقال رجل من اهل المجلس سبحان الله كالمستعظم لذلك الكلام ليغضب ابن يوسف
فهذا ونحوه فاعتبره واجعله حكما بينك وبين الشعر وبعد فكيف وضع من الشعر
عندك وكسبه المقت منك انك وجدت فيه الباطل والكذب وبعض ما لا
يحسن ولم يرفعه في نفسك ولم يوجب له المحبة من قلبك ان كان فيه الحق والصدق
والحكمة وفصل الخطاب وان كان مجنى ثمر العقول والالباب ومجتمع فرق
الاداب والذي قيد على الناس المعاني الشريفة وافادهم الفوائد الجليلة
وترسل بين الماضي والغابر ينقل مكارم الاخلاق الى الولد عن الوالد
يؤدي ودائع الشرف عن الغائب الى الشاهد حتى ترى به آثار الماضين
مخلدة في الباقين وعقول الاولين مردودة في الاخرين وترى لكل من رام

[illegible]

الادب وابتغى الشرف وطلب محاسن القول والفعل منارا مرفوعا
وعلما منصوبا وهاديا مرشدا ومعلما مسددا وتجد فيه للنائي عن طلب
المآثر والزاهد في اكتساب المحامد داعيا ومحرضا وباعثا ومحضضا
ومذكرا ومعرفا وواعظا ومثقفا ولو كنت ممن ينصف كان
في بعض ذلك ما يغير هذا الراي منك وما يحدوك على رواية الشعر وطلبه
ويمنعك ان تعيبه او تعيب به ولكنك ابيت الا ظنا سبق اليك والا بادي راي
عن لك فاقفلت عليه قلبك وسددت عما سواه سمعك فعي الناصح
بك وعسر على الصديق والخليط تنبيهك نعم وكيف رويت لان يمتلئ جوف
احدكم قيحا فيريه خير من ان يمتلئ شعرا ولهجت به وتركت قوله صلى
الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وان من البيان لسحرا وكيف نسيت امره
صلى الله عليه وسلم بقول الشعر ووعده عليه الجنة وقوله لحسان قل و
روح القدس معك وسماعه له واستنشاده اياه وعلمه صلى الله عليه به
واستحسانه له وارتياحه عند سماعه اما امره به صلى الله عليه وسلم
فمن المعلوم ضرورة وكذلك سماعه اياه فقد كان حسان وعبد الله بن رواحة
وكعب بن زهير يمدحونه ويسمع منهم ويصغي اليهم ويامرهم بالرد على
المشركين فيقولون في ذلك ويعرضون عليه وكان النبي صلى الله يذكر لهم
بعض ذلك كالذي روي من انه صلى الله عليه قال لكعب ما نسي ربك وما
كان ربك نسيا شعرا قلته قال وما هو يا رسول الله قال انشده يا ابا بكر
فانشد ابو بكر رضي الله عنه شعر زعمت سخينة ان ستغلب ربها

سخينة
وليغلبن مغالب الغلاب

هو الله

وليغلبن مغالب الغلاب وأما استنشاده اياه فكثير من ذلك الخبر
المعروف في استنشاده حين استسقى فسقي شعر قول أبي طالب
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل يطيف به
الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل ٥ وعن الشعبي عن مسروق
عن عبد الله قال لما نظر رسول الله صلى الله عليه الى القتلى يوم بدر مصرعين قال
صلى الله عليه لأبي بكر لو أن أبا طالب حي لعلم أن أسيافنا قد أخذت بالأنامل
قال وذلك لقول أبي طالب شعر كذبتم وبيت الله ان جد ما أرى
لتلتبسن أسيافنا بالأنامل وينهض قوم في الدروع اليهم نهوض الروايا في
طريق حلاحل ٥ ومن المحفوظ في ذلك حديث محمد بن مسلمة الأنصاري جمعه
وابن أبي حدرد الطريق قال فتذاكرنا الشكر والمعروف قال فقال محمد كنا
يوما عند النبي صلى الله عليه فقال لحسان بن ثابت أنشدني قصيدة من شعر
الجاهلية فان الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته فأنشده
قصيدة للأعشى هجا بها علقمة بن علاثة شعر علقم ما أنت الى عامر
الناقض الأوتار والواتر فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا حسان لا تعد
تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا فقال يا رسول الله تنهاني عن
رجل مشرك مقيم عند قيصر فقال النبي عليه السلام يا حسان أشكر الناس
للناس أشكرهم لله تعالى وان قيصر سأل أبا سفين بن حرب عني فتناول
مني وفي رواية فشعث وانه سأل هذا عني فأحسن القول فشكره رسول الله
على ذلك وروي من وجه آخر أن حسان قال يا رسول الله من نالتك يده وجب

علينا شكره ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه كثيرا ما يقول أبياتك فأقول شعر ارفع ضعيفك
لا يحر بك ضعفه يوما فتدركه العواقب قد نمى يجزيك أو يثني عليك وان من
أثنى عليك بما فعلت فقد جزى ٥ قالت فيقول عليه السلام يقول الله
تعالى لعبد من عبيده صنع اليك عبدي معروفا فهل شكرته عليه فيقول
يا رب علمت أنه منك فشكرتك عليه قال فيقول الله تعالى لم تشكرني اذ
لم تشكر من أجريته على يديه وأما علمه عليه السلام بالشعر فكما روي من أن
سودة أنشدت عدي وتيم تبتغي من تحالف فظنت عائشة وحفصة
أنهما عرضت بهما وجرى بينهن كلام في هذا المعنى فأخبر النبي صلى الله عليه
وسلم فدخل عليهن وقال يا ويلكن ليس في عديكن ولا تيمكن قيل هذا انما قيل
هذا في عدي تميم وتيم تميم وتمام هذا الشعر وهو لقيس بن معدان
الكلبي وهو من بني يربوع فحالف فلا والله يهبط تلعة من الأرض الا انت
للذل عارف الا من رأى العبد بن او ذكر اله عدي وتيم تبتغي من تحالف ٥
وروى الزبير بن بكار قال مر رسول الله صلى الله عليه ومعه أبو بكر
برجل يقول في بعض أزقة مكة شعر يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت
بآل عبد الدار فقال النبي عليه السلام أهكذا قال الشاعر قال لا يا رسول
الله لكنه قال يا أيها الرجل المحول رحله هلا سألت عن آل عبد مناف ٥
فقال رسول الله هكذا كنا نسمعها وأما ارتياحه صلى الله عليه للشعر
واستحسانه له فقد جاء فيه الخبر من وجوه من ذلك حديث النابغة الجعدي

يا ابا بكر هم

اي مجدنا

قال انشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قولي شعر بلغنا السما مجدنا
وسنانا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا فقال النبي عليه السلام اين المظهر
يا ابا ليلى فقلت الجنة يا رسول الله قال اجل ان شا الله ثم قال انشدني
فانشدته شعر ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الامر اصدرا فقال صلى
الله عليه وسلم اجدت لا يفضض الله فاك قال الراوي فنظرت اليه
فكان فاه البرد المنهل ما سقطت له سن ولا انفلت ترف غروبه
ومن ذلك حديث كعب بن زهير روي ان كعبا واخاه بجيرا خرجا الى
رسول الله صلى الله عليه حتى بلغا ابرق العزاف فقال كعب لبجير الق
هذا الرجل وانا مقيم هاهنا فانظر ما يقول وقدم بجير على رسول الله
فعرض عليه الاسلام فاسلم وبلغ ذلك كعبا فقال في ذلك شعرا فاهدر النبي
عليه السلام دمه فكتب اليه بجير يامره ان يسلم ويقبل الى النبي عليه السلم
ويقول ان من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قبل منه رسول
الله واسقط ما كان قبل ذلك قال فقدم كعب وانشد النبي عليه السلام
قصيدته المعروفة شعر بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها
لم يفد مغلول وما سعاد غداة البين اذ رحلت الا اغن غضيض
وبروى لم يفد مكبول اي مقيد
الطرف مكحول تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت كانه منهل بالراح
معلول شج السقاة عليه ما بمحنية من ماء ابطح اضحى وهو مشمول
ويل امها خلة لو انها صدقت موعودها او لو ان النصح مقبول

حتى اتى على آخرها فلما بلغ مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرسول
لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول في فتية من قريش
قال قائلهم ببطن مكة لما اسلموا زولوا زالوا فما زال انكاس ولا كشف
عند اللقاء ولا ميل معازيل لا يقع الطعن الا في نحورهم وما بهم عن
حياض الموت تهليل شم العرانين ابطال لبوسهم من نسج داود في
الهيجا سرابيل اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحلق اي اسمعوا
قال وكان رسول الله صلى الله عليه يكون من اصحابه مكان المائدة من القوم
يتحلقون حلقة دون حلقة فيلتفت الى هولاء والى هولاء ومثل اخبار فيما
نشير هذا كثيره والاثر به مستفيض وان زعم انه ذم الشعر من حيث انه موزون
مقفى حتى كان الوزن عيب وحتى كان الكلام اذا انتظم نظم الشعر اتضع في نفسه
وتغيرت حاله فقد ابعد وقال قولا لا نعرف له معنى وخالف العلما في قولهم
انما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح وقد روي ذلك عن النبي عليه السلم
مرفوعا فان زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لان يغنى في الشعر ويلهى به فانا
اذا كنا لم ندعه الى الشعر من اجل ذلك وانما دعوناه الى اللفظ الجزل والقول
الفصل والمنطق الحسن والكلام البين والى حسن التمثيل والاستعارة والى التلويح
والاشارة والى صنعة تعمد الى المعنى الخسيس فتشرفه والى الضئيل فتفخمه
والى النازل فترفعه والى الخامل فتنوه به والى العاطل فتحليه والى المشكل
فتجليه فلا متعلق له علينا بما ذكر ولا ضرر علينا فيما انكر فليقل في الوزن
ما شا وليضعه حيث اراد فليس يعنينا امره ولا هو مرادنا من هذا الذي

وهذا هو الجواب

وان جعلوا الغلو فيه ليتعلقوا ان تعلقوا بقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له واراد
ان يجعله حجة في المنع من الشعر ومن حفظه وروايته وذاك انا نعلم انه صلى الله
عليه لم يمنع الشعر من اجل ان كان قولا فصلا وكلاما جزلا ومنطقا
حسنا وبيانا بينا كيف وذلك يقتضي ان يكون تعالى قد منعه البيان والبلاغة
وحماه الفصاحة والبراعة وجعله لا يبلغ مبلغ الشاعر في حسن العبارة
وشرف اللفظ وهذا جهل عظيم وخلاف لما عرفه العلماء واجمعوا
عليه من انه صلى الله عليه كان افصح العرب واذا بطل ان يكون المنع من اجل
هذه المعاني وكنا قد علمنا انا لم ندع الى الشعر من اجلها ونحن نطلبه على
طلبها كان الاعتراض بالآية محالا والتعلق به خطلا من الرأي وانحلالا فان قال
اراد بقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له فقد كره للنبي عليه السلام من الشعر
ونزهه عنه بلا شبهة وهذه الكراهة وان كانت لا تتوجه اليه من حيث هو
كلام ومن حيث انه بليغ بين وفصيح حسن ونحو ذلك فانها تتوجه الى امر لا بد
لك من التلبس به في طلب ما ذكرت انه مرادك من الشعر وذلك انه لا سبيل
لك الى ان تميز كونه كلاما عن كونه شعرا حتى اذا رويته التبست به من حيث هو كلام
ولم تلتبس به من حيث هو شعر هذا محال واذا كان لا بد من ملابسته موضع الكراهة
فقد لزم العيب برواية الشعر واعمال اللسان فيه قيل له هذا منك كلام لا
يتحصل وذلك انه لو كان الكلام اذا وزن حط ذلك من قدره وازرى به وجلب على
المفرغ له في ذلك القالب اثما وكسبه ذما لكان من حق العيب فيه ان يكون على
واضع الشعر او من يريده لمكان الوزن خصوصا دون من يريده لامر خارج منه

ويطلبه لشيء سواه فاما قولك انك لا تستطيع ان تطلب من الشعر ما لا يكره حتى تتلبس بما
يكره فاني اذا لم اقصده من اجل ذلك المكروه ولم ارده له واردته لاعرف به مكان بلاغة
واجعله مثالا في براعة واحتج به في تفسير كتاب وسنة وانظر الى نظمه ونظم
القرآن فأرى موضع الاعجاز واقف على الجهة التي منها كان واتبين الفصل والفرقان
فحق هذا التلبس ان لا يعتد علي ذنبا وان لا اؤاخذ به اذ كان لا تكون مؤاخذة حتى
يكون عمد الى ان تواقع المكروه وقصد اليه وقد تتبع العلماء الشعوذة والسحر
وعنوا بالوقوف على حيل المموهين ليعرفوا فرق ما بين المعجزة والحيلة
فكان ذلك منهم من اعظم البر اذ كان الغرض كريما والقصد شريفا هذا واذا نحن
رجعنا الى ما قدمنا من الاخبار وما صح من الآثار وجدنا الامر على خلاف ما ظن
هذا السائل وانما السبيل في منع النبي عليه السلام الوزن وان ينطلق لسانه
بالكلام الموزون غير ما ذهبوا اليه وذلك انه لو كان منع تنزيه وكراهة لكان ينبغي ان
يكره له سماع الكلام موزونا وان ينزه سمعه عنه كما نزه لسانه ولكان صلى الله
عليه لا يأمر به ولا يحث عليه وكان الشاعر لا يعان على وزن الكلام وصياغته — وزن صح
شعرا ولا يؤيد فيه بروح القدس واذا كان هذا كذلك فينبغي ان يعلم ان ليس المنع في
ذلك منع تنزيه وكراهة بل سبيل الوزن في منعه عليه السلام اياه سبيل الخط حتى
جعل النبي عليه السلام لا يقرأ ولا يكتب في ان لم يكن المنع من اجل كراهة
كانت في الخط بل لان تكون الحجة ابهر واقهر والدلالة اقوى واظهر ولتكون
اكعم للجاحد واقمع للمعاند وارد لطالب الشبهة وامنع من ايقاع الريبة
واما التعلق باحوال الشعراء وبانهم قد ذموا في كتاب الله فما ارى عاقلا

يرضى به ان يجعله حجة في ذم الشعر وتهجينه والمنع من حفظه وروايته والعلم بما فيه
من بلاغة وما يختص به من آداب وحكمة ذاك انه يلزم على قود هذا القول ان يعيب
العلماء في استشهادهم بشعر امرئ القيس واشعار اهل الجاهلية في تفسير القرآن وفي
غريبه وغريب الحديث وكذلك يلزمه ان يدفع سائر ما تقدم ذكره من امر النبي عليه السلم
بالشعر واصغائه اليه واستحسانه له هذا ولو كان يسوغ ذم القول لاجل قائله
وان يحمل ذنب الشاعر على الشعر لكان ينبغي ان يخص ولا يعم وان يستثنى فقد
قال عز وجل الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ولولا ان القول يجر
بعضه بعضا وان الشيء يذكر لدخوله في القسمة لكان حق هذا ونحوه ان لا يشتغل
به وان لا يعاد ويبدأ في ذكره ٥ واما زهدهم في النحو واحتقارهم له واصغارهم
امره وتهاونهم فصنيعهم في ذلك اشنع من صنيعهم في الذي تقدم واشبه بان
يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ذاك لانهم لا يجدون بدا من ان يعترفوا بالحاجة
اليه فيه اذ كان قد علم ان الالفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو
الذي يفتحها وان الاغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها وانه هو
المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه والمقياس الذي لا
يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه لا ينكر ذلك الا من ينكر حسه والا من غالط
في الحقائق نفسه واذا كان الامر كذلك فليت شعري ما عذر من تهاون به وزهد
فيه ولم ير ان يستقيه من مصبه ويأخذه من معدنه ورضي لنفسه بالنقص والكمال
لها معرض وآثر الغبينة وهو يجد الى الربح سبيلا فان قالوا انا لم نأب
صحة هذا العلم ولم ننكر مكان الحاجة اليه في معرفة كتاب الله وانما انكرنا اشيا

كثرتموه بها وفضول قول تكلفتموها ومسائل عويصة تجشمتم الفكر فيها
ثم لم تحصلوا على شيء اكثر من ان تغربوا على السامعين وتعايوا بها الحاضرين
قيل لهم خبرونا عما زعمتم انه فضول قول وعويص لا يعود بطائل ما هو
فان بدأوا فذكروا مسائل التصريف التي يضعها النحويون للرياضة ولضرب من تمكين
المقاييس في النفوس كقولهم كيف تبني من كذا كذا وكقولهم ما وزن كذا وتتبعهم
في ذلك الالفاظ الوحشية كقولهم ما وزن عزويت وما وزن أروَنان وكقولهم في
باب ما لا ينصرف لو سميت رجلا بكذا كيف يكون الحكم واشباه ذلك وقالوا
اتشكون ان ذلك لا يجدي الا كد الفكر واضاعة الوقت قلنا لهم اما هذا الجنس فلسنا
نعيبكم ان لم تنظروا فيه ولم تعنوا به وليس يهمنا امره فقولوا فيه ما شئتم وضعوه
حيث اردتم فان تركوا ذلك وتجاوزوه الى الكلام على اغراض واضع اللغة وعلى وجه
الحكمة في الاوضاع وتقرير المقاييس التي اطردت عليها وذكر العلل التي
اقتضت ان تجري على ما اجريت عليه كالقول في المعتل وفيما يلحق الحروف
الثلاثة التي هي الواو والياء والالف من التغيير بالابدال والحذف والاسكان او
ككلامنا مثلا على التثنية وجمع السلامة لم كان اعرابهما على خلاف اعراب الواحد
ولم تبع النصب فيهما الجر وفي النون انه عوض عن الحركة والتنوين في حال وعن
الحركة وحدها في حال والكلام على ما ينصرف وما لا ينصرف ولم كان منع
الصرف وبيان العلة فيه والقول على الاسباب التسعة وانها كلها ثوانٍ
لاصول وانه اذا حصل منها اثنان في اسم او تكرر سبب صار بذلك ثانيا من
جهتين واذا صار كذلك اشبه الفعل لان الفعل ثانٍ للاسم والاسم المقدم والاول

وكلما جرى هذا المجرى فلسنا ان نسكت عنكم في هذا الضرب ايضا ونعيذكم
ونسالكم على علم منا بان قد اساتم الاختيار ومنعتم انفسكم ما فيه الحظ لكم ومنعتموها
الاطلاع على مدارج الحكمة وعلى العلوم الجمة فدعوا ذلك وانظروا في الذي
اعترفتم بصحته وبالحاجة اليه هل حصلتموه على وجهه وهل احطتم بحقائقه
وهل وفيتم كل باب منه حقه واحكمتموه احكاما يؤمنكم الخطا فيه اذا انتم
خضتم في التفسير وتعاطيتم علم التاويل ووازنتم بين بعض الاقوال وبعض
واردتم ان تعرفوا الصحيح من السقيم وعدتم في ذلك وبداتم وزدتم ونقصتم
وهل رايتم اذا عرفتم صورة المبتدا والخبر وان اعرابهما الرفع ان تتجاوزوا
ذلك الى ان تنظروا في اقسام خبره فتعلموا انه يكون مفردا وجملة
وان المفرد ينقسم الى ما يحتمل ضميرا له والى ما لا يحتمل الضمير وان الجملة على اربعة
اضرب وانه لا بد لكل جملة وقعت خبرا لمبتدا ان يكون فيها ذكر يعود الى المبتدا
وان هذا الذكر ربما حذف لفظا واريد معنى وان ذلك لا يكون حتى يكون في
الحال دليل عليه الى سائر ما يتصل بباب الابتداء من المسائل والفوائد الجليلة (اللطيفة صح)
التي لا بد منها واذا نظرتم في الصفة مثلا فعرفتم انها تتبع الموصوف وان
مثالها قولك جاءني رجل ظريف ومررت بزيد الظريف هل ظننتم ان وراء ذلك
علما وان ههنا صفة تخصيص وصفة توضيح وتبيين وان فائدة التخصيص غير
فائدة التوضيح كما ان فائدة الشياع غير فائدة الابهام وان من الصفة
صفة لا يكون فيها تخصيص ولا توضيح ولكن يؤتى بها مؤكدة كقولهم
امس الدابر وكقوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وصفة يراد بها

المدح والثناء كالصفات الجارية على اسم الله تعالى جده وهل عرفتم الفرق (الصفة صح)
بين الخبر وبين كل واحد منهما وبين الحال وهل عرفتم ان هذه الثلاثة تتفق في
ان كافتها لثبوت المعنى للشيء ثم تختلف في كيفية ذلك الثبوت وهكذا ينبغي
ان تعرض عليهم الابواب واحدا واحدا ويسالوا عنها بابا بابا ثم يقال ليس الا احد
امرين اما ان تقتحموا التي لا يرضاها العاقل فتنكروا ان يكون بكم حاجة في كتاب الله
تعالى وفي خبر رسول الله وفي معرفة الكلام جملة الى شيء من ذلك وتزعموا انكم
اذا عرفتم مثلا ان الفاعل رفع لم يبق عليكم في باب الفاعل شيء تحتاجون الى
معرفته واذا نظرتم الى قولنا زيد منطلق لم تحتاجوا من بعده الى شيء تعلمونه
في باب الابتدا والخبر وحتى تزعموا مثلا انكم لا تحتاجون في ان تعرفوا وجه الرفع في
الصابئون من سورة المائدة الى ما قاله العلماء فيه والى استشهادهم فيه بقول الشاعر
والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وحتى كان المشكل على
الجميع غير مشكل عندكم وحتى كانكم قد اوتيتم ان تستنبطوا من المسالة الواحدة
من كل باب مسائله كلها فتخرجوا الى فن من التجاهل لا يبقى معه كلام واما
ان تعلموا انكم قد اخطاتم حين اصغرتم امر هذا العلم وظننتم ما ظننتم فيه
فترجعوا الى الحق وتسلموا الفضل لاهله وتدعوا الذي يزري بكم ويفتح
ويفتح باب العيب عليكم ويطيل لسان القادح فيكم وبالله التوفيق
هذا ولو ان هؤلاء القوم اذ تركوا هذا الشان تركوه جملة واذ زعموا ان قدر
المفتقر اليه القليل منه اقتصروا على ذلك القليل فلم ياخذوا انفسهم بالفقه
فيه وبالتصرف فيما لم يتعلموه منه ولم يخوضوا في التفسير ولم يتعاطوا التاويل

لكان البلاء أحدّ ولكانوا إذ لم يبنوا لم يهدموا وإذا لم يصلحوا لم يكونوا سببًا
للفساد ولكنهم لم يفعلوا فجلبوا من الداء ما أعيا الطبيب وحيّر اللبيب و
انتهى التخليط بما أتوه فيه إلى حدٍّ يئس من تلافيه فلم يبق للعارف الذي يكره
الشغب إلا التعجب والسكوت وما الآفة العظمى إلا واحدة وهي أن يجيء
من الإنسان ما يجري بلفظه ويمشي له أن يكثر في غير تحصيل وأن يحسن البناء على غير
أساس وأن يقول الشيء لم يقتله علمًا ونسأل الله الهداية ونرغب إليه
في العصمة ۞ ثم إنا وإن كنا في زمان هو على ما هو عليه من إحالة الأمور عن جهاتها
وتحويل الأشياء عن حالاتها ونقل النفوس عن طباعها وقلب الخلائق
المحمودة إلى أضدادها ودهرٍ ليس للفضل وأهله لديه إلا الشر صرفًا و
الغيظ بحتًا وإلا ما يدهش عقولهم ويسلبهم معقولهم حتى صار أعجز الناس
رأيًا عند الجميع من كانت له همة في أن يستفيد علمًا أو يزداد فهمًا أو يكتسب
فضلًا أو يجعل له ذلك بحال شغلًا فإن الإلف من طباع الكريم وإذا كان من
حق الصديق عليك ولا سيما إذا تقادمت صحبته وصحّت صداقته ألّا
تجفوه بأن تنكبك الأيام وتضجرك النوائب وتحرجك محن الدنيا فتتناساه
جملة وتطويه طيًّا فالعلم الذي هو صديق لا يحول عن العهد ولا يدغل في الود
وصاحب لا يصحّ عليه النكث والغدر ولا يُظنّ به الخيانة والمكر أولى منك بذلك
أجدر وحقّه عليك أكبر ثم إن التوق إلى أن تقرّ الأمور قرارها وتوضع
الأشياء مواضعها والنزاع إلى بيان ما يشكل وحلّ ما ينعقد والكشف
عما يخفى وتلخيص الصفة حتى يزداد السامع ثقة بالحجة واستظهارًا على

بدل صديق

بالكرم

الشبهة واستبانة للدليل وتبيّنًا للسبيل شيء هو في سوس العقل وفي طباع
النفس إذا كانت نفسًا ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء
في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وفي بيان المغزى من هذه العبارات
وتفسير المراد بها فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء والإشارة في خفاء و
بعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليُطلب وموضع الدفين ليُبحث عنه
فيخرج وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه وتوضع لك القاعدة
لتبني عليها ووجدت المعوّل على أن هاهنا نظمًا وترتيبًا وتأليفًا وتركيبًا و
صياغة وتصويرًا ونسجًا وتحبيرًا وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي
مجاز فيه سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها وأنه كما تفضل هناك النظم
النظم والتأليف التأليف والنسج النسج والصياغة الصياغة ثم يعظم الفضل
وتكثر المزية حتى يفوق الشيء نظيره والمجانس له درجات كثيرة وحتى
تتفاوت القيم التفاوت الشديد كذلك يفضل بعض الكلام بعضًا ويتقدم
الشيء منه الشيء ثم يزداد فضله ذلك ويترقى منزلة فوق منزلة ويعلو
مرقبًا بعد مرقب ويستأنف له غاية بعد غاية حتى ينتهي إلى حيث تنقطع
الأطماع وتحسر الظنون وتسقط القوى وتستوي الأقدام في العجز وهذه
جملة قد يرى في أول الأمر وبادي الظن أنها تكفي وتغني حتى إذا نظرنا فيها وعدنا و
بدأنا وجدنا الأمر على خلاف ما حسبناه وصادفنا الحال على غير ما توهمناه
وعلمنا أنهم إن أقصروا اللفظ فقد أطالوا المعنى وإن لم يغرقوا في النزع فقد
أبعدوا على ذلك في المرمى وذلك أنه يقال لنا ما زدتم على أن قلتم قياسًا فعلم

الى م

نظم ونظم وترتيب وترتيب ونسج ونسج ثم بنيتم عليه انه ينبغي ان تظهر المزية في هذه المعاني
هاهنا حسب ظهورها هناك وان يعظم الامر في ذلك كما عظم ثمه وهذا صحيح كما قلتم
ولكن بقي ان تعلمونا مكان المزية في الكلام وتصفوها لنا وتذكروها ذكرا كما ينص
على الشيء ويعين ويكشف عن وجهه ويبين ولا يكفي ان تقولوا انه خصوصية في
كيفية النظم وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض حتى تصفوا تلك
الخصوصية وتبينوها وتذكروا لها امثلة وتقولوا مثل كيت وكيت كما يذكر لك
من تستوصفه عمل الديباج المنقش ما تعلم به وجه دقة الصنعة او يعمله بين
يديك حتى ترى عيانا كيف تذهب تلك الخيوط وتجيء (ماذا) وتذهب منه طولا وماذا
تذهب عرضا وبم يبدأ وبم يثني وبم يثلث وتبصر من الحساب الدقيق ومن
عجيب تصرف اليد ما تعلم معه مكان الحذق وموضع الاستاذية ولو
كان قول القائل لك في تفسير الفصاحة انها خصوصية في نظم الكلم وضم
بعضها الى بعض على طريقة مخصوصة او على وجوه تظهر بها الفائدة او ما اشبه
ذلك من القول المجمل كافيا في معرفتها ومغنيا في العلم بها لكفى مثله في معرفة
الصناعات كلها فكان يكفي في معرفة نسج الديباج الكثير التصاوير ان يعلم انه
ترتيب للغزل على وجه مخصوص وضم لطاقات الابريسم بعضها الى بعض
على طرق شتى وذلك ما لا يقوله عاقل وجملة الامر انك لن تعلم في شيء من
الصناعات علما تمر فيه وتحلي حتى تكون ممن يعرف الخطأ فيها من الصواب
ويفصل بين الاساءة والاحسان بل حتى يفاضل بين الاحسان والاحسان و
يعرف طبقات المحسنين واذا كان هذا هكذا علمت انه لا يكفي في علم

الفصاحة ان تنصب لها قياسا وان تصفها وصفا مجملا وتقول فيها قولا مرسلا
بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصل القول وتحصل وتضع اليد على الخصائص
التي تعرض في نظم الكلم وتعدها واحدة واحدة وتسميها شيئا شيئا وتكون
معرفتك معرفة الصنع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الابريسم الذي في
الديباج وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع وكل آجرة من الآجر
التي في البناء البديع واذا نظرت الى الفصاحة هذا النظر وطلبتها هذا الطلب
احجمت الى صبر على التامل ومواظبة على التدبر والى همة تابى لك ان تقنع
الا بالتمام وان تربع الا بعد بلوغ الغاية ومتى جشمت ذلك وابيت الا ان تكون
هنالك فقد اممت الى غرض كريم وتعرضت لامر جسيم وآثرت التي هي
اتم لدينك وفضلك وانبل عند ذوي العقول الراجحة لك وذلك ان تعرف حجة
الله من الوجه الذي هو اضوأ لها وانوه بها واخلق بان يزداد نورها سطوعا
وكوكبها طلوعا وان تسلك اليها الطريق الذي هو آمن لك من الشك وابعد من الريب
واصح لليقين واحرى بان يبلغك قاصية التبيين واعلم انه لا سبيل الى ان
تعرف (صحة) هذه الجملة حتى يبلغ القول غايته وينتهي الى آخر ما اردت جمعه لك
وتصويره في نفسك وتقريره عندك الا ان هاهنا نكتة ان انت تاملتها تامل
المتثبت ونظرت فيها نظر المتأني رجوت ان يحسن ظنك وان تنشط للاصغاء
الى ما اورده عليك وهي انا اذا سقنا دليل الاعجاز فقلنا لولا انهم حين سمعوا
القرآن وحين تحدوا الى معارضته سمعوا كلاما لم يسمعوا قط مثله وانهم
رازوا انفسهم فاحسوا بالعجز عن ان ياتوا بما يوازيه او يدانيه او يقع قريبا منه

بدل الصنع

بدل تبر

بدل احممت

كان مما لا ارتدعوا معارضته وقد تحدوا اليه وقرعوا فيه وطولبوا به وان
تعرضوا للشبا لا تشتد وتقحموا موارد الموت فقيل لنا قد سمعنا ما قلتم
فخبرونا عنهم عماذا عجزوا اعن معاني في دقة معانيه وحسنها وصحتها في
العقول ام عن الفاظ مثل الفاظه فان قلتم عن الالفاظ فماذا اعجزهم من اللفظ
ام ما بهرهم منه فقلنا اعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها
في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها ومجاري الفاظها
ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبيه و
اعلام وتذكير وترغيب وترهيب ومع كل حجة وبرهان وصفة وتبيان
وبهرهم انهم تاملوه سورة سورة وعشرا عشرا وآية آية فلم يجدوا في الجميع
كلمة ينبو بها مكانها ولفظة ينكر شانها او يرى ان غيرها اصلح هناك او
اشبه او احرى او اخلق بل وجدوا اتساقا بهر العقول واعجز الجمهور ونظاما
والتياما واتقانا واحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم ولو حك بيافوخه
السماء موضع طمع حتى خرست الالسن عن ان تدعي وتقول وخذيت القروم
فلم تملك ان تصول نعم فاذا كان هذا هو الذي يذكر في جواب السائل فبنا
ان ننظر اي اشبه بالفتى في عقله ودينه وازيد له في يقينه اان يقلد في ذلك
ويحفظ متن الدليل وظاهر لفظه ولا يبحث عن تفسير المزايا والخصائص ما هي
ومن اين كثرت الكثرة العظيمة واتسعت الاتساع المتجاوز لوسع الخلق و
طاقة البشر وكيف يكون ان يظهر في الفاظ محصورة وكلم معدودة معلومة
بان يؤتى ببعضها في اثر بعض لطائف لا يحصرها العدد ولا ينتهي بها الامد

ام ان يبحث عن ذلك كله ويستقصي النظر في جميعه ويتتبعه شيئا فشيئا و
يستقصيه بابا فبابا حتى يعرف كلا منه بشاهده ودليله ويعلمه بتفسيره و
تاويله ويوثق بتصويره وتمثيله ولا يكون كمن قيل فيه شعر يقولون اقوالا ولا يعلمونها
ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا فقد قطعت عذر المتهاون ودللت على
ما اضاع من حظه وهديته لرشده وصح ان لا غنى بالعاقل عن معرفة هذه الامور
والوقوف عليها والاحاطة بها وان الجهة التي منها يعرف والسبب الذي به
يعرف استقراء كلام العرب وتتبع اشعارهم والنظر فيها واذ قد ثبت ذلك
فينبغي لنا ان نبتدئ في بيان ما اردنا بيانه وناخذ في شرحه والكشف عنه وجملة
ما اردت ان ابينه لك انه لا بد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من ان
يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة وان يكون لنا الى العبارة
عن ذلك سبيل وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل وهو باب من العلم اذا فتحته
اطلعت منه على فوائد جليلة ومعان شريفة ورايت له اثرا في الدين عظيما
وفائدة جسيمة ووجدته سببا الى حسم كثير من الفساد فيما يعود الى التنزيل
واصلاح انواع من الخلل فيما يتعلق بالتاويل وانه ليؤمنك من ان تغالط في
دعواك وتدافع عن معناك ويربا بك عن ان تستبين هدى ثم لا تهتدي اليه وتدل
بعرفان ثم لا تستطيع ان تدل عليه وان تكون عالما في ظاهر مقلد ومستبينا في
صورة شاك وان يسالك السائل عن حجة يلقى بها الخصم في آية من كتاب الله او
غير ذلك فلا ينصرف عنك بمقنع وان يكون غاية ما لصاحبك منك ان تحيله
على نفسه وتقول قد نظرت فرايت فضلا ومزية وصادفت لذلك اريحية

انت م

ان م

فانظر لتعرف كما عرفت وراجع نفسك واسبر وذق لتعلم ان الذي وجدت
ان عرفت فذاك والا فبينكما التشاكر تنسبه الى سوء التامل وينسبك الى فساد في
التخيل وانه على الجملة بحث ينتقي لك من علم الاعراب خالصه ولبه وياخذ لك منه
اناسي العيون وحبات القلوب وما لا يدفع الفضل فيه دافع ولا ينكر رجحانه
في موازين العقول منكر وليس يتاتى لي ان اعلمك من اول الامر في ذلك آخره
وان اسمي لك الفصول التي في نيتي ان احررها بمشية الله تعالى حتى تكون على علم بها
قبل موردها عليك فاعمل على ان ها هنا فصولا يجي بعضها في اثر بعض وهذا
اولها فصل في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة
وكل ما شاكل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا
وتكلموا واخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد وراموا ان يعلموهم ما في
نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم ومن المعلوم ان لا معنى لهذه العبارات
وساير ما يجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل
والمزية اليه دون المعنى غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما كانت له
دلالة ثم تبرجها في صورة هي ابهى وازين وآنق واعجب واحق بان تستولي
على هوى النفوس وتنال الحظ الاوفر من ميل [القلوب] واولى بان تطلق لسان الحامد و
تطيل رغم الحاسد ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير ان تاتي المعنى من الجهة التي
هي اصح لتاديته وتختار اللفظ الذي هو اخص به واكشف عنه واتم له واحرى بان
تكسبه نبلا وتظهر فيه مزية واذا كان هذا كذلك فينبغي ان ينظر الى الكلمة
قبل دخولها في التاليف وقبل ان تصير الى الصورة التي بها يكون الكلم اخبارا

وامرا ونهيا واستخبارا وتعجبا وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل
الى افادتها الا بضم كلمة الى كلمة وبناء لفظة على لفظة هل يتصور ان يكون بين
اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه ادل على معناها الذي وضعت له
من صاحبتها على ما هي موسومة به حتى يقال ان رجلا ادل على معناه من فرس على
ما سمي به وحتى يتصور في الاسمين يوضعان لشي واحد ان يكون هذا احسن نبا عنه
وابين كشفا عن صورته من الاخر فيكون الليث مثلا ادل على السبع المعلوم من الاسد
وحتى انا لو اردنا الموازنة بين لغتين كالعربية والفارسية ساغ لنا ان نجعل لفظة
رجل ادل على الادمي الذكر من نظيره في الفارسية وهل يقع في وهم وان جهد ان
تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير ان ينظر الى مكان تقعان فيه من التاليف و
النظم باكثر من ان تكون هذه مالوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية او ان تكون
حروف هذه اخف وامتزاجها احسن ومما يكد اللسان ابعد وهل تجد احدا
يقول هذه اللفظة فصيحة الا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة
معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لاخواتها وهل قالوا لفظة متمكنة و
مقبولة وفي خلافه قلقة ونابية ومستكرهة الا وغرضهم ان يعبروا بالتمكن
عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم
وان الاولى لم تلق بالثانية في معناها وان السابقة لم تصلح ان تكون لفقا للتالية
في مؤداها وهل تشك اذا فكرت في قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين
فتجلى لك منها الاعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع انك لم تجد ما وجدت من المزية

الظاهرة والفضيلة القاهرة الا لامر يرجع الى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وان
لم يعرض لها الحسن والشرف الا من حيث لاقت الاولى بالثانية والثالثة بالرابعة
وهكذا الى ان تستقريها الى اخرها وان الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها ان
شككت فتامل هل ترى لفظة منها بحيث لو اخذت من بين اخواتها وافردت لادت
من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الاية قل ابلعي واعتبرها وحدها من غير ان
تنظر الى ما قبلها وما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها وكيف بالشك في ذلك و
معلوم ان مبدا العظمة في ان نوديت الارض ثم امرت ثم في ان كان النداء بيا دون
اي نحو يا ايتها الارض ثم اضافة الماء الى الكاف ثم ان اتبع نداء الارض وامرها بما هو
من شانها نداء السماء وامرها كذلك بما يخصها ثم ان قيل وغيض الماء فجاء الفعل على
صيغة فعل الدالة على انه لم يغض الا بامر امر وقدرة قادر ثم تاكيد ذلك وتقريره
بقوله تعالى وقضي الامر ثم ذكر ما هو فائدة هذه الامور وهو استوت على الجودي ثم
اضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشان ثم مقابلة
قيل في الخاتمة بقيل في الفاتحة افترى لشي من هذه الخصائص التي تملؤك روعة
وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من اقطارها تعلقا باللفظ من
حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق ام كل ذلك لما بين معاني الالفاظ
من الاتساق العجيب فقد اتضح اذا اتضاحا لا يدع للشك مجالا ان الالفاظ لا تتفاضل
من حيث هي الفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وان الفضيلة وخلافها
في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها او ما اشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ
ومما يشهد لذلك انك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها

بدل تم

بدل تملؤك

بدل لم

تثقل عليك وتوحشك في موضع اخر كلفظة الاخدع في بيت الحماسة تلفتّ
نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا وبيت البحتري واني
وان بلّغتني شرف الغنى واعتقت من رق المطامع اخدعي فان لها في هذين
المكانين ما لا يخفى من الحسن ثم انك تتاملها في بيت ابي تمام يا دهر قوّم من
اخدعيك فقد اضججت هذا الانام من خرقك فتجد لها من الثقل على النفس
ومن التنغيص والتكدير اضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة ومن الايناس و
البهجة ومن اعجب ذلك لفظة الشي فانك تراها مقبولة حسنة في موضع و
ضعيفة مستكرهة في موضع فان اردت ان تعرف ذلك فانظر الى قول عمر بن ابي
ربيعة شعر ومن مالئ عينيه من شي غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
وقول ابي حية النميري اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شي لا يمل التقاضيا
فانك تعرف حسنها ومكانها من القبول ثم انظر اليها في بيت المتنبي لو الفلك
الدوار ابغضت سعيه لعوقه شي عن الدوران فانك تراها تقل وتضؤل بحسب
نبلها وحسنها فيما تقدم وهذا باب واسع فانك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا
كلما باعيانها ثم ترى هذا قد فرع السماك وترى ذلك قد لصق بالحضيض فلو
كانت الكلمة اذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ واذا استحقت المزية و
الشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون ان يكون السبب في ذلك
حال لها مع اخواتها المجاورة لها في النظم لما اختلف بها الحال ولكانت اما ان
تحسن ابدا او لا تحسن ابدا ولم نر قولا يضطرب على قائله حتى لا يدري كيف يعبر
وكيف يورد ويصدر كهذا القول بل ان اردت الحق فانه من جنس الشي يجري

بدل التكدير

بدل سعيه

به الرجل لسانه وتطلقه فاذا فتشت نفسك وجدتها تعلم بطلانه وتنطوي على خلافه
ذلك لانه مما لا يقوم بالحقيقة في اعتقاد ولا يكون له صورة في فؤاد والله اعلم. فصل
ومما يجب احكامه بعقب هذا الفصل الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم
منظومة وذلك ان نظم الحروف هو تواليها في النطق وليس نظمها بمقتضى عن
معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى ان يتحرى في نظمه لها ما
تحراه فلو ان واضع اللغة كان قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي الى فساد
واما نظم الكلم فليس الامر فيه كذلك لانك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على
حسب ترتب المعاني في النفس فهو اذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع
بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء الى الشيء كيف جاء واتفق ولذلك كان
عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما اشبه ذلك
مما يوجب اعتبار الاجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث في مكان
هنا وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح و
الفائدة في معرفة هذا الفرق انك اذا عرفته عرفت ان ليس الغرض بنظم
الكلم ان توالت الفاظها في النطق بل ان تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها
على الوجه الذي اقتضاه العقل وكيف يتصور ان يقصد به الى توالي الالفاظ في
النطق بعد ان ثبت انه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وانه نظير
الصياغة والتحبير والتفويف والنقش وكل ما يقصد به التصوير وبعد ان كنا لا
نشك في ان لا حال للفظة مع صاحبتها تعتبر اذا انت عزلت دلالتهما جانبا
واي مساغ للشك في ان الالفاظ لا تستحق من حيث هي الفاظ ان تنظم على وجه

دون وجه ولو فرضنا ان تنخلع من هذه الالفاظ التي هي لغات دلالتها لما كان شيء منها
احق بالتقديم من شيء ولا يتصور ان يجب فيها ترتيب ونظم ولو حفظت صبيا شطر كتاب العين
او الجمهرة من غير ان تفسر له شيئا منه واخذته بان يضبط صور الالفاظ وهيئتها و
يؤديها كما يؤدي اصوات الطيور لرأيته ولا يخطر له ببال ان من شأنه ان يؤخر لفظا و
يقدم آخر بل كان حاله حال من يرمي الحصى ويعد الجوز اللهم الا ان تسومه ان يأتي
بها على حروف المعجم ليحفظ نسق الكتاب. ودليل آخر وهو انه لو كان القصد بالنظم
الى اللفظ نفسه دون ان يكون الغرض ترتيب المعاني في النطق بالالفاظ على حذوها
لكان ينبغي ان لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم او غير الحسن فيه لانهما يحسان
توالي الالفاظ في النطق احساسا واحدا ولا يعرف احدهما في ذلك شيئا يجهله الآخر
واوضح من هذا كله ان هذا النظم الذي يتواصفه البلغاء وتفاضل مراتب البلاغة من اجله
صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة واذا كانت مما يستعان عليه بالفكرة ويستخرج
بالروية فينبغي ان ينظر في الفكر بماذا تلبس أبالمعاني ام بالالفاظ فاي شيء وجدته الذي
تلبس به من بين المعاني والالفاظ فهو الذي تحدث فيه صنعتك وتقع فيه صياغتك ونظمك
وتصويرك فمحال ان تتفكر في شيء وانت لا تصنع فيه شيئا وانما تصنع في غيره لو جاز
ذلك لجاز ان يفكر البناء في الغزل ليجعل فكره فيه وصلة الى ان يصنع من الآجر و
هو من الاحالة المفرطة فان قيل النظم موجود في الالفاظ على كل حال ولا سبيل الى
ان يعقل الترتيب الذي تزعمه في المعاني ما لم تنظم الالفاظ ولم ترتبها على الوجه الخاص
قيل ان هذا هو الذي يعيد هذه الشبهة جذعة ابدا والذي يحلها ان ينظر اتتصور
ان يكون معتبرا مفكرا في حال اللفظ مع اللفظ حتى تضعه بجنبه او قبله وان

يقول هذه اللفظة انما صلحت هاهنا لكونها على صفة كذا ام لا يعقل الا ان يقول
صلحت هاهنا لان معناها كذا ولدلالتها على كذا ولان معنى الكلام و
الغرض فيه يوجب كذا ولان معنى ما قبلها يقتضي معناها فان تصورت الاول
فقل ما شئت واعلم ان كل ما ذكرناه باطل وان لم تتصور الا الثاني فلا تخدعن نفسك بالاضاليل صح
ودع النظر الى ظواهر الامور واعلم ان ما ترى انه لا بد منه من ترتب الالفاظ وتواليها
على النظم الخاص ليس هو الذي طلبته بالفكر ولكنه شيء يقع بسبب الاول ضرورة
من حيث ان الالفاظ اذا كانت اوعية للمعاني فانها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها
فاذا وجب لمعنى ان يكون اولا في النفس وجب للفظ الدال عليه ان يكون مثله
اولا في النطق فاما ان تتصور في الالفاظ ان تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب
وان يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الالفاظ او ان تحتاج
بعد ترتيب المعاني الى فكر تستأنفه لان تجيء بالالفاظ على نسقها فباطل من الظن
ووهم يتخيل الى من لا يوفي النظر حقه وكيف تكون مفكرا في نظم الالفاظ وانت
لا تعقل لها اوصافا واحوالا اذا عرفتها عرفت ان حقها ان تنظم على وجه كذا
ومما يلبس على الناظر في هذا الموضع ويغلطه انه يستبعد ان يقال هذا كلام
قد نظمت معانيه فالعرف كانه لم يجر بذلك الا انهم وان كانوا لم يستعملوا النظم
في المعاني فقد استعملوا فيها ما هو بمعناه ونظير له وذلك قولهم انه يرتب المعاني
في نفسه وينزلها ويبني بعضها على بعض كما يقولون يرتب الفروع على الاصول
ويتبع المعنى المعنى ويلحق النظير بالنظير واذا كنت تعلم انهم قد استعاروا النسج
والوشي والنقش والصياغة لنفس ما استعاروا له النظم وكان لا يشك في ان ذلك

كله تشبيه وتمثيل يرجع الى امور واوصاف تتعلق بالمعاني دون الالفاظ فمن
حقك ان تعلم ان سبيل النظم ذلك السبيل واعلم ان من سبيلك ان تعتمد على هذا
الفصل جدا وتجعل النكت التي ذكرتها فيه على ذكر منك ابدا فانها عمد واصول في
هذا الباب اذا انت مكنتها في نفسك وجدت الشبه تنزاح عنك والشكوك
تنتفي عن قلبك ولا سيما ما ذكرت من انه لا يتصور ان يعرف للفظ موضع من
غير ان يعرف معناه ولا ان تتوخى في الالفاظ من حيث هي الفاظ ترتيبا ونظما و
انك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك فاذا تم لك ذلك اتبعتها الالفاظ
وقفوت بها آثارها وانك اذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج الى ان
تستأنف فكرا في ترتيب الالفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم انها خدم للمعاني
وتابعة لها ولاحقة بها وان العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الالفاظ
الدالة عليها في النطق — فصل — واعلم انك اذا رجعت الى نفسك علمت
علما لا يعترضه الشك ان لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض و
يبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك هذا ما لا يجهله عاقل ولا
يخفى على احد من الناس واذا كان كذلك فبنا ان ننظر الى التعليق فيها والبناء و
جعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله واذا نظرنا
الى ذلك علمنا ان لا محصول لها غير ان تعمد الى اسم فتجعله فاعلا لفعل او
مفعولا او تعمد الى اسمين فتجعل احدهما خبرا عن الآخر او تتبع الاسم اسما
على ان يكون الثاني صفة للاول او تأكيدا له او بدلا منه او تجيء باسم بعد تمام
كلامك على ان يكون حالا او تمييزا او تتوخى في كلام هو لاثبات معنى ان

مضمر نفيا او استفهاما او تمنيا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك او تريد
تعليق احدهما بشرط في الآخر فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى او بعد
اسم من الاسماء التي ضمنت معنى ذلك الحرف وعلى هذا القياس واذا كان لا يكون في
الكلم نظم ولا ترتيب الا بان تصنع بها هذا الصنيع ونحوه وكان ذلك كله مما لا
يرجع الى اللفظ منه شيء ومما لا يتصور ان يكون فيه ومن صفته بان بذلك ان الامر على
ما قلناه من ان اللفظ تبع للمعنى في النظم وان الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب
معانيها في النفس وانها لو خلت من معانيها حتى تتجرد اصواتا واصداء حروف
لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر ان يجب فيها ترتيب ونظم وان يجعل لها
امكنة ومنازل وان يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك والله الموفق للصواب

فصل وهذه شبهة اخرى ضعيفة عسى ان يتعلق بها متعلق
ممن يقدم على القول من غير روية وهي ان يدعي ان لا معنى للفصاحة سوى التلاؤم
اللفظي وتعديل مزاج الحروف حتى لا يتلاقى في النطق حروف تثقل على اللسان
كالذي انشده الجاحظ من قول الشاعر   وقبر حرب بمكان قفر   وليس قرب
قبر حرب قبر   وقول ابن يسير   لا أذيل الآمال بعدك اني   بعدها بالآمال جد
بخيل   كم لها موقف بباب صديق   رجعت من نداه بالتعطيل   لم يضرها
والحمد لله شيء   وانثنت نحو عزف نفس ذهول   قال الجاحظ فتفقد النصف
الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض الفاظه يتبرأ من بعض ويزعم ان
الكلام في ذلك على طبقات فمنه المتناهي في الثقل المفرط فيه كالذي مضى
ومنه ما هو اخف منه كقول ابي تمام   كريم متى أمدحه أمدحه والورى

أن تجعل صح

تبين

معي واذا ما لمته لمته وحدي ومنه ما يكون فيه بعض الكلفة على اللسان الا انه
لا يبلغ ان يعاب به صاحبه ويشهر امره في ذلك ويحفظ عليه ويزعمون ان الكلام
اذا سلم من ذلك وصفا من شوبه كان الفصيح المشاد به والمشار اليه وان الصفاء
ايضا يكون على مراتب يعلو بعضها بعضا وان له غاية اذا انتهى اليها كان الاعجاز والذي
يبطل هذه الشبهة ان ذهب اليها ذاهب انا ان قصرنا صفة الفصاحة على كون
اللفظ كذلك وجعلناه المراد بها لزمنا ان نخرج الفصاحة من حيز البلاغة
ومن ان تكون نظيرة لها واذا فعلنا ذلك لم نخل من احد امرين اما ان نجعله العمدة
في المفاضلة بين العبارتين ولا نعرج على غيره واما ان نجعله احد ما نفاضل به
ووجها من الوجوه التي تقتضي تقديم كلام على كلام فان اخذنا بالاول لزمنا ان
نقصر الفضيلة عليه حتى لا يكون الاعجاز الا به وفيه وفي ذلك ما لا يخفى من الشناعة
لانه يؤدي الى ان لا يكون للمعاني التي ذكروها في حدود البلاغة من وضوح الدلالة
وصواب الاشارة وتصحيح الاقسام وحسن الترتيب والنظام والابداع في
طريقة التشبيه والتمثيل والاجمال ثم التفصيل ووضع الفصل والوصل
موضعهما وتوفية الحذف والتأكيد والتقديم والتأخير شروطهما مدخل
فيما له كان القرآن معجزا حتى ندعي انه لم يكن معجزا من حيث هو بليغ ولا
من حيث هو قول فصل وكلام شريف النظم بديع التأليف وذلك لانه
لا تعلق لشيء من هذه المعاني بتلاؤم الحروف وان اخذنا بالثاني وهو ان يكون
تلاؤم الحروف وجها من وجوه الفضيلة وداخلا في عداد ما يفاضل به
بين كلام وكلام على الجملة لم يكن لهذا الخلاف ضرر علينا لانه ليس بأكثر

على

نعماى للحاكه

من ان تعمد الى الفصاحة فتخرجها من حيز البلاغة والبيان وان تكون نظيرة لهما
وفي عداد ما هو شبههما من البراعة والجزالة واشباه ذلك مما ينبئ عن شرف النظم
وعن المزايا التي شرحت لك امرها واعلمتك جنسها او تجعلها اسما مشتركا
يقع تارة لما يقع له تلك واخرى لما يرجع الى سلامة اللفظ مما يثقل على اللسان
وليس واحد من الامرين بقادح فيما نحن بصدده وان تعسف متعسف في تلاؤم
الحروف فبلغ به الى ان يكون الاصل في الاعجاز واخرج سائر ما ذكروه في اقسام
البلاغة من ان يكون له مدخل او تاثير فيما له كان القرآن معجزا كان الوجه ان
يقال له انه يلزمك على قياس قولك ان تجوز ان يكون ههنا نظم للالفاظ وترتيب
لا على نسق المعاني ولا على وجه يقصد به الفائدة ثم يكون مع ذلك معجزا وكفى
به فسادا فان قال اني لا اجعل تلاؤم الحروف معجزا حتى يكون اللفظ مع ذلك
دالا وذلك لانه انما يصعب مراعاة التعادل بين الحروف اذا احتيج مع ذلك
الى مراعاة المعاني كما انه انما يصعب مراعاة السجع والوزن ويصعب
كذلك التجنيس والترصيع اذا روعي معها المعنى قيل له فانت الان ان عقلت
ما تقول قد خرجت من مسألتك وتركت ان يستحق اللفظ المزية من حيث هو
لفظ وجئت تطلب لصعوبة النظم فيما بين المعاني طريقا وتضع له علة غير ما
يعرفه الناس وتدعي ان ترتيب المعاني سهل وان تفاضل الناس في ذلك الى
حد وان الفضيلة تزداد وتقوى اذا توخي في حروف الالفاظ التعادل و
التلاؤم وهذا منك وهم وذلك انا لا نعلم لتعادل الحروف معنى سوى ان تسلم
من نحو ما تجده في بيت ابي تمام كريم متى امدحه امدحه والورى وبيت ابي يسير

[illegible]

وانت نحو عزوف نفس ذهول ولست اللفظ السليم من ذلك بمعوز ولا بعزيز
الوجود ولا بالشيء لا يستطيعه الا الشاعر المفلق والخطيب البليغ فيستقيم
قياسه على السجع والتجنيس ونحو ذلك مما اذا رامه المتكلم صعب عليه تصحيح
المعاني وتادية الاغراض فقولنا اطال الله بقاك وادام عزك واتم نعمته عليك
وزاد في احسانه عندك لفظ سليم مما يكد اللسان وليس في حروفه استكراه وهكذا
حال كلام الناس في كتبهم ومحاوراتهم لا تكاد تجد فيه هذا الاستكراه لانه انما هو
شيء يعرض للشاعر اذا تكلف وتعمل فاما المرسل نفسه على سجيتها فلا يعرض
له ذلك وهذا والتعليل ايضا مثل ما ذكرت من انه انما يكون تلاؤم الحروف معجزا
بعد ان يكون اللفظ دالا لان مراعاة التعادل انما تصعب اذا احتيج مع ذلك
الى مراعاة المعاني اذا انا ملت تذهب الى شيء طريف عجيب وهو ان يصعب
مرام اللفظ بسبب المعنى وهو وذلك محال لان الذي يعرفه العقلاء عكس ذلك
وهو ان يصعب مرام المعنى بسبب اللفظ فصعوبة ما صعب من السجع هي
صعوبة عرضت في المعاني من اجل الالفاظ وذلك انه صعب عليك ان توفق
بين معاني تلك الالفاظ المسجعة وبين معاني الفصول التي جعلت اردافا لها فلم
تستطع ذلك الا بعد ان عدلت عن اسلوب الى اسلوب او دخلت في ضرب
من المجاز واخذت في نوع من الاتساع وبعد ان تلطفت على الجملة ضربا من اللطف
وكيف يتصور ان يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى وانت ان اردت الحق
لا تطلب اللفظ بحال وانما تطلب المعنى واذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك
وازاء ناظرك وانما كان يتصور ان يصعب مرام اللفظ من اجل المعاني ان لو كنت

اذا طلبت المعنى فحصلته احتجت الى ان تطلب اللفظ على حدة وذلك محال هذا
واذا توهم متوهم انا نحتاج الى ان نطلب اللفظ وان من شان الطلب ان يكون هناك
فان الذي يتوهم انه يحتاج الى طلبه هو ترتيب الالفاظ في النطق لا محالة واذا كان كذلك
فينبغي لنا ان نرجع الى نفوسنا فننظر هل يتصور ان نرتب معاني اسماء وافعال و
حروف في النفس ثم يخفى علينا مواقعها في النطق حتى نحتاج في ذلك الى فكرة وروية
وذلك مما لا يشك في فساده عاقل اذا هو رجع الى نفسه واذا بطل ان يكون ترتيب
اللفظ مطلوبا بحال ولم يكن المطلوب ابدا الا ترتيب المعاني وكان معول هذا
المخالف على ذلك فقد اضمحل كلامه وبان انه ليس لمن حام في حديث المزية والاعجاز
حول اللفظ ورام ان يجعله السبب في هذه الفضيلة الا التسكع في الحيرة
والخروج عن فاسد من القول الى مثله والله الموفق للصواب فان قيل اللفظ
بمعزل عن المزية التي تنازعنا فيها وكانت مقصورة على المعنى فكيف كانت
الفصاحة من صفات اللفظ البتة وكيف امتنع ان يوصف بها المعنى فيقال
معنى فصيح وكلام فصيح المعنى قيل انما اختصت الفصاحة باللفظ وكانت
من صفته من حيث كانت عبارة عن كون اللفظ على وصف اذا كان عليه
دل على المزية التي نحن في حديثها واذا كانت لكون اللفظ دالا استحال ان
يوصف بها المعنى كما يستحيل ان يوصف المعنى بانه دال مثلا فاعرفه فان قيل
فماذا دعا القدماء الى ان قسموا الفضيلة بين المعنى واللفظ فقالوا معنى لطيف
ولفظ شريف وفخموا شان اللفظ وعظموه حتى تبعهم في ذلك من بعدهم
وحتى قال اهل النظر ان المعاني لا تتزايد وانما تتزايد الالفاظ فاطلقوا كما

ترى كلاما يوهم كل من يسمعه ان المزية في حاق اللفظ قيل انه لما كانت المعاني
انما تتبين بالالفاظ وكان لا سبيل للمرتب لها والجامع شملها الى ان يعلمك ما صنع
في ترتيبها بفكره الا بترتيب الالفاظ في نطقه تجوزوا فكنوا عن ترتيب
المعاني بترتيب الالفاظ ثم بالالفاظ بحذف الترتيب ثم اتبعوا ذلك من الوصف
والنعت ما ابان الغرض وكشف عن المراد كقولهم لفظ متمكن يريدون انه بموافقة
معناه لمعنى ما يليه كالشيء الحاصل في مكان صالح يطمئن فيه ولفظ قلق ناب
يريدون انه من اجل ان معناه غير موافق لما يليه كالحاصل في مكان لا يصلح له فهو
لا يستطيع الطمانينة فيه الى سائر ما يجيء في صفة اللفظ مما يعلم انه مستعار له من
معناه وانهم نحلوه (نسبوه اليه) اياه بسبب مضمونه ومؤداه هذا ومن يتعلق بهذا
وشبهه واعترضه الشك فيه بعد الذي مضى من الحجج فهو رجل قد انس
بالتقليد فهو يدعو الى نفسه الشبهة من ههنا وثم ومن كان هذا سبيله
فليس له دواء سوى السكوت عنه وتركه وما يختاره لنفسه من سوء
النظر وقلة التدبر قد فرغنا الآن من الكلام على جنس المزية وانها من حيز
المعاني دون الالفاظ وانها ليست لك حيث تسمع باذنك بل حيث تنظر
بقلبك وتستعين بفكرك وتعمل رويتك وتراجع عقلك وتستنجد في
الجملة فهمك وبلغ القول في ذلك اقصاه وانتهى الى مداه وينبغي ان ناخذ
الآن في تفصيل امر المزية وبيان الجهات التي منها تعرض وانه لمرام صعب
ومطلب عسير ولولا انه على ذلك لما وجدت الناس بين منكر له من اصله
ومتخيل له على غير وجهه ومعتقد انه باب لا تقوى عليه العبارة ولا

ملك فيه الا الاشاره وان طريق العلم اليه مسدود وباب التفهيم دونه مغلق وان معانيك فيه معان تابى ان تبرز وان تبين للتبيين والتصوير وان ترى سافرة لا نقاب عليها وبادية لا حجاب دونها وان ليس للواصف لها الا ان يلوح ويشير او يضرب مثلا ينبى عن حسن قد عرفه على الجمله وفضيله قد احسها من غير ان يتبع ذلك بيانا ويقيم عليه برهانا ويذكر له علة ويورد فيه حجة وانا انزل لك القول في ذلك وادرجه شيا فشيا واستعين الله تعلى عليه واسله التوفيق

فصل في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره

اعلم ان لهذا الضرب اتساعا وتفننا الى غايه الا انه على اتساعه يدور في الامر الاعم على شيئين الكنايه والمجاز والمراد بالكنايه هاهنا ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغه ولكن يجي الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي به اليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم هو طويل النجاد يريدون طويل القامه وكثير رماد القدر يعنون كثير القرى وفي المراه نؤوم الضحى والمراد بها مترفه مخدومه لها من يكفيها فقد ارادوا في هذه كلها معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ولكنهم توصلوا اليه بذكر معنى اخر من شانه ان يردفه في الوجود وان يكون اذا كان افلا ترى ان القامه اذا طالت طال النجاد واذا كثر القرى كثر رماد القدر واذا كانت المراه مترفه لها من يكفيها امرها ردف ذلك ان تنام الى الضحى فاما المجاز فقد عول الناس في حده على حديث النقل وان كل لفظ نقل عن موضوعه فهو مجاز والكلام في ذلك يطول وقد ذكرت ما هو الصحيح في ذلك في موضع اخر وانا اقتصر هاهنا على ذكر ما هو اشهر منه واظهر والاسم والشهره فيه لشيئين الاستعاره

والتمثيل وانما يكون التمثيل مجازا اذا جا على حد الاستعاره فالاستعاره ان تريد تشبيه الشي بالشي فتدع ان تفصح بالتشبيه وتظهره وتجي الى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه تريد ان تقول رايت رجلا هو كالاسد في شجاعته وقوة بطشه سوا فتدع ذلك وتقول رايت اسدا وضرب اخر من الاستعاره وهو ما كان نحو قوله اذا اصبحت بيد الشمال زمامها هذا الضرب وان كان الناس يضمونه الى الاول حيث يذكرون الاستعاره فليسا سوا وذلك انك في الاول تجعل الشي الشي ليس به وفي الثاني تجعل للشي الشي ليس له تفسير هذا انك اذا قلت رايت اسدا فقد ادعيت في انسان انه اسد وجعلته اياه ولا يكون الانسان اسدا واذا قلت اذا اصبحت بيد الشمال زمامها فقد ادعيت ان للشمال يدا ومعلوم انه لا يكون للريح يد وهاهنا اصل يجب ضبطه وهو ان جعل المشبه المشبه به على ضربين احدهما ان تنزله منزلة الشي تذكره بامر قد ثبت له فانت لا تحتاج الى ان تعمل في اثباته وتزجيته وذلك حيث تسقط ذكر المشبه من البين ولا تذكره بوجه من الوجوه كقولك رايت اسدا والثاني ان تجعل ذلك كالامر الذي انت تحتاج الى ان تعمل في اثباته وتزجيته وذلك حيث تجري اسم المشبه به خبرا على المشبه فتقول زيد اسد او زيد هو الاسد او تجي به على وجه يرجع الى هذا كقولك ان لقيته لقيت به اسدا وان لقيته ليلقينك منه الاسد فانت في هذا كله تعمل في اثبات كونه اسدا او الاسد وتضع كلامك له واما في الاول فتخرجه مخرج ما لا يحتاج فيه الى اثبات وتقرير والقياس يقتضي ان يقال في هذا الضرب

اعني ما انت تعمل في اثباته وتزجيه انه يشبه على حد المبالغة وتقتصر على
هذا القدر ولا تسمي استعارة واما التمثيل الذي يكون مجازًا لمجيك به على حد
الاستعارة فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه اراك تقدم
رجلًا وتؤخر اخرى فالاصل في هذا اراك في ترددك كمن يقدم رجلًا ويؤخر
اخرى ثم اختصر الكلام وجعل كانه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة
كما كان الاصل في قولك رايت اسدًا رايت رجلًا كالاسد ثم جعل كانه الاسد
على الحقيقة وكذلك يقول للرجل يعمل في غير معمل اراك تنفخ في غير فحم
وتخط على الما فتجعله في ظاهر الامر كانه ينفخ ويخط والمعنى على انك في
فعلك كمن يفعل ذلك وتقول للرجل يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه الى الشيء
قد كان يأباه ويمتنع منه ما زال يفتل في الذروة والغارب حتى بلغ منه
ما اراد فيجعله بظاهر اللفظ كانه كان منه فتل في ذروة وغارب والمعنى
على انه لم يزل يرفق بصاحبه رفقًا يشبه حاله فيه حال الرجل الى البعير يجي
الصعب فيحكه ويفتل الشعر في ذروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس و
هو في المعنى نظير قولهم فلان يقرّد فلانًا يعني انه يتلطف به فعل الرجل
ينزع القراد من البعير ليلذه ذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من اخذه
وهكذا كل كلام رايتهم قد نحوا فيه نحو التمثيل ثم لم يفصحوا بذلك واخرجوا
اللفظ مخرجه اذا لم يريدوا تمثيلًا **فصل** قد اجمع الجميع
على ان الكناية ابلغ من الافصاح والتعريض اوقع من التصريح وان للاستعارة
مزية وفضلًا وان المجاز ابدًا ابلغ من الحقيقة الا ان ذلك وان كان معلومًا

على الجملة فانه لا تطمئن نفس العاقل في كل ما يطلب العلم به حتى يبلغ فيه غايته
وحتى يغلغل الفكر الى زواياه حتى لا يبقى عليه موضع شبهة ومكان مسئلة
فنحن وان كنا نعلم انك اذا قلت هو طويل النجاد وهو جم الرماد كان ابهى
لمعناك وانبل من ان تدع الكناية وتصرح بالذي تريد وكذا اذا قلت
رايت اسدًا كان لكلامك مزية لا تكون اذا قلت رايت رجلًا هو والاسد
سواء في معنى الشجاعة وفي قوة القلب وشدة البطش واشباه ذلك و
اذا قلت بلغني انك تقدم رجلًا وتؤخر اخرى كان اوقع من صريحه الذي هو
قولك بلغني انك تتردد في امرك وانك في ذلك كمن يقول اخرج ولا اخرج فيقدم
رجلًا ويؤخر اخرى ونقطع على ذلك حتى لا يخالجنا شك فيه فانما تسكن
انفسنا تمام السكون اذا عرفنا السبب في ذلك والعلة ولم كان كذلك و
هيانا له عبارة تفهم عنا من نريد افهامه وهذا قول في ذلك اعلم ان سبيلك
اولًا ان تعرف ان ليست المزية التي تثبتها لهذه الاجناس على الكلام المتروك
على ظاهره والمبالغة التي تدعى لها في انفس المعاني التي يقصد المتكلم اليها بخبره
ولكنها في طريق اثباته لها وتقريره اياها تفسير هذا ان ليس المعنى اذا قلنا
ان الكناية ابلغ من التصريح انك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته بل المعنى
انك زدت في اثباته فجعلته ابلغ وآكد واشد فليست المزية في قولهم جم
الرماد انه دل على قرى اكثر بل انك اثبت له القرى الكثير من وجه هو ابلغ
واوجبته ايجابًا هو اشد وادعيته دعوى انت بها انطق وبصحتها اوثق
وكذلك ليست المزية التي تراها لقولك رايت اسدًا على قولك رايت رجلًا

بلغني صح

قال لي

يقصد صح

لا يتميز عن الاسد في شجاعته وجراته انك قد افدت بالاول زيادة في مساواته
الاسد لان افدت تاكيدا وتشديدا وقوة في اثباتك له هذه المساواة وفي
تقريرك لها فليس تاثير الاستعارة اذا في ذات المعنى وحقيقته بل في ايجابه
والحكم به وهكذا قياس التمثيل ترى المزية ابدا في ذلك تقع في طريق اثبات المعنى دون
المعنى نفسه فاذا سمعتهم يقولون ان من شان هذه الاجناس ان تكسب المعاني
نبلا وفضلا وتوجب لها شرفا وان تفخمها في نفوس السامعين وترفع اقدارها
عند المخاطبين فانهم لا يريدون الشجاعة والقرى واشباه ذلك من معاني الكلم
المفردة وانما يعنون اثبات معاني هذه الكلم لمن تثبت له ويخبر بها عنه هذا
ما ينبغي للعاقل ان يجعله على ذكر منه ابدا وان يعلم ان ليس لنا اذا تكلمنا في
البلاغة والفصاحة مع معاني الكلم المفردة شغل ولا هي منا بسبيل وانما
نعمد الى الاحكام التي تحدث بالتاليف والتركيب واذ قد عرفت مكان هذه
المزية والمبالغة التي لا تزال تسمع بها وانها في الاثبات دون المثبت فان
لها في كل واحد من هذه الاجناس سببا وعلة اما الكناية فان السبب في ان
كان للاثبات بها مزية لا تكون للتصريح ان كل عاقل يعلم اذا رجع الى نفسه ان
اثبات الصفة باثبات دليلها وايجابها بما هو شاهد في وجودها آكد و
ابلغ في الدعوى من ان تجي اليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا وذلك انك لا
تدعي شاهد الصفة ودليلها الا والامر ظاهر معروف وبحيث لا يشك فيه
ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط واما الاستعارة فسبب ما ترى لها من المزية
والفخامة انك اذا قلت رايت اسدا كنت قد تلطفت لما اردت اثباته له

من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشي الذي يجب له الثبوت والحصول وكالامر
الذي نصب له دليل يقطع بوجوده وذلك انه اذا كان اسدا فواجب ان يكون له
تلك الشجاعة العظيمة وكالمستحيل او الممتنع ان يعرى عنها واذا صرحت
بالتشبيه فقلت رايت رجلا كالاسد كنت قد اثبتها اثبات الشي يترجح بين
ان يكون وبين ان لا يكون ولم يكن من حديث الوجوب في شي وحكم التمثيل حكم
الاستعارة سوا فانك اذا قلت اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى فاوجبت له
الصورة التي يقطع معها بالتحير والتردد كان ابلغ لا محالة من ان تجري على الظاهر
فتقول قد جعلت تتردد في امرك فانت كمن يقول اخرج ولا اخرج فيقدم
رجلا ويوخر اخرى

فصل

اعلم ان شيا من هذه الاجناس ان تجري فيها الفضيلة وان يتفاوت التفاوت الشديد افلا — شان

ترى انك ترى في الاستعارة العامي المبتذل كقولنا رايت اسدا ووردت
بحرا ولقيت بدرا والخاصي النادر الذي لا تجده الا في كلام الفحول ولا يقوى
عليه الا افراد الرجال كقوله وسالت باعناق المطي الاباطح اراد انها سارت
سيرا حثيثا في غاية السرعة وكانت سرعة في لين وسلاسة حتى كانها كانت
سيولا وقعت في تلك الاباطح فجرت بها ومثل هذه الاستعارة في الحسن و
اللطف وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول الآخر سالت عليه شعاب
الحي حين دعا انصاره بوجوه كالدنانير اراد انه مطاع في الحي وانهم
يسرعون الى نصرته وانه لا يدعوهم لحرب او نازل خطب الا اتوه وكثروا
عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجي من هاهنا وهاهنا

وينصبّ من هذا المسيل وذاك حتى يغصّ بها الوادي ويطفح منها ومن بديع الاستعارة ونادرها الا ان جهة الغرابة فيه غير جهتها في هذا قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساً له وانه مؤدّب وانه اذا نزل عنه والقى عنانه في قربوس سرجه وقف مكانه الى ان يعود اليه شعر

عوّدته فيما ازور حبائبي ... اهماله وكذاك كل مخاطر
واذا احتبى قربوسه بعنانه ... علك الشكيم الى انصراف الزائر

فالغرابة ها هنا في الشبه نفسه وفي ان استدرك ان هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج كالهيئة في موقع الثوب من ركبة المحتبي وليست الغرابة في قوله وسالت باعناق المطي الاباطح على هذه الجملة وذاك انه لم يغرب لان جعل المطي في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجري في الابطح فان هذا شبه معروف ظاهر ولكن الدقة واللطف في خصوصية افادها بان جعل سال فعلاً للاباطح ثم عدّاه بالباء ثم بان ادخل الاعناق في البين فقال باعناق المطي ولم يقل بالمطي ولو قال سالت المطي في الاباطح لم يكن شيئاً وكذلك الغرابة في البيت الآخر ليس في مطلق معنى سال ولكن في تعديته بعلى والباء وبان جعله فعلاً لقوله شعاب الحي ولولا هذه الامور كلها لم يكن هذا الحسن وهذا موضع يدقّ الكلام فيه وهذه اشياء من هذا الفن شعر

اليوم يومان مذ غيّبت عن بصري ... نفسي فداؤك ما ذنبي فاعتذر
امسي واصبح لا القاك واحزنا ... لقد تانّق في مكروهي القدر

سوء هو حمله على مبتدأ نحو فانا اعتذر ولم يجعله جواباً وفيه لطيفة وهي انه يلتزم كل ما يلزمه ويعترف به ويعتذر اليه منه وجعل سوء الرزق المضرب وهو لطيف جدّاً بعرض [illegible]

للريح فيها نسيم لا يروّع الترب وانِ

وفي بعض الاعراب

ولربّ خصم جاهدين ذوي شذى ... تقذي عيونهم بهترٍ هاترِ
لُدٍّ ظأرتهم على ما ساءهم ... وخسأت باطلهم بحقٍّ ظاهرِ

المقصود لفظة خسأت ابن المعتز

حتى اذا ما عرف الصيد انصار ... واذن الصبح لنا بالابصار

وله

بخيل قد بليت به ... يكدّ الوعد بالحجج

وله ايضاً

يناجيني الاخلاف من تحت مطله ... فتختصم الآمال واليأس في صدري

ومما هو في غاية الحسن وهو من الفن الاول قول الشاعر انشده الجاحظ

لقد كنت في قوم عليك اشحّة ... بنفسك الا ان ما طاح طائح
يودّون لو خاطوا عليك جلودهم ... ولا تدفع الموت النفوس الشحائح

قال واليه ذهب بشار في قوله

وصاحبٍ كالدمّل المُمِدّ ... حملته في رقعةٍ من جلدي

ومن سرّ هذا الباب انك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في عدّة مواضع ثم ترى لها في بعض ذلك ملاحة لا تجدها في الباقي مثال ذلك انك تنظر الى لفظة الجسر في قول ابي تمام

لا يطمع المرء ان يجتاب لجّته ... بالقول ما لم يكن جسراً له العمل

وقوله

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها ... تنال الا على جسر من التعب

فترى لها في الثاني حسناً لا تراه في الاول ثم تنظر اليها في قول ربيعة الرقّي

قولي نعم ونعم ان قلت واجبة ... قالت عسى وعسى جسر الى نعم

فترى لها لطفاً وخلابة وحسناً ليس الفضل فيه بقليل ومما هو اصل في شرف الاستعارة ان ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات قصداً الى ان يلحق الشكل بالشكل وان يتم المعنى والشبه فيما يريد مثاله قول امرئ القيس

فقلت له لما تمطّى بصلبه ... واردف اعجازاً وناء بكلكل

لما جعل لليل

صلبا قد تمطى به ثم ذلك يجعل الإعجاز إذا قد ... فيها الصلب وثلث
يجعل الكلكل قد نابه فاستوفى له جملة أركان الشخص وراعى ما يراه الناظر
من سواده إذا نظر قدامه وإذا نظر إلى ما خلفه وإذا رفع البصر و
مده في عرض الجو واعلم أن هاهنا أسرارا ودقائق لا يمكن بيانها إلا
بعد أن تقدم جملة من القول في النظم وفي تفسيره والمراد منه وأي شيء
هو وما محصوله ومحصول الفضيلة فيه فينبغي لنا أن نأخذ في ذكره وبيان أمره
وأمر المزية التي تدعى له من أين تأتيه وكيف تعرض فيه وما أسباب
ذلك وعلله وما الموجب له وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم
وتفخيم قدره والتنويه بذكره وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه ولا قدر للكلام إذا هو
لم يستقم له ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ وبتهم الحكم بأنه الذي لا تمام دونه و
لا قوام إلا به وأنه القطب الذي عليه المدار والعمود الذي به الاستقلال وما كان
بهذا المحل من الشرف وفي هذه المنزلة من الفضل وموضوعا هذا الموضع من
المزية وبالغا هذا المبلغ من الفضيلة كان حريا بأن توقظ له الهمم وتوكل به
النفوس وتحرك له الأفكار وتستخدم فيه الخواطر وكان العاقل جديرا أن
لا يرضى من نفسه بأن يجد فيه سبيلا إلى مزية علم وفضل استبانة وتلخيص حجة
وتحرير دليل ثم يعرض عن ذلك صفحا ويطوي دونه كشحا وأن يربأ بنفسه و
تدخل عليه الأنفة من أن يكون في سبيل المقلد الذي لا يبت حكما ولا يقتل
الشيء علما ولا يجد ما يبري من الشبهة ويشفي غليل الشاك وهو يستطيع
أن يرتفع عن هذه المنزلة ويباين من هو بهذه الصفة فإن ذلك دليل ضعف

الرأي وقصور الهمة ممن يختاره ويعمل عليه اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع
كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف
مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل
بشيء منها وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه
كل باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك زيد منطلق وزيد
ينطلق وينطلق زيد ومنطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق
وزيد هو منطلق وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك إن تخرج أخرج
وإن خرجت خرجت وإن تخرج فأنا خارج وأنا خارج إن خرجت وأنا إن
خرجت خارج وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك جاءني زيد مسرعا وجاءني
يسرع وجاءني وهو مسرع أو وهو يسرع وجاءني قد أسرع وجاءني وقد أسرع
فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له وينظر في الحروف
التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع
كلا من ذلك في خاص معناه نحو أن يجيء بما في نفي الحال وبلا إذا أراد نفي
الاستقبال وبإن فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون وبإذا فيما علم أنه كائن
وينظر في الجملة التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع
الوصل ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء و
موضع الفاء من موضع ثم وموضع أو من موضع أم وموضع لكن من موضع
بل ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله و
في الحذف والتكرار والإضمار والإظهار فيصيب بكل من ذلك مكانه

ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له هذا هو السبيل فلست بواجد شيئا
يرجع صوابه ان كان صوابا وخطاؤه ان كان خطا الى النظم ويدخل تحت
هذا الاسم الا وهو معنى من معاني النحو قد اصيب به موضعه ووضع
في حقه او عومل بخلاف هذه المعاملة فازيل عن موضعه واستعمل
في غير ما ينبغي له فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم او فساده او وصف
بمزية وفضل فيه الا وانت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك
المزية وذلك الفضل الى معاني النحو واحكامه ووجدته يدخل في اصل من
اصوله ويتصل بباب من ابوابه هذه جملة لا تزداد فيها نظرا الا ازددت لها
تصورا وازدادت عندك صحة وازددت بها ثقة وليس من احد
تحركه لان يقول في امر النظم الا وجدته قد اعترف لك بها او ببعضها و
وافق فيها درى ذلك او لم يدر ويكفيك انهم قد كشفوا عن وجه ما اردناه
حيث ذكروا فساد النظم وليس من احد يخالف في نحو قول الفرزدق
وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه   وقول المتنبي
ولذا اسم اغطية العيون جفونها من انها عمل السيوف عوامل   وقوله
الطيب انت اذا اصابك طيبه والماء انت اذا اغتسلت الغاسل   وقوله
وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه بان تسعدا والدمع اشفاه ساجمه   وقول ابي تمام
ثانيه في كبد السماء ولم يكن كاثنين ثان اذ هما في الغار   وقوله يدي لمن شاء رهن
لم يذق جرعا من راحتيك درى ما الصاب والعسل   والى نظائر ذلك مما
وصفوه بفساد النظم وعابوه من جهة سوء التاليف ان الفساد والخلل

برد
وفاؤكما

[illegible]

كان من ان تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشان على غير الصواب فصنع
في تقديم او تاخير او حذف واضمار او غير ذلك مما ليس له ان يصنعه وما لا
يسوغ ولا يصح على اصول هذا العلم واذا ثبت ان سبب فساد النظم واختلاله
ان لا يعمل بقوانين هذا الشان ثبت ان سبب صحته ان يعمل عليها ثم اذا
ثبت ان مستنبط صحته وفساده من هذا العلم ثبت ان الحكم كذلك في مزيته
والفضيلة التي تعرض فيه واذا ثبت جميع ذلك ثبت ان ليس هو شيئا غير
توخي معاني هذا العلم واحكامه فيما بين الكلم والله الموفق للصواب واذ قد عرفت
ذلك فاعمد الى ما تواصفوه بالحسن وتشاهدوا له بالفضل ثم جعلوه كذلك من اجل
النظم خصوصا دون غيره مما يستحسن له الشعر او غير الشعر من معنى لطيف
او حكمة او ادب او استعارة او تجنيس او غير ذلك مما لا يدخل في النظم وتامله
فاذا رايتك قد ارتحت واهتززت واستحسنت فانظر الى حركات الاريحية
مم كانت وعند ماذا ظهرت فانك ترى عيانا ان الذي قلت لك كما قلت اعمد
الى قول البحتري   ~~صليبا~~ بلونا ضرائب من قد نرى فما ان راينا لفتح ضريبا
هو المرء ابدت له الحادثات عزما وشيكا ورايا صليبا تنقل في خلقي سودد
سماحا مرجى وباسا مهيبا   فكالسيف ان جئته صارخا وكالبحر ان جئته مستثيبا
فاذا رايتها قد راقتك وكثرت عندك ووجدت لها اهتزازا في نفسك
فعد فانظر في السبب واستقص في النظر فانك تعلم ضرورة ان ليس الا انه
قدم واخر وعرف ونكر وحذف واضمر واعاد وكرر وتوخى على الجملة
وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فاصاب في ذلك كله ثم لطف

موضع صوابه واتى ما اتى يوجب الفضيلة افلا ترى ان اول شيء يروقك منها
قوله هو المرء ابدت له الحادثات ثم قوله تنقل في خلقي سودد سوددا فنكر
السودد واضافة الخلقين اليه ثم قوله فكالسيف وعطفه بالفاء مع حذفه
المبتدا لان المعنى لا محالة فهو كالسيف ثم تكريره الكاف في قوله وكالبحر ثم ان
قرن الى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه ثم ان اخرج من كل واحد من الشرطين
حالا على مثال ما اخرج من الآخر وذلك قوله صارخا هناك ومستثيبا ها هنا
لا ترى حسنا تنسبه الى النظم ليس سببه ما عددت او ما هو حكم ما عددت
فاعرف ذلك وان اردت اظهر امرا في هذا المعنى فانظر الى قول ابرهيم بن
العباس فلو اذ نبا دهر وانكر صاحب وسلط اعداء وغاب نصير
تكون عن الاهواز داري بنجوة ولكن مقادير جرت وامور واني لارجو بعد هذا
محمدا لافضل ما يرجى اخ ووزير فانك ترى ما ترى من الرونق والطلاوة
ومن الحسن والحلاوة ثم تتفقد السبب في ذلك فتجده انما كان من اجل تقديمه
الظرف الذي هو اذ نبا على عامله الذي هو تكون وان لم يقل فلو تكون عن الاهواز
داري بنجوة اذ نبا دهر ثم ان قال تكون ولم يقل كان ثم ان نكر الدهر ولم يقل فلو اذ
نبا الدهر ثم ان ساق هذا التنكير في جميع ما اتى به من بعد ثم ان قال وانكر
صاحب ولم يقل وانكرت صاحبا لا ترى في البيتين الاولين شيئا غير الذي
عددته لك تجعله حسنا في النظم وكله من معاني النحو كما ترى وهكذا السبيل
ابدا في كل حسن ومزية رايتهما قد نسبا الى النظم وفضل وشرف احيل
فيهما عليه واذ قد عرفت ان مدار امر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق

اي صارخا لمن جئته صارخا في قوله فكالسيف

فلو ع

التي من شانها ان تكون فيه فاعلم ان الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف
عندها ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها ثم اعلم ان ليست المزية بواجبة لها
في انفسها ومن حيث هي على الاطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني والاغراض
التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها
مع بعض تفسير هذا انه ليس اذا راقك التنكير في سودد من قوله تنقل في
خلقي سودد وفي دهر من قوله فلو اذ نبا دهر فانه يجب ان يروقك ابدا وفي
كل شيء ولا اذا استحسنت لفظ ما لم يسم فاعله في قوله وانكر صاحب فانه ينبغي
ان لا تراه في مكان الا اعطيته مثل استحسانك ها هنا بل ليس من فضل ومزية
الا بحسب الموضع وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤم وانما سبيل
هذه المعاني سبيل الاصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش فكما انك ترى الرجل
قد تهدى في الاصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج الى ضرب
من التخير والتدبر في انفس الاصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه
لها وترتيبه اياها الى ما لم يتهد اليه صاحبه فجاء نقشه من اجل ذلك اعجب و
صورته اغرب كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه
التي علمت انها محصول النظم واعلم ان من الكلام ما انت ترى المزية في نظمه
والحسن كالاجزاء من الصبغ تتلاحق وينضم بعضها الى بعض حتى تكثر في العين
فانت لذلك لا تكبر شان صاحبه ولا تقضي له بالحذق والاستاذية وسعة
الذرع وشدة المنة حتى تستوفي القطعة وتاتي على عدة ابيات وذلك
ما كان من الشعر في طبقة ما انشدتك من ابيات البحتري ومنه ما انت ترى

الحسن يهجم عليك منه دفعة ويأتيك منه ما يملأ العين ضربة حتى تعرف
من البيت الواحد مكان الرجل في الفضل وموضعه في الحذق وتشهد له
بفضل المنة وطول الباع وحتى تعلم ان لم تعلم القائل انه من قبل شاعر
فحل وانه خرج من تحت يد صناع وذلك ما اذا انشدته وضعت فيه اليد
على شيء فقلت هذا هذا وما كان كذلك فهو الشعر الشاعر والكلام الفاخر
والنمط العالي الشريف والذي لا تجده الا في شعر الفحول البزل ثم المطبوعين
الذين يلهمون القول الهاما ثم انك تحتاج ان تستقري عدة قصائد بل ان تفلي
ديوانا من الشعر حتى تجمع منه عدة ابيات وذلك ما كان مثل قول الاول
وتمثل به ابو بكر الصديق رضي الله عنه حين اتاه كتاب خالد بالفتح في هزيمة الاعاجم
تمنانا ليلقانا بقوم تخال بياض لامهم السرابا فقد لاقيتنا فرأيت حربا
عوانا تمنع الشيخ الشرابا انظر الى موضع الفاء في قوله فقد لاقيتنا فرأيت
ومثل قول العباس بن الاحنف قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول
فقد جئنا خراسانا انظر الى موضع الفاء وثم قبلها ومثل قول ابن الدمينة
ابيني افي يمنى يديك جعلتني فافرح ام صيرتني في شمالك ابيت كاني بين
شقين من عصا حذار الردى او خيفة من زيالك تعاللت كي اشجى وما بك
علة تريدين قتلي قد ظفرت بذلك انظر الى الفصل والاستئناف في قوله
تريدين قتلي قد ظفرت بذلك ومثل قول ابي حفص الشطرنجي وقاله على
لسان علية اخت الرشيد وقد كان الرشيد عتب عليها لو كان يمنع حسن
القول صاحبه من ان يكون له ذنب الى احد كانت علية ابرا الناس كلهم

من ان تكافا بسوء آخر الابد ما اعجب الشيء ترجوه فتحرمه قد كنت احسب
اني قد ملأت يدي انظر الى قوله قد كنت احسب والى مكان هذا الاستئناف في
ومثل قول ابي دواد ولقد اغتدي يدافع ركني احوذي ذو ميعة اضريج
سلهب شرجب كان رماحا حملته وفي السراة دموح انظر الى التنكير
في قوله كان رماحا ومثل قول ابن البواب اتيتك عائذا بك منك لما ضاقت الحيل
وصيرني هواك وبي لحيني يضرب المثل فان سلمت لكم نفسي فما لاقيته جلل
وان قتل الهوى رجلا فاني ذلك الرجل انظر الى الاشارة والتعريف في قوله
فاني ذلك الرجل ومثل قول عبد الصمد مكتئب ذو كبد حرى تبكي عليها مقلة
عبرى يرفع يمناه الى ربه يدعو وفوق الكبد اليسرى انظر الى لفظه يدعو
والى موقعها ومثل قول جرير لمن الديار ببرقة الروحان اذ لا نبيع زماننا بزمان
صدع الغواني اذ رمين فؤاده صدع الزجاجة ما لذاك تداني انظر الى
قوله ما لذاك تداني وتامل حال هذا الاستئناف ليس من بصير عارف بجوهر
الكلام حساس مسمعه لهذا الشان ينشدها وتقرأ هذه الابيات الا لم يلبث
ان يضع يده في كل بيت منها على الموضع الذي اشرت اليه يعجب و
يعجب ويكبر شان المزية فيه والفضل **فصل** واعلم
ان مما هو اصل في ان يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت
ان تتحد اجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها
باول وان تحتاج في الجملة الى ان تضعها في النفس وضعا واحدا وان
يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك

نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الاولين وليس لما شانه ان
يجي على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به فانه يجي على وجوه شتى و
انحاء مختلفة فمن ذلك ان تزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء معًا كقول البحتري
اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر وقوله
اذا احتربت يومًا ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها
فهذا نوع ونوع اخر منه قول سليمان بن داود القضاعي فبينا المرء في علياء اهوى
ومنحط أتيح له اعتلاء وبينا نعمة اذ حال بؤس وبؤس اذ تعقبه ثراء
ونوع ثالث وهو ما كان كقول كثير واني وتهيامي بعزة بعدما تخليت مما
بيننا وتخلت لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوأ منها للمقيل اضمحلت وكقول البحتري
لعمرك انا والزمان كما جنت على الاضعف الموهون عادية الاقوى ومنه
التقسيم وخصوصا اذا قسمت ثم جمعت كقول حسان قوم اذا حاربوا ضروا
عدوهم او حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا سجية تلك منهم غير محدثة
ان الخلائق فاعلم شرها البدع ومن ذلك شيء وهو في غاية الحسن قول القائل
لو ان ما انتم فيه يدوم لكم ظننت ما انا فيه دائما ابدا لكن رأيت الليالي غير تاركة
ما سر من حادث او ساء مطردا فقد سكنت الى اني وانكم سنستجد خلاف
الحالتين غدا فقوله سنستجد خلاف الحالتين غدا جمع ما قسم لطيف و
قد ازداد لطفا بحسن ما بناه عليه ولطف ما توصل به اليه من قوله فقد
سكنت الى اني وانكم واذ قد عرفت هذا النمط من الكلام وهو ما تتحد
اجزاؤه حتى توضع وضعا واحدا فاعلم ان النمط العالي والباب الاعظم و

والذي لا ترى سلطان المزية يعظم في شيء كعظمه فيه ومما ندر منه ولطف مأخذه
ودق نظر واضعه وجلى لك عن شأو قد تحسر دونه العتاق وغاية يعيا
من قبلها المذاكي القرح الابيات المشهورة في تشبيه شيئين بشيئين كقول امرئ
القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
وبيت الفرزدق والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار
وبيت بشار كأن مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه
ومما اتى في هذا الباب مأتى اعجب مما مضى كله قول زياد بن الاعجم وانا وما
تلقي لنا ان هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق وانما كان اعجب لان عمله
ادق وطريقه اغمض ووجه المشاكلة فيه اغرب واعلم ان من الكلام ما انت
تعلم اذا تدبرته ان لم يحتج واضعه الى فكر وروية حتى انتظم بل ترى سبيله في
ضم بعضه الى بعض سبيل من عمد الى لآل فخرطها في سلك لا يبغي اكثر من
ان يمنعها التفرق وكمن نضد اشياء بعضها على بعض لا يريد في نضده ذلك ان
تجي له منه هيئة او صورة بل ليس الا ان تكون مجموعة في رأي العين وذلك اذا كان
معناك معنى لا يحتاج ان تصنع فيه شيئا غير ان تعطف لفظا على مثله كقول الجاحظ
جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسبا وبين
الصدق سببا وحبب اليك التثبت وزين في عينيك الانصاف و
اذاقك حلاوة التقوى واشعر قلبك عز الحق واودع صدرك برد
اليقين وطرد عنك ذل اليأس وعرفك ما في الباطل من الذلة وما في
الجهل من القلة ∴ وكقول بعضهم لله در خطيب قام عندك يا امير المؤمنين

ما افصح لسانه واحسن بيانه وامضى جنانه وابل ريقه واسهل طريقته ومثل قول
النابغة في الثنا المسجوع أيفاخرك الملك اللخمي فوالله لقفاك خير من وجهه
ولشمالك خير من يمينه ولاخمصك خير من رأسه ولخطاؤك خير من صوابه ولعيك
خير من كلامه ولخدمك خير من قومه وكقول بعض البلغا في وصف اللسان
اللسان اداة يظهر بها حسن البيان وظاهر يخبر عن الضمير وشاهد ينبيك عن
غائب وحاكم يفصل به الخطاب وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو الى الحسن
وزارع يحرث المودة وحاصد يحصد الضغينة ومله يونق الاسماع فما كان
من هذا وشبهه لم يجب به فضل اذا وجب الا بمعناه او بمتون الفاظه دون
نظمه وتاليفه وذلك لانه لا فضيلة حتى ترى في الامر مصنعا وحتى تجد الى التخير
سبيلا وحتى تكون قد استدركت صوابا فان قلت افليس هو كلاما قد اطرد
على الصواب وسلم من العيب افما يكون في كثرة الصواب فضيلة قيل اما والصواب كثرة
كما ترى فلا لانا لسنا في ذكر تقويم اللسان والتحرز من اللحن وزيغ الاعراب
فنعتد بمثل هذا الصواب وانما نحن في امور تدرك بالفكر اللطيفة ودقائق يوصل
اليها بثاقب الفهم فليس درك صواب دركا فيما نحن فيه حتى يشرف موضعه
وتصعب الوصول اليه وكذلك لا يكون ترك خطا تركا حتى يحتاج في التحفظ
منه الى لطف نظر وفضل روية وقوة ذهن وشدة تيقظ وهذا باب ينبغي
ان تراعيه وان تعنى به حتى اذا وازنت بين كلام وكلام دريت كيف تصنع
فضممت الى كل شي شكله وقابلته بما هو نظير له وميزت ما الصنعة منه
في لفظه مما هي منه في نظمه واعلم ان هذا اعني الفرق بين ان تكون المزية

في اللفظ وبين ان يكون في النظم باب يكثر فيه الغلط فلا تزال ترى مستحسنا قد
اخطا بالاستحسان موضعه فنحل اللفظ ما ليس له ولا تزال ترى الشبهة قد دخلت عليك
في الكلام قد حسن من لفظه ونظمه فظننت ان حسنه ذلك كله للفظ منه دون
النظم مثال ذلك ان تنظر الى قول ابن المعتز وانى على اشفاق عيني من العدى لتجمح
مني نظرة ثم اطرق فترى ان هذه الطلاوة وهذا الظرف انما هو لان جعل
النظر يجمح وليس هو لذلك بل لان قال في اول البيت واني حتى دخل اللام في لتجمح
ثم قوله مني ثم لان قال نظرة ولم يقل النظر مثلا ثم لمكان ثم في قوله ثم اطرق
وللطيفة اخرى نصرت هذه اللطائف وهي اعتراضه بين اسم ان وخبرها
بقوله على اشفاق عيني من العدى وان اردت اعجب من ذلك فيما ذكرت
لك فانظر الى قوله وقد تقدم انشاده قبل سالت عليه شعاب الحي حين دعا
انصاره بوجوه كالدنانير فانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها انما تم
وضع لها الحسن وانتهى الى حيث انتهى بما توخي في ترصيع الكلام من التقديم والتاخير
وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها وان شككت فاعمد
الى الجارين والظرف فازل كلا منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل
سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا انصاره ثم انظر كيف
يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة وكيف تعدم اريحيتك التي كانت
وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها وجملة الامر ان ههنا كلاما حسنه للفظ
دون النظم واخر حسنه للنظم دون اللفظ وثالثا اتاه الحسن من الجهتين و
وجبت له المزية بكلا الامرين والاشكال في هذا الثالث وهو الذي لا تزال ترى

الغلط فقد عارضك فيه وتراك قد حفت فيه على النظم فتركته وطمحت ببصرك الى
اللفظ وقدرت في حسن كان به وباللفظ انه للفظ خاصة وهذا هو الذي اردت
حين قلت لك ان في الاستعارة ما لا يمكن بيانه الا بعد العلم بالنظم والوقوف على
حقيقته ومن دقيق ذلك وخفيه انك ترى الناس اذا ذكروا قول الله تعالى واشتعل
الراس شيبا لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة ولم ينسبوا الشرف الا اليها ولم يروا
للمزية موجبا سواها هكذا ترى الامر في ظاهر كلامهم وليس الامر على ذلك ولا
هذا الشرف العظيم وهذه المزية الجليلة وهذه الروعة التي تدخل على
النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة وذلك لان سلك بالكلام طريق
ما يسند الفعل فيه الى الشيء وهو لما هو من سببه فيرفع به ما يسند اليه ويؤتى
بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده مبينا ان ذلك الاسناد وتلك النسبة الى ذلك
الاول انما كانا من اجل هذا الثاني ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة كقولهم
طاب زيد نفسا وقر عمرو عينا وتصبب عرقا وكرم اصلا وحسن وجها
واشباه ذلك مما تجد الفعل فيه منقولا عن الشيء الى ما ذلك الشيء من سببه
وذلك انا نعلم ان اشتعل للشيب في المعنى وان كان هو للراس في اللفظ كما ان
طاب للنفس وقر للعين وتصبب للعرق وان اسند الى ما اسند اليه يبين ان
الشرف كان لان سلك فيه هذا المسلك وتوخي به هذا المذهب ان تدع
هذا الطريق فيه وتاخذ اللفظ فتسنده الى الشيب صريحا فتقول اشتعل
شيب الراس او الشيب في الراس ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة
وهل ترى الروعة التي كنت تراها فان قلت فما السبب في ان كان اشتعل

اذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له هذا الفضل ولم بان بالمزية من الوجه
الاخر هذه البينونة فان السبب انه يفيد مع لمعان الشيب في الراس الذي
هو اصل المعنى الشمول وانه قد شاع فيه واخذه من نواحيه وانه قد استغرقه
وعم جملته حتى لم يبق من السواد شيء او لم يبق منه الا ما لا يعتد به وهذا ما لا يكون
اذا قيل اشتعل شيب الراس او الشيب في الراس بل لا يوجب اللفظ حينئذ
اكثر من ظهوره فيه على الجملة ووزان هذا انك تقول اشتعل البيت نارا فيكون
المعنى ان النار قد وقعت فيه وقوع الشمول وانها قد استولت عليه و
اخذت في طرفيه ووسطه وتقول اشتعلت النار في البيت فلا يفيد ذلك بل لا
يقتضي اكثر من وقوعها فيه واصابتها جانبا منه فاما الشمول وان تكون قد استولت
على البيت وابتزته فلا يعقل من اللفظ البتة ونظير هذا في التنزيل قوله تعالى
وفجرنا الارض عيونا التفجير للعيون في المعنى واوقع على الارض في اللفظ كما
اسند هناك الاشتعال الى الراس وقد حصل بذلك من معنى الشمول هاهنا مثل
الذي حصل هناك وذلك انه قد افاد ان الارض قد كانت عيونا كلها وان الماء صارت
قد كان يفور من كل مكان منها ولو اجري اللفظ على ظاهره فقيل وفجرنا عيون
الارض او العيون في الارض لم يفد ذلك ولم يدل عليه ولكان المفهوم منه ان
الماء قد كان فار من عيون متفرقة في الارض وتبجس من اماكن منها واعلم ان في
الاية الاولى شيئا اخر من حسن النظم وهو تعريف الراس بالالف واللام و
افادة معنى الاضافة من غير اضافة وهو احد ما اوجب المزية ولو قيل
واشتعل راسي فصرح بالاضافة لذهب بعض الحسن فاعرفه وانا اكتب

لكان شيئاً مما يسهل الاستعارة فيه هذا السبيل ليستحكم الباب في نفسك و
لتأنس به فمن عجيب ذلك قول بعض الأعراب: الليلُ داجٍ كنفا جلبابه
والبينُ محجورٌ على غرابه — ليس كل ما ترى من الملاحة لأن جعل لليل جلبابا
وحجر على الغراب ولكن في أن وضع الكلام الوضع الذي ترى فجعل الليل
مبتدأ وجعل داج خبراً له وفعلاً لما بعده وهو الكنفان وأضاف الجلباب
إلى ضمير الليل ولأن جعل كذلك البين مبتدأ وأجرى محجوراً خبراً عليه وأن
أخرج اللفظ على مفعول ليس ذلك أنك لو قلت غراب البين محجور عليه
لم تجد له هذه الملاحة وكذلك لو قلت قد دجا كنفا جلباب الليل لم يكن شيئاً
ومن النادر فيه قول المتنبي: غَصَبَ الدهرُ والملوكُ عليها فبناها في وجنةِ — غضبَ م
الدهرِ خالا — قد ترى في أول الأمر أن حسنه أجمع في أن جعل للدهر وجنة
وجعل البنية خالا في الوجنة وليس الأمر كذلك فإن موضع الأعجوبة في أن
أخرج الكلام مخرجه الذي ترى وأن أتى بالخال منصوباً على الحال من قوله
فبناها أفلا ترى أنك لو قلت وهي خالٌ في وجنة الدهر لوجدت الصورة
غير ما ترى وشبه بذلك أن ابن المعتز قال: يا مِسْكَةَ العطارِ وخالَ
وجهِ النهار وكانت الملاحة في الإضافة بعد الإضافة لا في استعارة لفظة
الخال إذ معلوم أنه لو قال يا خالاً في وجه النهار أو يا من هو خال في وجه
النهار لم يكن شيئاً ومن شأن هذا الضرب أن يدخله الاستكراه قال الصاحب
إياك والإضافات المتداخلة فإن ذلك لا يحسن وذكر أنه يستعمل في الهجاء
كقول القائل: يا علي بنَ حمزةَ بنِ عمارهْ أنت والله ثلجةٌ في خيارهْ ولا شبهة في

الصاحب لقب إسماعيل بن عباد كان وزير ملك العراق على الري و أصفهان م

في ثقل لكن في الأكثر ولكنه إذا سلم من الاستكراه مَلُحَ ولطف ومما حَسُنَ فيه قول
ابن المعتز: وظلّت تدير الراحَ أيدي جآذرٍ عتاقِ دنانيرِ الوجوهِ
مِلاحِ — ومما جاء فيه حسناً جميلاً قول الخالدي في صفة غلام له
ويعرف الشعر مثل معرفتي وهو على أن يزيد مجتهدُ وصيرفيُّ القريض — العروض خ
وزّانُ دينارِ المعاني الدقاقِ مُنتقِدُ — ومنه قول أبي تمام: خذها ابنةَ الفكر
المهذب في الدجى والليلُ أسودُ رُقعةِ الجلباب — ومما أكثر الحسن فيه
بسبب النظم قول المتنبي شعر: وقيّدتُ نفسي في ذراك محبةً ومن وجد
الإحسانَ قيداً تقيّدا — فالاستعارة في نفسها مبتذلة معروفة فإنك ترى
العامي يقول للرجل يكثر إحسانه إليه وبرّه له حتى يألفه ويختار المقام عنده
قد قيدني بكثرة إحسانه إليّ وجميلِ فعله معي حتى صارت نفسي لا تطاوعني على
الخروج من عنده وإنما كان ما ترى من الحسن بالمسلك الذي سلك في النظم والتأليف

فصل القول في التقديم والتأخير — هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن
واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفترّ لك عن بديعة ويُفضي بك إلى
لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم
تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدِّم فيه شيءٌ على شيء وحُوِّل
اللفظ عن مكان إلى مكان. واعلم أن تقديم الشيء على الشيء على وجهين تقديم يقال إنه
على نية التأخير وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه و
في جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا
قدمته على الفاعل كقولك منطلقٌ زيد وضرب عمراً زيد معلوم أن منطلق

[illegible]
[illegible]

وعمدت الى مخرجها بالتقديم عما كان عليه من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعا بذلك
وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من اجله كما يكون اذا اخرت. وتقديم لا على نية
التاخير ولكن على ان تنقل الشيء الى حكم الى حكم وتجعل له بابا غير بابه واعرابا غير اعرابه عن م
وذلك ان تجيء الى اسمين يحتمل كل واحد منهما ان يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له
فتقدم تارة هذا على ذاك واخرى ذاك على هذا ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق
حيث تقول مرة زيد المنطلق واخرى المنطلق زيد فانت في هذا لم تقدم المنطلق
على ان يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التاخير فيكون خبر مبتدأ كما كان بل
على ان تنقله عن كونه خبرا الى كونه مبتدأ وكذلك لم تؤخر زيدا على ان يكون مبتدأ
كما كان بل على ان تخرجه عن كونه مبتدأ الى كونه خبرا واظهر من هذا قولنا ضربت
زيدا وزيد ضربته لم تقدم زيدا على ان يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان ولكن
على ان ترفعه بالابتداء وتشغل الفعل بضميره وتجعله في موضع الخبر له واذ قد
عرفت هذا التقسيم فاني اتبعه بجملة من الشرح اعلم انا لم نجدهم اعتمدوا
فيه شيئا يجري مجرى الاصل غير العناية والاهتمام قال صاحب الكتاب
وهو يذكر الفاعل والمفعول كانهم يقدمون الذي بيانه اهم لهم وهم ببيانه اعنى
وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم ولم يذكر في ذلك مثالا وقال النحويون ان معنى
ذلك انه قد يكون من اغراض الناس في فعل ما ان يقع بانسان بعينه ولا يبالون
من كان الفعل منهم اوقعه كمثل ما يعلم من حالهم في الخارجي يخرج فيعيث
ويفسد ويكثر به الاذى انهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه ولا يعنيهم
منه شيء فاذا قتل واراد مريد الاخبار بذلك فانه يقدم ذكر الخارجي فيقول

قتل الخارجي زيد ولا يقول قتل زيد الخارجي لانه يعلم ان ليس للناس في ان
يعلموا ان القاتل له زيد جدوى وفائدة فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم
ويعلم من حالهم ان الذي هم متوقعون له ومتطلعون اليه متى يكون وقوع القتل
بالخارجي المفسد وانهم قد كفوا شره وتخلصوا منه ثم قالوا فان كان رجل ليس
له بأس ولا يقدر فيه انه يقتل فقتل رجلا واراد المخبر ان يخبر بذلك فانه
يقدم ذكر القاتل فيقول قتل زيد رجلا ذاك لان الذي يعنيه ويعني الناس من
شأن هذا القتل طرافته وموضع الندرة فيه وبعده كان من الظن ومعلوم
انه لم يكن نادرا وبعيدا من حيث كان واقعا بالذي وقع به ولكن من حيث كان
واقعا من الذي وقع منه فهذا جيد بالغ الا ان الشأن في انه ينبغي ان يعرف في كل
شيء قدم في موضع من الكلام مثل هذا المعنى ويفسر وجه العناية فيه هذا
التفسير وقد وقع في ظنون الناس انه يكفي ان يقال انه قدم للعناية ولان ذكره اهم
من غير ان يذكر من اين كانت تلك العناية وبم كان اهم ولتخيلهم ذلك قد صغر
امر التقديم والتاخير في نفوسهم وهونوا الخطب فيه حتى انك لترى اكثرهم
يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف ولم تر ظنا ازرى على صاحبه من هذا
وشبهه وكذلك صنعوا في سائر الابواب فجعلوا لا ينظرون في الحذف و
التكرار والاظهار والاضمار والفصل والوصل ولا في نوع من انواع الفروق
والوجوه الا نظرك فيما غيره اهم لك بل فيما ان لم تعلمه لم يضرك لا جرم
ان ذلك قد ذهب بهم عن معرفة البلاغة ومنعهم ان يعرفوا مقاديرها و
صد اوجههم عن الجهة التي هي فيها والشق الذي يحويها والمداخل التي تدخل

منها الآفة على الناس في شأن العلم وبلغ الشيطان مراده منهم في الصد عن طلبه
واحراز فضيلته كثيرة وهذه من اعجبها ان وجدت متعجبا وليت شعري
ان كانت هذه امورا هينة وكان المدى فيها قريبا والجدى يسيرا من اين كان نظم
اشرف من نظم وبم عظم التفاوت واشتد التباين في الاخلاق وترقى الامر
الى الاعجاز والى ان يقهر اعناق الجبابرة او ههنا امور اخر نحيل في المزية عليها
ونجعل الاعجاز كان بها فتكون تلك الحوالة لنا عذرا في ترك النظر في هذه التي
معنا والاعراض عنها وقلة المبالاة بها اوليس هذا التهاون ان نظر العاقل
خيانة منه لعقله ودينه ودخولا فيما يزري بذي الخطر ويغض من قدر ذوي
القدر وهل يكون اضعف رايا وابعد من حسن التدبير منك اذا همك ان تعرف
الوجوه في الذين والامالة في راى القمر وتعرف الصراط والزراط واشباه
ذلك مما لا يعدو علمك فيه اللفظ وجرس الصوت ولا يمنعك ان لم تعلمه
بلاغة ولا يدفعك عن بيان ولا يدخل عليك شكا ولا يغلق دونك بابا
معرفة ولا يفضي بك الى تحريف وتبديل والى الخطا في تاويل والى ما يعظم
فيه المعاب عليك ويطيل لسان القادح فيك ولا يعنيك ولا يهمك ان
تعرف ما اذا جهلته عرضت نفسك لكل ذلك وحصلت فيما هنالك و
كان اكثر كلامك في التفسير وحيث تخوض في التاويل كلام من لا يبني الشيء
على اصله ولا ياخذه من ماخذه ومن ربما وقع في الفاحش من الخطا الذي يبقى
عاره وتشنع آثاره ونسال الله تعالى العصمة من الزلل والتوفيق لما هو
اقرب الى رضاه من القول والعمل واعلم ان من الخطا ان يقسم الامر في

تقديم الشيء وتاخيره قسمين فيجعل مفيدا في بعض الكلام وغير مفيد في
بعض وان يعلل تارة بالعناية واخرى بانه توسعة على الشاعر والكاتب
حتى تطرد لهذا قوافيه ولذاك سجعه ذاك لان من البعيد ان يكون في جملة
النظم ما يدل تارة ولا يدل اخرى فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلا على الفعل
في كثير من الكلام انه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التاخير فقد وجب
ان تكون قضية في كل شيء وكل حال ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم
سواء ان يدعي انه كذلك في عموم الاحوال فاما ان يجعله بين بين فيزعم انه للفائدة
في بعضها وللتصرف في اللفظ من غير معنى في بعض فمما ينبغي ان يرغب عن
القول به والله اعلم فصل وهذه مسائل لا يستطيع احد ان يمتنع
من التفرقة بين تقديم ما قدم فيها وترك تقديمه ومن ابين شيء في ذلك الاستفهام
بالهمزة فان موضع الكلام على انك اذا قلت افعلت فبدات بالفعل
كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك ان تعلم وجوده
واذا قلت اانت فعلت فبدات بالاسم كان الشك في الفاعل من هو و
كان التردد فيه ومثال ذلك انك تقول ابنيت الدار التي كنت على ان تبنيها
اقلت الشعر الذي كان في نفسك ان تقوله افرغت من الكتاب الذي كنت
تكتبه تبدا في هذا ونحوه بالفعل لان السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه
لانك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه مجوز ان يكون قد كان و
ان يكون لم يكن وتقول اانت بنيت هذه الدار اانت قلت هذا الشعر اانت
كتبت هذا الكتاب فتبدا في ذلك كله بالاسم ذاك لانك لم تشك في الفعل

انه كان كيف وقد اشرت الى الدار مبنية والشعر مقولا والكتاب مكتوبا واما
شككت في الفاعل من هو فهذا من الفرق لا يدفعه دافع ولا يشك فيه شاك و
لا يخفى فساد احدهما في موضع الاخر ولو قلت أأنت بنيت الدار التي كنت على
ان تبنيها ~~أأنت قلت~~ أأنت قلت الشعر الذي كان في نفسك ان تقول
أأنت فرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه خرجت من كلام الناس وكذلك
لو قلت أبنيت هذه الدار أقلت هذا الشعر أكتبت هذا الكتاب قلت
ما ليس بقول ذاك لفساد ان تقول في الشيء المشاهد الذي هو نصب عينك
أموجود ام لا ومما يعلم به ضرورة انه لا تكون البداية بالفعل كالبداية
بالاسم انك تقول أقلت شعرا قط أرأيت اليوم انسانا فيكون كلاما
مستقيما ولو قلت أأنت قلت شعرا قط أأنت رأيت انسانا اليوم
أحلت وذلك انه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا لان ذلك انما
يتصور اذا كانت الاشارة الى فعل مخصوص نحو ان تقول من قال هذا الشعر
ومن بنى هذه الدار ومن اتاك اليوم ومن اذن لك في هذا الذي فعلت وما
اشبه ذلك مما يمكن ان ينص فيه على معين فاما قيل شعر على الجملة ورؤية
انسان على الاطلاق فمحال ذلك فيه لانه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى
يسال عن عين فاعله ولو كان تقديم الاسم لا يوجب ما ذكرنا من ان يكون
السؤال عن الفاعل من هو وكان يصح ان يكون سؤالا عن الفعل أكان ام لم
يكن لكان ينبغي ان يستقيم ذلك واعلم ان هذا الذي ذكرت لك في الهمزة وهي
للاستفهام قائم فيها اذا هي كانت للتقرير فاذا قلت أأنت فعلت

ذاك كان غرضك ان تقرره بانه الفاعل بين ذلك قوله تعالى حكاية عن قوم
نمرود أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم لا شبهة في انهم لم يقولوا ذلك
له عليه السلام وهم يريدون ان يقر لهم بان كسر الاصنام قد كان ولكن ان يقر
بانه منه كيف كان وقد اشاروا له الى الفعل في قولهم أأنت فعلت هذا و
قال هو عليه السلام في الجواب بل فعله كبيرهم هذا ولو كان التقرير بالفعل
لكان الجواب فعلت او لم افعل فان قلت اوليس اذا قال أفعلت فهو
يريد ايضا ان يقرره بان الفعل كان منه لا بانه كان على الجملة فاي فرق بين
الحالتين فانه اذا قال أفعلت فهو يقرره بالفعل من غير ان يردده بينه وبين
غيره وكان كلامه كلام من يوهم انه لا يدري ان ذلك الفعل كان على الحقيقة
واذا قال أأنت فعلت كان قد ردد الفعل بينه وبين غيره ولم يكن منه في
نفس الفعل تردد ولم يكن كلامه كلام من يوهم انه لا يدري أكان الفعل ام
لم يكن بدلالة انك تقول ذلك والفعل ظاهر موجود مشار اليه كما رأيت
في الآية واعلم ان الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان وانكار له لم كان وتوبيخ
لفاعله عليه ولها مذهب آخر وهو ان يكون لانكار ان يكون الفعل قد كان
من اصله ومثاله قوله تعالى أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم
لتقولون قولا عظيما وقوله تعالى أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون
فهذا رد على المشركين وتكذيب لهم في قولهم ما يؤدي الى هذا الجهل العظيم و
اذا قدم الاسم في هذا صار الانكار في الفاعل ومثاله قولك للرجل قد
انتحل شعرا أأنت قلت هذا الشعر كذبت لست ممن يحسن مثله انكرت

ان يكون القائل لم يقل الشعر وقد يكون ان يراد انكار الفعل من اصله ثم يخرج
اللفظ مخرجه اذا كان الانكار في الفاعل مثال ذلك قول الله تعالى آلله اذن لكم
الاذن راجع الى قوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا
ومعلوم ان المعنى على انكار ان يكون قد كان من الله تعالى اذن فيما قالوه من غير
ان يكون هذا الاذن قد كان من غير الله فاضافوه الى الله الا ان اللفظ اخرج
مخرجه اذا كان امر كذلك لان يجعلوا في صورة من غلط فاضاف الى الله تعالى
اذنا كان من غير الله فاذا حقق عليه ارتدع مثال ذلك قولك للرجل يدعي
ان قولا كان ممن تعلم انه لا يقوله اهو قال ذلك بالحقيقة ام انت تغلط تضع
الكلام وضعه اذا قلت علمت ان ذلك القول قد كان من قائل ليتصرف
الانكار الى الفاعل فيكون اشد لنفي ذلك وابطاله ونظير هذا قوله تعالى قل
آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اخرج اللفظ
مخرجه اذا كان قد ثبت تحريم في احد اشيا ثم اريد معرفة عين المحرم
مع ان المراد انكار التحريم من اصله ونفي ان يكون قد حرم شيء مما ذكروا
انه محرم وذاك ان الكلام وضع على ان يجعل التحريم كانه قد كان ثم يقال
لهم اخبرونا عن هذا التحريم الذي زعمتم فيم هو افي هذا ام ذاك ام في الثالث
ليتبين بطلان قولهم ويظهر مكان الفرية منهم على الله ومثال هذا قولك
للرجل يدعي امرا وانت تنكره متى كان هذا افي ليل ام نهار تضع الكلام وضع
من سلم ان ذلك قد كان ثم تطالبه ببيان وقته لكي يتبين كذبه اذا لم يقدر ان يذكر له
وقتا ويفتضح ومثله قولك من امرك بهذا منا واينا اذن لك فيه وانت لا تعني

ان امرا قد كان بذلك من واحد منهم الا انك تضع الكلام هذا الوضع لكي تضيق
عليه وليظهر كذبه حين لا يستطيع ان يقول فلان وان يحيل على واحد واذ
قد بينا الفرق بين تقديم الاسم والفعل ماض فينبغي ان ينظر فيه والفعل
مضارع والقول في ذلك انك اذا قلت اتفعل وانت تفعل لم يخل من ان تريد
الحال او الاستقبال فان اردت الحال كان المعنى شبيها بما مضى في الماضي فاذا قلت
اتفعل كان المعنى على انك اردت ان تقرره بفعل هو يفعله وكنت كمن يوهم انه لا
يعلم بالحقيقة ان الفعل كائن واذا قلت انت تفعل كان المعنى على انك تريد ان تقرره
بانه الفاعل وكان امر الفعل في وجوده ظاهرا وبحيث لا يحتاج الى الاقرار
بانه كائن وان اردت بتفعل المستقبل كان المعنى اذا بدات بالفعل على انك تعمد
بالانكار الى الفعل نفسه وتزعم انه لا يكون او انه لا ينبغي ان يكون فمثال الاول
أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال فهذا تكذيب
منه لانسان تهدده بالقتل وانكار ان يقدر على ذلك ويستطيعه ومثله ان يطمع
طامع في امر لا يكون مثله فتجهله في طمعه فتقول ايرضى عنك فلان وانت مقيم
على ما يكره اتجد عنده ما تحب وقد فعلت وصنعت وعلى ذلك قوله تعالى انلزمكموها
وانتم لها كارهون ومثال الثاني قولك للرجل يركب الخطر اتخرج في هذا الوقت
اتذهب في غير الطريق اتغرر بنفسك وقولك للرجل يضيع الحق انسى قديم
احسان فلان اتترك صحبته وتتغير عن حالك معه لان تغير الزمان كما قال
أأترك ان قلت دراهم خالد زيارته اني اذا للئيم وجملة الامر انك تنحو بالانكار
نحو الفعل فان بدات بالاسم فقلت انت تفعل او قلت اهو يفعل كنت

الفعل وتقديم

في قوله ايقتلني ... البكري
... انه لا يكون هذا
... للاول ولكنه بني
الكلام على ... في
الاول ثم ... الثاني
... ان يعتقد فقال
... انه ... منه ان يقتل
وكيف يستطيع ذلك و
المشرفي مضاجعي

وجهت الإنكار إلى نفس المذكور وأبيت أن يكون بموضع أن يجيء منه الفعل
وممن يجيء منه وأن يكون بتلك المثابة تفسير ذلك أنك إذا قلت أأنت تمنعني
أأنت تأخذ على يدي صرت كأنك قلت إن غيرك الذي يستطيع منعي والأخذ
على يدي ولست بذاك ولقد وضعت نفسك في غير موضعك هذا إذا جعلته
لا يكون منه الفعل للعجز ولأنه ليس في وسعه وقد يكون أن تجعله لا يكون لا يجيء
منه لأنه لا يختاره ولا يرتضيه وأن نفسه نفس تأبى مثله وتكرهه مثاله أن تقول
أهو يسأل فلانا هو أرفع همة من ذلك أهو يمنع الناس حقهم هو أكرم من ذاك
وقد يكون أن تجعله لا يفعله لصغر قدره وقصر همته وأن نفسه نفس لا تسمو
وذلك قولك أهو يسمح بمثل هذا أهو يرتاح للجميل هو أقصر همة من ذلك وأقل
رغبة في الخير مما تظن وجملة الأمر أن تقديم الاسم يقتضي أنك عمدت بالإنكار
إلى ذات من قيل إنه يفعل أو قال هو إني أفعل وأردت ما تريده إذا قلت
ليس هو بالذي يفعل وليس مثله يفعل ولا يكون هذا المعنى إذا بدأت بالفعل
فقلت أتفعل ألا ترى أن من المحال أن تزعم أن المعنى في قول الرجل لصاحبه
أتخرج في هذا الوقت أتغرر بنفسك أتمضي في غير الطريق أنه أنكر أن يكون
بمثابة من يفعل ذلك وبموضع من يجيء منه ذلك ذاك لأن العلم محيط بأن
الناس لا يريدونه وأنه لا يليق بالحال التي يستعمل فيها هذا الكلام وكذلك محال
أن يكون المعنى في قوله تعالى أنلزمكموها وأنتم لها كارهون أنا لسنا بمثابة من يجيء
منه هذا الإلزام وأن غيرنا من يفعله جل الله وتعالى وقد يتوهم المتوهم في الشيء
من ذلك أنه يحتمل فإذا نظر لم يحتمل فمن ذلك قوله أيقتلني والمشرفي مضاجعي قد

يظن الظان أنه يجوز أن يكون في معنى أنه ليس بالذي يجيء منه أن يقتل مثلي ويتعلق
بأنه قال قبل يغط غطيط البكر شد خناقه ليقتلني والمرء ليس بقتال ولكن
إذا نظر علم أنه لا يجوز وذلك لأنه قال والمشرفي مضاجعي فذكر ما يكون منعا من
الفعل ومحال أن يجيء منه الفعل ثم يقول إني أمنعه لأن المنع يتصور فيمن يجيء
منه الفعل ومع من يصح منه لا من هو منه محال ومن هو في نفسه عنه عاجز
فاعرفه ○ واعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار فإن الذي هو
محض المعنى أنه لتنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيا بالجواب
إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه فإذا ثبت على دعواه قيل له فافعل
فيفضحه ذلك وإما لأنه هم بأن يفعل ما لا يستصوب فعله فإذا روجع فيه تنبه و
عرف الخطأ وإما لأنه جوز وجود أمر لا يوجد مثله فإذا ثبت على تجويزه قبح
على نفسه وقيل له فأرناه في موضع وأقم شاهدا على أنه كان في وقت ولو
كان يكون للإنكار وكان المعنى فيه من بدء الأمر لكان ينبغي أن لا يجيء فيما لا يقول
عاقل إنه يكون حتى ينكر عليه كقولهم أتصعد إلى السماء أتستطيع أن تنقل
الجبال أإلى رد ما مضى سبيل وإذ قد عرفت ذلك فإنه لا يقرر بالمحال وبما
لا يقول أحد إنه يكون إلا على سبيل التمثيل وعلى أن يقال له إنك في دعواك
ما ادعيت بمنزلة من يدعي هذا المحال وإنك في طمعك في الذي طمعت فيه
بمنزلة من يطمع في الممتنع وإذ قد عرفت هذا فمما هو من هذا الضرب قوله
تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ليس إسماع الصم مما يدعيه أحد فيكون
ذلك للإنكار وإنما المعنى فيه التمثيل والتشبيه وأن ينزل الذي يظن بهم

[illegible]

يتصور م

أنهم يسمعون أو أنهم يستطيع إسماعهم فعوله من يرى أنه يسمع الصم ويهدي العمي
ثم المعنى في تقديم الاسم وأن لم يقل أتسمع الصم هو أن يقال للنبي صلى الله عليه
أأنت خصوصاً قد أوتيت أن تسمع الصم وأن يجعل في ظنه أنه يستطيع إسماعهم
بمثابة من يظن أنه قد أوتي قدرة على إسماع الصم ومن لطيف ذلك قول ابن عيينة
فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين أجنحة الذباب يضير جعله كأنه قد ظن
أن طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير حتى ظن أن وعيده يضير واعلم أن حال المفعول
فيما ذكرنا كحال الفاعل أعني أن تقديم اسم المفعول يقتضي أن يكون الإنكار في طريق الإحالة
والمنع من أن يكون بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل فإذا قلت أزيداً تضرب كنت قد
أنكرت أن يكون زيد بمثابة أن يضرب وبموضع أن يجترأ عليه ويستجاز ذلك فيه ومن أجل
ذلك قدم غير في قوله تعالى أغير الله أتخذ ولياً وقوله تعالى قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله
أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون وكان له من الحسن والمزية والفخامة ما تعلم أنه لا يكون
لو أخر فقيل أأتخذ غير الله ولياً وأتدعون غير الله وذلك لأنه قد حصل بالتقديم
معنى قولك أيكون غير الله بمثابة أن يتخذ ولياً وأيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك
وأيكون جهل أجهل وعمى أعمى من ذلك ولا يكون شيء من ذلك إذا قيل أأتخذ غير
الله ولياً وذلك لأنه حينئذ يتناول الفعل أن يكون فقط ولا يزيد على ذلك فاعرفه
وكذا الحكم في قوله تعالى فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه وذلك لأنهم بنوا كفرهم على أن من كان
مثلهم بشراً لم يكن بمثابة أن يتبع ويطاع وينتهى إلى ما يأمر ويصدق بأنه مبعوث
من الله وأنهم مأمورون بطاعته كما جاء في الأخرى إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن
تصدونا وكقوله تعالى ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل

ملائكة فهذا هو القول في الضرب الأول وهو أن يكون يفعل بعد الهمزة لفعل لم يكن
وأما الضرب الثاني وهو أن يكون يفعل لفعل موجود فإن تقديم الاسم يقتضي شبهاً
بما اقتضاه في الماضي من الأخذ بأن يقر أنه الفاعل أو الإنكار أن يكون الفاعل فمثال
الأول قولك للرجل يبغي ويظلم أأنت تجيء إلى الضعيف فتغصب ماله أأنت تزعم
أن الأمر كيت وكيت وعلى ذلك قوله تعالى أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين و
مثال الثاني أهم يقسمون رحمة ربك **فصل** وإذ قد عرفت هذه
المسائل في الاستفهام فهذه مسائل في النفي إذا قلت ما فعلت كنت نفيت عنك
فعلاً لم يثبت أنه مفعول وإذا قلت ما أنا فعلت كنت نفيت عنك فعلاً
ثبت أنه مفعول تفسير ذلك أنك إذا قلت ما قلت هذا كنت نفيت أن تكون
قد قلت ذلك وكنت نوظرت في شيء لم يثبت أنه مقول وإذا قلت ما أنا قلت
هذا كنت نفيت أن تكون القائل له وكانت المناظرة في شيء ثبت أنه مقول وكذلك إذا قلت
ما ضربت زيداً كنت نفيت عنك ضربه ولم يجب أن يكون قد ضرب بل يجوز أن
يكون قد ضربه غيرك وأن لا يكون قد ضرب أصلاً وإذا قلت ما أنا ضربت
زيداً لم تقله إلا وزيد مضروب وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضارب
ومن أجل ذلك صلح في الوجه الأول أن يكون المنفي عاماً كقولك ما قلت شعراً
قط وما أكلت اليوم شيئاً وما رأيت أحداً من الناس ولم يصلح في الوجه الثاني
فكان خلفاً أن تقول ما أنا قلت شعراً قط وما أنا أكلت اليوم شيئاً وما أنا رأيت
أحداً من الناس وذلك لأنه يقتضي المحال وهو أن يكون هاهنا إنسان قد قال كل
شعر في الدنيا وأكل كل شيء يؤكل ورأى كل أحد من الناس فنفيت أن تكونه ومما هو

مثال بيّن في ان تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل قوله وما انا اسقمتُ جسمي به
ولا انا اضرمتُ في القلب نارا. المعنى كما لا يخفى على ان السقم ثابت موجود
وليس القصد بالنفي اليه ولكن الى ان يكون هو الجالب له ويكون قد جرّه الى نفسه
ومثله في الوضوح قوله وما انا وحدي قلت ذا الشعرَ كله. والشعرُ
مقول على القطع والنفي لان يكون هو وحده القائل له وها هنا امران يرتفع
معهما الشك في وجوب هذا الفرق ويصير العلم به كالضرورة احدهما
انه يصح لك ان تقول ما قلت هذا ولا قاله احدٌ من الناس وما ضربت زيدا ولا
ضربه احد سواي ولا يصح ذلك في الوجه الآخر فلو قلت ما انا قلت هذا
ولا قاله احد من الناس وما انا ضربت زيدا ولا ضربه احد من الناس سواي كان
خَلْفاً من القول وكان في التناقض بمنزلة ان تقول لست الضارب زيدا امس
فتُثبِت انه قد ضُرب ثم تقول من بعده وما ضربه احد من الناس ولست القائلَ
ذلك فتثبت انه قد قيل ثم تجيء فتقول وما قاله احد من الناس والثاني من الامرين انك
تقول ما ضربت الا زيدا فيكون الكلام مستقيما ولو قلت ما انا ضربت الا زيدا
كان لغوا من القول وذلك لان نقض النفي بالا يقتضي ان تكون ضربتَ زيدا وتقديمك
ضميرك وإيلاؤكَ حرفَ النفي يقتضي نفي ان يكون ضربته فهما يتدافعان فاعرفه
ويجيء لك هذا الفرق على وجهه في تقديم المفعول وتاخيره فاذا قلت ما
ضربت زيدا فقدمت الفعل كان المعنى انك قد نفيتَ ان يكون قد وقع ضربٌ
منك على زيد ولم تعرّض في امر غيره لنفي ولا اثبات وتركته مبهما محتملا
واذا قلت ما زيدا ضربت فقدمت المفعول كان المعنى على ان ضربا وقع

منك على انسان وظن ان ذلك الانسان زيد فنفيت ان يكون اياه فلك ان تقول
في الوجه الاول ما ضربت زيدا ولا احدا من الناس وليس لك ذلك في الوجه
الثاني فلو قلت ما زيدا ضربت ولا احدا من الناس كان فاسدا على ما مضى في الفاعل
ومما ينبغي ان تعلمه انه يصح لك ان تقول ما ضربت زيدا ولكني اكرمته وذلك انك لم
ترد ان تقول لم يكن الفعل هذا ولكن ذاك ولكن اردت انه لم يكن المفعول هذا ولكن
ذاك فالواجب اذن ان تقول ما زيدا ضربت ولكن عمرا وحكم الجار مع المجرور
في جميع ما ذكرنا حكم المنصوب فاذا قلت ما امرتك بهذا كان المعنى على نفي
ان يكون قد امرته بذلك ولم يجب ان يكون قد امرته بشيء آخر واذا قلت ما بهذا
امرتك كنت قد امرته بشيء غيره

فصل

واعلم ان هذا الذي بان لك
في الاستفهام والنفي من المعنى في التقديم قائم مثله في الخبر المثبت فاذا عمدت
الى الذي اردت ان تحدث عنه بفعل فقدمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت
زيد قد فعل وانا فعلت وانت فعلت اقتضى ذلك ان يكون القصد الى الفاعل
الا ان المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين احدهما جلي لا يشكل وهو ان يكون الفعل
فعلا قد اردت ان تنص فيه على واحد فتجعله له وتزعم انه فاعله دون واحد
آخر او دون كل احد مثال ذلك انك تقول انا كتبت في معنى فلان وانا
شفعت في بابه تريد ان تدعي الانفراد في ذلك والاستبداد به وتزيل الاشتباه
فيه وترد على من زعم ان ذلك كان من غيرك او ان غيرك قد كتب فيه كما كتبت
ومن البين في ذلك قولهم في المثل اتعلمني بضبٍّ انا حرشتُه والقسم الثاني ان لا يكون
القصد الى الفاعل على هذا المعنى ولكن على انك اردت ان تحقق على السامع انه قد فعل

ويمنعه من الشك فأنت لذلك تبدأ بذكره وتوقعه أولًا ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه
لكي تباعده بذلك من الشبهة وتمنعه من الإنكار أو من أن يظن بك الغلط أو التزيد ومثاله
قولك هو يعطي الجزيل وهو يحب الثناء لا تريد أن تزعم أنه ليس ها هنا من يعطي الجزيل
ويحب الثناء غيره ولا أن تعرّض بإنسان وتحطّه عنه وتجعله لا يعطي كما يعطي ولا
يرغب كما يرغب ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل وحب الثناء
دأبه وأن تمكّن ذلك في نفسه ومثاله من الشعر هم يفرشون اللبد كل طمرة وأجرد سبّاحٍ
يبذّ المغاليا لم يرد أن يدعي لهم هذه الصفة دعوى من يفردهم بها وينص عليهم فيها حتى
كأنه يعرّض بقوم آخرين فينفي أن يكونوا أصحابها هذا محال وإنما أراد أن يصفهم
بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل وأنهم يقتعدون الجياد منها وأن ذلك دأبهم
من غير أن يعرّض لنفيه عن غيرهم إلا أنه بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم ويعلم بديًّا قصده
إليهم بما في نفسه من الصفة ليمنعه بذلك من الشك ومن توهم أن يكون قد وصفهم بصفة
ليست هي لهم أو أن يكون قد أراد غيرهم فغلط إليهم وعلى ذلك قول الآخر هم يضربون
الكبش يبرق بيضه على وجهه من الدماء سبائب لم يرد أن يدعي لهم الانفراد ويجعل هذا الضرب
لا يكون إلا منهم ولكن أراد الذي ذكرت لك من تنبيه السامع لقصدهم بالحديث من
قبل ذكر الحديث ليحقق الأمر ويؤكده ومن البين فيه قول عروة بن أذينة سليمى
أزمعت بيننا فأين تقولها أينا وذلك أنه ظاهر معلوم أنه لم يرد أن يجعل هذا
الإزماع لها خاصة ويجعلها من جماعة لم يزمع البين منهم أحد سواها هذا
محال ولكنه أراد أن يحقق الأمر ويؤكده فأوقع ذكرها في سمع الذي كلم ابتداءً ومن
أول الأمر ليعلم قبل الحديث أنه أرادها بالحديث فيكون ذلك أبعد له من الشك

يبرق بيضهم

[illegible]

ومثله في الوضوح قوله هما يلبسان المجد أحسن لبسة شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما
لا شبهة أنه لم يرد أن يقصر هذه الصفة عليهما ولكن نبّه لهما قبل الحديث عنهما وأبين من
الجميع قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون وقوله عز وجل
وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وهذا الذي ذكرت من أن
تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التنبيه له قد ذكره صاحب الكتاب في المفعول إذا قدم
فرفع بالابتداء وبني الفعل الناصب كان له عليه وعدي إلى ضميره فشغل به كقولنا
في ضربت عبد الله عبد الله ضربته فقال وإنما قلت عبد الله فنبهته له ثم بنيت عليه
الفعل ورفعته بالابتداء فإن قلت فمن أين وجب أن يكون تقديم ذكر المحدث عنه بالفعل
آكد لإثبات ذلك الفعل له وأن يكون قوله هما يلبسان المجد أبلغ في جعلهما يلبسانه من
أن يقال يلبسان المجد فإن ذلك من أجل أنه لا يؤتى بالاسم معرّى من العوامل إلا لحديث
قد نوي إسناده إليه وإذا كان كذلك فإذا قلت عبد الله فقد أشعرت قلبه بذلك أنك
قد أردت الحديث عنه فإذا جئت بالحديث فقلت مثلًا قام أو قلت خرج أو قلت
قد علم جئت به وقد وطّأت له وقدمت الإعلام فيه فدخل على القلب دخول المأنوس
به وقبله قبول المتهيّئ له المطمئن إليه وذلك لا محالة أشد لثبوته وأنفى للشبهة وأمنع
للشك وأدخل في التحقيق وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له
بعد التنبيه عليه والتقدمة فيه لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام
ومن ها هنا قالوا إن الشيء إذا أضمر ثم فسّر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة
إضمار ويدل على صحة ما قالوه أنا نعلم ضرورة أن في قوله تعالى فإنها لا تعمى الأبصار
فخامة وشرفًا وروعة لا نجد منها شيئًا في قولنا فإن الأبصار لا تعمى وكذلك السبيل

أبداً في كل كلام كان فيه ضمير قصة فقوله تعالى إنه لا يفلح الكافرون يفيد من القوة في نفي
الفلاح عن الكافرين ما لو قيل إن الكافرين لا يفلحون لم تستفد ذلك ولم يكن ذلك كذلك إلا
لأنك تعلمه إياه من بعد تقدمة وتنبيه أنت به في حكم من بدأ وأعاد ووطّد ثم بنى ولوّح
ثم صرّح ولا يخفى مكان المزية فيما طريقه هذا الطريق ويشهد لما قلنا من أن تقديم المحدث
عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه له أنا إذا تأملنا وجدنا هذا الضرب من هذا
الكلام يجيء فيما سبق فيه إنكار من منكر نحو أن يقول الرجل ليس لي علم بالذي تقول
فتقول له أنت تعلم أن الأمر على ما أقول ولكنك تميل إلى خصمي وكقول الناس هو
يعلم ذاك وإن أنكر وهو يعلم الكذب فيما قال وإن حلف عليه وكقوله تعالى ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون فهذا من أبين شيء وذاك أن الكاذب ولا سيما في الدين لا يعترف الله سو
بأنه كاذب وإذا لم يعترف بأنه كاذب كان أبعد من ذلك أن يعترف بالعلم بأنه كاذب
أو يجيء فيما اعترض فيه شك نحو أن يقول الرجل كأنك لا تعلم ما صنع فلان ولم يبلغك
فتقول أنا أعلم ولكني أداريه أو في تكذيب مدعٍ كقوله تعالى وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد
دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وذلك أن قولهم آمنا دعوى منهم أنهم لم يخرجوا
بالكفر كما دخلوا به فالموضع موضع تكذيب أو فيما القياس في مثله أن لا يكون كقوله
تعالى والذين يدعون من دون الله آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون وذلك أن عبادتهم
لها تقتضي أن لا تكون مخلوقة وكذلك في كل شيء كان خبراً على خلاف العادة وعما
يُستغرب من الأمر نحو أن تقول ألا تعجب من فلان يدعي العظيم وهو يعيا باليسير و
يزعم أنه شجاع وهو يفزع من أدنى شيء ومما يحسن ذلك فيه ويكثر في الوعد والضمان
كقول الرجل أنا أعطيك أنا أكفيك أنا أقوم بهذا الأمر وذاك أن من شأن من تعده و

تضمن له أن يعترضه الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به فهو من أحوج شيء إلى التأكيد و
كذلك يكثر في المدح كقولك أنت تعطي الجزيل أنت تقري في المحل أنت تجود حين لا يجود
أحد وكما قال ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري وكقول الآخر
يحمي في المشتاة ندعو الجفلى وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما
يمدح به ويباعدهم من الشبهة وكذلك المفتخر ويزيدك بياناً أنه إذا كان الفعل مما لا
يشك فيه ولا ينكر بحال لم يكد يجيء على هذا الوجه ولكن يؤتى به غير مبني على اسم فإذا
أخبرت بالخروج مثلاً عن رجل من عادته أن يخرج في كل غداة قلت قد خرج ولم تحتج
إلى أن تقول هو قد خرج ذاك لأنه ليس بشيء يشك فيه السامع فتحتاج إلى أن تحققه
وإلى أن تقدم فيه ذكر المحدث عنه وكذلك إذا علم السامع من حال رجل أنه على نية الركوب
والمضي إلى موضع ولم يكن شك وتردد أنه يركب أو لا يركب كان خبرك فيه أن تقول قد
ركبت فإن جئت بمثل هذا في صلة كلام ووضعته بعد واو الحال حسن حينئذ وذلك ولا تقول وهو قد ركب
قولك جئته وهو قد ركب وذاك أن الحكم يتغير إذا صارت الجملة في مثل هذا الموضع
ويصير الأمر بعرض الشك وذاك أنه إنما يقول هذا من ظن أنه يصادفه في منزله وأنه
يصل إليه من قبل أن يركب فإن قلت فإنك قد تقول جئته وقد ركب بهذا المعنى ومع
هذا الشك فإن الشك لا يقوى حينئذ قوته في الوجه الأول أفلا ترى أنك إذا
استبطأت إنساناً فقلت أتانا والشمس قد طلعت كان ذلك أبلغ في استبطائك له
من أن تقول أتانا وقد طلعت الشمس وعكس هذا أنك إذا قلت أتى والشمس لم تطلع
كان أقوى في وصفك له بالعجلة والمجيء قبل الوقت الذي ظن أنه يجيء فيه من أن تقول بلغ
أتى ولم تطلع الشمس بعد هذا وهو كلام لا يكاد يجيء إلا نابياً وإنما الكلام البليغ هو أن تبدأ بالاسم

وبنى الفعل عليه كقوله قد اغتدي والطير لم تكلّم فاذا كان الفعل فيما بعد هذه الواو
التي يراد بها الحال مضارعًا لم يصلح الا مبنيا على اسم كقولك رايته وهو يكتب ودخلت
عليه وهو يملي الحديث وكقوله تمززتها والديك يدعو صباحه اذا ما بنو نعش
دنوا فتصوّبوا ليس يصلح شيء من ذلك الا على ما تراه لو قلت رايته ويكتب
ودخلت عليه ويملي الحديث وتمززتها ويدعو الديك صباحه لم يكن شيئا ومما
هو بهذه المنزلة في انك تجد المعنى لا يستقيم الا على ما جاء عليه من بناء الفعل على
الاسم قوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وقوله و
قالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقوله وحشر لسليمان
جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون فانه لا يخفى على من له ذوق انه لو
جيء في ذلك بالفعل غير مبني على الاسم فقيل ان وليي الله الذي نزل الكتاب و
يتولى الصالحين واكتتبها فتملى عليه وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير
فيوزعون لوجد اللفظ قد نبا عن المعنى والمعنى قد زال عن صورته والحال التي
ينبغي ان يكون عليها واعلم ان هذا الصنيع يقتضي ان يكون في الفعل المنفي ما اقتضاه
في المثبت فاذا قلت انت لا تحسن هذا كان اشد لنفي احسان ذلك عنه من ان
تقول لا تحسن هذا ويكون الكلام في الاول مع من هو اشد اعجابا بنفسه و
اعرض دعوى في انه يحسن حتى انك لو اتيت بانت فيما بعد تحسن فقلت لا
تحسن انت لم يكن له تلك القوة وكذلك قوله تعالى والذين هم بربهم لا يشركون يفيد
من التاكيد في نفي الاشراك عنهم ما لو قيل والذين لا يشركون بربهم او بربهم لا يشركون
لا يؤمنون وقوله فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون وان شر الدواب عند

[illegible]

الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ومما يرى تقديم الاسم فيه كاللازم مثل وغير في
نحو قوله مثلك يثني الحزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه وقول الناس مثلك
رعى الحق والحرمة وكقول الذي قال له الحجاج لاحملنك على الادهم يريد القيد فقال
على سبيل المغالطة ومثل الامير حمل على الادهم والاشهب وما اشبه ذلك مما لا
يقصد فيه بمثل الى انسان سوى الذي اضيف اليه ولكنهم يعنون ان من كان مثله في
الحال والصفة كان من مقتضى القياس وموجب العرف والعادة ان يفعل ما ذكر
او ان لا يفعل ومن اجل ان كان المعنى كذلك قال ولم اقل مثلك اعني به سواك يا
فردًا بلا مشبه وكذلك حكم غير اذا سلك به هذا المسلك فقيل غيري يفعل ذاك
على معنى اني لا افعله لا ان يومي بغير الى انسان فيخبر عنه بانه يفعل كما قال غيري باكثر
هذا الناس ينخدع وذاك انه معلوم انه لم يرد ان يعرض بواحد كان هناك فيستنقصه
ويصفه بانه مضعوف يغر ويخدع بل لم يرد الا ان يقول اني لست ممن ينخدع
ويغتر وكذلك لم يرد ابو تمام بقوله وغيري ياكل المعروف سحتا وتشحب عنده
بيض الايادي ان يعرض مثلا بشاعر سواه فيزعم ان الذي قرف به عند الممدوح من
انه هجاه كان من ذلك الشاعر لا منه هذا محال بل ليس الا انه نفى عن نفسه ان
يكون ممن يكفر النعمة ويلؤم واستعمال مثل وغير على هذا السبيل شيء مركوز في الطباع
وهو جار في عادة كل قوم فانت الآن اذا تصفحت الكلام وجدت هذين
الاسمين يقدمان ابدا على الفعل اذا نحي بهما هذا النحو الذي ذكرت لك وترى
هذا المعنى لا يستقيم فيهما اذا لم يقدما افلا ترى انك لو قلت يثني الحزن عن صوبه
مثلك ورعى الحق والحرمة مثلك وحمل على الادهم والاشهب مثل الامير وينخدع

عمرى بهذا الناس وبالكلّ عمرى المعروف سمحتا ورايت كلاما مقلوبا عن جهته
ومغيرا عن صورته ورايت اللفظ قد نبا عن معناه ورايت الطبع يابى ان يرضاه
واعلم ان لك دستورا لك فيه ان تاملت غنا عن كل ما سواه وهو انه لا يجوز لنظم
الكلام وترتيب اجزائه فى الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى فى الخبر وذاك
ان الاستفهام استخبار والاستخبار هو طلب من المخاطب ان يخبرك واذا كان
كذلك كان محالا ان يفترق الحال بين تقديم الاسم وتاخيره فى الاستفهام فيكون المعنى
اذا قلت ازيد قام غيره اذا قلت اقام زيد ثم لا يكون هذا الافتراق فى الخبر ويكون
قولك زيد قام وقام زيد سواء ذاك لانه يؤدى الى ان تستعلم امرا لا سبيل فيه الى
جواب وان تستثبت المعنى على وجه ليس عنده عبارة تثبته لك بها على ذلك
الوجه وجملة الامر ان المعنى فى ادخالك حرف الاستفهام على الجملة من الكلام
هو انك تطلب ان يقفك فى معنى تلك الجملة ومؤداها على اثبات او نفى فاذا قلت
ازيد منطلق فانت تطلب ان يقول لك نعم هو منطلق او يقول لا ما هو منطلق
واذا كان ذلك كذلك كان محالا ان يكون الجملة اذا دخلتها همزة الاستفهام استخبارا
عن المعنى على وجه لا يكون هى اذا نزعت منها الهمزة اخبارا به على ذلك الوجه فاعرفه

فصل هذا كلام فى النكرة اذا قدمت على الفعل او قدم الفعل
عليها اذا قلت اجاءك رجل فانت تريد ان تسأله هل كان مجى من واحد من
الرجال اليه فان قدمت الاسم فقلت ارجل جاءك فانت تسأله عن جنس من جاءه
ارجل هو ام امرأة ويكون هذا منك اذا كنت علمت انه قد اتاه آت ولكنك
لم تعلم جنس ذلك الآتى فسبيلك فى ذلك سبيلك اذا اردت ان تعرف عين

دستور: ای شیء یرجع الیه عند الحاجة

الآتى فقلت ازيد جاءك ام عمرو ولا يجوز تقديم الاسم فى المسألة الاولى لان تقديم الاسم
يكون اذا كان السؤال عن الفاعل والسؤال عن الفاعل يكون اما عن عينه او عن
جنسه ولا ثالث واذا كان كذلك كان محالا ان تقدم الاسم النكرة وانت لا تريد السؤال
عن الجنس لانه لا يكون لسؤالك حينئذ متعلق من حيث لا يبقى بعد الجنس الا العين
والنكرة لا تدل على عين شىء فيسأل بها عنه فان قلت ارجل طويل جاءك ام قصير
كان السؤال عن ان الجائى من جنس طوال الرجال ام قصارهم فان وصفت النكرة
بالجملة فقلت ارجل كنت عرفته من قبل اعطاك هذا ام رجل لم تعرفه كان
السؤال عن المعطى اكان ممن عرفه قبل ام كان انسانا لم تتقدم منه معرفة له و
اذ قد عرفت الحكم فى الابتداء بالنكرة فى الاستفهام فابن الخبر عليه فاذا قلت
رجل جاءنى لم يصلح حتى تريد ان تعلمه ان الذى جاءك رجل لا امرأة ويكون كلامك
مع من قد عرف ان قد اتاك آت فان لم ترد ذلك كان الواجب ان تقول جاءنى رجل
فتقدم الفعل وكذلك ان قلت رجل طويل جاءنى لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن
انه قد اتاك قصير او نزلته منزلة من ظن ذلك وقولهم شر اهر ذا ناب انما قدم
فيه شر لان المراد ان يعلم ان الذى اهر ذا الناب هو من جنس الشر لا جنس
الخير فجرى مجرى ان تقول رجل جاءنى تريد انه رجل لا امرأة وقول العلماء
انه انما صلح لانه بمعنى ما اهر ذا ناب الا شر بيان لذلك الا ترى انك لا تقول ما اتانى
الا رجل الا حيث يتوهم السامع انه قد اتتك امرأة ذاك لان الخبر بنقض
النفى يكون حيث يراد ان يقصر الفعل على شىء وينفى عما عداه فاذا قلت
ما جاءنى الا زيد كان المعنى انك قد قصرت المجىء عليه ونفيته عن كل من عداه

وانما تصور قصر الفعل على معلوم ومتى لم يرد بالنكرة الجنس لم يقف منها
السامع على معلوم حتى يزعم انى اقصر له الفعل عليه واخبره انه كان منه دون
غيره ۞ واعلم انا لم نرد بما قلناه من انه انما حسن الابتدا بالنكرة في قولهم شر اهر ذا ناب
لانه اريد به الجنس ان معنى شر والشر سوا وانما اردنا ان الغرض من الكلام ان يبين ان
الذي اهر ذا الناب هو من جنس الشر لا جنس الخير كما انا اذا قلنا في قولهم ارجل
اتاك ام امراة ان السوال عن الجنس لم نرد بذلك انه بمنزلة ان يقال الرجل ام المراة
اتاك ولكنا نعني ان المعنى على انك سالت عن الاتي اهو من جنس الرجال ام جنس النساء
فالنكرة اذن على اصلها من كونها لواحد من الجنس الا ان القصد منك لم يقع الى
كونه واحدا وانما وقع الى كونه من جنس الرجال وعكس هذا انك اذا قلت ارجل
اتاك ام رجلان كان القصد منك الى كونه واحدا دون كونه رجلا فاعرف ذلك
اصلا وهو انه يكون في اللفظ دليل على امرين ثم يقع القصد الى احدهما دون
الاخر فيصير ذلك الاخر بان لم يدخل في القصد كانه لم يدخل في دلالة اللفظ و
اذا اعتبرت ما قدمته من قول صاحب الكتاب انك قلت عبد الله فنبهته
له ثم بنيت عليه الفعل وجدته يطابق هذا وذلك ان التنبيه لا يكون الا على
معلوم كما ان قصر الفعل لا يكون الا على معلوم فاذا بدات بالنكرة فقلت
رجل اتى لا تقصد بها الجنس وان يعلم السامع ان الذي اردت بالحديث
رجل لا امراة كان محالا ان يقول انى قدمته لانبه المخاطب له لانه يخرج بك
الى ان تقول انى اردت ان انبهه لشي لا يعلمه في جملة ولا تفصيل وذلك
ما لا يشك في استحالته فاعرفه

فصل القول في الحذف

هو باب دقيق المسلك لطيف الماخذ عجيب الامر شبيه بالسحر فانك ترى به ترك
الذكر افصح من الذكر والصمت عن الافادة ازيد للافادة وتجدك انطق ما تكون اذا لم تنطق
واتم ما تكون بيانا اذا لم تبن وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر وانا اكتب
لك بديا امثلة مما عرض فيه الحذف ثم انبهك على صحة ما اشرت اليه واقيم الحجة من ذلك
عليه انشد صاحب الكتاب   اعتاد قلبك من ليلى عوائده   وهاج اهواءك المكنونة
الطلل   ربع قواء اذاع المعصرات به   وكل حيران سار ماؤه خضل ۞ قال اراد
ذلك ربع او هو ربع   قال ومثله قول الاخر   هل تعرف اليوم رسم الدار والطللا
كما عرفت بجفن الصيقل الخللا   دار لمروة اذ اهلي واهلهم   بالكانسية نرعى
اللهو والغزلا   كانه قال تلك دار قال شيخنا رحمه الله عليه ولم يحمل البيت الاول
على ان الربع بدل من الطلل لان الربع اكثر من الطلل والشي يبدل مما هو مثله او اكثر
منه فاما بدل الشي من اقل منه ففاسد لا يتصور وهذه طريقة مستمرة لهم اذا ذكروا
الديار والمنازل وكما يضمرون المبتدا فيرفعون فقد يضمرون الفعل فينصبون
كبيت الكتاب ايضا   ديار مية اذ مي تساعفنا   ولا يرى مثلها عجم ولا عرب
انشده بنصب ديار على اضمار فعل كانه قال اذكر ديار مية ومن المواضع التي يطرد
فيها حذف المبتدا القطع والاستيناف يبدءون بذكر الرجل ويقدمون
بعض امره ثم يدعون الكلام الاول ويستانفون كلاما اخر واذا فعلوا ذلك
اتوا في اكثر الامر بخبر من غير مبتدا امثال ذلك قوله   وعلمت اني يوم ذاك منازل
كعبا ونهدا   قوم اذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا وقدا ۞ وقوله هم حلوا
من الشرف المعلى   ومن حسب العشيرة حيث شاءوا   بناة مكارم واساة كلم
دماؤهم من الكلب الشفاء ۞

يعني الرياح التي تاتي بالاعاصير
[illegible]

وقوله واني على مابي عَمِيلَةٌ فاشتكى الي ماله حالي اسرّ كما جهرْ ثم قال بعد
غلامٌ رماه الله بالخير مُقبلاً له سِيمِيا لا تَشُقّ على البصر وقوله اذا ذكر ابنا
العنبرية لم يَضِقْ ذراعي وألقى باسته مَن أفاخر هلا ازجما لا زفي كل شتوة
مِن الثقل ما لا تستطيع الاباعر وقوله جمالا زخبر ثانٍ وليس بصفة كما يكون
لو قلت مثلا رجلا زجما لا زوما اعتيد فيه ان يجيء خبرا فدنى على مبتدأ محذوف
قولهم بعد ان يذكروا الرجل فتى من شانه كذا واغرّ من صفته كيت وكيت كقوله
الا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى ولا عُرفَ الا قد تولى وادبرا فتى حنظلي ما تزال ركابه
تجود بمعروف وتنكر منكرا وقوله ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ايادي لم تمنن
وان هي جلت فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
ومن ذلك قول جميل وهل بُثينة يا للناس قاضيتي ديني وفاعلة خيراً فاجزيها
ترنو بعيني مهاة اقصدت بهما قلبي عشية ترميني وارميها هيفاء مقبلة
عجزاء مدبرة ريّا العظام بلا عيب يرى فيها من الاوانس مكسال مبتّلة
خَوْدٌ غذاها بلين العيش غاذيها وقوله ايضا اني عشية رحت وهي حزينة
تشكو الي صبابة لصبور وتقول بت عندي فديتك ليلة اشكو اليك فان ذاك
يسير غرّاء مبسام كان حديثها دُرّ تحدّر نظمه منثور محطوطة المتنين مضمرة الحشى
ريّا الروادف خلقها ممكور وقول الاقيشر في ابن عم له موسر سأله فمنعه
وقال كم اعطيك مالي وانت تنفقه فيما لا يعنيك والله لا اعطيك فتركه
حتى اجتمع القوم في ناديهم وهو فيهم فشكاه الى القوم فذمه فوثب اليه ابن عمه
فلطمه فانشأ يقول سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس الى داعي الندى بسريع

السان هذا لرسنوه
معى ساشكر م
بدر
جزء

قوله وتقول بت عندي داكر
من حيث المعنى في الكلام الى
من اهلها كان صبورا لا كان
ضها ان يكون قبل صبور م

حريص على الدنيا مضيع لدينه وليس لما في بيته بمضيع فتأمل الان هذه الابيات
كلها واستقرها واحدا واحدا وانظر الى موقعها في نفسك والى ما تجده من
اللطف والظرف اذا انت مررت بموضع الحذف منها ثم فليت النفس
عما تجد والطفت النظر فيما تحسّ به ثم تكلف ان ترد ما حذف الشاعر وان
تخرجه الى لفظك وتوقعه في سمعك فانك تعلم ان الذي قلت كما قلت وان
رُبّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد وان ادحب ما هو اصدق في
ذلك شهادة وادل دلالة فانظر الى قول عبد الله بن الزبير يذكر غريما له قد الح
عليه عرضت على زيد لياخذ بعضه يحاوله قبل اعتراض الشواغل فدبّ
دبيب البغل يالم ظهره وقال تعلّم انني غير فاعل تثاءب حتى قلت داسع
نفسه واخرج انيابا له كالمعاول لا اصل حتى قلت هو داسع نفسه
اي حسبته من شدة التثاؤب ومما به من الجهد يقذف نفسه من جوفه ويخرجها
من صدره كما يدسع البعير جرته ثم انك تركت تَرى نصبة الكلام وهيئته تروم
منك ان تنسى هذا المبتدأ وتباعده عن وهمك وتجتهد ان لا يدور في خلدك ولا
يعرض لخاطرك وتراك كانك تتوقاه توقي الشيء تكره مكانه والثقيل تخشى
هجومه ومن لطيف الحذف قول بكر بن النطاح العين تبدي الحب والبغضا
وتظهر الابرام والنقضا درّة ما انصفتني في الهوى ولا رحمت الجسد المنضى
غضبى ولا والله يا اهلها لا اطعم البارد او ترضى يقول في جارية كان يحبها
وسعي به الى اهلها فمنعوها منه والمقصود قوله غضبى وذلك ان التقدير
هي غضبى او غضبى هي لا محالة الا انك ترى النفس كيف تتفادى من اظهار

هذا المحذوف وكيف تأنس إلى إضماره وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رمت
التكلم به. ومن جيد الأمثلة في هذا الباب قول الآخر يخاطب امرأته وقد لامته
على الجود: قالت سُمَيّةُ قد غويتَ بأنْ رأتْ ... حقًّا تناوبَ مالنا ووفودُ
غيٌّ لعمرك لا أزال أعوده ... ما دام مال عندنا موجودُ. المعنى ذاك غيٌّ لا أزال أعوده
فدعي عنك لومي. وإذ قد عرفت هذه الجملة من حال حذف المبتدأ فاعلم
أن ذلك سبيله في كل شيء فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه
وحُذف في الحال التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من
ذكره وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به. وإذ قد بدأنا في الحذف بذكر المبتدأ
وهو حذف اسم إذ لا يكون المبتدأ إلا اسمًا فإني أتبع ذلك ذكر المفعول به إذا حذف
خصوصًا فإن الحاجة إليه أمسّ وهو بما نحن بصدده أخصّ واللطائف كأنها
فيه أكثر وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر. وهاهنا أصل
يجب ضبطه وهو أن حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى إليه حاله مع
الفاعل فكما أنك إذا قلت ضرب زيد فأسندت الفعل إلى الفاعل كان
غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلًا له لا أن تفيد وجود الضرب في نفسه
وعلى الإطلاق كذلك إذا عدّيت الفعل إلى المفعول فقلت ضرب زيد عمرًا
كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني ووقوعه
عليه فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان من أجل
أن يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بهما فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباس
الضرب به من جهة وقوعه منه والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من

وفودٌ معطوف على الضمير في تناوب التقدير بأن رأت حقًّا تناوبه هو ووفود مالنا م

جهة وقوعه عليه ولم يكن ذلك ليُعلم وقوع الضرب في نفسه بل إذا أريد الإخبار
بوقوع الضرب ووجوده في الجملة من غير أن ينسب إلى فاعل أو مفعول أو
يتعرض لبيان ذلك فالعبارة فيه أن يقال كان ضرب أو وقع ضرب أو وجد
ضرب وما شاكل ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد في الشيء. وإذ قد عرفت
هذه الجملة فاعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية فهم يذكرونها
تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين
من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدي
كغير المتعدي مثلًا في أنك لا ترى له مفعولًا لا لفظًا ولا تقديرًا. ومثال ذلك
قول الناس فلان يَحُلّ ويَعقِد ويأمر وينهى ويضرّ وينفع وكقولهم هو يُعطي
ويُجزل ويُضيف ويَقري. المعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه
للشيء على الإطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت
صار إليه الحَلّ والعَقد وصار بحيث يكون منه حَلّ وعَقد وأمر ونهي وضُرٌّ و
نفع وعلى هذا القياس. وعلى ذلك قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون. المعنى هل يستوي من له علم ومن لا علم له من غير أن يقصد النص على
معلوم. وكذلك قوله تعالى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وقوله
وأنه هو أغنى وأقنى المعنى هو الذي منه الإحيا والإماتة والإغنا والإقنا و
هكذا كل موضع كان القصد فيه أن يثبت المعنى في نفسه فعلًا للشيء وأن يخبر
بأن من شأنه أن يكون منه أو لا يكون إلا منه أو لا يكون منه فإن الفعل لا يعدّى
هناك لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى ألا ترى أنك إذا قلت هو يعطي

مجلس شورای ملی

الدنانير كان المعنى على انك قصدت ان تعلم السامع ان الدنانير تدخل في عطائه
او انه يعطيها خصوصا دون غيرها وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما تناوله
الاعطاء لا الاعطاء في نفسه ولم يكن كلامك مع من نفى ان يكون كان منه اعطاء
بوجه من الوجوه بل مع من اثبت له اعطاء الا انه لم يثبت اعطاء الدنانير فاعرف
ذلك فانه اصل كبير عظيم النفع فهذا قسم من خلو الفعل عن المفعول وهو ان لا يكون
له مفعول مقصود قصده معلوم الا انه يحذف من اللفظ لدليل الحال
عليه وينقسم الى جلي لا صنعة فيه والى خفي تدخله الصنعة فمثال الجلي قولهم
اصغيت اليه وهم يريدون اذني واغضيت عليه والمعنى جفني واما الخفي الذي
تدخله الصنعة فيتفنن ويتنوع فنوع منه ان تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول
مخصوص قد علم مكانه اما بجري ذكر او دليل حال الا انك تنسيه نفسك وتخفيه
وتوهم انك لم تذكر ذلك الفعل الا لان تثبت نفس معناه من غير ان تعديه الى شيء
او تعرض فيه لمفعول ومثاله قول البحتري شجو حساده وغيظ عداه
ان يرى مبصر ويسمع واع المعنى لا محالة ان يرى مبصر محاسنه ويسمع
واع اخباره واوصافه ولكنك تعلم على ذاك انه كان يسرق علم ذلك عن نفسه ويدفع
صورته عن وهمه ليحصل له معنى شريف وغرض خاص وذلك انه يمدح
خليفة وهو المعتز ويعرض بخليفة وهو المستعين فاراد ان يقول ان
محاسن المعتز وفضائله المحاسن والفضائل يكفي فيها ان يقع عليها بصر و
يعيها سمع حتى يعلم انه المستحق للخلافة والفرد الوحيد الذي ليس لاحد
ان ينازعه مرتبتها فانت ترى حساده وليس شيء اشجى لهم واغيظ من علمهم

بان ها هنا مبصرا يرى وسامعا يعي حتى ليتمنوا ان لا يكون في الدنيا من له عين يبصر
بها واذن يعي معها كي يخفى مكان استحقاقه لشرف الامامة فيجدوا بذلك سبيلا الى
منازعته اياها وهذا نوع منه آخر وهو ان يكون معك مفعول معلوم
مقصود قصده قد علم انه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول سواه بدليل الحال
او ما سبق من الكلام الا انك تطرحه وتتناساه وتدعه يلزم ضمير النفس لغرض
غير الذي مضى وذلك الغرض ان تتوفر العناية على اثبات الفعل للفاعل وتخلص
له وتنصرف بجملتها وكما هي اليه ومثاله قول عمرو فلو ان قومي انطقتني رماحهم
نطقت ولكن الرماح اجرت اجرت فعل متعد ومعلوم انه لو عداه لما
عداه الا الى ضمير المتكلم نحو ولكن الرماح اجرتني وانه لا يتصور ان يكون ها هنا شيء
آخر يتعدى اليه لاستحالة ان يقول فلو ان قومي انطقتني رماحهم يقول ولكن الرماح
اجرت غيري الا انك تجد المعنى يلزمك ان لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه
الى لفظك والسبب في ذلك ان تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض وذلك
ان الغرض هو ان يثبت انه كان من الرماح اجرار وحبس للالسن عن النطق وان
تصحح ذلك ولو قال اجرتني جاز ان يتوهم انه لم يعن بان يثبت للرماح اجرارا بل
الذي عناه ان يبين انها اجرته فقد يذكر الفعل كثيرا والغرض منه ذكر المفعول مثاله
انك تقول اضربت زيدا وانت لا تنكر ان يكون كان من المخاطب ضرب و
انما تنكر ان يكون وقع الضرب منه على زيد وان يستجيز ذلك او يستطيعه
فلما كان في تعديه اجرت ما يوهم ذلك وقف فلم يعده البتة ولم ينطق بالمفعول
لتخلص العناية لاثبات الاجرار للرماح وتصحيح انه كان منها وتسلم بكليتها

لذلك ومثله قول جرير امنيت المنى وخلبت حتى تركت ضمير قلبي مستهاما
العرض ان يثبت انه كان منها تمنية وخلابة وان يقول لها اهكذا تصنعين وهذه حيلتك في فتنة الناس ومن بارع ذلك ونادره ما تجده في هذه الابيات
روى المرزباني في كتاب الشعر باسناد له قال لما تشاغل ابو بكر الصديق رضي الله عنه باهل الردة استبطاته الانصار فقال اما كلفتموني اخلاق رسول الله صلى الله عليه فوالله ما ذاك عندي ولا عند احد من الناس ولكني والله ما اوتى من مودة لكم ولا حسن راي فيكم وكيف لا نحبكم فوالله ما وجدت مثلا لنا ولكم الا ما قال طفيل الغنوي لبني جعفر بن كلاب
جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت
ابوا ان يملونا ولو ان امنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت
هم خلطونا بالنفوس والجئوا الى حجرات ادفات واظلت
فيها حذف مفعول مقصود قصده في اربعة مواضع قوله لملت والجئوا وادفات واظلت لان الاصل لملتنا والجئونا الى حجرات ادفاتنا واظلتنا الا ان الحال على ما ذكرت لك من انه في حد المتناسي حتى كان لا قصد الى مفعول وكان الفعل قد ابهم امره فلم يقصد به قصد شي يقع عليه كما يكون اذا قلت قد مل فلان تريد ان تقول قد دخله الملال من غير ان تخص شيا بل لا تزيد على ان تجعل الملال من صفته وكما تقول هذا بيت يدفي ويظل تريد انه بهذه الصفة واعلم ان لك في قوله اجئت ولملت فائدة اخرى زائدة على ما ذكرت من توفير العناية على اثبات الفعل وهي ان يقول كان من سوء بلاء القوم ومن تكذيبهم عن القتال ما يجر مثله
وما القضية فيه انه لا يسقو على قوم الا اخرس شاعرهم فلم يستطع نطقا وتعدى الفعل يمنع من هذا المعنى لانك اذا قلت ولكن الرماح اجرتني لم يمكن ان يتاول على معنى انه كان منها ما شان مثله ان يجر قضية مستمرة في كل شاعر قوم بل قد يجوز ان يوجد مثله في قوم اخرين فلا يجر شاعرهم ونظيره انك تقول قد كان منك ما لم يومل تريد الشرط في مثله ان يؤمل لكل احد وكل انسان ولو قلت ما لم يوملني لم يفد ذلك لانه قد يجوز ان يؤمل الشي لا يؤمله غيرك وهكذا قوله ولو ان امنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت يتضمن ان من حكم مثله في كل ام ان تمل وتسام وان المشقة في ذلك الى حد يعلم ان الام تمل له الابن وتتبرم به مع ما في طباع الامهات من الصبر على المكاره في مصالح الاولاد وذلك انه قال امنا فان المعنى على ان ذلك حكم كل ام مع اولادها ولو قلت لملتنا لم يحتمل ذلك لانه يجري مجرى ان يقول لو لقيت امنا ذلك لدخلها ما يملها منا واذا قلت ما يملها منا فقيدت لم يصلح لان يراد به معنى العموم وانه بحيث يمل كل ام من كل ابن وكذلك قوله الى حجرات ادفات واظلت لان فيه معنى قولك حجرات من شان مثلها ان تدفي وتظل اي هي بالصفة التي اذا كان البيت عليها ادفا واظل ولا يجي هذا المعنى مع اظهار المفعول اذ لا تقول حجرات من شان مثلها ان تدفينا وتظلنا هذا عوص من الكلام فاعرف هذه النكتة فانك تجدها في كثير من هذا الفن مضمومة الى هذا المعنى الاخر الذي هو توفير العناية على اثبات الفعل والدلالة على ان القصد من ذكر الفعل ان تثبته لفاعله لا ان تعلم التباسه بمفعوله وان اردت ان تزداد تبيينا لهذا الاصل

حاشية
اما كلفتموني اما هو ان
الجزا ادخل عليها ما
للتوكيد كقوله فاما
ترين من البشر احدا
م

حاشية
اذا ... [illegible]

اعني وجوب ان يسقط المفعول لتتوفر العناية على اثبات الفعل لفاعله ولا
يدخلها شوب فانظر في قول الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس
يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر
الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل ففيها حذف مفعول في اربعة
مواضع اذ المعنى وجد عليه امة من الناس يسقون اغنامهم او مواشيهم وامراتين
تذودان غنمهما وقالتا لا نسقي غنمنا فسقى لهما غنمهما ثم انه لا يخفى على ذي
بصر انه ليس في ذلك كله الا ان يترك ذكره ويؤتى بالفعل مطلقا وما ذاك الا
ان الغرض في ان يعلم انه كان من الناس في تلك الحال سقي ومن المراتين ذود وانهما
قالتا لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء وانه كان من موسى عليه السلام من بعد
ذلك سقي فاما ما كان المسقي اغنما ام ابلا ام غير ذلك فخارج عن الغرض وموهم
خلافه وذلك انه لو قيل ووجد من دونهم امراتين تذودان غنمهما جاز ان يكون
لم ينكر الذود من حيث هو ذود بل من حيث هو ذود غنم حتى لو كان مكان
الغنم ابل لما انكر كما انك اذا قلت ما لك تمنع اخاك كنت منكرا المنع لا من
حيث هو منع بل من حيث هو منع اخ فاعرفه تعلم انك لم تجد لحذف
المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما وجدت الا لان في حذفه
وترك ذكره فائدة جليلة وان الغرض لا يصح الا على تركه ومما هو كانه نوع
اخر غير ما مضى قول البحتري اذا بعدت ابلت وان قربت شفت
فهجرانها يبلي ولقيانها يشفي قد علم ان المعنى اذا بعدت عني ابلتني و
ان قربت مني شفتني الا انك تجد الشعر يابى ذكر ذلك ويوجب اطراحه وذلك

لانه اراد ان يجعل البلى كانه واجب في بعادها ان يوجبه ويجلبه وكانه كالطبيعة
فيه وكذلك حال الشفاء مع القرب حتى كانه قال اتدري ما بعادها هو الداء
المضني وما قربها هو الشفاء والبرء من كل داء ولا سبيل لك الى هذه اللطيفة
والى هذه النكتة الا بحذف المفعول البتة فاعرفه وليس لنتائج هذا الحذف اعني
حذف المفعول نهاية فانه طريق الى ضروب من الصنعة والى لطائف لا تحصى
وهذا نوع منه اخر اعلم ان هاهنا بابا من الاضمار والحذف يسمى الاضمار على شريطة
التفسير وذلك مثل قولهم اكرمني واكرمت عبد الله اردت اكرمني عبد الله
واكرمت عبد الله ثم تركت ذكره في الاول استغناء بذكره في الثاني فهذا طريق
معروف ومذهب ظاهر وشيء لا يعبا به ويظن انه ليس فيه اكثر مما تريك
الامثلة المذكورة منه وفيه اذا انت طلبت الشيء من معدنه من دقيق الصنعة
ومن جليل الفائدة ما لا تجده الا في كلام الفحول فمن لطيف ذلك ونادره
قول البحتري لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرما ولم تهدم مآثر خالد
الاصل لا محالة لو شئت ان لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها ثم حذف ذلك من
الاول استغناء بدلالته في الثاني عليه ثم هو على ما تراه وتعلمه من الحسن والغرابة
وهو على ما ذكرت لك من ان الواجب في حكم البلاغة ان لا ينطق بالمحذوف
ولا يظهر الى اللفظ فليس يخفى انك لو رجعت فيه الى ما هو اصله فقلت لو
شئت ان لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها صرت الى كلام غث والى شيء يمجه
السمع وتعافه النفس وذلك ان في البيان اذا ورد بعد الابهام وبعد التحريك
له ابدا لطفا ونبلا لا يكون اذا لم يتقدم ما يحرك وانت اذا قلت لو شئت علم السامع

انك قد علقت هذه المشيئة في المعنى بشيء فهو يضع في نفسه ان هاهنا شيئا تقتضي
مشيئته له ان يكون او ان لا يكون فاذا قلت لم تفسد سماحة حاتم عرف ذلك الشيء ومجيء
المشيئة بعد لو وبعد حروف الجزاء هكذا موقوفة غير معداة الى شيء كثير شائع كقوله
تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولو شاء لهداكم اجمعين والتقدير في ذلك كله
على ما ذكرت فالاصل لو شاء الله ان يجمعهم على الهدى لجمعهم ولو شاء ان يهديكم اجمعين
لهداكم اجمعين الا ان البلاغة في ان يجاء به كذلك محذوفا وقد يتفق في بعضه ان يكون
اظهار المفعول هو الاحسن وذلك نحو قول الشاعر ولو شئت ان ابكي دما
لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع ٥ فقياس هذا لو كان على حد ولو شاء الله اوسع
لجمعهم على الهدى ان يقول لو شئت بكيت دما ولكنه كانه ترك تلك الطريقة و
عدل الى هذه لانها احسن في هذا الكلام خصوصا وسبب حسنه انه كانه
بدع عجيب ان يشاء الانسان ان يبكي دما فلما كان كذلك كان الاولى ان يصرح بذكره
ليقرره في نفس السامع ويؤنسه به واذا استقريت وجدت الامر كذلك ابدا
متى كان مفعول المشيئة امرا عظيما او بديعا غريبا كان الاحسن ان يذكر ولا يضمر
يقول الرجل يخبر عن عزة لو شئت ان ارد على الامير رددت ولو شئت
ان القى الخليفة كل يوم لقيت فاذا لم يكن مما يكبره السامع فالحذف احسن
كقولك لو شئت خرجت ولو شئت قمت ولو شئت انصفت ولو شئت
لقلت وفي التنزيل لو نشاء لقلنا وكذا تقول لو شئت كنت كزيد قال
لو شئت كنت ككرز في عبادته او كابن طارق حول البيت والحرم ٥ وكذلك
الحكم في غيره من حروف المجازاة تقول ان شئت قلت وان اردت دفعت

قال الله تعالى فان يشإ الله يختم على قلبك وقال عز اسمه من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله
على صراط مستقيم ونظائر ذلك من الآي ترى الحذف فيها المستمر ومما يعلم ان ليس فيه لغير
الحذف وجه قول طرفة وان شئت لم ترقل وان شئت ارقلت مخافة ملوي
من القد محصد وقال حميد اذا شئت غنتني باجزاع بيشة او الزرق من تثليث
او بيليما مطوقة ورقاء تسجع كلما دنا الصيف وانجاب الربيع فانجما
وقال البحتري اذا شاء غادى صرمة او غدا على عقائل سرب او تقنص ربربا
وقوله لو شئت عدت بلاد نجد عودة فحللت بين عقيقه وزروده معلوم
انك لو قلت وان شئت ان لا ترقل لم ترقل او قلت اذا شئت ان تغنيني باجزاع
بيشة غنتني واذا شاء ان يغادي صرمة غادى ولو شئت ان تعود بلاد نجد عودة
عدت اذهبت الماء والرونق وخرجت الى كلام غث ولفظ رث واما قول
الجوهري فلم يبق مني الشوق غير تفكري فلو شئت ان ابكي بكيت تفكرا فقد
نحا به نحو قوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته فاظهر مفعول شئت ولم يقل فلو
شئت بكيت تفكرا لاجل ان له غرضا لا يتم الا بذكر المفعول وذلك انه لم يرد
ان يقول ولو شئت ان ابكي تفكرا بكيت كذلك ولكنه اراد ان يقول قد افناني
النحول فلم يبق مني وفي غير خواطر تجول حتى لو شئت بكاء فمريت شؤوني
وعصرت عيني ليسيل منها دمع لم اجده ولخرج بدل الدمع التفكر
فالبكاء الذي اراد ايقاع المشيئة عليه مطلق مبهم غير معدى الى التفكر البتة
والبكاء الثاني مقيد معدى الى التفكر واذا كان الامر كذلك صار الثاني كانه
شيء غير الاول وجرى مجرى ان تقول لو شئت ان تعطي درهما اعطيت

دون معنى في ان الثاني لا يصلح ان يكون تفسيراً للاول واعلم ان هذا الذي ذكرنا ليس
بصريح اكرمت واكرمني عبدُ الله ولكنه شبيه به في انه انما حُذف من مفعول
المشيئة والارادة لان الذي ياتي في جواب لو واخواتها يدل عليه واذا اردت ما هو
صريح في ذلك ثم هو نادر لطيف ينطوي على معنى دقيق وفائدة جليلة فانظر الى
بيت البحتري قد طلبنا فلم نجد لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلا المعنى
قد طلبنا لك مثلا ثم حذف لان ذكره في الثاني يدل عليه ثم ان في المجيء به كذلك من
الحسن والمزية والروعة ما لا يخفى ولو انه قال طلبنا لك في السؤدد و
المجد والمكارم مثلا فلم نجده لم تر من هذا الحُسن الذي تراه شيئا وسبب
ذلك ان الذي هو الاصل في المدح والغرض بالحقيقة هو نفي الوجود عن
المثل فاما الطلب فكالشيء يذكر ليبنى عليه الغرض ويؤكد به امره واذا
كان هذا كذلك فلو انه قال قد طلبنا لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلا
فلم نجده لكان يكون قد ترك ان يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المثل و
اوقعه على ضميره ولن تبلغ الكناية مبلغ الصريح ابدا وبين هذا كلام ذكره
ابو عثمان الجاحظ في كتاب البيان وانا اكتبه لك ليستبين
الذي هو المراد قال والسنة في خطبة النكاح ان يطيل الخاطب ويقصر
المجيب الا ترى ان قيس بن خارجة لما ضرب بسيفه مؤخرة راحلتي
الحاملين في شان حمالة داحس قال ما لي فيها ايها العشمتان قالا بل
ما عندك قال عندي قرى كل نازل ورضى كل ساخط وخطبة من لدن
تطلع الشمس الى ان تغرب آمر فيها بالتواصل وانهى فيها عن

التقاطع قالوا فخطب يوماً الى الليل فما اعاد كلمة ولا معنى فقيل لابي
يعقوب هلا اكتفى بالامر بالتواصل عن النهي عن التقاطع او ليس الامر
بالصلة هو النهي عن القطيعة قال او ما علمت ان الكناية والتعريض لا
يعملان في العقول عمل الايضاح والتكشيف انتهى الفصل الذي اردت ان
اكتبه فقد بصّرك هذا ان لن يكون ايقاع نفي الوجود على صريح لفظ المثل
كايقاعه على ضميره واذ قد عرفت هذا فان هذا المعنى بعينه قد اوجب
في بيت ذي الرمة ان يضع اللفظ على عكس ما وضعه البحتري فيعمل
الاول من الفعلين وذلك قوله ولم امدح لأرضيه بشعري لئيما ان يكون
اصاب مالا اعمل لم امدح الذي هو الاول في صريح لفظ اللئيم وارضي
الذي هو الثاني في ضميره وذلك ان ايقاع نفي المدح على اللئيم صريحاً
والمجيء به مكشوفا ظاهرا هو الواجب من حيث كان اصل
الغرض وكان الارضاء تعليلا له ولو انه قال ولم امدح لارضي بشعري
لئيما لكان يكون قد ابهم الامر فيما هو الاصل وابانه فيما ليس بالاصل فاعرفه
ولهذا الذي ذكرنا من ان للتصريح عملا لا يكون مثل ذلك العمل للكناية كان
لاعادة اللفظ في مثل قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وقوله تعالى
قل هو الله احد الله الصمد من الحسن والبهجة ومن الفخامة والنبل ما لا
يخفى موضعه على بصير وكان لو ترك فيه الاظهار الى الاضمار فقيل وبالحق
انزلناه وبه نزل وقل هو الله احد هو الصمد لعدمت الذي انت
واجده الآن فصل قد بان الآن واتضح لمن نظر نظر المتثبت

الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل والازدياد من الفضل ومن
شأنه التوق الى ان يعرف الاشيا على حقائقها ويتغلغل الى دقائقها ويربأ
بنفسه عن مرتبة المقلِّد الذي يجري مع الظاهر ولا يعدو الذي يقع في اول
الخاطر ان الذي قلت في شان الحذف وفي تفخيم امره والتنويه بذكره وان
ماخذه مما يشبه السحر ويبهر الفكر كالذي قلت وهذا فنٌّ آخر من
معانيه عجيبٌ وهو ما اذكره لك في بيت البحتري في قصيدته التي اولها اعن سفهٍ
يوم الابيرق ام حلم وهو يذكر محاماة الممدوح عليه وصيانته له ودفعه
عنه نوائب الزمان عنه وكم ذُدتَ عنّي من تحامُلِ حادثٍ وسَورةِ ايامٍ حززنَ
الى العظم الاصل لا محالة حززن اللحم الى العظم الا ان في مجيئه به محذوفا و
اسقاطه له من النطق وتركه في الضمير مزيّة عجيبة وفائدة جليلة وذلك
ان من حذق الشاعر ان يوقِعَ المعنى في نفس السامع ايقاعا يمنعه به من
ان يتوهم في بدء الامر شيئا غير المراد ثم ينصرف الى المراد ومعلوم انه
لو اظهر المفعول فقال وسورة ايام حززن اللحم الى العظم لجاز ان
يقع في وهم السامع الى ان يجيء الى قوله الى العظم ان هذا الحز كان في بعض
اللحم دون كله وانه قطع ما يلي الجلد ولم ينته الى ما يلي العظم فلما كان كذلك
ترك ذكر اللحم واسقطه من اللفظ ليبرئ السامع من هذا الوهم ويجعله
بحيث يقع المعنى منه في انف الفهم ويتصور في نفسه من اول الامر ان الحزّ
مضى في اللحم حتى لم يردّه الا العظم افيكون دليل اوضح من هذا وابين واجلى
في صحة ما ذكرت لك من انك قد ترى ترك الذكر افصح من الذكر والامتناع من ان

يبرز اللفظ من الضمير احسن للتصوير والله اعلم

القول على فروق في الخبر

اول ما ينبغي ان يُعلم منه انه ينقسم الى خبر هو جزءٌ من الجملة لا تتم الفائدة دونه وخبر ليس
بجزءٍ من الجملة ولكنه زيادة في خبرٍ آخر سابقٍ له فالاول خبر المبتدا كمنطلق في قولك
زيدٌ منطلق والفعل كقولك خرج زيد فكل واحد من هذين جزءٌ من الجملة وهو الاصل
في الفائدة والثاني هو الحال كقولك جاءني زيد راكبا وذلك لان الحال خبر في
الحقيقة من حيث انك تثبت بها المعنى لذي الحال كما تثبت بخبر المبتدا للمبتدا
وبالفعل للفاعل الا تراك قد اثبتّ الركوب في قولك جاءني زيدٌ راكبا لزيد الا ان الفرق
انك جئت به لتزيد معنى في اخبارك عنه بالمجيء وهو ان تجعله بهذه الهيئة في مجيئه و
لم تجرّد اثباتك للركوب ولم تباشره به بل ابتدات فاثبتّ المجيء ثم وصلتَ به الركوب به ثم
فالتبس به الاثبات على سبيل التبع للمجيء وبشرط ان يكون في صلته واما في الخبر المطلق
نحو زيد منطلق وخرج عمرو فانك مثبتٌ للمعنى اثباتا جرّدته له وجعلته يباشره
من غير واسطة ومن غير ان تتسبّب بغيره اليه فاعرفه واذ قد عرفت هذا
الفرق فالذي يليه من فروق الخبر هو الفرق بين الاثبات اذا كان بالاسم وبينه اذا كان
بالفعل وهو فرق لطيف تمسّ الحاجة في علم البلاغة اليه وبيانه ان موضوع الاسم
على ان يثبت به المعنى للشيء من غير ان يقتضي تجدّده شيئا بعد شيء واما الفعل فموضوعه
على انه يقتضي تجدّد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء فاذا قلت زيدٌ منطلقٌ فقد اثبتّ
الانطلاق فعلا له من غير ان تجعله يتجدّد ويحدث منه شيئا فشيئا بل يكون المعنى
فيه كالمعنى في قولك زيد طويل وعمرو قصير فكما لا تقصد ههنا الى ان تجعل الطول
والقصر يتجدد ويحدث بل توجبهما وتثبتهما فقط وتقضي بوجودهما على الاطلاق

كذلك لا تعرض في قولك زيد منطلق لأكثر من إثباته لزيد وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى
ذلك فإذا قلت زيد ها هو ذا ينطلق فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءا فجزءا
وجعلته يزاوله ويزجيه وإن شئت أن تحس الفرق بينهما من حيث يلطف فتأمل
هذا البيت لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق
هذا هو الحسن اللائق بالمعنى ولو قلته بالفعل لكن يمر عليها وهو ينطلق لم
يحسن وإذا أردت أن تعتبره حيث لا يخفى أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه
فانظر إلى قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فإن أحدا لا يشك في امتناع الفعل
ها هنا وأن قولنا وكلبهم يبسط ذراعيه لا يؤدي الغرض وليس ذلك إلا لأن الفعل
يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها
من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئا فشيئا ولا فرق بين
وكلبهم باسط وبين أن يقول وكلبهم واحد مثلا في أنك لا تثبت مزاولة ولا تجعل الكلب
يفعل شيئا بل تثبته بصفة هو عليها فالغرض إذا تأدية هيئة الكلب ومتى اعتبرت
الحال في الصفات المشبهة وجدت الفرق ظاهرا بينا ولم يعترضك الشك في أن
أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه فإذا قلت زيد طويل وعمرو قصير لم يصلح مكانه
يطول ويقصر وإنما تقول يطول ويقصر إذا كان الحديث عن شيء يزيد وينمو كالشجر
والنبات والصبي ونحو ذلك مما يتجدد فيه الطول أو يحدث فيه القصر فأما
وأنت تحدث عن هيئة ثابتة وعن شيء قد استقر طوله ولم يكن ثم تزايد وتجدد
فلا يصلح فيه إلا الاسم وإذا ثبت الفرق بين الشيء والشيء في مواضع كثيرة وظهر
الأمر بأن ترى أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه وجب أن تقضي بثبوت الفرق

حيث ترى أحدهما قد صلح في مكان الآخر وتعلم أن المعنى مع أحدهما غيره مع
الآخر كما هو العبرة في حمل الخفي على الجلي وينعكس لك هذا الحكم أعني أنك كما
وجدت الاسم يقع حيث لا يصلح الفعل مكانه كذلك تجد الفعل يقع ثم لا يصلح الاسم
مكانه ولا يؤدي ما يؤديه فمن البين في ذلك قول الأعشى لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
إلى ضوء نار في يفاع تحرق تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى ضوء
والمحلق معلوم أنه لو قيل إلى نار متحرقة لنبا عنه الطبع وأنكرته النفس ثم لا يكون
ذلك النبو وذلك الإنكار من أجل القافية وأنها تفسد به بل من وجه أنه لا يشبه
الغرض ولا يليق بالحال وكذلك قوله أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلي
عريفهم يتوسم وذلك لأن المعنى في بيت الأعشى على أن هناك موقدا يتجدد منه
الإلهاب والإشعال حالا فحالا وإذا قيل متحرقة كان المعنى أن هناك نارا قد ثبتت
لها وفيها هذه الصفة وجرى مجرى أن يقال إلى ضوء نار عظيمة في أنه لا يفيد فعلا
يفعل وكذلك الحال في قوله بعثوا إلي عريفهم يتوسم وذلك لأن المعنى على توسم
وتأمل ونظر يتجدد من العريف هناك حالا فحالا وتصفح منه للوجوه واحدا
بعد واحد ولو قيل بعثوا إلي عريفهم متوسما لم يفد ذلك حق الإفادة ومن ذلك
قوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لو قيل هل من خالق غير
الله رازق لكم لكان المعنى غير ما أريد ولا ينبغي أن يغرك أنا إذا تكلمنا في مسائل المبتدأ
والخبر قدرنا الفعل في هذا النحو تقدير الاسم كما تقول في زيد يقوم إنه في موضع
قائم فإن ذلك لا يقتضي أن يستوي المعنى فيهما استواء لا يكون من بعده افتراق فإنهما
لو استويا هذا الاستواء لم يكن أحدهما فعلا والآخر اسما بل كان ينبغي أن يكونا جميعا

يكونا

فعلين او اسمين ومن قبل ان لا تفرق بين انك تقول زيد منطلق وزيد المنطلق والمنطلق
زيد فيكون لك في كل واحد من هذه الاحوال غرض خاص وفائدة لا تكون في الباقي
وانا افسر لك ذلك ○ اعلم انك اذا قلت زيد منطلق كان كلامك مع من لم يعلم ان
انطلاقا كان لا من زيد ولا من عمرو فانت تفيده ذلك ابتداء واذا قلت زيد المنطلق
كان كلامك مع من عرف ان انطلاقا كان اما من زيد واما من عمرو فانت تعلمه انه كان
من زيد دون غيره والنكتة انك تثبت في الاول الذي هو قولك زيد منطلق فعلا
لم يعلم السامع من اصله انه كان وتثبت في الثاني الذي هو زيد المنطلق فعلا قد علم
السامع انه كان ولكنه لم يعلمه لزيد فافدته ذلك فقد وافق الاول في المعنى الذي له
كان الخبر خبرا وهو اثبات المعنى للشيء وليس يقدح في ذلك انك كنت قد علمت
ان انطلاقا كان من احد الرجلين لانك اذا لم تصل الى القطع على انه كان من زيد دون
عمرو كان حالك في الحاجة الى من يثبته لزيد كحالك اذا لم تعلم انه كان من اصله وتمام التحقيق
ان هذا كلام يكون معك اذا كنت قد بلغت انه كان من انسان انطلاق من موضع
كذا في وقت كذا لغرض كذا فجوزت ان يكون ذلك كان من زيد فاذا قيل لك زيد هو
المنطلق صار الذي كان معلوما على جهة الجواز معلوما على جهة الوجوب ثم انهم
اذا ارادوا تاكيد هذا الوجوب ادخلوا الضمير المسمى فصلا بين الجزئين فقالوا زيد هو هذام
المنطلق ومن الفرق بين المسئلتين وهو مما تمس الحاجة الى معرفته انك اذا نكرت الخبر
جاز ان تاتي بمبتدأ ثان على ان تشركه بحرف العطف في المعنى الذي اخبرت به
عن الاول واذا عرفت لم يجز ذلك تفسير هذا انك تقول زيد منطلق وعمرو
تريد وعمرو منطلق ايضا ولا تقول زيد المنطلق وعمرو ذاك لان المعنى مع التعريف

على انك اردت ان تثبت انطلاقا مخصوصا قد كان من واحد فاذا اثبته لزيد لم يصح
اثباته لعمرو ثم ان كان قد كان ذلك الانطلاق من اثنين فانه ينبغي ان تجمع بينهما في الخبر فتقول
زيد وعمرو هما المنطلقان لا ان تفرق فتثبته اولا لزيد ثم تجيء فتثبته لعمرو ومن الواضح
في تمثيل هذا النحو قولنا هو القائل بيت كذا كقولك جرير هو القائل ولا
وليس لسيفي في العظام بقية فانت لو حاولت ان تشرك في هذا الخبر غيره
فتقول جرير هو القائل هذا البيت وفلان حاولت محالا لانه قول بعينه فلا
يتصور ان تشرك جريرا فيه غيره ○ واعلم انك تجد الالف واللام في الخبر على معنى
الجنس ثم ترى له في ذلك وجوها احدها ان تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك
المبالغة وذلك قولك زيد هو الجواد وعمرو هو الشجاع تريد انه الكامل الا انك
تخرج الكلام في صورة توهم ان الجود والشجاعة لم توجد الا فيه وذلك لانك لم تعتد
بما كان من غيره لقصوره عن ان يبلغ الكمال فهذا كالاول في امتناع العطف عليه للاشتراك
فلو قلت زيد هو الجواد وعمرو كان خلفا من القول والوجه الثاني ان تقصر
جنس المعنى الذي تفيده بالخبر على المخبر عنه لا على معنى المبالغة وترك الاعتداد
بوجوده في غير المخبر عنه بل على دعوى انه لا يوجد الا منه ولا يكون ذلك الا اذا
قيدت المعنى بشيء يخصصه ويجعله في حكم نوع براسه وذلك كنحو ان تقيد بالحال
والوقت كقولك هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرا وكذلك اذا كان الخبر
بمعنى يتعدى ثم اشترطت له مفعولا مخصوصا كقول الاعشى هو الواهب المائة
المصطفاة اما مخاضا واما عشارا ○ فانت تجعل الوفاء في الوقت الذي لا يفي
فيه احد نوعا خاصا من الوفاء وكذلك تجعل هبة المائة من الابل نوعا خاصا

وكذا الحكم في أنك تجعل كل هذا خبرًا على معنى الاختصاص وأنه للمذكور دون من عداه ألا ترى أن المعنى في بيت الأعشى أنه لا يهب هذه الهبة إلا الممدوح وربما ظن الظان أن اللام في هو الواهب المائة المصطفاة بمنزلتها في نحو زيد هو المنطلق من حيث كان القصد إلى هبة مخصوصة كما كان القصد إلى انطلاق مخصوص وليس الأمر كذلك لأن القصد هاهنا إلى جنس من الهبة مخصوص لا إلى هبة مخصوصة بعينها يدلك على ذلك أن المعنى على أنه يتكرر منه وعلى أن يجعله يهب المائة مرة بعد أخرى وأما المعنى في قولك زيد هو المنطلق فعلى القصد إلى انطلاق كان مرة واحدة لا إلى جنس من الانطلاق فالتكرر هناك غير متصور كيف وأنت تقول جرير هو القائل

وليس لسيفي في العظام بقية

تريد أن تثبت له قيل هذا البيت وتأليفه فافصل بين أن تقصد إلى نوع فعل وبين أن تقصد إلى فعل واحد متعين حاله من المعاني حال زيد في الرجال في أنه ذات بعينها ۝ والوجه الثالث أن لا تقصد قصر المعنى في جنسه على المذكور لا كما كان في زيد هو الشجاع تريد أن لا تعتد بشجاعة غيره ولا كما ترى في قوله هو الواهب المائة المصطفاة ولكن على وجه ثالث وهو الذي عليه قول الخنساء

إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا ۝

لم ترد أن ما عدا البكاء عليه فليس بحسن ولا جميل ولم تقيد الحسن بشيء فيتصور أن تقصر البكاء كما قصر الأعشى هبة المائة على الممدوح ولكنها أرادت أن تقره في جنس ما حسنه الحسن الظاهر الذي لا ينكره أحد ولا يشك فيه شاك ومثله قول حسان

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

أراد أن يثبت له العبودية ثم يجعله ظاهر الأمر فيها ومعروفًا بها ولو قال

علي

ووالدك عبد لم يكن قد جعل حاله في العبودية حالة ظاهرة متعارفة وعلى ذلك قول الآخر

أسود إذا ما أبدت الحرب نابها وفي سائر الدهر الغيوث المواطر

واعلم أن للخبر المعرف بالألف واللام معنى غير ما ذكرت لك وله مسلك ثم دقيق ولمحة كالخلس يكون المتأمل عنده كما يقال يعرف وينكر وذلك قولك هو البطل المحامي وهو المتقى المرتجى وأنت لا تقصد شيئًا مما تقدم فلست تشير إلى معنى قد علم المخاطب أنه كان ولم يعلم ممن كان كما مضى في قولك زيد هو المنطلق ولا تريد أن تقصر معنى عليه على معنى أنه لم يحصل لغيره على الكمال كما كان في قولك زيد هو الشجاع ولا أن تقول ظاهر أنه بهذه الصفة كما كان في قوله ووالدك العبد ولكنك تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحامي وهل حصلت معنى هذه الصفة وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه فإن كنت قتلته علمًا وتصورته حق تصوره فعليك صاحبك واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك وطريقه طريق قولك هل سمعت بالأسد وهل تعرف ما هو فإن كنت تعرفه فزيد هو هو بعينه وتزداد هذا المعنى ظهورًا بأن تكون الصفة التي تريد الإخبار بها عن المبتدأ مجراة على موصوف كقول ابن الرومي

هو الرجل المشروك في جل ماله ولكنه بالمجد والحمد مفرد

تقديره كأنه يقول للسامع فكر في رجل لا يتميز عفاته وجيرانه ومعارفه عنه في ماله وأخذ ما شاؤوا منه فإذا حصلت صورته في نفسك فاعلم أنه ذلك الرجل وهذا فن عجيب الشأن وله مكان من الفخامة والنبل وهو من سحر البيان الذي تقصر العبارة عن تأدية حقه والمعول فيه على

من راجع النفس واستقصى التأمل فاذا علمت انه لا يريد بقوله الرجل المشروك
في جل ماله ان يقول هو الذي بلغك حديثه وعرفت من حاله وقصته انه يشرك
في جل ماله على حد قولك هو الرجل الذي بلغك انه انفق كذا وكذا والذي
وهب المائة المصطفاة من الابل ولا ان يقول انه على معنى هو الكامل في هذه
الصفة حتى كان ههنا اقواما يشركون في جل اموالهم الا انه في ذلك اكمل واتم
لان ذلك لا يتصور وذاك ان كون الرجل بحيث يشرك في جل ماله ليس بمعنى يقع
فيه تفاضل كما ان بذل الرجل كل ما يملك كذلك ولو قيل الذي يشرك في ماله جاز ان
يتفاوت واذا كان كذلك علمت انه معنى ثالث وليس الا ما اشرت اليه من انه يقول
للمخاطب ضع في نفسك معنى قولك رجل مشروك في جل ماله ثم تأمل فلانا
فانك تستملي هذه الصورة منه وتجده يؤديها لك نصا فيأتيك بها كملا وان
اردت ان تسمع في هذا المعنى ما يسكن النفس اليه سكون الصادي الى برد الماء فاسمع
قوله انا الرجل المدعو عاشق فقره ان لم تكن من صروف زماني ٥ وان اردت
اعجب من ذلك فقوله يروى لحاشية لابن جانبه اهدى الى ابو الحسين يدا
ارجو الثواب بها لديه غدا وكذاك عادات الكريم اذا اولى يدا حسبت عليه يدا
ان كان يحسد نفسه احد فلأزعمنك ذلك الاحدا فهذا كله على معنى الوهم
والتقدير وان يصور في خاطره شيئا لم يره ولم يعلمه ثم يجريه مجرى ما عهد وعلم
وليس شيء اغلب على هذا الضرب الموهوم من الذي فانه يجيء كثيرا على انك
تقدر شيئا في وهمك ثم تعبر عنه بالذي ومثال ذلك قوله اخوك الذي ان
تدعه لملمة يجبك وان تغضب الى السيف يغضب وقول الآخر

اخوك الذي ان ربته قال انما وان عاتبته لان جانبه فهذا ونحوه على انك قدرت
انسانا هذه صفته وهذا شانه واحلت السامع على من يتعين في الوهم دون ان يكون
قد عرف رجلا بهذه الصفة فاعلمته ان المستحق لاسم الاخوة هو ذلك الذي
عرفه حتى كانك قلت اخوك زيد الذي عرفت انك ان تدعه لملمة يجبك ولكون هذا
الجنس معهودا من طريق الوهم والتخيل جرى على ما يوصف بالاستحالة كقولك
للرجل وقد تمنى هذا هو الذي لا يكون وهذا ما لا يدخل في الوجود وكقوله
ما لا يكون فلا يكون بحيلة ابدا وما هو كائن سيكون ومن لطيف هذا الباب
قوله واني لمشتاق الى ظل صاحب يرق ويصفو ان كدرت عليه ٥ فقد
قدر كما ترى ما لم يعلمه موجودا ولذلك قال المأمون خذ مني الخلافة واعطني
هذا الصاحب فهذا التعريف الذي تراه في الصاحب لا يعرض فيه شك انه
موهوم واما قولنا المنطلق زيد والفرق بينه وبين ان تقول زيد المنطلق فالقول
في ذلك انك وان كنت ترى في الظاهر انهما سواء من حيث كان الغرض في الحالين
اثبات انطلاق قد سبق العلم به لزيد فليس الامر كذلك بل بين الكلامين فصل
ظاهر وبيانه انك اذا قلت زيد المنطلق فانت في حديث انطلاق قد كان
وعرف السامع كونه الا انه لم يعلم امن زيد كان ام من عمرو فاذا قلت زيد المنطلق
ازلت عنه الشك وجعلته يقطع بانه كان من زيد بعد ان كان يرى ذلك على
سبيل الجواز وليس كذلك اذا قدمت المنطلق فقلت المنطلق زيد بل يكون
المعنى حينئذ على انك رأيت انسانا ينطلق بالبعد منك فلم تثبت ولم تعلم ازيد
هو ام عمرو فقال لك صاحبك المنطلق زيد اي هذا الشخص الذي تراه من

يجد هو زيد وقد ترى الرجل قائماً بين يديك وعليه ثوب ديباج والرجل ممن
عرفته قديما ثم بَعُدَ عهدك به فتناسيته فتقال لك اللابس الديباج صاحبك
الذي كان يكون عندك في وقت كذا اما تعرفه لشدّ ما نسيت ولا يكون الغرض
ان يثبت له لبس الديباج لاستحالة ذلك من حيث ان رؤيتك الديباج عليه تغنيك
عن اخبار مخبر واثبات مثبت لبسه له فمتى رأيت اسم فاعل او صفة من
الصفات قد بُدِئَ به فجعل مبتدأ وجُعِلَ الذي هو صاحب الصفة
في المعنى خبراً فاعلم ان الغرض هناك غير الغرض اذا كان اسم الفاعل او الصفة
خبراً كقولك زيد المنطلق واعلم انه ربما اشتبهت الصورة في بعض المسائل
من هذا الباب حتى يظن ان المعرفتين اذا وقعتا مبتدأ وخبراً لم يختلف المعنى
فيهما بتقديم وتأخير ومما يوهم ذلك قول النحويين في باب كان اذا اجتمع
معرفتان كنت بالخيار في جعل ايهما شئت اسما والآخر خبرا كقولك كان
زيد اخاك وكان اخوك زيدا فيظن من ههنا ان تكافؤ الاسمين في التعريف
يقتضي ان لا يختلف المعنى بان تبدأ بهذا او تثني بذاك وحتى كان الترتيب الذي
يُدَّعى بين المبتدأ والخبر وما يوضع لهما من المنزلة في التقدم والتأخر يسقط
ويرتفع اذا كان الجزآن معاً معرفتين ومما يوهم ذلك انك تقول الامير زيد
وحسبك والخليفة عبد الملك فيكون المعنى على اثبات الامارة لزيد والخلافة
لعبد الملك كما يكون اذا قلت زيد الامير وعبد الملك الخليفة وتقول لمن
تشاهد ومن هو غائب عن حضرة الامارة ومعدن الخلافة وهكذا
يتوهم في نحو قوله ابوك حُباب سارق الضيف بُرْدَه وجدي يا حجّاج
فارس شمراه

الا انه لا فصل بينه وبين ان يقال حُباب ابوك وفارس شمراء جدك وهو
موضع غامض والذي يبيّن وجه الصواب ويدل على وجوب الفرق
بين المسئلتين انك اذا تأملت الكلام وجدت ما لا يحتمل التسوية وما تجد
الفرق قائما فيه قياما لا سبيل الى دفعه هو الاعم الاكثر وان اردت ان
تعرف ذلك فانظر الى ما قدمت لك من قولك اللابس الديباج زيد وانت
تشير له الى رجل بين يديه ثم انظر الى قول العرب ليس الطيب الا المسك و
قول جرير الستم خير من ركب المطايا ونحو قول المتنبي الست ابن الالى
سعدوا وسادوا واشباه ذلك مما لا يحصى ولا يعد وارد المعنى على ان
تسلم لك مع قلب طرفي الجملة وقل ليس المسك الا الطيب وليس خير من
ركب المطايا اياكم والست ابن الالى سعدوا وسادوا اياك تعلم ان الامر على
ما عرفتك من وجوب اختلاف المعنى بحسب التقدم والتأخر وهنا نكتة
يجب القطع معها بوجوب هذا الفرق ابدا وهي ان المبتدأ لم يكن مبتدأ
لانه منطوق به اولا ولا كان الخبر خبراً لانه مذكور بعد المبتدأ بل كان المبتدأ مبتدأ
لانه مسند اليه ومثبت له المعنى والخبر خبرا لانه مسند ومثبت به المعنى
تفسير ذلك انك اذا قلت زيد منطلق فقد اثبت الانطلاق لزيد واسندته
اليه فزيد مثبت له ومنطلق مثبت به واما تقدم المبتدأ على الخبر لفظا
فحكم واجب من هذه الجهة اي من جهة ان كان المبتدأ هو الذي يثبت له المعنى
ويسند اليه والخبر هو الذي يثبت به المعنى ويسند ولو كان المبتدأ مبتدأ
لانه في اللفظ مقدّم مبدوء به لكان ينبغي ان يخرج عن كونه مبتدأ بان يقال

منطلق زيد ولو جب ان يكون قولهم ان الخبر مقدم في اللفظ والنية به التأخير محالا وإذا كان هذا كذلك ثم جئت بمعرفتين فجعلتهما مبتدأ وخبرا فقد وجب وجوبا ان يكون مثبتا بالثاني معنى للاول فاذا قلت زيد اخوك كنت قد اثبت باخوك معنى لزيد واذا قدمت واخرت فقلت اخوك زيد وجب ان تكون مثبتا بزيد معنى لاخوك والا كان تسميتك له الآن مبتدأ واذ ذاك خبرا تغييرا للاسم عليه من غير معنى ولادى الى ان لا يكون لقولهم المبتدأ والخبر فائدة غير ان يتقدم اسم في اللفظ على اسم من غير ان ينفرد كل واحد منهما بحكم لا يكون لصاحبه وذلك مما لا يشك في سقوطه ومما يدل دلالة واضحة على اختلاف المعنى اذا جئت بمعرفتين ثم جعلت هذا مبتدأ وذاك خبرا تارة وتارة بالعكس قولهم الحبيب انت وانت الحبيب وذلك ان معنى الحبيب انت انه لا فصل بينك وبين من تحبه اذا صدقت المحبة وان مثل المتحابين مثل نفس يقتسمها شخصان كما جاء عن بعض الحكماء انه قال الحبيب انت الا انه غيرك فهذا كما ترى معنى لطيف ونكتة شريفة ولو حاولت ان تفيدها بقولك انت الحبيب حاولت ما لا يصح لان الذي يعقل من قولك انت الحبيب هو ما عناه المتنبي في قوله انت الحبيب ولكني اعوذ به من ان اكون محبا غير محبوب ولا يخفى بعد ما بين الغرضين فالمعنى في قولك انت الحبيب انك انت الذي اختصصته بالمحبة من بين الناس واذا كان كذلك عرفت ان الفرق واجب ابدا وانه لا يجوز ان يكون اخوك زيد وزيد اخوك بمعنى واحد وها هنا شيء يجب النظر فيه وهو ان قولك انت الحبيب كقولنا انت الشجاع تريد انه الذي كملت فيه الشجاعة

ام كقولنا زيد المنطلق تريد انه الذي كان منه الانطلاق الذي سمع المخاطب به واذا نظرنا وجدناه لا يحتمل ان يكون كقولنا انت الشجاع لانه يقتضي ان يكون المعنى انه لا محبة في الدنيا الا ما هو به حبيب كما ان المعنى في هو الشجاع انه لا شجاعة في الدنيا الا ما تجده عنده وما هو شجاع به وذلك محال وامر آخر وهو ان الحبيب فعيل بمعنى مفعول فالمحبة اذا ليست هي له بالحقيقة وانما هي صفة لغيره قد لابسته وتعلقت به تعلق الفعل بالمفعول والصفة اذا وصفت بالكمال وصفت به على ان يرجع ذلك الكمال الى من هي صفة له دون من يلابسه ملابسة المفعول واذا كان كذلك بعد ان يقول انت المحبوب على معنى انت الكامل في كونك محبوبا كما ان بعيدا ان يقال هو المضروب على معنى انه الكامل في كونه مضروبا وان جاء شيء من ذلك جاء على تعسف وتأول لا يتصور ها هنا وذلك ان يقال مثلا زيد هو المظلوم على معنى انه لم يصب احدا ظلم يبلغ في الشدة والشناعة الظلم الذي لحقه فصار كل ظلم سواه عدلا في جنبه ولا يجيء هذا التأويل في قولنا انت الحبيب لانا نعلم انهم لا يريدون بهذا الكلام ان يقولوا ان احدا لم يحب احدا محبتي لك وان ذلك قد ابطل المحبات كلها حتى صرت الذي لا يعقل للمحبة معنى الا فيه وانما الذي يريدون ان المحبة الذي مني بجملتها مقصورة عليك وانه ليس لاحد غيرك حظ في محبة مني واذا كان كذلك بان انه لا يكون بمنزلة انت الشجاع تريد الذي تكامل الوصف فيه الا انه ينبغي مع ذلك ان تعلم ان بين انت الحبيب وبين زيد المنطلق فرقا وهو ان لك في المحبة التي اثبتها طرفا من الجنسية من حيث كان المعنى

ان المحبة متى تحملها مقصورة عليك ولم تتعد الى محبة واحد من محبابك الا
ترى انك قد اعطيت بقولك انت الحبيب انك لا تحب غيره وان لا محبة لاحد
سواه عندك ولا يتصور هذا في زيد المنطلق لانه لا وجه هنالك للجنسية
اذ ليس ثمه الا انطلاق واحد قد عرف المخاطب انه كان واحتاج ان
تعين له الذي كان منه وتنص له عليه فان قلت زيد المنطلق في حاجتك
تريد الذي من شانه ان يسعى في حاجاتك عرض فيه معنى الجنسية حينئذ على
حدها في انت الحبيب وها هنا اصل يجب ان تحكمه وهو ان من شان اسماء
الاجناس كلها اذا وصفت ان تتنوع بالصفة فيصير الرجل الذي هو جنس
واحد اذا وصفت فقلت رجل ظريف ورجل طويل ورجل قصير ورجل
شاعر ورجل كاتب انواعا مختلفة يعد كل نوع منها شيا على حده وتستانف
في اسم الرجل بكل صفة تقرنها اليه جنسية وكذا القول في المصادر تقول
العلم والجهل والضرب والقتل والسير والقيام والقعود فتجد كل
واحد من هذه المعاني جنسا كالرجل والفرس والحمار فاذا وصفت
فقلت علم كذا وعلم كذا كقولك علم ضروري وعلم مكتسب وعلم جلي وعلم
خفي وضرب شديد وضرب خفيف وسير سريع وسير بطي وما شاكل
ذلك انقسم الجنس فيها اقساما وصار انواعا وكان مثلها مثل الشي المجموع
المولف تفرقه فرقا وتشعبه شعبا وهذا مذهب معروف عندهم
واصل متعارف في كل جيل وامة ثم ان ها هنا اصلا هو كالمتفرع على هذا
الاصل او كالنظير له وهو ان من شان المصدر ان يفرق بالصلات كما يفرق

بالصفات ومعنى هذا الكلام انك تقول الضرب فتراه جنسا واحدا فاذا
قلت الضرب بالسيف صار بتعديتك له الى السيف نوعا مخصوصا الا
ترى انك تقول الضرب بالسيف غير الضرب بالعصا تريد انهما نوعان مختلفان
وان اجتماعهما في اسم الضرب لا يوجب اتفاقهما لان الصلة قد فصلت بينهما
وفرقتهما ومن المثال البين في ذلك قول المتنبي وتوهموا اللعب الوغى
والطعن في الهيجا غير الطعن في الميدان لولا ان اختلاف صلة المصدر
يقتضي اختلافه في نفسه وان يحدث فيه انقسام وتنوع لما كان لهذا الكلام
معنى ولكان في الاستحالة كقولك والطعن غير الطعن فقد بان اذا انه انما كان
كل واحد من الطعنين جنسا برأسه غير الآخر بان كان هذا في الهيجا وذاك
في الميدان وهكذا الحكم في كل شي تعدى اليه المصدر وتعلق به فاختلاف
مفعولي المصدر يقتضي اختلافه وان يكون المتعدي الى هذا المفعول غير
المتعدي الى ذاك وعلى ذلك تقول ليس اعطاوك الكثير كاعطايك القليل
وهكذا اذا عديته الى الحال كقولك ليس اعطاوك معسرا كاعطايك موسرا
وليس بذلك وانت مقل كبذلك وانت مكثر واذ قد عرفت هذا من حكم
المصدر فاعتبر به حكم الاسم المشتق منه واذا اعتبرت ذلك علمت ان قولك
هو الوفي حين لا يفي احد وهو الواهب المائة المصطفاة وقوله وهو
الضارب الكتيبة والطعنة تغلو والضرب اغلى واغلى واشباه ذلك
كلها اخبار فيها معنى الجنسية وانها في نوعها الخاص بمنزلة الجنس المطلق
اذا جعلته خبرا فقلت انت الشجاع فكما انك لا تقصد بقولك انت الشجاع

الى شجاعة بعينها قد كانت وعرفت من انسان واردت ان تعرف ممن كانت
بل تريد ان تقصر جنس الشجاعة عليه ولا تجعل لاحد غيره فيه حظا كذلك
لا تقصد بقولك انت الوفي حين لا يفي احد الى وفاء واحد كيف وانت تقول
لا يفي احد وهكذا محال ان تقصد في قوله هو الواهب المائة المصطفاة
الى هبة واحدة لانه يقتضي ان يقصد الى مائة من الابل قد وهبها مرة ثم لم
يعد لمثلها ومعلوم انه خلاف الغرض لان المعنى انه الذي يهب المائة ابدا
والذي يبلغ عطاؤه هذا المبلغ كما تقول هو الذي يعطي مادحه الالف و
الالفين وكقوله وحاتم الطائي وهاب المائي وذلك اوضح من ان يخفى
واصل اخر وهو ان من حقنا ان نعلم ان مذهب الجنسية في الاسم وهو
خبر غير مذهبها وهو مبتدا تفسير هذا انا وان قلنا ان اللام في قولك
انت الشجاع للجنس كما نقوله في قولهم الشجاع موقى والجبان ملقى
فان الفرق بينهما عظيم وذلك لان المعنى في قولك الشجاع موقى انك تثبت
الوقاية لكل ذات من صفتها الشجاعة فهو في معنى قولك الشجعان كلهم
موقون ولست اقول ان الشجاع كالشجعان على الاطلاق وان كان ذلك
ظن كثير من الناس ولكني اريد انك تجعل الوقاية تستغرق الجنس وتشمله
وتشيع فيه واما في قولك انت الشجاع فلا معنى فيه للاستغراق اذ
لست تريد ان تقول انت الشجعان كلهم حتى كانك تذهب به مذهب قولهم
انت الخلق كلهم وانت العالم كما قال ان يجمع العالم في واحد ولكن
لحديث الجنسية هاهنا ماخذا اخر غير ذلك وهو انك تعمد بها الى المصدر

المصدر المشتق منه الصفة وتوجهها اليه لا الى نفس الصفة ثم لك في توجيهها
اليه مسلك دقيق وذلك انه ليس القصد ان تاتي الى شجاعات كثيرة فتجمعها
له وتوجدها فيه ولا ان تقول ان الشجاعات التي تتوهم وجودها في
الموصوفين بالشجاعة هي موجودة فيه لا فيهم هذا كله محال بل المعنى على انك
تقول كنا قد عقلنا الشجاعة وعرفنا حقيقتها وما هي وكيف ينبغي ان يكون
الانسان في اقدامه وبطشه حتى يعلم انه شجاع على الكمال واستقرينا الناس فلم
نجد في واحد منهم حقيقة ما عرفناه حتى اذا صرنا الى المخاطب وجدناه قد
استكمل هذه الصفة واستجمع شرائطها واخلص جوهرها ورسخ فيه سنخها
ويبين لك ان الامر كذلك اتفاق الجميع على تفسيرهم له بمعنى الكامل ولو كان المعنى
على انه استغرق الشجاعات التي تتوهم كونها في الموصوفين بالشجاعة لما قالوا
انه بمعنى الكامل في الشجاعة لان الكمال هو ان تكون الصفة على ما ينبغي ان تكون عليه
وان لا تخالطها ما يقدح فيها وليس الكمال ان تجمع احاد الجنس وينضم بعضه الى
بعض ثم الغرض اذا قلنا انت الشجاع هو الغرض بقولهم هذه هي الشجاعة
على الحقيقة وما عداها جبن وهكذا يكون العلم وما عداه تخييل وهذا هو
الشعر وما سواه فليس بشيء وذلك اظهر من ان يخفى وضرب اخر من الاستدلال
في ابطال ان يكون انت الشجاع بمعنى انك كانك جميع الشجعان على حد انت الخلق
كلهم وهو انك في قولك انت الخلق وانت الناس كلهم وقد جمع العالم منك
في واحد تدعي له جميع المعاني الشريفة المتفرقة في الناس من غير ان تبطل تلك
المعاني وتنفيها عن الناس بل على ان تدعي له امثالها الا ترى انك اذا قلت في

الرجل انه معدود بالف رجل فلست تعني انه معدود بالف لا معنى فيهم ولا فضيلة لهم
بوجه بل تريد انه يعطيك من معاني الشجاعة او العلم او كذا او كذا مجموعاً ما لم يجد
مفرقاً الا في الف رجل واما في نحو انت الشجاع فانك تدعي له انه قد انفرد
بحقيقة الشجاعة وانه قد اوتي فيها مزية وخاصية لم يؤتها احد حتى صار الذي كان يعده
الناس شجاعة عند شجاعته وحتى كان كل اقدام احجام وكل قوة عرفت في الحرب ضعف
وعلى ذلك قالوا جاد حتى بخل كل جواد وحتى منع ان يستحق اسم الجواد احد كما
قال والله لا يجود دعا جواد بها انك لن يلقب بالجواد وكما قال جاد حتى لم
يعرف لاحد جود وحتى كان قد كذب الواصفون الغيث بالجود كما قال
اعطيت حتى تركت الريح حاسرة وجدت حتى كان الغيث لم يجد ○ ○ ○

هذا فصل في الذي خصوصاً اعلم ان لك في الذي علماً كثيراً واسراراً جمة
وخفايا اذا بحثت عنها وتصورتها اطلعت على فوائد تؤنس النفس وتثلج
الصدر بما تفضي بك اليه من اليقين وتؤديه اليك من حسن التبيين والوجه في ذلك
ان تتأمل عبارات لهم فيه لم وضع ولاي غرض اجتلب واشياء وصفوه بها فمن
ذلك قولهم ان الذي اجتلبت ليكون وصلة الى وصف المعارف بالجمل كما اجتلب ذو
ليتوصل به الى الوصف باسماء الاجناس يعنون بذلك انك تقول مررت بزيد الذي
ابوه منطلق وبالرجل الذي كان عندنا امس فتجدك قد توصلت بالذي الى ان ابنت
زيداً من غيره بالجملة التي هي قولك ابوه منطلق ولولا الذي لم تصل الى ذلك كما انك تقول
مررت برجل ذي مال فتتوصل بذي الى ان تبين الرجل من غيره بالمال ولولا ذو لم يتأت لك
ذلك اذ لا تستطيع ان تقول مررت برجل مال فهذه جملة مفهومة الا ان تحتها خبايا

نعني التلقيب بالجود ممن لم
يكن او دهانك لا يجود
نعني منع ان يلقب الناس بالجود
وقوله لا يجود تحمل الهاء لا يفعل

يحتاج الى الكشف عنها فمن ذلك ان تعلم ان اشنع ان يوصف المعرفة بالجملة ولم
يكن حالها في ذلك حال النكرة التي تصفها بها في قولك مررت برجل ابوه منطلق
ورايت انساناً تقاد الجنائب بين يديه وقالوا ان السبب في امتناع ذلك ان الجمل
نكرات كلها بدلالة انها تستفاد وانما يستفاد المجهول دون المعلوم قالوا
فلما كانت كذلك كانت وفقاً للنكرة فجاز وصفها بها ولم يجز ان يوصف بها
المعرفة اذ لم تكن وفقاً لها والقول المبين في ذلك ان يقال انه انما اجتلب حتى اذا
كان قد عرف رجل بقصة وامر جرى له فتخصص بتلك القصة وبذلك الامر عند
السامع ثم اريد القصد اليه ذكر الذي تفسير هذا انك لا تصل الذي الا بجملة من
الكلام قد سبق من السامع علم بها وامر قد عرفه له نحو ان ترى عنده رجلاً ينشده
شعراً فتقول له من غد ما فعل الرجل الذي كان عندك بالامس ينشدك الشعر هذا
حكم الجملة بعد الذي اذا انت وصفت به شيئاً فكان معنى قولهم انه اجتلب ليتوصل
به الى وصف المعارف بالجمل انه جيء به ليفصل بين ان يراد ذكر الشيء بجملة قد عرفها
السامع وبين ان لا يكون الامر كذلك فان قلت قد يؤتى بعد الذي بالجملة غير المعلومة
للسامع وذلك حيث يكون الذي خبراً كقولك هذا الذي كان عندك بالامس وهذا
الذي قدم رسولاً من الحضرة انت في هذا وشبهه تعلم المخاطب امراً لم يسبق
له به علم وتفيده في المشار اليه شيئاً لم يكن عنده ولو لم يكن كذلك لم يكن الذي خبراً
اذ كان لا يكون الشيء خبراً حتى يفاد به فالقول في ذلك ان الجملة في هذا النحو وان
كان المخاطب لا يعلمها لعين من اشرت اليه فانه لابد من ان يكون قد علمها على
الجملة وحدث بها فانك على كل حال لا تقول هذا الذي قدم رسولاً لمن لم يعلم

ان رسولا قدم ولم يبلغه ذلك في جملة ولا تفصيل وكذا اذا قلت هذا الذي كان عندك امس لم تقله لمن لا يعلم انه كان عنده انسان وذهب عن وهمه وانما تقوله لمن ذاك على ذكر منه الا انه يرى رجلا يقبل من بعيد فلا يعلم انه ذاك ويظنه انسانا غيره وعلى الجملة فكل عاقل يعلم فرق ما بين الخبر بالجملة مع الذي وبينها مع غير الذي فليس من احد به طرق الا وهو لا يشك ان ليس المعنى في قولك هذا الذي قدم رسولا من الحضرة كالمعنى اذا قلت هذا قدم رسولا ولا هذا الذي يسكن في محلة كذا كقولك هذا يسكن محلة كذا وليس ذلك الا انك في قولك هذا قدم رسولا من الحضرة مبتدئ خبرا بأمر لم يبلغ السامع ولم يعلمه اصلا وفي قولك هذا الذي قدم رسولا معلم في امر قد بلغه ان هذا صاحبه فلم يخل اذا من الذي بدأنا به امر الجملة مع الذي من انه ينبغي ان يكون جملة قد سبق من السامع علم بها فاعرفه فانه من المسائل التي من جهلها جهل كثيرا من المعاني ودخل عليه الغلط في كثير من الامور والله المعين.

فروق في الحال لها فضل تعلق بالبلاغة

اعلم ان اول فرق في الحال انها تجيء مفردا وجملة والقصد ههنا الى الجملة واول ما ينبغي ان يضبط من امرها انها تجيء تارة مع الواو واخرى بغير الواو فمثال مجيئها مع الواو قولك اتاني وعليه ثوب ديباج وراشه وعلى كتفه سيف ولقيت الامير والجند حوله وجاءني زيد وهو متقلد سيفه ومثال مجيئها بغير واو جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه واتاني عمرو يقود فرسه وفي تمييز ما يقتضي الواو مما لا يقتضيه صعوبة والقول في ذلك ان الجملة اذا كانت من مبتدأ وخبر فالغالب عليها ان تجيء مع الواو كقولك جاءني زيد وعمرو امامه واتاني وسيفه على كتفه فان كان المبتدأ من الجملة ضمير ذي الحال لم يصلح بغير الواو البتة وذلك كقولك جاءني زيد وهو راكب ورأيت زيدا وهو جالس ودخلت عليه وهو يملي الحديث وانتهيت الى الامير وهو يعبي الجيش فلو تركت الواو في شيء من ذلك لم يصلح فلو قلت جاءني زيد هو راكب ودخلت عليه هو يملي الحديث لم يكن كلاما فان كان الخبر في الجملة من المبتدأ والخبر ظرفا ثم كان قد قدم على المبتدأ كقولنا عليه سيف وفي يده سوط كثر فيها ان تجيء بغير واو فمما جاء منه كذلك قول بشار

اذا انكرتني بلدة او نكرتها خرجت مع البازي علي سواد

وقول امية

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا في رأس غمدان دارا منك محلالا

وقول الاخر

لقد صبرت للذل اعواد منبر تقوم عليها في يديك قضيب

كل ذلك في موضع الحال وليس فيه واو كما ترى ولا هو محتمل لها اذا نظرت وقد يجيء ترك الواو فيما ليس الخبر فيه كذلك ولكنه لا يكثر فمن ذلك قولهم كلمته فوه الى في ورجع عوده على بدئه في قول من رفع ومنه بيت الاصلاح

نصف النهار الماء غامره ورفيقه بالغيب لا يدري

ومن ذلك ما انشده الشيخ ابو علي في الاغفال

ولولا جنان الليل ما آب عامر الى جعفر سرباله لم يمزق

ومما ظاهره انه منه قوله

اذا اتيت ابا مروان تسأله وجدته حاضراه الجود والكرم

فقوله حاضراه الجود جملة من المبتدأ والخبر كما ترى وليس فيها واو والموضع موضع حال الا ترى انك تقول اتيته فوجدته جالسا فيكون جالسا حالا ذاك ان وجدت في مثل هذا من الكلام لا يكون المتعدية الى مفعولين ولكن المتعدية الى مفعول واحد كقولك وجدت الضالة الا انه ينبغي ان تعلم ان لتقديمه الخبر الذي هو حاضراه تاثيرا

في معنى الغنى عن الواو وانه لو قال وجدته الجود والكرم حاضران لم يحسن حسنه
الآن وكان السبب في حسنه مع العدم انه يقرب في المعنى من قولك وجدته
حاضره الجود والكرم او حاضرا عنده الجود والكرم وان كانت الجملة من
فعل وفاعل والفعل مضارع مثبت غير منفي لم يكد يجي بالواو بل ترى الكلام
على مجيئها عارية من الواو كقولك جاني زيد يسعى غلامه بين يديه وكقوله وقد علوت
قتود الرحل يسفعني يوم قديديمة الجوزاء مسموم وقوله ولقد اغتدي
يدافع ركني اجودي ذو ميعة اضريج وكذلك قولك جاني زيد يسرع لا فصل
بين ان يكون الفعل لذي الحال وبين ان يكون لمن هو من سببه فان ذلك كله يستمر
على الغنى عن الواو وعليه التنزيل والكلام ومثاله في التنزيل قوله تعالى ولا تمنن
تستكثر وقوله ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى وقوله تعالى ونذرهم في طغيانهم
يعمهون فاما قول ابن همام السلولي فلما خشيت اظافيره نجوت وارهنهم
مالكا فقد رواية من روى وارهنهم وما شبهوه به من قولهم قمت واصك وجهه
فليست الواو فيها للحال وليس المعنى نجوت راهنا مالكا وقمت صاكا
وجهه ولكن ارهن واصك حكاية حال مثل قوله ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت
ثمت قلت لا يعنيني فكما ان امر ها هنا في معنى مررت كذلك يكون ارهن واصك
ها هنا في معنى رهنت وصككت ويبين ذلك انك ترى الفا تجي مكان الواو في مثل
هذا وذلك كنحو ما في الخبر في حديث عبد الله بن عتيك حين دخل على ابي رافع اليهودي
حصنه قال فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم لا ادري اين هو من البيت
فقلت يا ابا رافع فقال من هذا فاهويت نحو الصوت فاضربه بالسيف

وانا دهش فكما ان اضربه مضارع قد عطفه بالفاء على ماض لانه في المعنى ماض
كذلك يكون ارهنهم معطوفا على الماضي قبله وكما لا يشك في ان المعنى في الخبر
فاهويت فضربت كذلك يكون المعنى في البيت نجوت ورهنت الا ان الغرض
في اخراجه على لفظ الحال ان يحكي الحال في احد الخبرين ويدع الآخر على ظاهره
كما كان ذلك في ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثمت قلت الا ان الماضي في هذا
البيت مؤخر معطوف وفي بيت ابن همام وما ذكرناه معه مقدم معطوف
عليه فاعرفه فان دخل حرف نفي على المضارع تغير الحكم فجا بالواو وبتركها
كثيرا وذلك مثل قولهم كنت ولا اخشى بالذئب وقول مسكين الدارمي اكسبته
الورق البيض ابا ولقد كان ولا يدعى لاب وقال مالك بن رفيع وكان جنى
جناية فطلبه مصعب بن الزبير بغاني مصعب وبنو ابيه فاين احيد
عنهم لا احيد اقادوا من دمي وتوعدوني وكنت وما ينهنهني الوعيد ٥
كان في هذا كله تامة والجملة الداخل عليها الواو في موضع الحال الا ترى ان
المعنى وجدت غير خاش للذئب ولقد وجد غير مدعو لاب ووجدت
غير منهنه بالوعيد وغير مبال به ولا معنى لجعلها ناقصة وجعل
الواو مزيدة وليس مجي الفعل المضارع حالا على هذا الوجه بعزيز في
الكلام الا تراك تقول جعلت امشي وما ادري اين اضع رجلي وجعل يقول
ولا يدري وقال ابو الاسود يصيب وما يدري وهو شائع كثير فاما مجي
المضارع منفيا حالا من غير الواو فيكثر ايضا ويحسن فمن ذلك قوله مضوا لا
يريدون الرواح وغالهم من الدهر اسباب جرين على قدر ٥ وقال ارطاة بن
سهية

وهو لطيف جداً إذ تلقني لا ترى غيري بناظرةٍ تنسَ السلاحَ وتعرف جبهة الأسد
فقوله لا ترى في موضع حال ومثله في اللطف والحسن قول أعشى همدان وصحب
عباد بن ورقاء إلى أصبهان فلم يحمده فقال أتينا أصبهان فهزّلتنا وكنا قبل ذلك في
نعيم وكان سفاهةً مني وجهلاً مسيري لا أسير إلى حميم قوله لا أسير إلى حميم
حالٌ من ضمير المتكلم الذي هو الياء في مسيري وهو فاعل في المعنى فكأنه قال و
كان سفاهةً مني وجهلاً أن سرت غير سائرٍ إلى حميم وأن ذهبت غير متوجهٍ
إلى قريب وقال خالد بن يزيد بن معاوية لو أنّ قوماً لارتفاع قبيلةٍ دخلوا السماء
دخلتها لا أُحجَب وهو كثير إلا أنه لا يهتدي إلى وضعه بالموضع المرضي إلا من
كان صحيح الطبع ومما يجيء بالواو وغير الواو الماضي وهو لا يقع حالاً إلا مع
قد مظهرةً أو مقدرةً أما مجيئها بالواو فالكثير الشائع كقولك أتاني وقد جهده
السير وأما بغير الواو فكقوله متى أرى الصبح قد لاحت مخائله والليل
قد مزّقت عنه السرابيل وقول الآخر فآبوا بالرماح مكسّراتٍ وأبنا بالسيوف
قد انحنينا وقال آخر وهو لطيف جداً يمشون قد كسروا الجفون إلى
الوغى متبسّمين وفيهم استبشار ومما يجيء بالواو في الأكثر الأشيع ثم يأتي في
مواضع بغير الواو فيلطف مكانه ويدل على البلاغة الجملة قد دخلها
ليس تقول أتاني وليس عليه ثوب ورأيته وليس معه غيره فهذا هو المعروف
المستعمل ثم قد جاء بغير الواو فكان من الحسن على ما ترى وهو قول الأعرابي
لنا فتًى وحبّذا الأفتاء تعرفه الأرسان والدلاء إذا جرى في كفّه الرشاء
خلّى القليب ليس فيه ماء وممّا ينبغي أن يراعى في هذا الباب أنك ترى الجملة

قد جاءت حالاً بغير واو ويحسن ذلك ثم تنظر فترى ذلك إنما حسن من أجل حرف
دخل عليها مثاله قول الفرزدق فقلت عسى أن تبصريني كأنّما بنيّ حوالَيَّ
الأسود الحوارد قوله كأنما بنيّ إلى آخره في موضع الحال من غير شبهة
ولو أنك تركت كأنّ فقلت عسى أن تبصريني بنيّ حوالَيَّ كالأسود رأيته لا يحسن
حسنه الآن ورأيت الكلام يقتضي الواو كقولك عسى أن تبصريني وبنيّ حوالَيَّ
كالأسود الحوارد وشبيه بهذا أنك ترى الجملة قد جاءت حالاً بعقب مفرد
فلطف مكانها ولو أنك أردت أن تجعلها حالاً من غير أن يتقدمها ذلك المفرد
لم يحسن مثال ذلك قول ابن الرومي والله يبقيك لنا سالماً برداك تبجيل وتعظيم
فقوله برداك تبجيل في موضع حال ثانية ولو أنك أسقطت سالماً من البيت
فقلت والله يبقيك برداك تبجيل لم يكن شيئاً وإذ قد رأيت الجمل الواقعة
حالاً قد اختلف بها الحال هذا الاختلاف الظاهر فلا بدّ من أن يكون ذلك
إنما كان لأجل عللٍ توجبه وأسباب تقتضيه فمحال أن يكون ههنا جملة
لا تصلح إلا مع الواو وأخرى لا تصلح فيها الواو وثالثة تصلح أن تجيء فيها بالواو
وأن تدعها فلا تجيء بها ثم لا يكون لذلك سبب وعلة وفي الوقوف على العلة في
ذلك إشكال وغموض ذاك لأن الطريق إليه غير مسلوك والجهة التي منها تعرف
غير معروفة وأنا أكتب لك أصلاً في الخبر إذا عرفته انفتح لك وجه العلة
في ذلك اعلم أن الخبر ينقسم إلى خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه وخبر
ليس بجزء من الجملة ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له فالأول خبر المبتدأ
كمنطلق في قولك زيد منطلق والفعل كقولك خرج زيد فكل واحد من هذين

جزؤك من الجملة وهو الاصل في الفائدة والثاني هو الحال كقولك جاءني زيد راكبا
وذلك لان الحال خبر في الحقيقة من حيث انك تثبت بها المعنى لذي الحال كما
تثبت بخبر المبتدا للمبتدا وبالفعل للفاعل الا تراك قد اثبت الركوب في قولك
جاءني زيد راكبا لزيد الا ان الفرق انك جئت به لتزيد معنى في اخبارك عنه بالمجيء
وهو ان تجعله بهذه الهيئة في مجيئه ولم تجرد اثباتك للركوب ولم تباشره به
ابتداء بل بدات واثبت المجيء ثم وصلت به الركوب فالتبس به الاثبات
على سبيل التبع لغيره وبشرط ان يكون في صلته واما في الخبر المطلق نحو
زيد منطلق وخرج عمرو فانك اثبت المعنى اثباتا جردته له وجعلته
تباشره من غير واسطة ومن غير ان تتسبب بغيره اليه واذ قد عرفت
هذا فاعلم ان كل جملة وقعت حالا ثم امتنعت من الواو فذاك لاجل
انك عمدت الى الفعل الواقع في صدرها فضممته الى الفعل الاول في اثبات
واحد وكل جملة جاءت حالا ثم اقتضت الواو فذاك لانك مستانف بها خبرا وغير
قاصد ان تضمها الى الفعل الاول في الاثبات تفسير هذا انك اذا قلت جاءني
زيد يسرع كان بمنزلة قولك جاءني مسرعا في انك تثبت مجيئا فيه اسراع وتصل
احد المعنيين بالآخر وتجعل الكلام خبرا واحدا وتريد ان تقول جاءني
كذلك وجاءني بهذه الهيئة وهكذا قوله وقد علوت قتود الرحل يسفعني
يوم قديديمة الجوزاء مسموم كانه قال وقد علوت قتود الرحل بارزا
للشمس ضاحيا وكذلك قوله متى ارى الصبح قد لاحت مخايله لانه في معنى
متى ارى الصبح باديا لائحا بينا متجليا وعلى هذا القياس ابدا واذا قلت

قوله او يوجد عن هذا السابر الكلام بمعنى ... هذا السابر ... مبتدا ... غير اعتماد

جاءني وغلامه يسعى بين يديه ورايت زيدا وسيفه على كتفه كان المعنى على انك
بدات فاثبت المجيء والرؤية ثم استانفت خبرا وابتدات اثباتا ثانيا
لسعي الغلام بين يديه ولكون السيف على كتفه ولما كان المعنى على استئناف
الاثبات احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالاولى فجيء بالواو كما جيء بها في
قولك زيد منطلق وعمرو ذاهب والعلم حسن والجهل قبيح وتسميتنا لها واو
حال لا يخرجها عن ان تكون مجتلبة لضم جملة الى جملة ونظيرها في هذا الفاء في جواب
الشرط نحو ان تاتني فانت مكرم فانها وان لم تكن عاطفة فان ذلك لا يخرجها
من ان تكون بمنزلة العاطفة في انها جاءت لتربط جملة ليس من شانها ان ترتبط
بنفسها فاعرف ذلك ونزل الجملة في نحو جاءني زيد يسرع وقد علوت قتود
الرحل يسفعني يوم منزلة الجزاء الذي يستغني عن الفاء لان من شانه ان يرتبط
بالشرط من غير رابط وهو قولك ان تعطني اشكرك ونزل الجملة في جاءني زيد وهو
راكب منزلة الجزاء الذي ليس من شانه ان يرتبط بنفسه ويحتاج الى الفاء كالجملة
في نحو ان تاتني فانت مكرم قياسا سويا وموازنة صحيحة فان قلت
قد علمنا ان علة دخول الواو على الجملة ان تستانف الاثبات ولا تنصل المعنى
المعنى الثاني بالاول في اثبات واحد ولا تنزل الجملة منزلة المفرد ولكن بقي
ان نعلم لم كان بعض الجمل بان يكون تقديرها تقدير المفرد في ان لا تستانف
بها الاثبات اولى من بعض وما الذي منع في قولك جاءني زيد وهو يسرع
او وهو مسرع ان يدخل الاسراع في صلة المجيء ويضامه في الاثبات كما كان
حين قلت جاءني زيد يسرع فالجواب ان السبب في ذلك ان المعنى

ذلك

في قولك جاني زيد وهو يسرع على اسناد اثبات للسرعة ولم يكن ذلك في جاني زيد يسرع وذلك انك اذا اعدت ذكر زيد فجئت بضميره المنفصل المرفوع كان بمنزلة ان تعيد اسمه صريحا فتقول جاني زيد وزيد يسرع في انك لا تجد سبيلا الى ان تدخل يسرع في صلة المجي وتضممه اليه في الاثبات وذلك ان اعادتك ذكر زيد لا يكون حتى تقصد استيناف الخبر عنه بانه يسرع وحتى تبتدي اثباتا للسرعة لانك ان لم تفعل ذلك تركت المبتدا الذي هو ضمير زيد او اسم الظاهر بمضيعة وجعلته لغوا في البين وجرى مجرى ان تقول جاني زيد وعمرو يسرع امامه ثم تزعم انك لم تستانف كلاما ولم تبتدي للسرعة اثباتا وان حال يسرع ها هنا حاله اذا قلت جاني زيد يسرع فجعلت السرعة له ولم تذكر عمرا وذلك محال فان قلت انما استحال في قولك جاني زيد وعمرو يسرع امامه ان ترد يسرع الى زيد وتنزله منزلة قولك جاني زيد يسرع من حيث كان في يسرع ضمير لعمرو وتضمنه ضمير عمرو يمنع ان يكون لزيد وان يقدر حالا له وليس كذلك جاني زيد وهو يسرع لان السرعة هناك لزيد لا محالة فكيف ساغ ان يعتبر احدى المسئلتين على الاخرى قيل ليس المانع ان يكون يسرع في قولك جاني زيد وعمرو يسرع امامه حالا من زيد انه فعل لعمرو فانك لو اخرت عمرا فرفعته بيسرع واوليت يسرع زيدا فقلت جاني زيد يسرع عمرو امامه وجدته قد صلح حالا لزيد مع انه فعل لعمرو وانما المانع ما عرفتك من انك تدع عمرا بمضيعة وتجي به مبتدا ثم لا تعطيه خبرا ومما يدل على فساد ذلك انه يؤدي الى ان يكون

حاشيه
استيناف ذكره يقتضي
استيناف القصد اليه

يسرع قد احتمع في موضعه النصب والرفع وذلك ان جعله حالا من زيد يقتضي ان يكون في موضع نصب وجعله خبرا عن عمرو المرفوع بالابتدا يقتضي ان يكون في موضع رفع وذلك بين التدافع ولا يجب هذا التدافع اذا اخرت عمرا فقلت جاني زيد يسرع امامه عمرو لانك ترفعه بيسرع على انه فاعل له واذا ارتفع به لم يوجب في موضعه اعرابا فيبقى مفرغا لان يقدر فيه النصب على انه حال من زيد وجرى مجرى ان تقول جاني زيد مسرعا امامه عمرو فان قلت فقد يجي على هذا الاصل ان لا يجي جملة من مبتدا وخبر حالا الا مع الواو وقد ذكرت قبل ان ذلك قد جا في مواضع من كلامهم فالجواب ان القياس والاصل ان لا يجي جملة من مبتدا وخبر حالا الا مع الواو واما الذي جا من ذلك فسبيله سبيل الشي يخرج عن اصله وقياسه والظاهر فيه يضرب من التاويل ونوع من التشبيه فقولهم كلمته فوه الى في انما حسن بغير واو من اجل ان المعنى كلمته مشافها له وكذلك قولهم رجع عوده على بدئه انما جا الرفع فيه والاسم آخر عن الواو لان المعنى رجع ذاهبا في طريقه الذي جا فيه واما قوله وجدته حاضراه الجود والكرم فلان تقديم الخبر الذي هو حاضراه يجعله كانه قال وجدته حاضرا عنده الجود والكرم وليس الحمل على المعنى وتنزيل الشي منزلة غيره بعزيز في كلامهم وقد قالوا زيد اضربه فاجازوا ان يكون مثال الامر في موضع الخبر لان المعنى على النصب نحو اضرب زيدا ووضع الجملة من المبتدا والخبر موضع الفعل والفاعل في نحو قوله تعالى ادعوتموهم ام انتم صامتون لان الاصل

حاشيه
[illegible] المسله [illegible] ان زيد [illegible] وعمرو يسرع [illegible] فلا [illegible] نصب [illegible] على انه حال [illegible] عمرو مبتدا [illegible] ويسرع الذي [illegible] وكذلك جاني زيد وعمرو يسرع عمرو واذا قلت جاني زيد [illegible] امامه [illegible] موضع الفعل [illegible] مسرعا عمرو امامه [illegible] اذا تقدم [illegible] واذا تاخر [illegible] ما زيد وعمرو مبتدا [illegible] احتاج الى ضمير [illegible] حالا معا والله اعلم

في المعادلة أن تكون الثانية كالأولى نحو أدعوتموهم أم صمتّم ويدل على أنه ليس
يجيء الجملة من المبتدأ والخبر حالًا بغير الواو أصلًا قلّته وأنه لا يجيء إلا في
الشيء بعد الشيء هذا ويجوز أن يكون ما جاء من ذلك إنما جاء على إرادة الواو
كما جاء الماضي على إرادة قد واعلم أن الوجه فيما كان مثل قول بشار خرجت
مع البازي عليّ سوادُ أن يؤخذ فيه بمذهب أبي الحسن فيرفع سوادٌ
بالظرف دون أن يكون مبتدأ ويجري الظرف ههنا مجراه إذا جرت الجملة صفة
على النكرة نحو مررتُ برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا وذلك أن صاحب
الكتاب يوافق أبا الحسن في هذا الموضع فيرفع صقرًا بما في معه من معنى
الفعل فكذلك يجوز أن يجري الحال مجرى الصفة فيرفع الظاهر بالظرف
إذا هو جاء حالًا فيكون ارتفاع سوادٌ بما في عليّ من معنى الفعل لا بالابتداء
ثم ينبغي أن يقدَّر ههنا خصوصًا أن الظرف في تقدير اسم فاعل لا فعل
أعني أن يكون المعنى خرجت كائنًا عليّ سوادٌ أو باقيًا عليّ سوادٌ
ولا يقدّر خرجت يكون عليّ سوادٌ أو يبقى عليّ سواد اللهم إلا أن
يقدّر فيه فعلًا ماضيًا مع قد كقولك خرجت مع البازي قد بقي عليّ
سواد والأول أظهر وإذا تأملت الكلام وجدت الظرف وقد
وقع مواقع لا يستقيم فيها إلا أن يقدّر تقدير اسم فاعل ولذلك قال أبو بكر
في قولنا زيد في الدار إنك مخيّر بين أن تقدّر فيه فعلًا فتقول استقرّ في
الدار وبين أن تقدّر اسم فاعل فتقول مستقرّ في الدار وإذا عاد الأمر إلى
هذا كان الحال في ترك الواو ظاهرةً وكان سواد في قوله خرجت عليّ سواد

مع البازي ص

بمنزلة قضاءَ الله في قوله سأغسل عنّي العارَ بالسيف جالبًا عليّ قضاءَ
الله ما كان جالبًا في كونه اسمًا ظاهرًا قد ارتفع باسم فاعل قد اعتمد
على ذي حال فعمل عمل الفعل ويدلك على أن التقدير فيه ما ذكرت وأنه
من أجل ذلك حسن أنك تقول جاءني زيد والسيف على كتفه وخرج والتاج
عليه فتجده لا يحسن إلا بالواو وتعلم أنك لو قلت جاءني زيد السيف
على كتفه وخرج التاج عليه كان كلامًا نافرًا لا يكاد يقع في الاستعمال
وذلك لأنه بمنزلة قولك جاءني وهو متقلّد سيفه وخرج وهو لابس
التاج في أن المعنى على أنك استأنفت كلامًا وابتدأت إثباتًا وأنك لم ترد
جاءني كذلك ولكن جاءني وهو كذلك فاعرفه ۝

القول في الفصل والوصل

اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء
بها منثورةً تستأنف واحدةٌ منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يتأتى لتمام الصواب
فيه إلا الأعرابُ الخُلَّص وإلا قومٌ طُبعوا على البلاغة وأوتوا فنًّا من المعرفة في ذوق
الكلام هم بها أفرادٌ وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة فقد جاء عن
بعضهم أنه سُئل عنها فقال معرفة الفصل من الوصل ذاك لغموضه ودقة مسلكه وأنه
لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ إلا كمل لسائر معاني البلاغة واعلم أن سبيلنا أن ننظر
إلى فائدة العطف في المفرد ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونعرف حالها ومعلوم
أن فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول وأنه إذا أشركه في إعرابه
فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله والمعطوف
على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أو له شريك له في ذلك وإذا كان هذا أصله في المفرد

انما سئل عن ذلك ابو تمام

فان الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين احدهما ان يكون للمعطوف عليها موضع
من الاعراب واذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد اذ لا يكون للجملة موضع من الاعراب
حتى تكون واقعة موقع المفرد واذا كانت الجملة الاولى واقعة موقع المفرد كان عطف
الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد وكان وجه الحاجة الى الواو ظاهرا
والاشراك بها في الحكم موجودا فاذا قلت مررت برجل خَلْقه حسن وخُلُقه قبيح
كنت قد اشركت الجملة الثانية في حكم الاولى وذلك الحكم كونها في موضع جر بانها
صفة للنكرة ونظائر ذلك تكثر والامر فيها يسهل والذي يشكل امره هو الضرب
الثاني وذلك ان تعطف على الجملة العارية الموضع من الاعراب جملة اخرى كقولك زيد
قائم وعمرو قاعد والعلم حسن والجهل قبيح لا سبيل لنا الى ان ندعي ان الواو اشركت الثانية
في اعراب قد وجب للاولى بوجه من الوجوه واذا كان كذلك فينبغي ان تعلم
المطلوب من هذا العطف والمغزى منه ولم لم تستو الحال بين ان تعطف وبين ان
تدع العطف فتقول زيد قائم عمرو قاعد بعد ان لا يكون هنا امر معقول يؤتى
بالعاطف ليشرك بين الاولى والثانية فيه واعلم انه انما يعرض الاشكال في الواو دون
غيرها من حروف العطف وذلك لان تلك تفيد مع الاشراك معاني مثل ان الفاء
توجب الترتيب من غير تراخ وثم توجبه مع تراخ واو تردد الفعل بين
شيئين وتجعله لاحدهما لا بعينه فاذا عطفت بواحدة منها الجملة على الجملة
ظهرت الفائدة فاذا قلت اعطاني فشكرته ظهر بالفاء ان الشكر كان معقبا على
العطاء ومسببا عنه واذا قلت خرجت ثم خرج زيد افادت ثم ان خروجه
كان بعد خروجك وان مهلة وقعت بينهما واذا قلت يعطيك او يكسوك

دلت او على انه يفعل واحدا منهما لا بعينه وليس للواو معنى سوى الاشراك في الحكم
الذي يقتضيه الاعراب الذي اتبعت فيه الثاني الاول فاذا قلت جاءني زيد وعمرو لم
تفد بالواو شيئا اكثر من اشراك عمرو في المجيء الذي اثبتّه لزيد والجمع بينه وبينه ولا
يتصور اشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الاشراك فيه واذا كان ذلك
كذلك ولم يكن معنا في قولنا زيد قائم وعمرو قاعد معنى نزعم ان الواو اشركت بين هاتين
الجملتين فيه ثبت اشكال المسألة ثم ان الذي يوجبه النظر والتأمل ان يقال في ذلك انا
وان كنا اذا قلنا زيد قائم وعمرو قاعد فانا لا نرى هاهنا حكما نزعم ان الواو جاءت
للجمع بين الجملتين فيه فانا نرى امرا آخر نحصل معه على معنى الجمع وذلك انا لا نقول
زيد قائم وعمرو قاعد حتى يكون عمرو بسبب من زيد وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين
وبحيث اذا عرف السامع حال الاول عناه ان يعرف حال الثاني يدلك على ذلك انك
ان جئت فعطفت على الاول شيئا ليس منه بسبب ولا هو مما يذكر بذكره ويتصل
حديثه بحديثه لم يستقم فلو قلت خرجت اليوم من داري ثم قلت واحسن الذي يقول
بيت كذا قلت ما يضحك منه ومن هنا عابوا ابا تمام في قوله لا والذي هو عالم ان
النوى صبر وان ابا الحسين كريم وذلك لانه لا مناسبة بين كرم ابي الحسين ومرارة النوى
ولا تعلق لاحدهما بالآخر وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك واعلم انه كما
يجب ان يكون المحدث عنه في احدى الجملتين بسبب من المحدث عنه في الاخرى كذلك
ينبغي ان يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير او النقيض للخبر عن الاول
فلو قلت زيد طويل القامة وعمرو شاعر كان خلفا لانه لا مشاكلة ولا تعلق بين طول
القامة وبين الشعر وانما الواجب زيد كاتب وعمرو شاعر وزيد طويل القامة

وعمرو وقصر وجملة الأمر أنها لا تجيء حتى يكون المعنى في هذه الجملة لِفقًا للمعنى في الأخرى
ومُضامًّا له مثل أن زيدًا وعمرًا إذا كانا أخوين أو نظيرين أو مشتبكي الأحوال على الجملة
كانت الحال التي يكون عليها أحدهما من قيام أو قعود أو ما شاكل ذلك مضمومة في النفس
إلى الحال التي يكون عليها الآخر من غير شك وكذا السبيل أبدًا والمعاني في ذلك
كالأشخاص فإنما قلت مثلًا العلم حسن والجهل قبيح لأن كون العلم حسنًا مضموم
في العقول إلى كون الجهل قبيحًا واعلم أنه إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدًا كقولنا
هو يقول ويفعل ويضر وينفع ويسيء ويحسن ويأمر وينهى ويحل ويعقد ويأخذ
ويعطي ويبيع ويشتري ويأكل ويشرب وأشباه ذلك ازداد معنى الجمع في الواو
قوةً وظهورًا وكان الأمر حينئذ صريحًا وذلك أنك إذا قلت هو يضر وينفع كنت
قد أفدت بالواو أنك أوجبت له الفعلين جميعًا وجعلته يفعلهما معًا
ولو قلت يضر ينفع من غير واو لم يجب ذلك بل قد يجوز أن يكون قولك ينفع
رجوعًا عن قولك يضر وإبطالًا له وإذا وقع الفعلان في مثل هذا في الصلة
ازداد الاشتباك والاقتران حتى لا يتصور تقدير إفراد في أحدهما عن الآخر وذلك
في مثل قولك العجب من أني أحسنت وأسأت ويكفيك ما قلت وسمعت و
أيحسن أن تنهى عن شيء وتأتي مثله وذلك أنه لا يشتبه على عاقل أن المعنى على جعل
الفعلين في حكم فعل واحد ومن البين في ذلك قوله شعر لا تطمعوا أن تهينونا
ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا المعنى لا تطمعوا أن تروا إكرامنا قد
وجد مع إهانتكم وجامعها في الحصول ومما له مأخذ لطيف في هذا الباب قول
أبي تمام لهان علينا أن نقول وتفعلا ونذكر بعض الفضل منك وتفضلا

واعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله فيستغني بصلة معناه له عن
واصل يصله ورابط يربطه وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف
إلى شيء يصلها به وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد كذلك يكون في
الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغني بربط معناها لها عن حرف
عطف يربطها وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها وكانت إذا
حصلت لم تكن شيئًا سواها كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتأكيد غير
المؤكد فإذا قلت جاءني زيد الظريف وجاءني القوم كلهم لم يكن الظريف وكلهم غير
زيد وغير القوم ومثال ما هو من الجمل كذلك قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
قوله لا ريب فيه بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ذلك الكتاب وزيادة تثبيت له وبمنزلة
أن تقول هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب فتعيده مرة ثانية لتثبته وليس
تثبيت الخبر غير الخبر ولا شيء يتميز عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه وعاطف
يعطفه عليه ومثل ذلك قوله تعالى إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا
يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم
قوله لا يؤمنون تأكيد لقوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وقوله ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم تأكيد ثان أبلغ من الأول لأن من كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذا
لم ينذر كان في غاية الجهل وكان مطبوعًا على قلبه لا محالة وكذا قوله تعالى ومن
الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله إنما قيل
يخادعون ولم يقل ويخادعون لأن هذه المخادعة ليست شيئًا غير قولهم آمنا
بالله من غير أن يكونوا مؤمنين فهو إذًا كلام أكد به كلام آخر هو في معناه وليس

شيئا سواه وكذلك قوله عز وجل واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون وذلك لان معنى قولهم انا معكم انا لم نؤمن
بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم نترك اليهودية وقولهم انما نحن مستهزون خبر بهذا المعنى بعينه
لانه لا فرق بين ان يقولوا انا لم نقل ما قلناه من انا آمنا الا استهزاءً وبين ان يقولوا انا
لم نخرج من دينكم وانا معكم بل هما في حكم الشيء الواحد فصار كانهم قالوا انا معكم انا
لم نفارقكم فكما لا يكون انا لم نفارقكم شيئا غير انا معكم كذلك لا يكون انما نحن مستهزون
غيره فاعرفه ومن الواضح البين في هذا المعنى قوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا
كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا لان المقصود من التشبيه بمن في اذنيه وقر هو بعينه
المقصود من التشبيه بمن لم يسمع الا ان الثاني ابلغ وآكد في الذي أُريد وذلك ان المعنى
في التشبيهين جميعا ان ينفى ان يكون لتلاوة ما تلي عليه من الآيات فائدة معه ويكون
لها تأثير فيه وان يجعل حاله اذا تليت عليه كحاله اذا لم تتل ولا شبهة في ان التشبيه
بمن في اذنيه وقر ابلغ وآكد في جعله كذلك من حيث كان من لا يصح منه السمع وان
اراد ذلك ابعد من ان يكون لتلاوة ما يتلى عليه فائدة من الذي يصح منه السمع الا انه
لا يسمع اما اتفاقا واما قصدا الى ان لا يسمع فاعرفه واحسن تدبره ومن اللطيف
في ذلك قوله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وذلك ان قوله ان هذا الا ملك كريم
مشابك لقوله ما هذا بشرا وداخل في ضمنه من ثلاثة اوجه وجهان هو فيهما شبيه
بالتأكيد ووجه هو فيه شبيه بالصفة فاحد وجهي كونه شبيها بالتأكيد هو انه
اذا كان ملكا لم يكن بشرا واذا كان كذلك كان اثبات كونه ملكا تحقيقا لا محالة وتأكيدا
لنفي ان يكون بشرا والوجه الثاني ان الجاري في العرف والعادة انه اذا قيل ما هذا

أن صح

بشرا وما هذا بآدمي والحال حال تعظيم وتعجب مما يشاهد في الانسان من حسن
خَلق او خُلق ان يكون الغرض والمراد من الكلام ان يقال انه ملك وان يكنى به عن ذلك حتى
انه يكون مفهوم اللفظ واذا كان مفهوما من اللفظ قبل ان يذكر كان ذكره اذاً تأكيدا ذكره صح
لا محالة لان حد التأكيد ان تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك افلا
ترى انه انما كان كلهم في قولك جاءني القوم كلهم تأكيدا من حيث كان الذي فهم منه من الشمول
قد فهم بديا من ظاهر لفظ القوم ولو انه لم يكن فهم الشمول من لفظ القوم ولا كان هو من
موجبه لم يكن كل تأكيدا ولكان الشمول مستفادا من كل ابتداء واما الوجه الثالث
الذي هو فيه شبيه بالصفة فهو انه اذا نفى ان يكون بشرا فقد اثبت له جنس سواه اذ من
المحال ان يخرج من جنس البشر ثم لا يدخل في جنس آخر واذا كان الامر كذلك كان اثباته
ملكا تبيينا وتعيينا لذلك الجنس الذي اريد ادخاله فيه واغناء عن ان يحتاج الى ان
يُسأل فيقال فان لم يكن بشرا فما هو وما جنسه كما انك اذا قلت مررت بزيد
الظريف كان الظريف تبيينا وتعيينا للذي اردت من بين من له هذا الاسم وكنت
قد اغنيت المخاطب عن الحاجة الى ان يقول اي الزيدين اردت ومما جاء فيه الاثبات
بإن والا على هذا الحد قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن
مبين وقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى افلا ترى ان الاثبات في الآيتين
جميعا تأكيد وتثبيت لنفي ما نفي فاثبات ما علمه النبي عليه السلام واوحي اليه ذكرا
وقرآنا تأكيد وتثبيت لنفي ان يكون قد علم الشعر وكذلك اثبات ما يتلوه عليهم
وحيا من الله تأكيد وتقرير لنفي ان يكون نطق به عن هوى واعلم انه ما من علم من علوم
البلاغة انت تقول فيه انه خفي غامض ودقيق صعب الا وعلم هذا الباب

أغمض منه وأخفى وأدق وأصعب وقد قنع الناس فيه بأن يقولوا إذا رأوا جملة
قد ترك فيها العطف إن الكلام قد استؤنف وقطع عما قبله لا تطلب أنفسهم منهم
زيادة على ذلك ولقد غفلوا غفلة شديدة ومما هو أصل في هذا الباب أنك قد
ترى الجملة وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن إلى ما قبله ثم تراها قد وجب
فيها ترك العطف لأمر عرض فيها صارت به أجنبية مما قبلها مثال ذلك قول الله تعالى
الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون الظاهر كما لا يخفى يقتضي أن يعطف على
ما قبله من قوله إنما نحن مستهزئون وذلك أنه ليس بأجنبي منه بل هو نظير ما جاء
معطوفا من قوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وقوله ومكروا ومكر الله وما
أشبه ذلك مما يرد فيه العجز على الصدر ثم إنك تجده قد جاء غير معطوف وذلك
لأمر أوجب أن لا يعطف وهو أن قوله إنما نحن مستهزئون حكاية عنهم أنهم قالوا
وليس بخبر من الله وقوله تعالى الله يستهزئ بهم خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم
واستهزائهم وإذا كان كذلك كان العطف ممتنعا لاستحالة أن يكون الذي هو خبر
من الله معطوفا على ما هو حكاية عنهم ولإيجاب ذلك أن يخرج من كونه خبرا من الله
تعالى إلى كونه حكاية عنهم وإلى أن يكونوا قد شهدوا على أنفسهم بأنهم مؤاخذون وأن
الله تعالى معاقبهم عليه وليس كذلك الحال في قوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم
ومكروا ومكر الله لأن الأول من الكلامين فيهما كالثاني في أنه خبر من الله وليس بحكاية
وهذا هو العلة في قوله وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون
ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون إنما جاء إنهم هم المفسدون مستأنفا مفتتحا
بألا لأنه خبر من الله تعالى بأنهم كذلك والذي قبله من قوله إنما نحن مصلحون حكاية عنهم

بأنهم مفسدون انهم

فلو عطف للزم عليه مثل الذي قدمت ذكره من الدخول في الحكاية ولصار خبرا
من اليهود ووصفا منهم لأنفسهم بأنهم هم المفسدون ولصار كأنه قيل قالوا إنما نحن
مصلحون وقالوا إنهم هم المفسدون وذلك ما لا يشك في فساده وكذلك قوله وإذا
قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
لو عطف إنهم هم السفهاء على ما قبله لكان يكون قد أدخل في الحكاية ولصار حديثا منهم
عن أنفسهم بأنهم هم السفهاء من بعد أن زعموا أنهم إنما تركوا أن يؤمنوا لئلا يكونوا
من السفهاء على أن في هذا أمرا آخر وهو أن قوله أنؤمن استفهام ولا يعطف
الخبر على الاستفهام فإن قلت هل كان يجوز أن يعطف قوله الله يستهزئ بهم على
قالوا من قوله قالوا إنا معكم لا على ما بعده وكذلك كان يعطف ألا إنهم هم المفسدون
وإنهم هم السفهاء وكان يكون نظير قوله وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا
لقضي الأمر وذلك أن قوله ولو أنزلنا ملكا معطوف من غير شك على قالوا دون
ما بعده قيل إن حكم قالوا فيما نحن فيه مخالف لحكمه في الآية التي ذكرت وذلك أن
~~قالوا ها هنا جواب~~ وذلك أن قالوا ها هنا جواب شرط فلو عطف قوله الله يستهزئ
بهم عليه للزم إدخاله في حكمه من كونه جوابا وذلك لا يصح وذلك أنه متى عطف على
جواب الشرط شيء بالواو كان ذلك على ضربين أحدهما أن يكونا شيئين يتصور وجود
كل واحد منهما دون الآخر ومثاله قولك إن تأتني أعطك وأكسك والثاني أن
يكون المعطوف شيئا لا يكون حتى يكون المعطوف عليه ويكون الشرط لذلك سببا
فيه بواسطة كونه سببا للأول ومثاله قولك إذا رجع الأمير إلى الدار استأذنته
وخرجت فالخروج لا يكون حتى يكون الاستئذان وقد صار الرجوع سببا في

الخروج من اجل كونه سابقاً في الاستيذان فيكون المعنى في مثل هذا على كلام مثل نحو اذا
رجع الامير استاذنت واذا استاذنت خرجت واذ قد عرفت ذلك فانه لو عطف
قوله الله يستهزئ بهم على ما قالوا لكان عمت كان الذي يقصد به لم يكون من هذا الضرب
الثاني وان يكون المعنى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون فاذا
قالوا ذلك استهزأ الله بهم ومدهم في طغيانهم وهذا وان كان يرى انه يستقيم فليس
هو بمستقيم وذلك ان الجزاء انما هو على نفس الاستهزاء وفعلهم له وارادتهم اياه
في قولهم انا امنا لا على انهم حدّثوا عن انفسهم بانهم مستهزءون والعطف على قالوا
يقتضي ان يكون الجزاء على حديثهم عن انفسهم بالاستهزاء لا عليه نفسه ويبين ما ذكرناه
من ان الجزاء ينبغي ان يكون على قصدهم الاستهزاء وفعلهم له لا على حديثهم عن انفسهم بانا
مستهزءون انهم لو كانوا قالوا لكبرائهم انما نحن مستهزءون وهم يريدون بذلك دفعهم
عن انفسهم بهذا الكلام وان يتسلموا من شرهم وان يوهموهم انهم منهم وان لم يكونوا
كذلك لكان لا يكون عليهم مؤاخذة فيما قالوه من حيث كانت المؤاخذة تكون على
اعتقاد الاستهزاء والخديعة في اظهار الايمان لا في القول انا استهزأنا من غير ان
يقترن بذلك القول اعتقاد ونية وههنا امر سوى ما مضى يوجب الاستئناف
وترك العطف وهو ان الحكاية عنهم بانهم قالوا كيت وكيت تحرك السامعين لان
يعلموا مصير امرهم وما يصنع بهم وانه تنزل بهم النقمة عاجلاً ام لا تنزل ويمهلون
ويوقع في انفسهم التمني لان يتبين لهم ذلك واذا كان كذلك كان هذا الكلام الذي هو
قوله الله يستهزئ بهم في معنى ما صدر جواباً عن هذا المقدر وقوعه في انفس السامعين
واذا كان مصدره كذلك كان حقه ان يؤتى به مبتدأ غير معطوف ليكون في صورته

اذا قيل فان سألهم قيل لكم الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون واذا استقريت
وجدت هذا الذي ذكرت لك من تنزيلهم الكلام اذا جاء بعقب ما يقتضي سؤالاً
منزلته اذا صرح بذلك السؤال كثيراً فمن لطيف ذلك قوله زعم العواذل انني في غمرة
صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي لما حكى عن العواذل انهم قالوا هو في غمرة وكان ذلك مما
يحرك السامع لان يسأله فيقول فما قولك في ذلك وما جوابك عنه اخرج الكلام مخرجه
اذا كان ذلك قد قيل وصار كانه قال اقول صدقوا انا كما قالوا ولكن لا مطمع لهم في
فلاحي ولو قال زعم العواذل انني في غمرة وصدقوا لكان يكون لم يصح في نفسه انه
مسؤول وان كلامه كلام مجيب ومثله قول الاخر في الحماسة زعم العواذل ان ناقة
جندب بجنوب خبت عريت واجمت كذب العواذل لو رأين مناخنا بالقادسية
قلن لج وذلت وقد زاد هذا امر القطع والاستئناف وتقدير الجواب تاكيداً
بان وضع الظاهر موضع المضمر فقال كذب العواذل ولم يقل كذبن وذلك انه
لما اعاد ذكر العواذل ظاهراً كان ذلك ابين واقوى لكونه كلاماً مستأنفاً من
حيث وضعه وضعاً لا يحتاج فيه الى ما قبله واتى به مأتى ما ليس قبله كلام ومما
هو على ذلك قول الاخر زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف وذلك
ان قوله لهم الف تكذيب لدعواهم انهم من قريش فهو اذاً بمنزلة ان يقول كذبتم لهم الف
وليس لكم ذلك ولو قال زعمتم ان اخوتكم قريش ولهم الف وليس لكم الاف لصار
بمنزلة ان يقول زعمتم ان اخوتكم قريش وكذبتم في انه كان يخرج عن ان يكون موضوعاً
على انه جواب سائل يقول له فماذا تقول في زعمهم ذلك وفي دعواهم فاعرفه
واعلم انه لو اظهر كذبهم لكان يجوز له ان يعطف هذا الكلام الذي هو قوله لهم الف

عليه بالفاء فقوله كذبتم فلهم الف وليس لكم ذلك فاما الان فلا امتناع لدخول الفاء البتة
لانه يصير حينئذ معطوفا بالفاء على قوله زعمتم اذا خونتكم فرس وذلك يخرج الى
المحال من حيث يصير كانه يستشهد بقوله لهم الف على ان هذا الزعم كان منكم كما انك
اذا قلت كذبتم فلهم الف كنت قد استشهدت بذلك على انهم كذبوا فاعرف ذلك
ومن اللطيف في الاستيناف على معنى جعل الكلام جوابا في التقدير قول اليزيدي
مَلَّكْتُهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ أَلْقَاهُ مِن زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي وَقَالَ إِنِّي فِي الهَوَى كَاذِبٌ انتقم الله من الكاذبِ
استانف قوله انتقم الله من الكاذب لانه جعل نفسه كانه يجيب سائلا قال له فما تقول
فيما اتهمك به من انك كاذب فقال انتقم الله من الكاذب ومن النادر في ذلك ايضا قول
الاخر قال لي كيف انت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل لما كان في العادة اذا
قيل للرجل كيف انت فقال عليل ان يسأل ثانيا فيقال ما بك وما علتك قدر كانه قد
قيل له ذلك فاتى بقوله سهر دائم جوابا عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحال فاعرفه
ومن الحسن البين في ذلك قول المتنبي وما عفت الرياح له محلا عفاه من حدا بهم
وساقا لما نفى ان يكون الذي يرى به من الدروس والعفاء من الرياح وان تكون التي فعلت
ذلك وكان في العادة اذا نفي الفعل الموجود الحاصل عن واحد فقيل لم يفعله
فلان ان يقال فمن فعله قدر كان قائلا قال قد زعمت ان الرياح لم تعف له محلا
فما عفاه اذا فقال مجيبا له عفاه من حدا بهم وساقا ومثله قول الوليد بن يزيد
عرفت المنزل الخالي عفا من بعد احوال عفاه كل حنان عسوف الوبل هطال
لما قال عفا من بعد احوال قدر كانه قيل له فما عفاه فقال عفاه كل حنان واعلم
ان السؤال اذا كان ظاهرا مذكورا في مثل هذا كان الاكثر ان لا يذكر الفعل في الجواب

ويقتصر على الاسم وحده فاما مع الاضمار فلا يجوز الا ان يذكر الفعل تفسير هذا
انه يجوز لك اذا قيل لك ان كانت الرياح لم تعفه فما عفاه ان تقول من حدا بهم وساق
ولا تقول عفاه من حدا كما تقول في جواب من يقول من فعل هذا زيد ولا يجب
ان تقول فعله زيد واما اذا لم يكن السؤال مذكورا كالذي عليه البيت فانه لا يجوز ان
تترك ذكر الفعل فلو قلت مثلا وما عفت الرياح له محلا من حدا بهم وساقا تزعم
انك اردت عفاه من حدا بهم ثم تركت ذكر الفعل احلت لانه انما يجوز تركه حيث يكون
السؤال مذكورا لان ذكره فيه يدل على ارادته في الجواب فاذا لم يؤت بالسؤال لم يكن
الى العلم به سبيل فاعرف ذلك واعلم ان الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصولا غير
معطوف هذا هو التقدير فيه والله اعلم اعني مثل قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف
ابرهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله
فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف جاء على
ما يقع في انفس المخلوقين من السؤال فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين
اذا قيل لهم دخل قوم على فلان فقالوا كذا ان يقولوا فما قال هو ويقول المجيب قال
قال كذا اخرج الكلام ذلك المخرج لان الناس خوطبوا بما يتعارفونه وسلك باللفظ
معهم المسلك الذي يسلكونه وكذلك قوله قال الا تاكلون وذلك ان قوله فجاء بعجل
سمين فقربه اليهم يقتضي ان يتبع هذا الفعل بقول فكانه قيل والله اعلم فما قال حين
وضع الطعام بين ايديهم فاتى قوله قال الا تاكلون جوابا عن ذلك وكذا قوله قالوا لا تخف
لان قوله فاوجس منهم خيفة يقتضي ان يكون من الملائكة كلام في تانيسه وتسكينه مما خامره
فكانه قيل فما قالوا حين راوه وقد تغير ودخلته الخيفة فقالوا لا تخف وذلك والله اعلم

المعنى في جميع ما جاء منه على كثرته كالذي يجيء في قصة فرعون في رد موسى عليه السلام عليه
قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن
حوله الا تستمعون قال ربكم ورب ابائكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال
رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين قال اولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين جاء ذلك كله والله
اعلم على تقدير السؤال والجواب كالذي جرت به العادة فيما بين المخلوقين فلما كان
السامع منا اذا سمع الخبر عن فرعون بانه قال وما رب العالمين وقع في نفسه ان يقول
فما قال موسى له اتى قوله قال رب السموات والارض مأتى الجواب مبتدأ مفصولا غير
معطوف وهكذا التقدير والتفسير ابدا في كل ما جاء فيه لفظ قال هذا المجيء وقد
يكون الامر في بعض ذلك اشد وضوحا فمما هو في غاية الوضوح قوله تعالى قال فما
خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وذلك انه لا يخفى على عاقل
انه جاء على معنى الجواب وعلى ان نُزّل السامعون كأنهم قالوا فما قال له الملائكة
فقيل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وكذلك قوله عز وجل في سورة يس واضرب
لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون
قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن
لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم
مسرفون وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا
يسألكم اجرا وهم مهتدون التقدير الذي قدرناه من معنى السؤال والجواب بيّن ظاهر

في ذلك كله ونسأل الله التوفيق للصواب والعصمة من الزلل **فصل**
واذ قد عرفت هذه الاصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها فاعلم انا قد حصّلنا
من ذلك على ان الجمل على ثلاثة اضرب جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف (على من)
والتاكيد مع المؤكد فلا يكون فيها العطف البتة لشبه العطف فيها لو عطفت بعطف
الشيء على نفسه وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله الا انه
يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل ان يكون كلا الاسمين فاعلا او مفعولا او
مضافا اليه فيكون حقها العطف وجملة ليست في شيء من الحالين بل سبيلها مع التي
قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء فلا يكون اياه ولا مشاركا له في معنى بل
هو شيء ان ذكر لم يذكر الا بامر ينفرد به ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله
لعدم التعلق بينه وبينه راسا وحق هذا ترك العطف البتة و العطف يكون اما (فترك)
للاتصال الى الغاية او الانفصال الى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الامرين و
كان له حال بين حالين فاعرفه **فصل** هذا فن من القول خاص دقيق اعلم ان مما
يقل نظر الناس فيه من امر العطف انه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ولكن تعطف
على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة او جملتان مثال ذلك قول المتنبي تولوا بغتة
فكان بينا تهيبني ففاجأني اغتيالا فكان مسير عيسهم ذميلا وسير الدمع اثرهم انهمالا
قوله فكان مسير عيسهم معطوف على تولوا بغتة دون ما يليه من قوله ففاجأني
لانا ان عطفناه على هذا الذي يليه افسدنا المعنى من حيث انه يدخل في معنى كأن وذلك
يؤدي الى ان لا يكون مسير عيسهم حقيقة ويكون متوهما كما كان تهيب البين كذلك وهذا
اصل كبير والسبب في ذلك ان الجملة المتوسطة بين هذه المعطوفة اخيرا وبين المعطوف

عليها الاولى ترتبط في معناها بتلك الاولى كالذي تراه في قوله وكأن بينا تهيبني مرتبط
بقوله تولوا بغتة وذلك ان الثانية مسبب والاولى سبب الا ترى ان المعنى تولوا بغتة
فتوهمت ان بينا تهيبني ولا شك ان هذا التوهم كان بسبب ان كان التولي بغتة واذا
كانت كذلك كانت مع الاولى كالشيء الواحد وكان منزلتها منها منزلة المفعول و
الظرف وسائر ما يجيء بعد تمام الجملة من معمولات الفعل مما لا يمكن افراده عن الجملة
وان يعتد كلاما على حدته وها هنا شيء آخر دقيق وهو انك اذا نظرت الى قوله
فكان مسير عيسهم ذميلا وجدته لم يعطف هو وحده على ما عطف عليه ولكن تجد
العطف قد تناول جملة البيت مربوطا آخره باوله الا ترى ان الغرض من هذا الكلام
ان يجعل توليهم بغتة وعلى الوجه الذي توهم من اجله ان البين تهيبه مستدعيا
بكاءه وموجبا ان ينهمل دمعه فلم يعنه ان يذكر ذملان العيس الا ليذكر هملان
الدمع وان يوفق بينهما وكذلك الحكم في الاول فنحن وان كنا قلنا ان العطف على تولوا بغتة
فانا لا نعني ان العطف عليه وحده مقطوعا عما بعده بل العطف عليه مضموما
اليه ما بعده الى آخره وانما اردنا بقولنا ان العطف عليه ان نعلمك انه الاصل والقاعدة
وان نصرفك عن ان تطرحه وتجعل العطف على ما يلي هذا الذي تعطفه فتزعم ان قوله
فكان مسير عيسهم ذميلا معطوف على فاجأني فتقع في الخطأ كالذي اريناك
فامر العطف اذا موضوع على انك تارة تعطف جملة على جملة وتعمد اخرى الى
جملتين او جمل فتعطف بعضها على بعض ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك و
ينبغي ان تجعل ما تصنع في الشرط والجزاء اصلا تعتبر به وذلك ترى متى شئت جملتين انك صح
قد عطف احدهما على الاخرى ثم جعلتا بمجموعهما شرطا ومثال ذلك قوله تعالى

ومن هذا الفن

ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا الشرط كما لا يخفى
في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على الانفراد ولا في واحدة دون الاخرى لانا
ان قلنا انه في كل واحدة منهما على الانفراد جعلناهما شرطين واذا جعلناهما شرطين
اقتضتا جزاءين وليس معنا الا جزاء واحد وان قلنا انه في واحدة منهما دون الاخرى
لزم منه اشراك ما ليس بشرط في الجزم بالشرط وذلك ما لا يخفى فساده ثم انا نعلم
من طريق المعنى ان الجزاء الذي هو احتمال البهتان والاثم المبين امر يتعلق ايجابه بمجموع
ما حصل من الجملتين فليس هو لاكتساب الخطيئة على الانفراد ولا لرمي البريء بالخطيئة
او الاثم على الاطلاق بل لرمي الانسان البريء بخطيئة او اثم كان من الرامي وكذلك الحكم ابدا
فقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره
على الله لم يعلق الحكم فيه بالهجرة على الانفراد بل بها مقرونا اليها ان يدركه الموت عليها
واعلم ان سبيل الجملتين في هذا وجعلهما بمجموعهما بمنزلة الجملة الواحدة سبيل
الجزأين تعقد منهما الجملة ثم يجعل المجموع خبرا او صفة او حالا كقولك زيد قام
غلامه وزيد ابوه كريم ومررت برجل ابوه كريم وجاءني زيد يعدو به فرسه فكما يكون
الخبر والصفة والحال لا محالة في مجموع الجزأين لا في احدهما كذلك يكون الشرط
في مجموع الجملتين لا في احداهما واذا علمت ذلك في الشرط فاحتذه في العطف فانك
تجده مثله سواء ومما لا يكون العطف فيه الا على هذا الحد قوله تعالى وما كنت
بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا
فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين
لو جريت على الظاهر فجعلت كل جملة معطوفة على ما يليها منع منه المعنى وذلك

انه يلزم منه ان يكون قوله وما كنت ثاويا في اهل مدين معطوفا على قوله فتطاول عليهم العمر وذلك يقتضي دخوله في معنى لكن ويصير كأنه قيل ولكنك ما كنت ثاويا وذلك ما لا يخفى فساده واذا كان كذلك بان منه انه ينبغي ان يكون قد عطف مجموع وما كنت ثاويا في اهل مدين الى مرسلين على مجموع قوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر الى قوله العمر فان قلت فهلا قدرت ان يكون وما كنت ثاويا في اهل مدين معطوفا على وما كنت من الشاهدين دون ان يزعم انه معطوف عليه مضموما اليه ما بعده الى قوله العمر قيل لانا ان قدرنا ذلك وجب ان ينوى به التقديم على قوله ولكنا انشأنا قرونا وان يكون الترتيب وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ولكنا كنا مرسلين وفي ذلك ازالة لكن عن موضعها الذي ينبغي ان تكون فيه ذاك لان سبيل لكن سبيل الا فكما لا يجوز ان تقول جاءني القوم وخرج اصحابك الا زيدا والا عمرا بجعل الا زيدا استثناء من جاءني القوم والا عمرا من خرج اصحابك كذلك لا يجوز ان تصنع مثل ذلك بلكن فتقول ما جاءني زيد وما خرج عمرو ولكن بكرا حاضر ولكن اخاك خارج فاذا لم يجز ذلك وكان تقديرك الذي زعمت يؤدي اليه وجب ان تحكم بامتناعه فاعرف هذا وانما يجوز نية التأخير في شيء معناه يقتضي له ذلك التأخير مثل ان يكون الاسم مفعولا لا يقتضي له ان يكون بعد الفاعل فاذا قدم على الفاعل نوي به التأخير ومعنى لكن في الآية يقتضي ان تكون في موضعها الذي هي فيه فكيف يجوز ان ينوى بها التأخير عنه الى موضع آخر والله اعلم ٦

هذه فصول شتى في امر اللفظ والنظم فيها فضل شحذ للبصيرة وزيادة كشف عما فيها من السريرة

له الى لاجله

فصل وغلط الناس في هذا الباب كثير فمن ذلك انك تجد كثيرا ممن يتكلم في شأن البلاغة اذا ذكر ان للعرب الفضل والمزية في حسن النظم والتأليف وان لها في ذلك شأوا لا يبلغه الدخلاء في كلامهم والمولدون جعل يعلل ذلك بان يقول لا غرو فان اللغة لها بالطبع ولنا بالتكلف ولن يبلغ الدخيل في اللغات والالسنة مبلغ من نشأ عليها وبدئ من اول خلقه بها واشباه هذا مما يوهم ان المزية اتتها من جانب العلم باللغة وهو خطأ عظيم وغلط منكر يفضي بقائله الى رفع الاعجاز من حيث لا يعلم وذلك انه لا يثبت اعجاز حتى تثبت مزايا تفوق علوم البشر وتقصر قوى نظرهم عنها ومعلومات ليس في منن افكارهم وخواطرهم ان تفضي بهم اليها وتطلعهم عليها وذلك محال فيما كان علما باللغة لانه يؤدي الى ان يحدث في دلائل اللغة ما لم يتواضع عليه اهل اللغة وذلك ما لا يخفى امتناعه على عاقل واعلم انا لم نوجب المزية من اجل العلم بانفس الفروق والوجوه فنستند الى اللغة ولكنا اوجبناها للعلم بمواضعها وما ينبغي ان يصنع فيها فليس الفضل للعلم بان الواو للجمع والفاء للتعقيب بغير تراخ وثم له بشرط التراخي وان لكذا واذا لكذا ولكن لان يتأتى لك اذا نظمت شعرا والفت رسالة ان تحسن التخير وان تعرف لكل من ذلك موضعه وامر آخر اذا تأمله الانسان انف من حكاية هذا القول فضلا عن اعتقاده وهو ان المزية لو كانت تجب من اجل اللغة والعلم باوضاعها وما اراده الواضع فيها لكان ينبغي ان لا تجب الا بمثل الفرق بين الفاء وثم وان واذا وما اشبه ذلك مما يعبر عنه وضع لغوي فكانت لا تجب بالفصل وترك العطف وبالحذف والتكرار والتقديم والتأخير وسائر ما هو هيئة يحدثها لك التأليف ويقتضيها الغرض الذي تؤم والمعنى الذي تقصد وكان ينبغي

بانفس له

ان لا يجب المزية مما يبتدى به الشاعر والخطيب في كلامه من استعارة اللفظ للشئ
لم يستعمل له وان لا يكون الفضيلة الا في الاستعارة وقد تعورفت في كلام العرب
وكفى بذلك جهلا ولم يكن هذا الاشتباه وهذا الغلط الا لانه ليس في جملة الخفايا
والمشكلات اغرب مذهبا في الغموض ولا اعجب شانا من هذه التي نحن
بصددها ولا اكثر تفلتا من الفهم وانسلالا منها وان الذي قاله العلماء والبلغاء
في صفتها والاخبار عنها رموز لا يفهمها الا من هو في مثل حالهم من لطف الطبع
ومن هو مهيأ لفهم تلك الاشارات حتى كان تلك الطباع اللطيفة وتلك القرائح
والاذهان قد تواضعت فيما بينها على ما سبيله سبيل الترجمة يتواطؤ عليها قوم
فلا تعدوهم ولا يعرفها من ليس منهم وليت شعري من اين لمن لم يتعب في هذا
الشان ولم يمارسه ولم يوفر عنايته عليه ان ينظر في قول الجاحظ وهو يذكر
اعجاز القران ولو ان رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة قصيرة
قصيرة او طويلة لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها انه عاجز
عن مثلها ولو تحدى بها ابلغ العرب لاظهر عجزه عنها وقوله وهو يذكر رواة
الاخبار ورايت عامتهم فقد طالت مشاهدتي لهم وهم لا يقفون الا على الالفاظ
المتخيرة والمعاني المنتخبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع
المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء ورونق وقوله في بيت الحطيئة
متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد وما كان ينبغي ان
يمدح بهذا البيت الا من هو خير اهل الارض على اني لم اعجب بمعناه اكثر من
عجبي بلفظه وطبعه ونحته وسبكه فتفهم منه شيئا او تقف للطابع و

النظام والنحت والسبك والمخارج السهلة على معنى او يجلي منه بشيء وكيف
بان يعرفه ولربما خفي على كثير من اهله واعلم ان الداء الدوي والذي اعيا امره في هذا الباب
غلط من قدم الشعر بمعناه واقل الاحتفال باللفظ وجعل لا يعطيه من المزية ان
هو اعطى الا ما فضل عن المعنى يقول ما في اللفظ لولا المعنى وهل الكلام الا بمعناه
فانت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد اودع حكمة او ادبا واشتمل على تشبيه غريب
ومعنى نادر فان مال الى اللفظ شيئا وراى ان ينحله بعض الفضيلة لم يعرف غير
الاستعارة ثم لا ينظر في حال تلك الاستعارة احسنت بمجرد كونها استعارة
ام من اجل فرق ووجه ام للامرين لا يحفل بهذا وشبهه قد قنع بظواهر الامور
وبالجمل وبان يكون كمن يجلب المتاع للبيع انما همه ان يروج عنه يرى انه اذا تكلم
في الاخذ والسرقة واحسن ان يقول اخذه من فلان والم فيه بقول فلان فقد
استكمل الفضل وبلغ اقصى ما يراد واعلم انا وان كنا اذا اتبعنا العرف والعادة
وما يهجس في الضمير وما عليه العامة ارانا ذلك ان الصواب معهم وان التعويل
ينبغي ان يكون على المعنى وانه الذي لا يسوغ القول بخلافه فان الامر بالضد اذا
جئنا الى الحقائق والى ما عليه المحصلون لانا لا نرى متقدما في علم البلاغة مبرزا
في شأوها الا وهو ينكر هذا الراي ويعيبه ويزري على القائل به ويغض منه
ومن ذلك ما روي عن البحتري روي ان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ساله عن مسلم
وابي نواس ايهما اشعر فقال ابو نواس فقال ان ابا العباس ثعلبا لا يوافقك على
هذا فقال ليس هذا من شان ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون
عمله انما يعلم ذلك من دفع في مسلك طريق الشعر الى مضايقه وانتهى الى ضروراته

حاشيه
الغرض من هذا انه يقال ان احتفل بالمحاسن التي جرت العادة بان تنسب الى الالفاظ وتجعل فيه صفات كلام حسن الالفاظ ويراد بذلك حسن نسقه وتوخي معاني النحو فيما بين الكلم على وجه دقته ولطفه فاما مجرد اللفظ الذي هو نطق اللسان فانا ندعو الى ترك الاحتفال به كما عرفت ذلك واعلم

وعن بعضهم انه قال رآني البحتري ومعي دفتر شعر فقال ما هذا فقلت شعر
الشنفرى فقال والى اين تمضي فقلت الى ابي العباس اقرأه عليه فقال قد رأيت
ابا عباسكم هذا منذ ايام عند ابن ثوابة فما رأيته ناقدا للشعر ولا مميزا للالفاظ
ورأيته يستجيد شيئا وينشده وما هو بافضل الشعر فقلت له اما نقده وتمييزه فهذه
صناعة اخرى ولكنه اعرف الناس باعرابه وغريبه فما كان ينشد قال قول الحرث
بن وعلة قومي هم قتلوا اميم اخي فاذا رميت يصيبني سهمي فلئن عفوت لاعفون
جللا ولئن سطوت لاوهنن عظمي فقلت والله ما احسن شعر في احسن
معنى ولفظ فقال اين الشعر الذي فيه عروق الذهب فقلت مثل ماذا فقال
مثل قول ابي ذؤاب ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحرث بن شهاب
باشدهم كلبا على اعدائه واعزهم فقدا على الاصحاب انتهى الحكاية عن البحتري
ومن مثل هذا قال الشاعر زوامل للاشعار لا علم عندهم بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا باوساقه او راح ما في الغرائر وقال الآخر يا ابا جعفر
اتحكم في الشعر وما فيك آلة الحكام ان نقد الدينار الا على الصيرف صعب
فكيف نقد الكلام قد رأيناك لست تفرق في الاشعار بين الارواح والاجسام
واعلم انهم لم يعيبوا تقديم الكلام لمعناه من حيث جهلوا ان المعنى اذا كان ادبا وحكمة
وكان غريبا نادرا فهو اشرف مما ليس كذلك بل عابوه من حيث كان من حكم من قضى
في جنس من الاجناس بفضل او نقص ان لا يعتبر في قضيته تلك الا الاوصاف التي
تخص ذلك الجنس وترجع الى حقيقته وان لا ينظر فيها الى جنس آخر وان كان من
الاول بسبيل او متصلا به اتصال ما لا ينفك منه ومعلوم ان سبيل الكلام

اميمه خوهم في الغذا

سبيل التصوير والصياغة وان سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع
التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم او سوار فكما ان
محالا اذا انت اردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته الى الفضة
الحاملة لتلك الصورة او الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة كذلك
محال اذا اردت ان تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام ان تنظر في مجرد
معناه وكما انا لو فضلنا خاتما على خاتم بان يكون فضة هذا اجود او فصه انفس
لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم كذلك ينبغي اذا فضلنا بيتا على بيت من اجل
معناه ان لا يكون ذلك تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام وهذا قاطع فاعرفه
واعلم انك لست تنظر في كتاب صنف في شأن البلاغة وكلام جاء عن القدماء
الا وجدته يدل على فساد هذا المذهب ورأيتهم يتشددون في انكاره وعيبه و
العيب به واذا نظرت في كتب الجاحظ وجدته يبلغ في ذلك كل مبلغ ويتشدد
غاية التشدد وقد انتهى في ذلك الى ان جعل العلم بالمعاني مشتركا وسوى فيه بين
الخاصة والعامة فقال ورأيت ناسا يبهرجون اشعار المولدين ويستسقطون
من رواها ولم ار ذلك قط الا في راوية غير بصير بجوهر ما يروي ولو كان له بصر لعرف
موضع الجيد ممن كان وفي اي زمان كان وانا سمعت ابا عمرو الشيباني وقد بلغ
من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد الجامع يوم الجمعة ان كلف رجلا
حتى احضره قرطاسا ودواة حتى كتبهما قال الجاحظ وانا ازعم ان صاحب
هذين البيتين لا يقول شعرا ابدا ولولا ان ادخل في الحكومة بعض العيب لزعمت
ان ابنه لا يقول الشعر ايضا وهما قوله لا تحسبن الموت موت البلى وانما الموت سؤال

كلاماً مؤنقاً ولكن ذا أشد من ذاك على كل حال ثم قال وذهب الشيخ إلى استحسان
المعاني والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي
وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة
الماء وجودة السبك وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير فقد تراه كيف
أسقط أمر المعاني وأبى أن يجب لها فضل فقال وهي مطروحة في الطريق ثم
قال وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً فأعلمك أن فضل
الشعر بلفظه لا بمعناه وأنه إذا عدم الحسن في لفظه ونظمه لم يستحق هذا
الاسم بالحقيقة وأعاد طرفاً من هذا الحديث في البيان فقال ولقد رأيت
أبا عمرو الشيباني يكتب أشعاراً من أفواه جلسائه ليدخلها في باب التحفظ
والتفكر وربما خيل إلي أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أبداً أن يقولوا شعراً
جيداً لمكان إعراقهم في أولئك الآباء ثم قال ولولا أن أكون عياباً ثم للعلماء خاصة
لصورت لك بعض ما سمعت من أبي عبيدة ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة
واعلم أنهم لم يبلغوا في إنكار هذا المذهب ما بلغوه إلا لأن الخطأ فيه عظيم
وأنه يفضي بصاحبه إلى أن ينكر الإعجاز ويبطل التحدي من حيث لا يشعر وذلك
أنه إن كان العمل على ما يذهبون إليه من أن لا يجب فضل ومزية إلا من جانب
المعنى وحتى يكون قد قال حكمة أو أدباً أو استخرج معنى غريباً أو تشبيهاً
نادراً فقد وجب اطراح جميع ما قاله الناس في الفصاحة والبلاغة وفي
شأن النظم والتأليف وبطل أن يجب بالنظم فضل وأن تدخله المزية وأن تتفاوت
فيه المنازل وإذا بطل ذلك فقد بطل أن يكون في الكلام معجز وصار الأمر إلى

ما يقوله اليهود ومن قال بمثل مقالهم في هذا الباب ودخل في مثل تلك الجهالات
ونعوذ بالله من العمى بعد الإبصار فصل لا يكون لإحدى العبارتين
مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها فإن قلت
فإذا أفادت هذه ما لا تفيد تلك فليستا عبارتين عن معنى واحد بل هما عبارتان
عن معنيين اثنين قيل لك قولنا المعنى في مثل هذا يراد به الغرض والذي
أراد المتكلم أن يثبته أو ينفيه نحو أن تقصد تشبيه الرجل بالأسد فتقول زيد
كالأسد ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول كأن زيداً الأسد فتفيد تشبيهه أيضاً
بالأسد إلا أنك تزيد في تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول وهي أن تجعله من فرط شجاعته
وقوة قلبه وأنه لا يروعه شيء بحيث لا يتميز عن الأسد ولا يقصر عنه حتى يتوهم
أنه أسد في صورة آدمي وإذا كان هذا كذلك فانظر هل كانت هذه الزيادة وهذا
الفرق إلا بما توخي في نظم اللفظ وترتيبه حيث قدم الكاف إلى صدر الكلام
وركبت مع أن وإذا لم يكن إلى الشك سبيل أن ذلك كان بالنظم فاجعله العبرة
في الكلام كله ورض نفسك على تفهم ذلك وتتبعه واجعل فيها أنك تزاول منه
أمراً عظيماً لا يقادر قدره وتدخل في بحر عميق لا يدرك قعره فصل
هو في آخره يرجع إلى هذا الكلام قد علم أن المعارض للكلام معارض له من الجهة
التي منها يوصف بأنه فصيح وبليغ ومتخير اللفظ جيد السبك ونحو ذلك
من الأوصاف التي نسبوها إلى اللفظ وإذا كان هذا كذلك فبنا أن ننظر فيما إذا
أتى بكلام معارضاً ما هو أهو أن يجيء بلفظ فيضعه مكان لفظ آخر نحو أن
يقول بدل أسد ليث وبدل بعد نأي ومكان قرب دنا أم ذلك ما لا يذهب

الله عاقل ولا يعقله من به طرق كيف ولو كان ذلك معارضة لكان الناس لا
يفصلون بين الترجمة والمعارضة ولكان كل من فسر كلاما معارضا له واذا بطل
ان يكون جهة للمعارضة وان يكون الواضع نفسه في هذه المنزلة معارضا
على وجه من الوجوه علمت ان الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجري في طريقهما
اوصاف راجعة الى المعاني والى ما يدل عليه بالالفاظ دون الالفاظ انفسها لانه
اذا لم يكن في القسمة الا المعاني والالفاظ وكان لا يعقل تعارض في الالفاظ المجردة
الا ما ذكرت لم يبق الا ان تكون المعارضة معارضة من جهة ترجع الى معاني
الكلام المعقولة دون الفاظه المسموعة واذا عادت المعارضة الى المعنى
وكان الكلام يعارض من حيث هو فصيح وبليغ ومتخير اللفظ حصل من
ذلك ان الفصاحة والبلاغة وتخير اللفظ عبارة عن خصائص ووجوه
تكون معاني الكلام عليها وعن زيادات تحدث في اصول المعاني كالذي اريتك فيما بين
زيد كالاسد وكأن زيدا الاسد وبان ان لا نصيب للالفاظ من حيث هي الفاظ
فيها بوجه من الوجوه واعلم انك لا تشفي الغلة ولا تنتهي الى ثلج اليقين حتى تتجاوز
حد العلم بالشيء مجملا الى العلم به مفصلا وحتى لا يقنعك الا النظر في زواياه
والتغلغل في مكامنه وحتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه وانتهى في البحث
عن جوهر العود الذي يصنع فيه الى ان يعرف منبته ومجرى عروق الشجر
الذي هو منه وانا لنراهم يقيسون الكلام في معنى المعارضة على الاعمال الصناعية
كنسج الديباج وصوغ الشنف والسوار وانواع ما يصاغ وكل ما هو
صنعة وعمل يد بعد ان يبلغ مبلغا يقع التفاضل فيه ثم يعظم حتى يزيد فيه

الصانع على الصانع زيادة يكون له بها صيت ويدخل في حد ما يعجز عنه الاكثرون
وهذا القياس وان كان قياسا ظاهرا معلوما وكالشيء المركوز في الطباع حتى ترى
العامة فيه كالخاصة فان فيه امرا يجب العلم به وهو انه يتصور ان يبدأ هذا
فيعمل ديباجا ويبدع في نقشه وتصويره فيجيء آخر ويعمل ديباجا آخر مثله في
نقشه وهيئته وجملة صفته حتى لا يفصل الرائي بينهما ولا يقع لمن لم يعرف القصة
ولم يخبر الحال الا انهما صنعة رجل واحد وخارجان من تحت يد واحدة وهكذا
الحكم في سائر المصنوعات كالسوار يصوغه هذا ويجيء ذاك فيعمل سوارا مثله
ويؤدي صنعته كما هي حتى لا يغادر منها شيئا البتة وليس يتصور مثل ذلك في الكلام
لانه لا سبيل الى ان تجيء الى معنى بيت من الشعر او فصل من النثر فتؤديه بعينه
وعلى خاصيته وصفته بعبارة اخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم
من تلك لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا امر من الامور ولا يغرنك قول الناس قد اتى
بالمعنى بعينه واخذ معنى كلامه فاداه على وجهه فانه تسامح منهم والمراد انه ادى
الغرض فاما ان يؤدى المعنى على الوجه الذي يكون عليه في كلام الاول حتى لا تعقل
هاهنا الا ما عقلته هناك وحتى يكون حالهما في نفسك حال الصورتين المشتبهتين
في عينك كالسوارين والشنفين ففي غاية الاحالة وظن يفضي بصاحبه الى جهالة
عظيمة وهي ان تكون الالفاظ مختلفة المعاني اذا فرقت ومتفقتها اذا جمعت
والف منها كلام وذلك ان ليس كلامنا فيما يفهم من لفظتين مفردتين نحو قعد
وجلس ولكن فيما فهم من مجموع كلام ~~ومجموع كلام~~ ومجموع كلام آخر كان
تنظر في قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقول الناس قتل البعض احياء للجميع فانه

وإن كان قد جرت عادةُ الناس بأن يقولوا في مثل هذا إنهما عبارتان مُعبَّرُهما
واحدٌ فليس هذا القول منهم قولاً يمكن الأخذ بظاهره أو يقع لعاقلٍ شكٌّ أن
ليس المفهوم من أحدِ الكلامين المفهومَ من الآخر **فصل** الكلام على
ضربين ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحدَه وذلك إذا قصدتَ
أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد وبالانطلاقِ عمرو عن صح
فقلت عمرو منطلق وعلى هذا القياس وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى
الغرض بدلالة اللفظ وحدَه ولكن يدلُّك اللفظُ على معناه الذي يقتضيه
موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالةً ثانيةً تصل بها إلى الغرض ومدار
هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل وقد مضت الأمثلة فيها مشروحةً
مُستقصاةً أوَلا ترى أنك إذا قلتَ هو كثير رماد القِدر أو قلت طويل النجاد
أو قلت في المرأة نؤوم الضحى فإنك في جميع ذلك لا تُفيد غرضك الذي تعني من
مجرد اللفظ ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ثم يَعقِل السامعُ
من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنىً ثانياً هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد
القدر أنه مِضيافٌ ومن طويل النجاد أنه طويل القامة ومن نؤوم الضحى في المرأة
أنها مُترَفةٌ مخدومة لها من يكفيها أمرها وكذا إذا قال رأيت أسداً ودلَّك
الحال على أنه لم يرد السبعَ علمتَ أنه أراد التشبيه إلا أنه بالغ فجعل الذي رآه
بحيث لا يتميز عن الأسد في شجاعته وكذلك تعلم من قوله بلغني أنك تقدّم رجلاً
وتؤخِّر أخرى أنه أراد به التردد في أمر البيعة واختلاف العزم في الفعل
وتركه على ما مضى الشرح فيه وإذ قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة

مُختصرة وهي أن تقول المعنى ومعنى المعنى تعني بالمعنى المفهومَ من ظاهر اللفظ
والذي تصل إليه من غير واسطة وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ ثم يُفضي بك ذلك المعنى معنى صح
إلى معنى آخر كالذي فسّرتُ لك وإذ قد عرفتَ ذلك فإذا رأيتهم يجعلون الألفاظ
زينةً للمعاني وحليةً عليها أو يجعلون المعاني كالجواري والألفاظ كالمَعارض لها و
كالوَشي المحبَّر واللباس الفاخر والكسوة الرائعة إلى أشباه ذلك مما يُفخِّمون به أمر اللفظ
ويجعلون المعنى يَنبُل به ويَشرُف فاعلم أنهم يصفون كلاماً قد أعطاك المتكلمُ أغراضَه
فيه من طريق معنى المعنى فكَنَى وعَرَّضَ ومَثَّلَ واستعار ثم أحسنَ في ذلك كله و
أصاب ووضع كل شيء منه في موضعه وأصاب به شاكلته وعمد فيما كنَى
وشبّه ومثّل لما حَسُنَ مأخذُه ودَقَّ مسلكُه ولطُفتْ إشارتُه وأنّ المَعرِض
وما في معناه ليس هو اللفظ المنطوق به ولكن معنى اللفظ الذي دللتَ به على
المعنى الثاني كمعنى قوله فإنّي جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ الذي هو دليل على
أنه مِضيافٌ فالمعاني الأُوَل المفهومة من أنفُس الألفاظ هي المعارضُ والوشي
والحُليُّ وأشباهُ ذلك والمعاني الثواني التي يومأ إليها بتلك المعاني هي التي
تُكسَى تلك المعارضَ وتُزيَّنُ بذلك الوشي والحلي وكذلك إذا جعلوا المعنى يتصور
من أجل اللفظ بصورة ويبدو في هيئة ويتشكّلُ بشكلٍ يرجع المعنى في ذلك كله
إلى الدلالات المعنوية ولا يصلح شيء منه حيث الكلامُ على ظاهره وحيث لا
يكون كناية وتمثيل ولا استعارةٌ ولا استعانةٌ في الجملة بمعنى على معنى ويكون
الدلالة على الغرض من مُجرَّد اللفظ فلو أن قائلاً قال رأيت الأسد وقال آخر لقيتُ
الليثَ لم يجز أن يُقال إن الثاني صوّر المعنى في غير صورته الأُولى ولا أن يقال

ابرزه في معرض سوى معرضه ولا شيئا من هذا الجنس وجملة الامر ان صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ الى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز وحتى لا يراد من الالفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة ولكن يشار بمعانيها الى معان اخر واعلم ان هذا كذلك ما دام النظم واحدا فاما اذا تغير النظم فلا بد حينئذ من ان يتغير المعنى على ما مضى البيان في مسائل التقديم والتاخير وعلى ما رايت في المسألة التي مضت الآن اعني قولك ان زيدا كالاسد وكان زيدا الاسد ذاك لانه لم يتغير من اللفظ شيء وانما تغير النظم فقط واما فتحك ان عند تقديم الكاف وكانت مكسورة فلا اعتداد بها لان معنى الكسر باق بحاله واعلم ان السبب في ان احالوا في اشباه هذه المحاسن التي ذكرتها لك على اللفظ انها ليست بانفس المعاني بل هي زيادات فيها وخصائص الا ترى ان ليست المزية التي تجدها لقولك كان زيدا الاسد على قولك زيد كالاسد شيئا خارجا عن التشبيه الذي هو اصل المعنى وانما هو زيادة فيه وفي حكم الخصوصية في الشكل نحو ان يصاغ خاتم على وجه واخر على وجه تجمعهما صورة الخاتم ويفترقان بخاصة وشيء يعلم الا انه لا يعلم منفردا ولما كان الامر كذلك لم يمكنهم ان يطلقوا اسم المعاني على هذه الخصائص اذ كان لا يفترق الحال حينئذ بين اصل المعنى وبين ما هو زيادة في المعنى وكيفية له وخصوصية فيه فلما امتنع ذلك توصلوا الى الدلالة عليها بان وصفوا اللفظ في ذلك باوصاف يعلم انها لا تكون اوصافا له من حيث هو لفظ كنحو وصفهم له بانه لفظ شريف وانه قد زان المعنى وان له ديباجة وان عليه طلاوة وان المعنى منه في مثل الوشي وانه عليه كالحلي الى اشباه ذلك مما يعلم ضرورة انه لا يعنى بمثله الصوت والحرف ثم انه لما جرت به العادة واستمر عليه العرف وصار الناس يقولون اللفظ

واللفظ لزم من ذلك بانفس اقوام باب من الفساد وخامرهم منه شيء لست احسن وصفه

فصل ومن الصفات التي تجدهم يجرونها على اللفظ ثم لا يعترضك شبهة ولا يكون منك توقف في انها ليست له ولكن لمعناه قولهم لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ولا يكون لفظه اسبق الى سمعك من معناه الى قلبك وقولهم يدخل في الاذن بلا اذن فهذا مما لا يشك العاقل في انه يرجع الى دلالة المعنى على المعنى وانه لا يتصور ان يراد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة ذلك لانه لا يخلو السامع من ان يكون عالما باللغة وبمعاني الالفاظ التي يسمعها او يكون جاهلا بذلك فان كان عالما لم يتصور ان يتفاوت حال الالفاظ معه فيكون معنى لفظ اسرع الى قلبه من معنى لفظ اخر وان كان جاهلا كان ذلك في وصفه ابعد وجملة الامر انه انما يتصور ان يكون لمعنى اسرع فهما منه لمعنى آخر اذا كان ذلك مما يدرك بالفكر واذا كان مما يتجدد له العلم به عند سمعه للكلام وذلك محال في دلالات الالفاظ اللغوية لان طريق معرفتها التوقيف والتقدم بالتعريف واذا كان كذلك علم علم الضرورة ان مصرف ذلك الى دلالات المعاني على المعاني وانهم ارادوا ان من شرط البلاغة ان يكون المعنى الاول الذي تجعله دليلا على المعنى الثاني ووسيطا بينك وبينه متمكنا في دلالته مستقلا بوساطته يسفر بينك وبينه احسن سفارة ويشير لك اليه ابين اشارة حتى يخيل اليك انك فهمته من حاق اللفظ وذلك لقلة الكلفة فيه عليك وسرعة وصوله اليك فكان من الكناية مثل قوله لا امتع العوذ بالفصال ولا ابتاع الا قريبة الاجل ومن الاستعارة مثل قوله وصدر اراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب ومن التمثيل

[illegible]

عن

مثل قوله لا اذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره ٥ وان اردت ان تعرف
ما حاله بالضد من هذا فكان منقوض القوة في تاديه ما اريد منه لانه يعترضه ما
يمنعه ان يقضي حق السفارة فيما بينك وبين معناك وتوضح تمام الايضاح عن مغزاك
فانظر الى قول العباس بن الاحنف سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب
عيناي الدموع لتجمدا ٥ بدا فبدا بتسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من
الحزن والكمد فاحسن واصاب لان من شان البكا ابدا ان يكون امارة للحزن
وان يجعل دلالة عليه وكناية عنه كقولهم ابكاني واضحكني على معنى ساءني وسرني
وكما قال ابكاني الدهر ويا ربما اضحكني الدهر بما يرضي ثم ساق هذا القياس
الى نقيضه فالتمس ان يدل على ما يوجبه دوام التلاقي من السرور بقوله لتجمدا
وظن ان الجمود يبلغ له في افادة المسرة والسلامة من الحزن ما بلغ سكب الدموع
في الدلالة على الكآبة والوقوع في الحزن ونظر الى ان الجمود خلو العين من
البكا وانتفا الدموع عنها وانه اذا قال لتجمدا فكانه قد قال احزن اليوم لئلا احزن
غدا وتبكي عيناي جهدهما لئلا تبكيا ابدا وغلط فيما ظن وذلك ان الجمود هو
ان لا تبكي العين مع ان الحال حال بكا ومع ان العين يراد منها ان تبكي ويستزاد
في ان تبكي ولذلك لا ترى احدا يذكر عينه بالجمود الا وهو يشكوها ويذمها
وينسبها الى البخل ويعد امتناعها من البكا تركا لمعونة صاحبها على ما به من
الهم الا ترى الى قوله الا ان عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود
فاتى بالجمود تاكيدا لنفي الجود ومحال ان يجعلها لا تجود بالبكاء وليس هناك
التماس بكاء لان الجود والبخل يقتضيان مطلوبا يبذل او يمنع ولو كان الجمود

يصلح لان يراد به السلامة من البكا ويصح ان يدل به على ان الحال حال مسرة وحبور
لجاز ان يدعى به للرجل فيقال لا زالت عينك جامدة كما يقال لا ابكى الله عينك و
ذلك مما لا يشك في بطلانه وعلى ذلك قول اهل اللغة عين جمود لا ماء فيها وسنة
جماد لا مطر فيها وناقة جماد لا لبن فيها فكما لا تجعل السنة والناقة جمادا الا
على معنى ان السنة بخيلة بالقطر والناقة لا تسخو بالدر كذلك حكم العين لا
تجعل جمودا الا وهناك ما يقتضي ارادة البكا منها وما يجعلها اذا بكت محسنة
موصوفة بان قد جادت وسخت واذا لم تبك مسيئة موصوفة بان قد ضنت
وبخلت فان قيل انه اراد ان يقول اني اليوم اتجرع غصص الفراق و
احمل نفسي على مره واحتمل ما يؤديني اليه من حزن يفيض الدموع من عيني ويسكبها
لكي اتسبب بذلك الى وصل يدوم ومسرة تتصل حتى لا اعرف بعد ذلك الحزن
اصلا ولا تعرف عيني البكا وتصير في ان لا ترى باكية ابدا كالجمود التي لا يكون لها
دمع فان ذلك لا يستقيم ولا يستتب لانه يوقعه في التناقض ويجعله كانه قال احتمل
البكا لهذا الفراق عاجلا لاصير في الاجل بدوام الوصل واتصال السرور في صوره
في صوره من يريد من عينه ان تبكي ثم لا تبكي لانها خلقت جامدة لا ماء فيها وذلك من
التهافت والاضطراب بحيث لا تنجع الحيلة في حمله الا انا لا نعلم احدا جعل
جمود العين دليل سرور وامارة غبطة وكناية عن ان الحال حال فرح فهذا مثال
فيما هو بالضد مما شرطوا من ان لا يكون لفظه اسبق الى سمعك من معناه الى قلبك
لانك ترى اللفظ يصل الى سمعك وتحتاج الى ان تخب وتوضع في طلب المعنى ويجري
لك هذا الشرح والتفسير من النظم كما جرى في اللفظ لانه اذا كان النظم سويا و

والتأليف مستقيماً كان وصول المعنى الى قلبك تلو وصول اللفظ الى سمعك واذا كان على
خلاف ما ينبغي وصل اللفظ الى السمع وبقيت في المعنى تطلبه وتتعب فيه واذا
افرط الامر في ذلك صار الى التعقيد الذي قالوا انه يستهلك المعنى واعلم ان لم تضق
العبارة ولم يقصر اللفظ ولم ينغلق الكلام في هذا الباب الا لانه قد تناهى في
الغموض والخفاء الى اقصى الغايات وانك لا ترى اغرب مذهباً واعجب طريقاً
واحرى بان تضطرب فيه الآراء منه وما قولك في شيء قد بلغ من امره ان يُدّعى على كبار
العلماء انهم لم يعلموه ولم يفطنوا له فقد ترى ان البحتري قال حين سئل عن مسلم
وابي نواس ايهما اشعر فقال ابو نواس فقيل ان ابا العباس ثعلباً لا يوافقك على هذا فقال
ليس هذا من شان ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله انما يعلم ذلك
من دُفع في مسلك طريق الشعر الى مضايقه وانتهى الى ضرورته ثم لم ينفكّ العالمون به والذين
هم من اهله من دخول الشبهة فيه عليهم ومن اعتراض السهو والغلط لهم روي عن الاصمعي
انه قال كنت اشدو من ابي عمرو بن العلاء وخلف الاحمر وكانا يأتيان بشاراً فيسلمان
عليه بغاية الاعظام ثم يقولان يا ابا معاذ ما احدثت فيخبرهما وينشدهما ويسألانه
ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الزوال ثم ينصرفان واتياه يوماً فقالا
ما هذه القصيدة التي احدثتها في سلم بن قتيبة قال هي التي بلغتكم قالوا بلغنا انك
اكثرت فيها من الغريب قال نعم بلغني ان سلم بن قتيبة يتباصر بالغريب فاحببت
ان اورد عليه ما لا يعرف قالوا فانشدناها يا ابا معاذ فانشدهما
بكّرا صاحبيّ قبل الهجير ان ذاك النجاح في التبكير حتى فرغ منها فقال له خلف
لو قلت يا ابا معاذ مكان ان ذاك النجاح في التبكير بكّرا فالنجاح في التبكير كان احسن

حاشية
قال الشيخ الامام اذا احققنا
النظر وجدنا يكون مراده
انه لا يكون المعنى الاول الذي
جعلته اسبق الى فهم
السامع من المعنى الثاني
الذي هو المكنى عنه م
ثعلباً

فقال بشار انما بنيتها اعرابية وحشية فقلت ان ذاك النجاح في التبكير كما يقول
الاعراب البدويون ولو قلت بكّرا فالنجاح كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذاك
الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة قال فقام خلف فقبّل بين عينيه فهل كان هذا
القول من خلف والنقد على بشار الا للطف المعنى في ذلك وخفائه واعلم ان من شان
انّ اذا جاءت على هذا الوجه ان تغني غناء الفاء العاطفة مثلاً وان تفيد من ربط
الجملة بما قبلها امراً عجيباً فانت ترى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف ومقطوعاً
موصولاً معاً افلا ترى انك لو اسقطت انّ من قوله ان ذاك النجاح في التبكير لم تر الكلام
يلتئم ولرأيت الجملة الثانية لا تتصل بالاولى ولا تكون منها بسبيل حتى تجيء بالفاء فتقول
بكّرا صاحبيّ قبل الهجير فذاك النجاح في التبكير ومثله قول بعض العرب فغنّها وهي
لك الفداء انّ غناء الابل الحداء فانظر الى قوله ان غناء الابل الحداء والى ملاءمته الكلام
قبله وحسن تشبثه به والى حسن تعطف الكلام الاول عليه ثم انظر اذا تركت انّ
فقلت فغنّها وهي لك الفداء غناء الابل الحداء كيف تكون الصورة وكيف ينبو احد
الكلامين عن الآخر وكيف يشئم هذا ويعرق ذاك حتى لا تجد حيلة في ائتلافهما
حتى تجتلب لهما الفاء فتقول فغنّها وهي لك الفداء فغناء الابل الحداء ثم تعلم ان ليست
الالفة بينهما من جنس ما كان وان قد ذهبت الانسة التي كنت تجد والحسن الذي كنت
ترى وروي عن عنبسة انه قال قدم ذو الرمة الكوفة فوقف ينشد الناس بالكناسة
قصيدته الحائية التي منها هي البرء والاسقام والهم والمنى وموت الهوى في القلب
مني المبرّح وكان الهوى بالنأي يمحى فيمّحي وحبك عندي يستجد ويربح اذا غيّر النأي
المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب ميّة يبرح قال فلما انتهى الى هذا البيت ناداه

الهجر

ابن شبرمة يا غيلان أراه قد برح قال فشنق ناقته وجعل يتأخر بها ويتفكر ثم قال
إذا غير النأي المحبين لم أجد رسيس الهوى من حب مية يبرح قال فلما انصرفت
حدثت أبي فقال أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذي الرمة ما أنشد وأخطأ
ذو الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة إنما هذا كقول الله تعالى ظلمات
بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها وإنما هو لم يرها ولم يكد واعلم
أن سبب الشبهة في ذلك أنه قد جرى في العرف أن يقال ما كاد يفعل ولم يكد
يفعل في فعلٍ قد فُعل على معنى أنه لم يُفعل إلا بعد الجهد وبعد أن كان بعيدا
في الظن أن يفعل كقوله فذبحوها وما كادوا يفعلون فلما كان مجيء النفي في كاد على
هذا السبيل توهم ابن شبرمة أنه إذا قال لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
فقد زعم أن الهوى قد برح ووقع لذي الرمة مثل هذا الظن وليس الأمر كالذي ظناه
فإن الذي يقتضيه اللفظ إذا قيل لم يكد يفعل وما كاد يفعل أن يكون المراد أن الفعل
لم يكن من أصله ولا قارب أن يكون ولا ظُنّ أنه يكون وكيف بالشك في ذلك وقد
علمنا أن كاد موضوع لأن يدل على شدة قرب الفعل من الوقوع وعلى أنه قد شارف
الوجود وإذا كان كذلك كان محالا أن يوجب نفيه وجود الفعل لأنه يؤدي إلى
أن يوجب نفي مقاربة الفعل الوجودَ وجودَه وأن يكون قولك ما قارب أن
يفعل مقتضيا على البت أنه قد فعل وإذ قد ثبت ذلك فمن سبيلك أن تنظر فمتى
لم يكن المعنى على أنه قد كانت هناك صورة تقتضي أن لا يكون الفعل وحال يبعد معها
أن يكون ثم تغير الأمر كالذي تراه في قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون فليس إلا
أن تلزم الظاهر وتجعل المعنى على أنك تزعم أن الفعل لم يقارب أن يكون فضلا

عن أن يكون فالمعنى إذن في بيت ذي الرمة على أن الهوى من رسوخه في القلب وثبوته
فيه وغلبته على طباعه بحيث لا يتوهم عليه البراح وأن ذلك لا يقارب أن يكون
فضلا عن أن يكون كما تقول إذا سلا المحبون وفتروا في محبتهم لم يقع لي وهمٌ و
لم يجر مني على بال أنه يجوز علي ما يشبه السلوة وما يعد فترة فضلا عن أن يوجد
ذلك مني وأصير إليه وينبغي أن تعلم أنهم إنما قالوا في التفسير لم يرها ولم يكد
فبدؤوا فنفوا الرؤية ثم عطفوا لم يكد عليه ليعلموك أن ليس سبيل لم يكد ها هنا
سبيل ما كاد في قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون في أنه نفي معقَّب على إثبات
وأن ليس المعنى على أن رؤية كانت من بعد أن كادت لا تكون ولكن المعنى على أن رؤيتها
لا تقارب أن تكون فضلا عن أن تكون ولو كان لم يكد يوجب وجود الفعل لكان
هذا الكلام منهم محالا جاريا مجرى أن يقول لم يرها ورآها فاعرفه وها هنا
نكتة وهي أن لم يكد في الآية والبيت واقع في جواب إذا والماضي إذا وقع في
جواب الشرط على هذا السبيل كان مستقبلا في المعنى فإذا قلت إذا خرجت
لم أخرج كنت قد نفيت خروجا فيما يستقبل وإذا كان الأمر كذلك استحال أن
يكون المعنى في البيت والآية على أن الفعل قد كان لأنه يؤدي إلى أن يجيء بلم أفعل
ماضيا صريحا في جواب الشرط فتقول إذا خرجت لم أخرج أمس وذلك محال
ومما يتضح فيه هذا المعنى قول الشاعر ديارٌ لجهمة بالمنحنى سقاهن مرتجزٌ
باكرٌ وراح عليهن ذو هيدبٍ ضعيفُ القوى ماؤه زاخرٌ إذا رام نهضًا بها
لم يكد كذي الساق أخطأها الجابرُ وأعود إلى الغرض فإذا بلغ من دقة هذه
المعاني أن يشتبه الأمر فيها على مثل خلفٍ الأحمر وابن شبرمة وحتى يشتبه على

حاشية: إذا لم يقع في جواب إذا وجد لم يستقدمه نفي كقولك ما فعل ولا كاد يفعل

ذي الرمة في صواب قاله فتوهم انه غير صواب فما ظنك بغيرهم وما تعجبك
من ان يكثر التخليط فيه ومن العجب في هذا المعنى قول ابي النجم قد اصبحت ام الخيار تدعي
علي ذنبا كله لم اصنع قد حمله الجميع على انه ادخل نفسه من رفع كل في شيء انما يجوز عند
الضرورة من غير ان كانت به اليه ضرورة قالوا لانه ليس في نصب كل ما يكسر له وزنا
او يمنعه من معنى اراده واذا تاملت وجدته لم يرتكبه ولم يحمل نفسه عليه الا لحاجة
له الى ذلك والا لانه راى النصب يمنعه ما يريد وذلك انه اراد انها تدعي عليه ذنبا لم
يصنع منه شيئا البتة لا قليلا ولا كثيرا ولا بعضا ولا كلا والنصب يمنع من هذا المعنى
ويقتضي ان يكون قد اتى من الذنب الذي ادعته بعضه وذلك انا اذا تاملنا وجدنا اعمال
الفعل في كل والفعل منفي لا يصلح الا حيث يراد ان بعضا كان وبعضا لم يكن تقول لم الق
كل القوم ولم آخذ كل الدراهم فيكون المعنى انك لقيت بعضا من القوم ولم تلق الجميع
واخذت بعضا من الدراهم وتركت الباقي ولا يكون ان تريد انك لم تلق واحدا من القوم
ولم تاخذ شيئا من الدراهم وتعرف ذلك بان تنظر الى كل في الاثبات وتتعرف فائدته
فيه واذا نظرت وجدته قد اجتلب لان يفيد الشمول في الفعل الذي تسنده الى
الجملة او توقعه بها تفسير ذلك انك اذا قلت جاءني القوم كلهم لانك لو قلت جاءني
القوم وسكت لكان يجوز ان يتوهم السامع انه قد تخلف عنك بعضهم الا انك لم
تعتد بهم او انك جعلت الفعل اذا وقع من بعض القوم فكانما وقع من الجميع
لكونهم في حكم الشخص الواحد كما يقال للقبيلة فعلتم وصنعتم يراد فعل قد كان
من بعضهم او واحد منهم وهكذا الحكم ابدا فاذا قلت رايت القوم كلهم ومررت
بالقوم كلهم كنت قد جئت بكل لئلا يتوهم انه قد بقي عليك من لم تره ولم تمرر به وينبغي

ان تعلم انا لا نعني بقولنا يفيد الشمول ان سبيله في ذلك سبيل الشيء يوجب المعنى من اصله
وانه لولا مكان كل لما عقل الشمول ولم يكن فيما سبق من اللفظ دليل عليه كيف ولو كان
كذلك لم يكن يسمى تاكيدا فالمعنى انه يمنع ان يكون اللفظ المقتضي الشمول مستعملا على خلاف
ظاهره ومتجوزا فيه واذ قد عرفت ذلك فههنا اصل وهو ان من حكم النفي اذا دخل
على كلام ثم كان في ذلك الكلام تقييد على وجه من الوجوه ان يتوجه الى ذلك التقييد و
ان يقع له خصوصا تفسير ذلك انك اذا قلت اتاني القوم مجتمعين فقال قائل لم ياتك
القوم مجتمعين كان نفيه ذلك متوجها الى الاجتماع الذي هو تقييد في الاتيان دون
الاتيان نفسه حتى انه ان اراد ان ينفي الاتيان من اصله كان من سبيله ان يقول انهم لم ياتوك
اصلا فما معنى قولك مجتمعين هذا مما لا يشك فيه عاقل واذا كان هذا حكم النفي اذا
دخل على كلام فيه تقييد فان التاكيد ضرب من التقييد فمتى نفيت كلاما فيه تاكيد فان
نفيك ذلك يتوجه الى التاكيد خصوصا ويقع له فاذا قلت لم ار القوم كلهم او لم ياتني
القوم كلهم او لم ياتني كل القوم ولم ار كل القوم كنت عمدت بنفيك الى معنى كل خاصة
وكان حكمه حكم مجتمعين في قولك لم ياتني القوم مجتمعين واذا كان النفي يقع لكل خصوصا
فواجب اذا قلت لم ياتني القوم كلهم او لم ياتني كل القوم ان يكون قد اتاك بعضهم كما يجب
اذا قلت لم ياتني القوم مجتمعين ان يكونوا قد اتوك اشتاتا وكما يستحيل ان تقول لم ياتني
القوم مجتمعين وانت تريد انهم لم ياتوك اصلا لا مجتمعين ولا منفردين كذلك محال ان
تقول لم ياتني القوم كلهم وانت تريد انهم لم ياتوك اصلا فاعرفه واعلم انك اذا نظرت
وجدت الاثبات كالنفي فيما ذكرت لك ووجدت النفي قد احتذاه فيه وتبعه
وذلك انك اذا قلت جاءني القوم كلهم كان كل فائدة خبرك هذا والذي يتوجه اليه

اثباتك بدلالة ان المعنى على ان الشك لم يقع في نفس المجيء انه كان من القوم على الجملة وانما وقع
في شموله الكل وذلك الذي عناك امره من كلامك وجملة الامر انه ما من كلام كان فيه امر
زائد على مجرد اثبات المعنى للشيء الا كان الغرض الخاص من الكلام والذي يقصد
اليه ويزجى القول فيه فاذا قلت جاءني زيد راكبا وما جاءني زيد راكبا كنت وضعت
كلامك لأن تثبت مجيئه راكبا او تنفي ذلك لا لأن تثبت المجيء وتنفيه مطلقا هذا
ما لا سبيل الى الشك فيه واعلم انه يلزم من شك في هذا فتوهم انه يجوز ان يكون المراد
بقولنا لم ياتني القوم كلهم على معنى انك لم تر واحدا منهم ان يجيز ان يكون هذا المجرى في قولك لم اضرب
القوم كلهم على معنى لم اضرب واحدا منهم وان يقول لا اضرب الرجلين كليهما
على معنى لا اضرب واحدا منهما فاذا قال ذلك لزمه ان يحيل قول الناس لم اضربهما
معا ولكن ضربت احدهما ولا اضربهما جميعا ولكن واحدا منهما وكفى بذلك فسادا
واذ قد بان لك من حال النصب انه يقتضي ان يكون المعنى على انه قد صنع من الذنب
بعضا وترك بعضا فاعلم ان الرفع على خلاف ذلك وانه يقتضي نفي ان يكون قد صنع
منه شيئا واتى منه قليلا وكثيرا وانك اذا قلت كلهم لا ياتيك وكل ذلك لا يكون و
كل هذا لا يحسن كنت نفيت ان ياتيه واحد منهم وابيت ان يكون او يحسن شيء
مما اشرت اليه ومما يشهد لك بذلك من الشعر قوله فكيف وكلٌّ ليس يعدو حمامه
ولا لامرئ عما قضى الله مزحلُ المعنى على نفي ان يعدو واحد من الناس حمامه بلا
شبهة ولو قلت فكيف وليس يعدو كل حمامه فاخرت كلا لافسدت المعنى و
صرت كانك تقول ان من الناس من يسلم من الحمام ويبقى خالدا لا يموت ومثله
قول دعبل فوالله ما ادري باي سهامها رمتني وكلٌّ عندنا ليس بالمكدي ابالجيد

ابالجيد ام مجرى الوشاح وانني لأتهم عينيها مع الفاحم الجعد المعنى على نفي
ان يكون في سهامها مكدٍ على وجه من الوجوه ومن البين في ذلك ما جاء في حديث ذي
اليدين حين قال للنبي عليه السلام اقصرت الصلوة ام نسيت يا رسول الله فقال
النبي عليه السلام كل ذلك لم يكن فقال ذو اليدين بعض ذلك قد كان فالمعنى لا محالة على
نفي الامرين جميعا وعلى ان النبي عليه السلام اراد انه لم يكن واحد منهما لا القصر ولا
النسيان ولو قيل لم يكن كل ذلك لكان المعنى انه قد كان بعضه واعلم انه لما كان
المعنى مع اعمال الفعل المنفي في كل نحو لم ياتني القوم كلهم ولم ار القوم كلهم على ان
الفعل قد كان من البعض ووقع على البعض قلت لم ياتني القوم كلهم ولكن اتاني بعضهم
ولم ار القوم كلهم ولكن رايت بعضهم فاثبت بعدما نفيت ولا يكون ذلك مع رفع كل
بالابتداء فلو قلت كلهم لم ياتني ولكن اتاني بعضهم وكل ذلك لم يكن ولكن كان بعض ذلك
لم يجز لانه يؤدي الى التناقض وهو ان تقول لم ياتني واحد منهم ولكن اتاني بعضهم واعلم
انه ليس التاثير لما ذكرنا من اعمال الفعل وترك اعماله على الحقيقة وانما التاثير لامر آخر وهو
دخول كل في حيز النفي وان لا يدخل فيه وانما علقنا الحكم في البيت وسائر ما مضى
باعمال الفعل وترك اعماله من حيث كان اعماله فيه يقتضي دخوله في حيز النفي
وترك اعماله يوجب خروجه منه من حيث كان الحرف النافي في البيت حرفا لا ينفصل
عن الفعل وهو لم لا ان كونه معمولا للفعل وغير معمول يقتضي ما رايت من الفرق
الا ترى انك لو جئت بحرف نفي يتصور انفصاله عن الفعل لرايت المعنى في كل
مع ترك اعمال الفعل مثله مع اعماله ومثال ذلك قوله ما كل ما يتمنى المرء يدركه
وقول الآخر ما كل راي الفتى يدعو الى رشد كل كما ترى غير معمل فيه الفعل

حاشية
اعني في قوله لم اصنع
واذا لم ينفصل كان
اعمال اصنع في كل منه [illegible]
لم في النفي [illegible]
ادخل كل في النفي [illegible]
وكان ان يكون المعنى انه صنع
بعض الذنب لا كله [illegible]

ومرفوع اما بالابتداء واما بانه اسم ما ثم ان المعنى مع ذلك على ما يكون عليه اذا اعملت فيه الفعل
فقلت ما يدرك المرء كل ما يتمناه وما يدعو كل رأي الفتى الى رشد وذلك لان التاسيس لوقوعه
في حيز النفي وذلك حاصل في الحالين ولو قدمت كلا في هذا فقلت كل ما يتمنى المرء لا
يدركه وكل رأي الفتى لا يدعوه الى رشد لتغير المعنى ولصار بمنزلة ان يقال ان المرء لا يدرك
شيئا مما يتمناه ولا يكون في رأي الفتى ما يدعو الى رشد بوجه من الوجوه واعلم انك اذا
ادخلت كلا في حيز النفي وذلك بان تقدم النفي عليه لفظا او تقديرا فالمعنى على نفي الشمول
دون نفي الفعل والوصف نفسه واذا اخرجت كلا من حيز النفي ولم تدخله فيه لا لفظا
ولا تقديرا كان المعنى على انك تتبعت الجملة فنفيت الفعل والوصف عنها واحدا واحدا
والعلة في ان كان ذلك كذلك انك اذا بدأت بكل كنت قد بنيت النفي عليه وسلطت الكلية
على النفي واعملتها فيه واعمال معنى الكلية في النفي يقتضي ان لا يشذ شيء عن النفي فاعرفه
واعلم ان من شأن الوجوه والفروق ان لا تزال تحدث بسببها وعلى حسب الاغراض و
المعاني التي تقع فيها دقائق وخفايا لا الى حد ونهاية وانها خفايا تكتم انفسها جهدها
حتى لا يتنبه لاكثرها ولا يعلم انها هي وحتى لا تزال ترى العالم يعرض السهو فيه وحتى انه
ليقصد الى الصواب فيقع في اثناء كلامه ما يوهم الخطأ كل ذلك لشدة الخفاء وفرط الغموض
فصل واعلم انه اذا كان بيّنا في الشيء انه لا يحتمل الا الوجه الذي هو عليه حتى لا
يشكل وحتى لا يحتاج في العلم بان ذلك حقه وانه الصواب الى فكر وروية فلا مزية وانما
تكون المزية ويجب الفضل اذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجها اخر
ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الاخر ورأيت للذي جاء عليه حسنا وقبولا تعدمهما اذا
انت تركته الى الثاني ومثال ذلك قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن ليس بخاف ان لتقديم

الشركاء حسنا وروعة ومأخذا من القلوب انت لا تجد شيئا منه ان انت اخرت فقلت
وجعلوا الجن شركاء لله وانك ترى حالك حال من نقل عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق
والحسن الباهر الى الشيء الغفل الذي لا تحلى منه بكثير طائل ولا تصير النفس به الى حاصل والسبب
في ان كان ذلك كذلك هو ان للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلا لا سبيل اليه مع التأخير بيانه
انا وان كنا نرى جملة المعنى ومحصوله انهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله وكان هذا المعنى
يحصل مع التأخير حسب حصوله مع التقديم فان تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ويفيد معه
معنى اخر وهو انه ما كان ينبغي ان يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن واذا اخر فقيل
جعلوا الجن شركاء لله لم يفد ذلك ولم يكن فيه شيء اكثر من الاخبار عنهم بانهم عبدوا الجن مع الله فاما
انكار ان يعبد مع الله غيره وان يكون له شريك من الجن وغير الجن فلا يكون في اللفظ مع تأخير
الشركاء دليل عليه وذلك ان التقدير مع التقديم ان شركاء مفعول اول لجعل ولله في موضع
المفعول الثاني ويكون الجن على كلام ثان وعلى تقدير انه كأنه قيل فمن جعلوا شركاء لله فقيل
الجن واذا كان التقدير في شركاء انه مفعول اول ولله في موضع المفعول الثاني وقع
الانكار على كون شركاء لله على الاطلاق من غير اختصاص شيء دون شيء وحصل من ذلك ان
اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل في الانكار دخول اتخاذه من الجن لان الصفة اذا
ذكرت مجردة غير مجراة على شيء كان الذي تعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز ان
يكون له تلك الصفة فاذا قلت ما في الدار كريم كنت نفيت الكينونة في الدار عن كل من
يكون الكرم صفة له وحكم الانكار ابدا حكم النفي واذا اخر فقيل وجعلوا الجن شركاء
لله كان الجن مفعولا اول والشركاء مفعولا ثانيا واذا كان كذلك كان الشركاء مخصوصا
غير مطلق من حيث كان محالا ان يجري خبرا عن الجن ثم يكون عاما فيهم وفي غيرهم

واذا كان كذلك احتمل ان يكون القصد بالانكار الى الخبر خصوصا ان يكونوا شركا دون غيرهم
تعالى الله عز وجل عن ان يكون له شريك وشبيه بحال وانظر الآن الى شرف ما حصل من
المعنى بان قدم الشركاء واعتبره فانه ينبهك لكثير من الامور ويدلك على عظم شان النظم
وتعلم به كيف يكون الايجاز وما صورته وكيف يزاد في المعنى من غير ان يزاد في اللفظ اذ
قد ترى ان ليس الا تقديم وتاخير وانه قد حصل لك به لكم زيادة المعنى ما ان حاولته
مع تركه لم يحصل لك واحتجت الى ان تستانف له كلاما نحو ان تقول وجعلوا الجن شركا
لله وما ينبغي ان يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيرهم ثم لا يكون له اذا عقل من كلامين من
الشرف والفخامة ومن كرم الموقع في النفس ما تجده له الآن وقد عقل من هذا الكلام
الواحد قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة اذا انت راجعت نفسك واذكيت
حسك وجدت لهذا التنكير وان قيل على حيوة ولم يقل على الحيوة حسنا وروعة
ولطف موقع لا يقادر قدره وتجدك تعدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الاريحية والانس
الى خلافهما والسبب في ذلك ان المعنى على الازدياد من الحيوة لا الحيوة من اصلها
وذلك انه لا يحرص الا الحي فاما العادم للحيوة فلا يصح منه الحرص لا على الحيوة
ولا على غيرها واذا كان كذلك صار كانه قيل ولتجدنهم احرص الناس ولو عاشوا ما
عاشوا على ان يزدادوا الى حيوتهم الحيوة في ماضي الوقت وراهنه حيوة في الذي
يستقبل وكما انك لا تقول ها هنا ان يزدادوا الى حيوتهم الحيوة بالتعريف وانما تقول
حيوة كذا اذا كان التعريف يصلح حيث تراد الحيوة على الاطلاق كقولنا كل احد يحب
الحيوة ويكره الموت كذلك الحكم في الآية والذي ينبغي ان يراعى ان المعنى الذي يوصف
الانسان بالحرص عليه اذا كان موجودا حال وصفك له بالحرص عليه لم يتصور ان يجعله
حريصا عليه من اصله كيف ولا يحرص على الراهن ولا الماضي وانما يكون الحرص على
ما لم يوجد بعد وشبه بتنكير الحيوة في هذه الآية تنكيرها في قوله جل وعز ولكم في القصاص
حيوة وذلك ان السبب في حسن التنكير وان لم يحسن التعريف ان ليس المعنى على الحيوة
نفسها ولكن على انه لما كان الانسان اذا علم انه اذا قتل قتل ارتدع بذلك عن القتل فسلم
صاحبه صارت حيوة هذا المهموم بقتله في مستانف الوقت مستفادة بالقصاص
وصار كانه قد حيي في باقي عمره به واذا كان المعنى على حيوته في بعض اوقاته وجب
التنكير وامتنع التعريف من حيث كان التعريف يقتضي ان يكون الحيوة قد كانت
بالقصاص من اصلها وان يكون القصاص قد كان سببا في كونها في كافة الاوقات و
ذلك خلاف المعنى وغير ما هو المقصود ويبين ذلك انك تقول لك في هذا غنى فتنكر
اذا اردت ان تجعل ذلك من بعض ما تستغني به فان قلت لك فيه الغنى كان الظاهر
انك جعلت كل غناه به وامر آخر وهو انه لا يكون ارتداع حتى يكون هم وارادة
وليس بواجب ان لا يكون انسان في الدنيا الا وله عدو يهم بقتله ثم يردعه خوف القصاص
واذا لم يجب ذلك فمن لم يهم انسان بقتله وكفي ذلك الهم بخوف القصاص فليس هو
ممن حيي بالقصاص واذا دخل الخصوص فقد وجب ان يقال حيوة ولا يقال الحيوة
كما وجب ان يقال شفاء ولا يقال الشفاء في قوله تعالى يخرج من بطونها شراب فيه
شفاء للناس حيث لم يكن شفاء للجميع واعلم انه لا يتصور ان يكون الذي هم بالقتل فلم
يقتل خوف القصاص داخلا في الجملة وان يكون القصاص افاده الحيوة كما افاد
المقصود قتله وذلك ان هذه الحيوة انما هي لمن كان يقتل لولا القصاص وذلك محال
في صفة القاصد للقتل فانه يصح في صفة ما هو كالضد لهذا وهو ان يقال انه كان لا

يخاف عليه القتل لولا القصاص وإذا كان هذا كذلك كان وجهاً بالتأمل وجوه التنكير

فصل واعلم انه لا يصادف القول في هذا الباب موقعاً من السامع ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من اهل الذوق والمعرفة وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بان لما نومي اليه من الحسن واللطف اصلاً وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الاريحية تارة ويعرى منها اخرى وحتى اذا عجبته عجب واذا نبهته لموضع المزية انتبه فاما من كانت الحالان والوجهان عنده ابداً على سواء وكان لا يتفقد من امر النظم الا الصحة المطلقة والا اعراباً ظاهراً فما اقل ما تجدي الكلام معه فليكن من هذه صفته عندك بمنزلة من عدم الاحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به والطبع الذي يميز صحيحه من مكسوره ومزاحفه من سالمه وما خرج من البحر مما لم يخرج منه في انك لا تتصدى له ولا تتكلف تعريفه لعلمك انه قد عدم الاداة التي معها يعرف والحاسة التي بها يجد فليكن قدحك في زند وارٍ والحك في عود انت تطمع منه في نار واعلم ان هؤلاء وان كانوا هم الآفة العظمى في هذا الباب فان من الآفة ايضاً من زعم انه لا سبيل الى معرفة العلة في قليل ما يعرف المزية فيه وكثيره وان ليس الا ان تعلم ان هذا التقديم او هذا التنكير او هذا العطف او هذا الفصل حسن وان له موقعاً من النفس وحظاً من القبول فاما ان تعلم لم كان كذلك وما السبب فمما لا سبيل اليه ولا مطمع في الاطلاع عليه فهو بتوانيه والكسل فيه في حكم من قال ذلك واعلم انه ليس اذا لم يمكن معرفة الكل وجب ترك النظر في الكل وان تعرف العلة والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه وان قل فتجعله شاهداً فيما لم تعرف احرى من ان تسد باب المعرفة على نفسك وتأخذها عن الفهم والتفهم وتعودها الكسل والهوينا قال الجاحظ وكلام كثير قد جرى

على السنة الناس وله مضرة شديدة وثمرة مرة فمن اضر ذلك قولهم لم يدع الاول للآخر شيئاً قال فلو ان علماء كل عصر مذ جرت هذه الكلمة في اسماعهم تركوا الاستنباط لما لم ينته اليهم عمن قبلهم لرأيت العلم مختلاً الى ههنا كلام الجاحظ واعلم ان العلم انما هو معدن فكما انك لا يمنعك ان ترى الوف وقر قد اخرجت من معدن تبر ان تطلب فيه وان تأخذ ما تجد ولو كقدر تومة كذلك ينبغي ان يكون رأيك في طلب العلم ومن الله نسأل التوفيق

فصل هذا فن من المجاز لم نذكره فيما تقدم اعلم ان طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرناه قبل انك ذكرت الكلمة وانت لا تريد معناها ولكن تريد معنى ما هو ردف له او شبيه له فتجوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه واذ قد عرفت ذلك فاعلم ان في الكلام مجازاً على غير هذا السبيل وهو ان يكون التجوز في حكم يجري على الكلمة فقط وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها ويكون معناها مقصوداً في نفسه ومراداً من غير تورية ولا تعريض والمثال فيه قولهم نهارك صائم وليلك قائم ونام ليلي وتجلى همي وقوله تعالى فما ربحت تجارتهم وقول الفرزدق سقتها خروق في المسامع لم تكن علاطاً ولا مخبوطة في الملاغم انت ترى مجازاً في هذا كله ولكن لا في ذوات الكلم وانفس الالفاظ ولكن في احكام اجريت عليها الا ترى انك لم تتجوز في قولك نهارك صائم وليلك قائم في نفس صائم وقائم ولكن في ان اجريتهما خبرين على النهار والليل وكذلك ليس المجاز في الآية في لفظة ربحت نفسها ولكن في اسنادها الى التجارة وهكذا الحكم في قوله سقتها خروق ليس التجوز في نفس سقتها ولكن في ان اسندها الى الخروق افلا ترى انك لا ترى شيئاً منها الا وقد اريد به معناه الذي وضع له على وجهه وحقيقته فلم يرد بصائم غير الصوم ولا بقائم غير القيام ولا بربحت غير الربح

في احكام صح

ولا يسقت عن السقي كما اريد بقوله سالت في قوله وسالت باعناق المطي
الاباطح غير السيل واعلم ان الذي ذكرت لك في المجاز هنا كمن ان من شانه ان يفخم
عليه المعنى وتحدث فيه النباهة قائم لك مثله هاهنا فليس يشتبه على عاقل
ان ليس حال المعنى وموقعه في قوله فنام ليلي وتجلى همي كحاله وموقعه اذا
انت تركت المجاز وقلت فنمت في ليلي وتجلى همي كما لم يكن الحال في قولك رايت
اسدا كالحال في رايت رجلا كالاسد ومن ذا الذي يخفى عليه مكان العلو وموضع
المزية وصورة الفرقان بين قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وبين ان يقال فما ربحوا
في تجارتهم وان اردت ان يزداد للامر تبيينا فانظر الى بيت الفرزدق
يحمي اذا اخترط السيوف نساءنا ضرب تطير له السواعد ارعل والى رونقه
ومائه والى ما عليه من الطلاوة ثم ارجع الى الذي هو الحقيقة وقل يحمي اذا
اخترط السيوف نساءنا بضرب تطير له السواعد ارعل ثم اسبر حالك
هل ترى مما كنت تراه شيئا وهذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز
البلاغة ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الابداع والاحسان و
الاتساع في طرق البيان وان يجيء بالكلام مطبوعا مصنوعا وان يضعه
بعيد المرام قريبا من الافهام ولا يغرنك من امره انك ترى الرجل يقول اتى
بي الشوق الى لقائك وسار بي الحنين الى رؤيتك واقدمني بلدك حق لي على
انسان واشباه ذلك مما تجده لشعبه وشهرته يجري مجرى الحقيقة التي
لا تشكل امرها فليس هو كذلك ابدا بل يدق ويلطف حتى يمتنع مثله الا
على الشاعر المفلق والكاتب البليغ وحتى ياتيك بالبدعة لم تعرفها

النادرة تانق لها وحمله الامران سبيله سبيل الضرب الاول الذي هو مجاز في نفس
اللفظ وذات الكلمة وكان من الاستعارة والتمثيل عاميا مثل رايت اسدا و
وردت بحرا وشاهدت بدرا وسل من رايه سيفا ماضيا وخاصيا لا يكمل
له كل احد مثل قوله وسالت باعناق المطي الاباطح كذلك الامر في هذا المجاز
الحكمي والله اعلم واعلم انه ليس بواجب في هذا ان يكون للفعل فاعل في التقدير
اذا انت نقلت الفعل اليه عدت به الى الحقيقة مثل انك تقول في ربحت تجارتهم
ربحوا في تجارتهم وفي يحمي نساءنا ضرب يحمي نساءنا بضرب فان ذلك لا يتاتى في
كل شيء الا ترى انه لا يمكنك ان تثبت للفعل في قولك اقدمني بلدك حق لي على
انسان فاعلا سوى الحق وكذا لا تستطيع في قوله وصيرني هواك وبي لحيني
يضرب المثل وقوله يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا ان تزعم ان
لصيرني فاعلا قد نقل عنه الفعل فجعل للهوى كما فعل ذلك في ربحت تجارتهم
ويحمي نساءنا ضرب ولا تستطيع كذلك ان تقدر ليزيد في قوله يزيدك وجهه
فاعلا غير الوجه فالاعتبار اذن بان يكون المعنى الذي يرجع اليه الفعل موجودا
في الكلام على حقيقته معنى ذلك ان القدوم في قولك اقدمني بلدك حق لي على
انسان موجود على الحقيقة وكذلك الصيرورة في قوله وصيرني هواك والزيادة
في قوله يزيدك وجهه موجودتان على الحقيقة واذا كان معنى اللفظ موجودا
على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه واذا لم يكن المجاز في نفس اللفظ كان لا محالة
في الحكم فاعرف هذه الجملة واحسن ضبطها حتى تكون على بصيرة من الامر
ومن اللطيف من ذلك قول حاجز بن عوف ابي عوم داج وعمي مالك وضع السهام

[illegible]

فلو صبا جبتنا لرضيت منا اذا لم يغبق المائة الغلاما يريد اذا كان العام
عام جدب وجفت ضروع الابل وانقطع الدر حتى ان حلب منها مائة
لم يحصل من لبنها ما يكون غبوق غلام واحد فالفعل الذي هو غبق مستعمل
في نفسه على حقيقته غير مخرج عن معناه واصله الى معنى شيء آخر فيكون
قد دخله مجاز في نفسه وانما المجاز في ان اسند الى الابل وجعل فعلا لها و (ان صح)
اسناد الفعل الى الشيء حكم في الفعل وليس هو نفس معنى الفعل فاعرفه و
اعلم ان من سبب اللطف في ذلك انه ليس كل شيء يصلح لان يتعاطى فيه هذا المجاز
الحكمي بسهولة بل تجدك في كثير من الامر وانت تحتاج الى ان تهيئ الشيء
وتصلحه لذلك بشيء تتوخاه في النظم وان اردت مثالا في ذلك فانظر الى
قوله تناس طلاب العامرية اذ نأت بأسجح مرقال الضحى قلق الضفر
اذا ما احسته الافاعي تحيزت شواة الافاعي من مثلمة سمر تجوب له
الظلماء عين كأنها زجاجة شرب غير ملأى ولا صفر يصف جملا ويريد انه
يهتدي بنور عينه في الظلماء ويمكنه بها ان يخرقها ويمضي فيها ولولاها لكانت
الظلماء كالسد والحاجز الذي لا يجد شيئا يفرجه به ويجعل لنفسه فيه سبيلا (له صح)
فانت الآن تعلم انه لولا انه قال تجوب له فعلق تجوب لما صلحت العين لان يسند
تجوب اليها ولكان لا يتبين جهة التجوز في جعل الجوب فعلا للعين كما ينبغي
وكذلك تعلم انه لو قال مثلا تجوب له الظلماء عينه لم يكن له هذا الموقع ولاضطرب
عليه معناه وانقطع السلك من حيث كان يعيبه حينئذ ان يصف العين بما
وصفها به الآن فتأمل هذا واعتبره فهذه التهيئة وهذا الاستعداد في هذا

المجاز

فاذا بلغنا آخر الكلام علمنا حينئذ انها كانت فيه حين نطقنا به فسبيل هذا فن آخر
من العجب وهو ان يكون ههنا صفة موجودة في شيء ثم لا يكون في الامكان ولا وسع في
الجواز ان يعلم وجود تلك الصفة في ذلك الشيء الا من بعد ان يعدم ويكون العلم بها
وبكونها فيه محجوبا عنا حتى يعدم واذا عدم علمنا حينئذ انها كانت فيه حين كان ثم
انه لا شبهة في ان هذه الفصاحة التي يدعونها للفظ هي مدعاة لمجموع الكلمة دون
آحاد حروفها اذ ليس يبلغ بهم تهافت الرأي الى ان يدعوا لكل واحد من حروف
اشتغل فصاحة فيجعلوا الشين على حدته فصيحا وكذلك التاء والغين واللام
واذا كانت الفصاحة مدعاة لمجموع الكلمة لم يتصور حصولها لها الا من بعد ان
تعدم كلها وينقضي امر النطق بها ذاك لانه لا يتصور ان يدخل الحروف بجملتها
في النطق دفعة واحدة حتى تجعل الفصاحة موجودة فيها في حال وجودها
وما بعد هذا الا ان نسأل الله تعالى العصمة والتوفيق فقد بلغ الامر في الشناعة الى حد
اذا انتبه العاقل له قد راسه استحياء من العقل حين يراه قد قال قولا هذا مؤداه
وسلك مسلكا الى هذا مفضاه وما مثل من يزعم ان الفصاحة صفة للفظ من
حيث هو لفظ ونطق لسان ثم يزعم انه يدعيها لمجموع حروفه دون آحادها
الا مثل من يزعم ان ههنا غزلا اذا نسج منه ثوب كان احمر واذا فرق ونظر
اليه خيطا خيطا لم يكن فيه حمرة اصلا ومن طريف امرهم انك ترى كافتهم لا
ينكرون ان اللفظ المستعار اذا كان فصيحا كانت فصاحته تلك من اجل
استعارته ومن اجل لطف وغرابة كانا فيها وتراهم مع ذلك لا يشكون في ان
الاستعارة لا تحدث في حروف اللفظ صفة ولا تغير اجراسها عما يكون

عليه اذا لم يكن مستعارا او كان متروكا على حقيقته وان التاثير من الاستعارة انما يكون
في المعنى كيف وهم يعتقدون ان اللفظ اذا استعير لشيء نقل عن معناه الذي وضع
له بالكلية واذا كان الامر كذلك فلولا اهمالهم انفسهم وتركهم النظر لقد كان يكون في هذا
ما يوقظهم من غفلتهم ويكشف الغطاء عن اعينهم فصل ومما ينبغي
ان يعلمه الانسان ويجعله منه على ذكر انه لا يتصور ان يتعلق الفكر بمعاني الكلم افرادا
ومجردة من معاني النحو فلا يقوم في وهم ولا يصح في عقل ان يتفكر متفكر في
معنى فعل من غير ان يريد اعماله في اسم ولا ان يتفكر في معنى اسم من غير ان يريد اعمال فعل
فيه وجعله فاعلا له او مفعولا او يريد فيه حكما سوى ذلك من الاحكام
مثل جعله مبتدا او خبرا او صفة او حالا او ما شاكل ذلك وان اردت ان ترى ان تريد صح
ذلك عيانا فاعمد الى اي كلام شئت وازل اجزاءه عن مواضعها وضعها
وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها فقل في قفا نبك من ذكرى
حبيب ومنزل من نبك قفا حبيب ذكرى منزل ثم انظر هل يتعلق منك فكر
بمعنى كلمة منها واعلم اني لست اقول ان الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة اصلا
ولكني اقول انه لا يتعلق بها مجردة من معاني النحو ومنطوقا بها على وجه لا يتاتى
معه تقدير معاني النحو وتوخيها فيها كالذي اريتك والا فانك اذا فكرت في
الفعلين او الاسمين تريد ان تخبر باحدهما عن الشيء ايهما اولى ان تخبره عنه واشبه
بغرضك مثل ان تنظر ايهما امدح او اذم او فكرت في الشيئين تريد ان تشبه
الشيء باحدهما ايهما اشبه به كنت قد فكرت في معاني انفس الكلم الا ان فكرك
ذلك لم يكن الا من بعد ان توخيت فيها معنى من معاني النحو وهو ان اردت جعل

الاسم الذي فكرت فيه خبرا عن شيء اردت فيه مدحا او ذما او تشبيها او
غير ذلك من الاغراض ولم تجئ الى فعل او اسم ففكرت فيه فردا ومن غير ان
كان لك قصد ان تجعله خبرا او غير خبر فاعرف ذلك وان اردت مثالا فخذ
بيت بشار كأن مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه
وانظر هل يتصور ان يكون بشار قد اخطر معاني هذه الكلم بباله افرادا عارية
عن معاني النحو التي تراها فيها وان يكون قد وقع كأن في نفسه من غير ان يكون
قصد ايقاع التشبيه منه على شيء وان يكون فكر في مثار النقع من غير ان يكون
اراد اضافة الاول الى الثاني وفكر في فوق رؤوسنا من غير ان يكون اراد ان
يضيف فوق الى الرؤوس وفي الاسياف من دون ان يكون اراد عطفها بالواو
على مثار وفي الواو من دون ان يكون اراد العطف بها وان يكون كذلك فكر في الليل
من دون ان يكون اراد ان يجعله خبرا لكأن وفي تهاوى كواكبه من دون ان يكون
اراد ان يجعل تهاوى فعلا للكواكب ثم يجعل الجملة صفة لليل ليتم الذي اراد
من التشبيه ام لم يخطر هذه الاشياء بباله الا مرادا فيها هذه الاحكام والمعاني
التي تراها فيها وليت شعري كيف يتصور وقوع قصد منك الى معنى كلمة من
دون ان تريد تعليقها بمعنى كلمة اخرى ومعنى القصد الى معاني الكلم ان تعلم
السامع بها شيئا لا يعلمه ومعلوم انك ايها المتكلم لست تقصد ان تعلم السامع
معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها فلا تقول خرج زيد لتعلمه معنى خرج في اللغة
ومعنى زيد كيف ومحال ان تكلمه بالفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف ولهذا
لم يكن الفعل وحده من دون الاسم ولا الاسم وحده من دون اسم اخر او فعل كلاما

يأتِ

ولكنك لو قلت خرج ولم تأت باسم ولا قدرت فيه ضمير الشيء او قلت زيد ولم تأت
بفعل ولا اسم آخر ولم تضمره في نفسك كان ذلك وصوتا تصوته سواء فاعرفه
واعلم ان مثل واضع الكلام مثل من ياخذ قطعا من الذهب او الفضة فيذيب
بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة وذلك انك اذا قلت ضرب زيد عمرا
يوم الجمعة ضربا شديدا تاديبا له فانك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها
على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان كما يتوهمه الناس وذلك انك لم تات
بهذه الكلم لتفيده انفس معانيها وانما جئت بها لتفيده وجوه التعلق التي
بين الفعل الذي هو ضرب وبين ما عمل فيه والاحكام التي هي محصول التعلق
واذا كان الامر كذلك فينبغي لنا ان ننظر في المفعولية من عمرو وكون الجمعة زمانا للضرب
وكون الضرب ضربا شديدا وكون التاديب علة للضرب أيتصور فيها ان تفرد عن
المعنى الاول الذي هو اصل الفائدة وهو اسناد ضرب الى زيد واثبات الضرب
به له حتى يعقل كون عمرو مفعولا به وكون يوم الجمعة مفعولا فيه وكون ضربا شديدا
مصدرا وكون التاديب مفعولا له من غير ان يخطر ببالك كون زيد فاعلا للضرب
واذا نظرنا وجدنا ذلك لا يتصور لان عمرا مفعول لضرب وقع من زيد عليه و
يوم الجمعة زمان لضرب وقع من زيد وضربا شديدا بيان لذلك الضرب الذي
كيف هو وما صفته والتاديب علة له وبيان انه كان الغرض منه واذا كان
ذلك كذلك بان منه وثبت ان المفهوم من مجموع الكلم معنى واحد لا عدة معان
وهو اثباتك زيدا فاعلا ضربا لعمرو في وقت كذا وعلى صفة كذا ولغرض
كذا ولهذا المعنى تقول انه كلام واحد واذ قد عرفت هذا فهو العبرة ابدا

فبيت بشار اذا تاملته وجدته كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم ورأيته قد
صنع في الكلم التي فيه ما يصنعه الصانع حين ياخذ كسرا من الذهب فيذيبها ثم
يصبها في قالب ويخرجها لك سوارا او خلخالا وان انت حاولت قطع بعض
الفاظ البيت عن بعض كنت كمن يكسر الحلقة ويفصم السوار وذلك انه لم يرد ان
يشبه النقع بالليل على حدة والاسياف بالكواكب على حدة ولكنه اراد ان يشبه
النقع والاسياف تجول فيه بالليل في حال ما تنكدر الكواكب وتتهاوى فيه
فالمفهوم من الجميع مفهوم واحد والبيت من اوله الى آخره كلام واحد
فانظر الآن ما تقول في اتحاد هذه الكلم التي هي اجزاء البيت أتقول ان الفاظها
اتحدت فصارت لفظة واحدة ام تقول ان معانيها اتحدت فصارت الالفاظ
من اجل ذلك كانها لفظة واحدة فان كنت لا تشك ان الاتحاد الذي تراه هو في
المعاني اذ كان من فساد العقل ومن الذهاب في الخبال ان يتوهم متوهم ان الالفاظ
يندمج بعضها في بعض حتى تصير لفظة واحدة فقد اراك ذلك ان لم تكابر عقلك
ان النظم يكون في معاني الكلم دون الفاظها وان نظمها هو توخي معاني النحو
فيها وذلك انه اذا ثبت الاتحاد وثبت انه في المعاني فينبغي ان ننظر الى الذي به
اتحدت المعاني في بيت بشار واذا نظرنا لم نجدها اتحدت الا بان جعل
مثار النقع اسم كان وجعل الظرف الذي هو فوق رؤوسنا معمولا لمثار و
معلقا به واشرك الاسياف في كان بعطفه لها على مثار ثم بان قال ليل تهاوى
كواكبه فاتى بالليل نكرة وجعل جملة قوله تهاوى كواكبه له صفة ثم جعل مجموع
ليل تهاوى كواكبه خبرا لكان فانظر هل ترى شيئا كان الاتحاد به غير ما عددناه

وهل تعرف له موجبا سواه فلولا الاخلاد الى الهوينا وترك النظر و
غطاء ألف على عيون اقوام لكان ينبغي ان يكون في هذا وحده الكفاية وما فوق
الكفاية ونسال الله تعالى التوفيق واعلم ان الذي هو آفة هؤلاء الذين لهجوا بالاباطيل
في امر اللفظ انهم قوم قد اسلموا انفسهم الى التخيل والقوا مقادتهم الى الاوهام
حتى عدلت بهم عن الصواب كل معدل ودخلت بهم من فحش الغلط في كل
مدخل وتعسفت بهم في كل مجهل وجعلتهم يرتكبون في نصرة رايهم الفاسد
القول بكل محال ويتقحمون في كل جهالة حتى انك ان قلت لهم انه لا يتاتى للناظم
نظمه الا بالفكر والروية فاذا جعلتم النظم في الالفاظ لزمكم من ذلك ان تجعلوا
فكر الانسان اذا هو فكر في نظم الكلام فكرا في الالفاظ التي يريد ان ينطق بها
دون المعاني لم يبالوا ان يرتكبوا ذلك وان يتعلقوا بما في العادة ومجرى
الجبلة من ان الانسان يخيل اليه اذا هو فكر انه كان ينطق في نفسه بالالفاظ
التي يفكر في معانيها حتى يرى انه يسمعها سماعه لها حين يخرجها من فيه و
حين يجري بها اللسان وهذا تجاهل لان سبيل ذلك سبيل ان الانسان تخيل
دائما في الشيء قد راه وشاهده انه كانه يراه وينظر اليه وان مثاله نصب
عينيه فكما لا يوجب هذا ان يكون رائيا له وان يكون الشيء موجودا في نفسه
كذلك لا يكون تخيله انه كانه ينطق بالالفاظ موجبا ان يكون ناطقا بها وان تكون
موجودة في نفسه حتى يجعل ذلك سببا الى جعل الفكر فيها ثم انا نعمل على انه
ينطق بالالفاظ في نفسه وانه يجدها فيها على الحقيقة فمن اين لنا انه اذا فكر
كان الفكر منه فيها ام ماذا يروم ليت شعري بذلك الفكر ومعلوم ان الفكر

ثم

من الانسان يكون في ان يخبر عن شيء بشيء او يصف شيئا بشيء او يضيف شيئا الى
شيء او يشرك شيئا في حكم شيء او يخرج شيئا من حكم قد سبق منه لشيء او يجعل
وجود شيء شرطا في وجود شيء وعلى هذا السبيل وهذا كله فكر في امور
معقولة زائدة على اللفظ واذا كان هذا كذلك لم يخل هذا الذي يجعل في الالفاظ
فكرا من احد امرين اما ان يخرج هذه المعاني من ان يكون لواضع الكلام فيها
فكر ويجعل الفكر كله في الالفاظ واما ان يجعل له فكرا في اللفظ مفردا عن الفكر
في هذه المعاني فان ذهب الى الاول لم يكلم وان ذهب الى الثاني لزمه ان يجوز
وقوع فكر من الاعجمي الذي لا يعرف معاني الالفاظ العربية اصلا في الالفاظ
وذلك مما لا يخفى مكان الشنعة والفضيحة فيه وشبيه بهذا التوهم منهم
انك قد ترى احدهم يعتبر حال السامع فاذا راى المعاني لا تترتب في نفسه
بنفسه اي نفس السامع صح
الا بترتب الالفاظ في سمعه ظن عند ذلك ان المعاني تبع للالفاظ وان الترتب
فيها مكتسب من الالفاظ ومن ترتبها في نطق المتكلم وهذا ظن فاسد ممن
يظنه فان الاعتبار ينبغي ان يكون بحال الواضع للكلام والمؤلف له والواجب
ان ينظر الى حال المعاني معه لا مع السامع واذا نظرنا علمنا ضرورة انه محال
ان يكون الترتب فيها تبعا لترتب الالفاظ ومكتسبا عنه لان ذلك يقتضي ان
تكون الالفاظ سابقة للمعاني وان تقع في نفس الانسان اولا ثم تقع المعاني من
بعدها تالية لها بالعكس مما يعلمه كل عاقل اذا هو لم يؤخذ عن نفسه ولم
يضرب حجاب بينه وبين عقله وليت شعري هل كانت الالفاظ الا من
اجل المعاني وهل هي الا خدم لها ومصرفة على حكمها او ليست هي

بسماتٍ لها واوضاعًا قد وضعت لتدل عليها فكيف يتصور ان يسبق المعاني
وان تتقدمها في تصور النفس ان جاز ذلك جاز ان تكون اسامي قد وضعت
قبل ان عرفت الاشيا وقبل ان كانت وما ادري ما اقول في شيء يجرّ الذاهب
فيه الى اشباه هذا من فنون المحال وردي الاقوال وهذا سؤال لهم من جنس
اخر في النظم قالوا لو كان النظم يكون في معاني النحو لكان البدوي الذي لم يسمع
بالنحو قط ولم يعرف المبتداء والخبر وشيا مما تذكرونه لا يتاتّى له نظم كلام وانا
لنراه ياتي في كلامه بنظم لا يحسنه المتقدم في علم النحو قيل هذه شبهة
من جنس ما عرض للذين عابوا المتكلمين فقالوا انا نعلم ان الصحابة رضي الله عنهم
والعلما في الصدر الاول لم يكونوا يعرفون الجوهر والعرض وصفة النفس
وصفة المعنى وسائر العبارات التي وضعتموها فان كان لا يتم الدلالة على حدث
العالم والعلم بوحدانية الله تعالى الا بمعرفة هذه الاشيا التي ابتدأتموها
فينبغي لكم ان تدعوا انكم قد علمتم في ذلك ما لم يعلموه وان منزلتكم في العلم اعلى
من منازلهم وجوابنا هو مثل جواب المتكلمين وهو ان الاعتبار بمعرفة
مدلول العبارات لا بمعرفة العبارات فاذا عرف البدوي الفرق بين ان يقول
جاني زيد راكبا وبين قوله جاني زيد الراكب لم يضره ان لا يعرف انه اذا قال
راكبا كانت عبارة النحويين فيه ان يقولوا في راكب انه حال واذا قال الراكب
انه صفة جارية على زيد واذا عرف في قوله زيد منطلق ان زيدا مخبَر عنه
ومنطلق خبر لم يضره ان لا يعلم انا نسمي زيدا مبتدا واذا عرف في قولنا
ضربته تاديبًا له ان المعنى في التاديب انه غرضه من الضرب وانه ضربه

ليتأدّب لم يضره ان لا يعلم انا نسمي التاديب مفعولا له ولو كان عدم العلم بهذه
العبارات يمنعه العلم بما وضعناها له واردناه بها لكان ينبغي ان لا يكون له سبيل
الى بيان اغراضه وان لا يفصل فيما يتكلم به بين نفي واثبات وبين ما اذا كان استفهاما
وبينه اذا كان بمعنى الذي واذا كان بمعنى المجازاة لانه لم يسمع عباراتنا في الفرق
بين هذه المعاني اترى الاعرابي حين سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدًا رسولَ اللهِ
بالنصب فانكر وقال صنع ماذا انكر عن غير علم ان النصب يخرجه عن ان
يكون خبرا ويجعله والاول في حكم اسم واحد وانه اذا صار والاول في حكم
اسم واحد احتيج الى اسم آخر او فعل حتى يكون كلامًا وحتى يكون قد ذكر ماله
فائدة ان كان لم يعلم ذلك فلماذا قال صنع ماذا فطلب ما يجعله خبرا و
يكفيك انه يلزم على ما قالوه ان يكون امرؤ القيس حين قال قفا نبك من ذكرى
حبيب ومنزل قاله وهو لا يعلم ما نعنيه بقولنا ان قفا امر ونبك جواب الامر
وذكرى مضاف الى حبيب ومنزل معطوف على الحبيب وان يكون هذه
الالفاظ قد رتبت له من غير قصد منه الى هذه المعاني وذلك يوجب ان يكون
قد قال نبك بالجزم من غير ان يكون عرف معنى يوجب الجزم واتى به مؤخّرا عن
قفا من غير ان عرف لتاخيره موجبا سوى طلب الوزن ومن افضت به
الحال الى امثال هذه الشناعات ثم لم يرتدع ولم يتبيّن انه على خطا فليس
الا تركه والاعراض عنه ولولا انا نحب ان لا يبقى احد في معنى السؤال والاعتراض
بحرف الا ادنيناه الذي اشتهوه لكان ترك التشاغل بايراد هذا وشبهه اولى
ذاك لا انا قد علمنا علم ضرورة انا لو بقينا الدهر الاطول نصعّد ونصوّب

ونبحث وننقب بتتبع كلمة قد اتصلت بصاحبة لها ولفظة قد انتظمت مع اختها
من غير ان نتوخى فيما بينهما معنى من معاني النحو طلبنا ممتنعا وتمنينا مطايا الفكر ظلعا فان
كان ههنا من يشك في ذلك ويزعم انه قد علم لاتصال الكلم بعضها ببعض وانتظام
الالفاظ بعضها مع بعض معاني غير معاني النحو فانا نقول له هات فبين لنا تلك المعاني
وارنا مكانها واهدنا لها فلعلك اوتيت علما قد حجب عنا وفتح لك باب قد اغلق دوننا
ذاك له اذا العنقا صارت مربية وشب ابن الخصي

فصل

وقد ارد ولم اجد
العوام منهم هو اصل الفساد ومعظم الآفة والذي صار حجازا بين القوم وبين التأمل واخذ بهم
عن طريق النظر وحال بينهم وبين ان يصغوا الى ما يقال لهم وان يفتحوا للذي تشكى اعينهم عن
ذلك قولهم ان العقلاء قد اتفقوا على انه يصح ان يعبر عن المعنى الواحد بلفظين ثم يكون احدهما فصيحا
والاخر غير فصيح وذلك قالوا يقتضي ان يكون للفظ نصيب في المزية لانها لو كانت مقصورة
على المعنى لكان محالا ان يجعل لاحد اللفظين فضل على الآخر مع ان المعبر عنه واحد و
هذا شيء تراهم يعجبون به ويكثرون ترداده مع انهم يؤكدونه فيقولون لولا ان الامر كذلك
لكان ينبغي ان لا يكون للبيت من الشعر فضل على تفسير المفسر له لانه ان كان اللفظ انما
يشرف من اجل معناه فان لفظ المفسر يأتي على المعنى ويؤديه لا محالة اذ لو كان لا يؤديه
لكان لا يكون تفسيرا له ثم يقولون واذا لزم ذلك في تفسير البيت من الشعر لزم مثله في الآية
من القرآن وهم اذا انتهوا في الحجاج الى هذا الموضع ظنوا انهم قد اتوا بما لا يجوز ان يسمع
عليه كلام وانه نقض ليس بعده ابرام وربما اخرجهم الاعجاب به الى الضحك والتعجب
ممن يرى ان الى الكلام عليه سبيلا وانه يستطيع ان يقيم على بطلان ما قالوه دليلا
والجواب وبالله التوفيق ان يقال للمحتج بذلك قولك انه يصح ان يعبر عن المعنى الواحد

بلفظين يحتمل امرين احدهما ان يريد باللفظين كلمتين معناهما واحد في اللغة مثل الليث
والاسد ومثل شحط وبعد واشباه ذلك مما وضع اللفظان فيه لمعنى والثاني ان يريد كلامين
فان اردت الاول خرجت من المسألة لان كلامنا نحن في فصاحة تحدث بعد التأليف دون
الفصاحة التي يوصف بها اللفظة مفردة ومن غير ان يعتبر حالها مع غيرها وان اردت
الثاني ولا بد لك من ان تريده فان ههنا اصلا من عرفه عرف سقوط هذا الاعتراض وهو
ان يعلم ان سبيل المعاني سبيل اشكال الحلي كالخاتم والشنف والسوار فكما ان من شان
هذه الاشكال ان يكون الواحد منها غفلا ساذجا لم يعمل صانعه فيه شيئا اكثر من ان
اتى بما يقع عليه اسم الخاتم ان كان خاتما والشنف ان كان شنفا وان يكون مصنوعا
بديعا قد اغرب صانعه فيه كذلك سبيل المعاني ان ترى الواحد منها غفلا ساذجا
عاميا موجودا في كلام الناس كلهم تراه بعينه وقد عمد اليه البصير بشان البلاغة
واحداث الصور في المعاني فيصنع فيه ما يصنع الصنع الحاذق حتى يغرب
في الصنعة ويدق في العمل ويبدع في الصياغة وشواهد ذلك حاضرة لك
كيف شئت وامثلته نصب عينك من اين نظرت تنظر الى قول الناس الطبع لا يتغير
ولست تستطيع ان تخرج الانسان عما جبل عليه فترى معنى غفلا عاميا معروفا
في كل جيل وامة ثم تنظر اليه في قول المتنبي يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع
على الناقل فتجده قد خرج في احسن صورة وتراه قد تحول جوهرة بعد ان كان
خرزة وصار اعجب شيء بعد ان لم يكن شيئا واذ قد عرفت ذلك فان العقلاء الى
هذا قصدوا حين قالوا انه يصح ان يعبر عن المعنى الواحد بلفظين ثم يكون احدهما
فصيحا والاخر غير فصيح كانهم قالوا انه يصح ان يكون ههنا عبارتان اصل المعنى فيهما

واحد منهم يكون لاحدهما في تحسين ذلك المعنى وتزيينه واحداث خصوصية فيه ما لا يكون
للآخر واعلم ان المخالف لا يخلو من ان ينكر ان يكون للمعنى في احدى العبارتين حسن ومزية لا
يكون له في الاخرى وان يحدث فيه على الجملة صورة لم يكن تعرف ذلك فان انكر لم يكلم لانه
يؤديه الى ان لا يجعل للمعنى في قوله وتأبى الطباع على الناقل مزية على الذي يعقل من قولهم
الطبع لا يتغير ولا يستطيع ان يخرج الانسان عما جبل عليه وان لا يرى لقول ابي نواس وليس
لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد مزية على ان يقال غير بديع في قدرة الله تعالى ان يجمع
فضائل الخلق كلهم في رجل واحد ومن اداه قول يقوله الى مثل هذا كان الكلام معه محالا
وكنت اذا كلفته ان يعرف كمن يكلف ان يميز بحور الشعر بعضها من بعض فيعرف المديد
من الطويل والبسيط من السريع من ليس له ذوق يقيم به الشعر من اصله وان اعترف بان ذلك
يكون قلنا له اخبرنا عنك اتقول في قوله وتأبى الطباع على الناقل انه غاية في الفصاحة
واذا قال نعم قيل له اوكان ذلك عندك من اجل حروفه او من اجل حسن ومزية حصلا
في المعنى فان قال من اجل حروفه دخل في الهذيان وان قال من اجل حسن ومزية حصلا في
المعنى قيل له فذاك ما اردناك عليه حين قلنا ان اللفظ يكون فصيحا من اجل مزية تقع في
معناه لا من اجل جرسه وصداه واعلم انه ليس شيء ابين واوضح واحرى ان يكشف الشبهة
عن متأمله في صحة ما قلناه من التشبيه فانك تقول زيد كالاسد او مثل الاسد او شبيه
بالاسد فتجد ذلك كله تشبيها غفلا ساذجا ثم تقول كأن زيدا الاسد فيكون تشبيها
ايضا الا انك ترى بينه وبين الاول بونا بعيدا لانك ترى له صورة خاصة وتجدك قد
فخمت المعنى وزدت فيه بان افدت انه من الشجاعة وشدة البطش وان قلبه قلب
لا يخامره الذعر ولا يدخله الروع بحيث يتوهم انه الاسد بعينه ثم تقول لئن لقيته

ليلقينك منه الاسد فتجده قد افاد هذه المبالغة ولكن في صورة احسن وصفة اخص
وذلك انك تجعله في كأن يتوهم انه الاسد وتجعله ها هنا يرى منه الاسد على القطع
فتخرج الامر عن حد التوهم الى حد اليقين ثم ان نظرت الى قوله ان ارعشت كفا
ابيك واصبحت يداك يدي ليث فانك غالبه وجدته قد بدا لك في صورة آنق و
احسن ثم ان نظرت الى قول ارطاة بن سهية ان تلقني لا ترى غيري بناظرة
تنس السلاح وتعرف جبهة الاسد وجدته قد فضل الجميع ورأيته قد اخرج في
صورة غير تلك الصور كلها واعلم ان من الباطل والمحال ما يعلم الانسان بطلانه واستحالته
بالرجوع الى النفس حتى لا يشك ثم انه اذا اراد بيان ما يجد في نفسه والدلالة عليه
رأى المسلك اليه يغمض ويدق وهذه الشبهة اعني قولهم انه لو كان يجوز ان يكون الامر
على خلاف ما قالوه من ان الفصاحة وصف للفظ من حيث هو لفظ لكان ينبغي
ان لا يكون للبيت من الشعر فضل على تفسير المفسر له الى آخره من ذاك وقد علقت ذلك
بالنفوس وقويت فيها حتى انك لا تلقى احدا من المتعلقين بامر اللفظ كلمة ما يجري
عنه الا كان هذا اول كلامه والاعجب وقالوا ان المفسر ان كان للمفسر فلا يجوز ان يبقى من
معنى المفسر شيء لا يكون الى العلم به سبيل واذا كان الامر كذلك ثبت ان الصحيح ما قلناه
من انه لا يجوز ان يكون للفظ المفسر فضل من حيث المعنى على لفظ التفسير واذا
لم يجز ان يكون الفضل من حيث المعنى لم يبق الا ان يكون من حيث اللفظ نفسه فهذا
جملة ما يمكنهم ان يقولوا في نصرة هذه الشبهة قد استقصيتها لك واذ قد عرفته
فاسمع الجواب والله تعالى الموفق للصواب اعلم ان قولهم ان التفسير يجب
ان يكون كالمفسر دعوى لا تصح لهم الا من بعد ان ينكروا الذي بيناه من ان من شأن المعاني

هو الا انه يرى غيري بناظرة في موضع الحال الى ان يغفر ويجد م

أن يختلف بها الصور ويدفعوه أصلاً وحتى يدّعوا أنه لا فرق بين الكناية والتصريح
وأن حال المعنى مع الاستعارة كحاله مع ترك الاستعارة وحتى يبطلوا ما أطبق عليه
العقلاء من أن المجاز يكون أبداً أبلغ من الحقيقة فيزعموا أن قولنا طويل النجاد وطويل
القامة واحد وأن حال المعنى في بيت ابن هرمة ولا أبتاع إلا قريبة الأجل كحاله في قولك
أنا مضياف وأنك إذا قلت رأيت أسداً لم يكن الأمر أقوى من أن تقول رأيت رجلاً
هو من الشجاعة بحيث لا ينقص عن الأسد ولم تكن قد زدت في المعنى بأن ادعيت له أنه
أسد بالحقيقة ولا بالغت فيه وحتى يزعموا أنه لا فضل ولا مزية لقولهم ألقيت حبله
على غاربه على قولك في تفسيره خليته وما يريد وتركته يفعل ما يشاء وحتى لا يجعلوا
للمعنى في قوله وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم مزية على أن يقال اشتدت محبتهم
للعجل وغلبت على قلوبهم وأن تكون صورة المعنى في قوله عز وجل واشتعل الرأس
شيباً صورته في قول من يقول وشاب رأسي كله وحتى لا يروا فرقاً بين قوله تعالى
فما ربحت تجارتهم وبين فما ربحوا في تجارتهم وحتى يرتكبوا جميع ما أريناك الشناعة
فيه من أن لا يكون فرق بين قول المتنبي وتأبى الطباع على الناقل وبين قولهم إنك لا تقدر
أن تغيّر طباع الإنسان ويجعلوا حال المعنى في قول أبي نواس وليس لله بمستنكر أن يجمع
العالم في واحد كحاله في قولنا إنه ليس ببديع في قدرة الله تعالى أن يجمع فضائل الخلق
كلهم في واحد ويرتكبوا ذلك في الكلام كله حتى يزعموا أنا إذا قلنا في قوله تعالى ولكم
في القصاص حياة إن المعنى فيها أنه لما كان الإنسان إذا همّ بقتل آخر لشيء غاظه
منه فذكر أنه إن قتله قُتل ارتدع صار المهموم بقتله كأنه قد استفاد حياة فيما
يستقبل بالقصاص كنا قد أدينا المعنى في تفسيرنا هذا على صورته التي هو عليها

في الآية حتى لا يعرف فضلاً وحتى يكون حال الآية والتفسير حال اللفظين أحدهما
غريب والآخر مشهور فيفسر الغريب بالمشهور مثل أن يقول في الشرجب إنه
الطويل وفي القط إنه الكتاب وفي الدسر إنها المسامير ومن صار الأمر به إلى هذا
كان الكلام معه محالاً واعلم أنه ليس عجب أعجب من حال من يرى كلامين أجزاء أحدهما
مخالفة في معانيها لأجزاء الآخر ثم يرى أنه يسع في العقل أن يكون معنى أحد الكلامين
مثل معنى الآخر سواءً حتى يتعمد فيقول إنه لو كان يكون الكلام فصيحاً من أجل مزية
تكون في معناه لكان ينبغي أن يوجد تلك المزية في تفسيره ومثله في العجب أنه ينظر إلى
قوله تعالى فما ربحت تجارتهم فيرى إعراب الاسم الذي هو التجارة قد تغير فصار مرفوعاً
بعد أن كان مجروراً ويرى أنه قد حذف من اللفظ بعض ما كان فيه وهو الواو وفي
وفي في قولنا في تجارتهم ثم لا يعلم أن ذلك يقتضي أن يكون المعنى قد تغير كما تغير واعلم أنه
ليس للحجج والدلائل في صحة ما نحن فيه حدّ ونهاية وكلما انتهى منه باب انفتح فيه باب
آخر وقد أردت أن آخذ في نوع آخر من الحجاج ومن البسط والشرح فتأمل ما أكتبه
لك اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم قسمين قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ وقسم
يعزى ذلك فيه إلى النظم فالقسم الأول الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حد
الاستعارة وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر فما
من ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذا وقع على الصواب وعلى ما ينبغي أوجب
الفضل والمزية فإذا قلت هو كثير رماد القدر كان له موقع وحظ من القبول لا يكون
إذا قلت هو كثير القرى والضيافة وكذا إذا قلت هو طويل النجاد كان له تأثير في
النفس لا يكون إذا قلت هو طويل القامة وكذلك إذا قلت رأيت أسداً كان له مزية

لا يكون اذا قلت رايت رجلا يشبه الاسد ويساويه في الشجاعة وكذلك اذا قلت
اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى كان له موقع لا يكون اذا قلت اراك تتردد في
الذي دعوتك اليه كمن يقول اخرج ولا اخرج فيقدم رجلا ويؤخر اخرى وكذلك اذا
قلت القى حبله على غاربه كان له ماخذ من القلب لا يكون اذا قلت هو كالبعير
الذي يلقى حبله على غاربه حتى يرعى كيف يشاء ويذهب حيث يريد لا يجهل المزية الا
عديم الحس ميت النفس والا من لا يكلم لانه من مبادي المعرفة التي من عدمها لم يكن
للكلام معه معنى واذ قد عرفت هذه الجملة فينبغي ان ينظر الى هذه المعاني واحدا
واحدا ويعرف محصولها وحقائقها وان ينظر اولا الى الكناية واذا نظرت اليها
وجدت حقيقتها ومحصول امرها انها اثبات لمعنى انت تعرف ذلك المعنى من
طريق المعقول دون طريق اللفظ الا ترى انك لما نظرت الى قولهم هو كثير رماد القدور
وعرفت منه انهم ارادوا انه كثير القرى والضيافة لم تعرف ذلك من اللفظ ولكنك
عرفته بان رجعت الى نفسك فقلت انه كلام قد جاء عنهم في المدح ولا معنى للمدح
بكثرة الرماد فليس الا انهم ارادوا ان يدلوا بكثرة الرماد على انه تنصب له القدور
الكثيرة ويطبخ فيها للقرى والضيافة وذلك لانه اذا كثر الطبخ في القدور كثر احراق
الحطب تحتها واذا كثر احراق الحطب كثر الرماد لا محالة وهكذا السبيل في كل
ما كان كناية فليس من لفظ الشعر عرفت ان ابن هرمة اراد بقوله ولا ابتاع الا قريبة
الاجل التمدح بانه مضياف ولكنك عرفته بالنظر اللطيف وبان علمت انه لا معنى
للتمدح بظاهر ما يدل عليه اللفظ من قرب اجل ما يشتريه فطلبت له تاويلا
فعلمت انه اراد انه يشتري ما يشتريه للاضياف فاذا اشترى شاه او بعيرا كان

قد اشترى ما قد دنا اجله لانه يذبح وينحر عن قريب واذ قد عرفت هذا في الكناية
فالاستعارة في هذه القضية وذلك ان موضوعها على انك تثبت بها معنى لا يعرف
السامع ذلك المعنى من اللفظ ولكنه يعرفه من معنى اللفظ بيان هذا انك لا تقول رايت   انا نعلم م
اسدا الا وغرضك ان تثبت للرجل انه مساو للاسد في شجاعته وجراته وشدة
بطشه واقدامه وفي ان الذعر لا يخامره والخوف لا يعرض له ثم تعلم ان السامع اذا
عقل هذا المعنى لم يعقله من لفظ اسد ولكنه يعقله من معناه وهو انه يعلم انه لا معنى
لجعله اسدا مع العلم بانه رجل الا انك اردت انه بلغ من شدة مشابهته للاسد
ومساواته اياه مبلغا يتوهم معه انه اسد بالحقيقة فاعرف هذه الجملة واحسن
تاملها واعلم انك ترى الناس وكانهم يرون انك اذا قلت رايت اسدا وانت تريد
التشبيه كنت نقلت لفظ اسد عما وضع له في اللغة واستعملته في معنى غير معناه
حتى كان ليس الاستعارة الا ان تعمد الى اسم الشيء فتجعله اسما للشبيه وحتى كان لا فصل
بين الاستعارة وبين تسمية المطر سماء والنبت غيثا والمزادة راوية واشباه ذلك
مما يوقع فيه اسم الشيء على ما هو منه بسبب وقد ذهب عنهم ما هو مركوز في الطباع من
ان المعنى فيه المبالغة وان يدعى في الرجل انه ليس برجل ولكنه اسد بالحقيقة وانه
انما يعار اللفظ من بعد ان يعار المعنى وانه لا يشرك في اسم الاسد الا من بعد ان
يدخل في جنس الاسد لا ترى احدا يعقل الا وهو يعرف ذلك اذا رجع الى نفسه ادنى
رجوع ومن اجل ان كان الامر كذلك رايت العقلاء كلهم يثبتون القول بان من شان
الاستعارة ان يكون ابدا ابلغ من الحقيقة والا فان كان ليس ههنا الا نقل اسم من
شيء الى شيء فمن اين يجب ليت شعري ان يكون الاستعارة ابلغ من الحقيقة ويكون

لقولنا رايت اسدا مزيه على قولنا رايت شبيها بالاسد وقد علمنا انه محال ان يتغير
الشي في نفسه بان ينقل اليه اسم قد وضع لغيره من بعد ان لا يراد من معنى ذلك الاسم
فيه شي بوجه من الوجوه بل يجعل كانه لم يوضع لذلك المعنى الاصلي اصلا وفي اي
عقل يتصور ان يتغير معنى شبيه بالاسد بان يوضع لفظ اسد عليه وينقل اليه
واعلم ان العقلا بنوا كلامهم اذا قاسوا وشبهوا على ان الاشيا تستحق الاسامي
لخواص معان هي فيها دون ما عداها فاذا اثبتوا خاصة شي لشي اثبتوا له اسمه
فاذا جعلوا الرجل بحيث لا تنقص شجاعته من شجاعة الاسد ولا يعدم منها شيا
قالوا هو اسد واذا وصفوه بالتناهي في الخير والخصال الشريفة او بالحسن
الذي يبهر قالوا هو ملك واذا وصفوا الشي بغاية الطيب قالوا هو مسك
وكذلك الحكم ابدا ثم انهم اذا استقصوا في ذلك نفوا عن المشبه اسم جنسه فقالوا
ليس هو بانسان وانما هو اسد وليس هو ادميا وانما هو ملك كما قال تعالى ما
هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ثم ان لم يريدوا ان يخرجوه عن جنسه جملة
قالوا هو اسد في صورة انسان وهو ملك في صورة ادمي وقد خرج هذا للمتنبي
في احسن عبارة وذلك في قوله نحن ركب ملجن في زي ناس فوق طير لها
شخوص الجمال ففي هذه الجملة بيان لمن عقل ان ليست الاستعارة نقل اسم
عن شي الى شي ولكنها ادعا معنى الاسم لشي اذ لو كانت نقل اسم وكان قولنا
رايت اسدا بمعنى رايت شبيها بالاسد ولم يكن ادعا انه اسد بالحقيقة لكان
محالا ان يقال ليس هو بانسان ولكنه اسد ويقال هو اسد في صورة انسان
كما انه محال ان يقال ليس هو بانسان ولكنه شبيه باسد او يقال هو شبيه

ان خرق او سحق المسك لم يزل عنه اسم المسك اذا بقيت رائحته على ما هي عليه فاعرفه

فعند الخوف العلوس ادعا فاعل الغضب للخوف ورايت اسدا ادعا فاعل الاسدية للرجل فصار اسدا كا وبمعنى ادعا كل شي بالسوية فاعرفه

باسد في صورة انسان واعلم انه قد كثر في كلام الناس استعمال لفظ النقل في
الاستعارة فمن ذلك قولهم ان الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في
اصل اللغة على سبيل النقل وقال القاضي ابو الحسن الاستعارة ما اكتفي فيه بالاسم
المستعار عن الاصلي ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ومن شان ما غمض
من المعاني ولطف ان يصعب تصويره على الوجه الذي هو عليه لعامة الناس
فيقع لذلك في العبارات التي يعبر بها عنه ما يوهم الخطا واطلاقهم في الاستعارة
انها نقل للعبارة عما وضعت له من ذلك فلا يصح الاخذ به وذلك انك اذا كنت لا
تطلق اسم الاسد على الرجل الا من بعد ان تدخله في جنس الاسود من الجهة التي بينا
لم تكن قد نقلت الاسم عما وضع له بالحقيقة لانك انما تكون ناقلا اذا انت اخرجت
معناه الاصلي من ان يكون مقصودك ونفضت به يدك فاما ان تكون ناقلا له
عن معناه مع ارادة معناه فمحال متناقض واعلم ان في الاستعارة ما لا يتصور
تقدير النقل فيه البتة وذلك مثل قول لبيد وغداة ريح قد كشفت وقرة
اذ اصبحت بيد الشمال زمامها لا خلاف في ان اليد استعارة ثم انك لا تستطيع
ان تزعم ان لفظ اليد قد نقل عن شي الى شي وذلك انه ليس المعنى على انه شبه
شيا باليد فيمكنك ان تزعم انه نقل لفظ اليد اليه وانما المعنى على انه اراد ان
يثبت للشمال في تصريفها الغداة على طبيعتها شبه الانسان قد اخذ الشي
بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد فلما اثبت لها مثل فعل الانسان باليد استعار
لها اليد وكما لا يمكنك تقدير النقل في لفظ اليد كذلك لا يمكنك ان تجعل الاستعارة
فيه من صفة اللفظ الا ترى انه محال ان يقول انه استعار لفظ اليد للشمال

ابو الحسن ابن عبد العزيز الجرجاني

وكذلك سبيل نظائره مما تجدهم قد اثبتوا فيه للشيء عضوًا من اعضاء الانسان من اجل
اثباتهم له المعنى الذي يكون في ذلك العضو من الانسان كبيت الحماسة اذا هزّه
في عظم قرنٍ تهللت نواجذ افواه المنايا الضواحك فانه لما جعل المنايا تضحك
جعل لها الافواه والنواجذ التي يكون الضحك فيها وكبيت المتنبي خميسٌ بشرق
الارض والغرب زحفه وفي اذن الجوزاء منه زمازم لما جعل الجوزاء تسمع
على عادتهم في جعل النجوم تعقل ووصفهم لها بما يوصف به الاناسي اثبت
لها الاذن التي بها يكون السمع من الاناسي فانت الان لا تستطيع ان تزعم في بيت الحماسة
انه استعار لفظ النواجذ ولفظ الافواه لان ذلك يوجب المحال وهو ان يكون
في المنايا شيء قد شبهه بالنواجذ وشيء قد شبهه بالافواه فليس الا ان تقول انه لما
ادعى ان المنايا تسرّ وتستبشر اذا هو هزّ السيف وجعلها لسرورها بذلك
تضحك اراد ان يبالغ في الامر فجعلها في صورة من يضحك حتى تبدو نواجذه من شدة
السرور وكذلك لا تستطيع ان تزعم ان المتنبي قد استعار لفظ الاذن لانه يوجب
ان يكون في الجوزاء شيء قد اراد تشبيهه بالاذن وذلك من شنيع المحال فقد تبين من
غير وجه ان الاستعارة انما هي ادعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء واذا
ثبت انها ادعاء معنى الاسم للشيء علمت ان الذي قالوه من انها تعليق للعبارة على
غير ما وضعت له في اللغة ونقل لها عما وضعت له كلام قد تسامحوا فيه لانه
اذا كانت الاستعارة ادعاء معنى الاسم لم يكن الاسم مزالا عما وضع له بل مقرًّا
عليه واعلم انك تراهم لا يمتنعون اذا تكلموا في الاستعارة من ان يقولوا انه اراد
المبالغة فجعله اسدًا بل هم يلجأون الى القول به وذلك صريح في ان الاصل فيها

المعنى وانه المستعار في الحقيقة وان قولنا استعير له اسم الاسد اشارة الى انه استعير
له معناه وانه جعل اياه وذلك انا لو لم نقل ذلك لم يكن لجعل ها هنا معنى لان جعل
لا يصلح الا حيث يراد اثبات صفة للشيء كقولنا جعلته اميرًا وجعلته لصًّا تريد
انك اثبت له الامارة ونسبته الى اللصوصية وادعيتها عليه ورميته بها وحكم
جعل اذا تعدى الى مفعولين حكم صيّر فكما لا تقول صيّرته اميرًا الا على معنى
انك اثبت له صفة الامارة كذلك لا تقول جعلته اسدًا الا على معنى انك اثبت له
معاني الاسد واما ما تجده في بعض كلامهم من ان جعل يكون بمعنى سمّى فمما تسامحوا
فيه ايضا لان المعنى معلوم وهو مثل ان تجد الرجل يقول انا لا اسميه انسانا
وغرضه ان يقول اني لا اثبت له المعاني التي بها كان الانسان انسانا فاما ان يكون
جعل في معنى سمّى هكذا غفلا فمما لا يخفى فساده الا ترى انك لا تجد عاقلا يقول
جعلته زيدًا بمعنى سميته زيدًا ولا يقال للرجل اجعل ابنك زيدًا بمعنى سمّه زيدًا و
وُلد لفلان ابن فجعله عبد الله اي سماه عبد الله هذا ما لا يشك فيه ذو عقل اذا
نظر واكثر ما يكون منهم هذا التسامح اعني قولهم ان جعل يكون بمعنى سمّى في قوله تعالى
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فقد ترى في التفسير ان جعل يكون
بمعنى سمّى وعلى ذلك فلا شبهة في ان ليس المعنى على مجرد التسمية ولكن على الحقيقة
التي وصفتها لك وذاك انهم اثبتوا للملائكة صفة الاناث واعتقدوا وجودها
بلغ ق فيهم وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم ما صدر من الاسم اعني اطلاق اسم البنات
وليس المعنى انهم وضعوا لها لفظ الاناث او لفظ البنات من غير اعتقاد
معنى واثبات صفة هذا محال اولا ترى الى قوله اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون

فلو كانوا لم يزيدوا على إجراء الاسم على الملائكة ولم يعتقدوا إثبات صفة لما قال تعالى
أشهدوا خلقهم هذا ولو كانوا لم يقصدوا إثبات صفة ولم يكن غير أن وضعوا اسماً
لا يريدون به معنى لما استحقوا إلا اليسير من الذم ولما كان هذا القول منهم كفراً والتفسير
الصحيح والعبارة المستقيمة ما قاله أبو إسحق الزجاج رحمه الله فإنه قال إن الجعل
هاهنا في معنى القول والحكم على الشيء تقول قد جعلت زيداً أعلم الناس أي وصفته
بذلك وحكمت به ونرجع إلى الغرض فنقول إذا ثبت أن ليست الاستعارة نقل
الاسم ولكن ادعاء معنى الاسم وكنا إذا عقلنا من قول الرجل رأيت أسداً أنه أراد به المبالغة
في وصفه بالشجاعة وأن يقول إنه من قوة القلب ومن فرط البسالة وشدة البطش و
في أن الخوف لا يخامره والذعر لا يعرض له بحيث لا ينقص عن الأسد لم نعقل ذلك من لفظ أسد
ولكن من ادعائه معنى الأسد للذي رآه ثبت بذلك أن الاستعارة كالكناية في أنك تعرف المعنى
فيهما من طريق المعقول دون طريق اللفظ وإذ قد عرفت أن طريق العلم بالمعنى في الاستعارة
والكناية معاً المعقول فاعلم أن حكم التمثيل في ذلك حكمهما بل الأمر في التمثيل أظهر وذلك أنه
ليس من عاقل يشك إذا نظر في كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد حين بلغه أنه يتلكأ في بيعته
أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام
فيعلم أن المعنى أنه يقول له إنك في أمر البيعة بين رأيين مختلفين تتردد تارة أن تبايع وأخرى
أن تمتنع من البيعة فإذا أتاك كتابي هذا فاعمل على أي الرأيين شئت إنه لم يعرف ذلك من
لفظ التقديم والتأخير أو من لفظ الرجل ولكن بأن علم أنه لا معنى لتقديم الرجل وتأخيرها
في رجل يدعى إلى البيعة وأن المعنى على أنه أراد أن يقول إن مثلك في ترددك بين أن تبايع وبين أن
تمتنع مثل رجل قائم ليذهب في أمر فجعلت نفسه تريه تارة أن الصواب في أن يذهب

وأخرى أن الصواب في أن لا يذهب فجعل يقدم رجلاً تارة ويؤخر أخرى وهكذا كل كلام كان
ضرب مثل لا يخفى على من له أدنى تمييز أن الأغراض التي يكون للناس في ذلك لا تعرف من الألفاظ
ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلة على الأغراض والمقاصد ولو كان الذي يكون
غرض المتكلم يعلم من اللفظ ما كان لقولهم ضرب كذا مثلاً لكذا معنى فما اللفظ يضرب مثلاً
ولكن المعنى فإذا علمنا في قوله صلى الله عليه وسلم إياكم وخضراء الدمن أنه عليه السلم ضرب
خضراء الدمن مثلاً للمرأة الحسناء في منبت السوء لم يكن المعنى أنه صلى الله عليه ضرب
لفظ خضراء الدمن مثلاً لها هذا ما لا تطيقه من به مسكة فضلاً عن العاقل فقد زال الشك
وارتفع في أن طريق العلم بما يراد إثباته والخبر به في هذه الأجناس الثلثة التي هي الكناية و
الاستعارة والتمثيل المعقول دون اللفظ من حيث يكون القصد بالإثبات فيها إلى
معنى ليس هو معنى اللفظ ولكنه معنى يستدل بمعنى اللفظ عليه ويستنبط منه كنحو ما
ترى من أن القصد في قولهم هو كثير رماد القدر إلى كثرة القرى وأنت لا تعرف ذلك من
هذا اللفظ الذي تسمعه ولكنك تعرفه بأن تستدل عليه بمعناه على ما مضى الشرح فيه
وإذ قد عرفت ذلك فينبغي أن يقال لهؤلاء الذين اعترضوا علينا في قولنا إن الفصاحة
وصف يجب للكلام من أجل مزية تكون في معناه وإنها لا تكون وصفاً له من حيث اللفظ
مجرداً عن المعنى واحتجوا بأن قالوا إنه لو كان إذا وصف بأنه فصيح كان ذلك من أجل
مزية تكون في معناه لوجب أن يكون تفسيره فصيحاً مثله أخبرونا عنكم أترون
أن من شأن هذه الأجناس إذا كانت في الكلام أن يكون له بها مزية توجب له الفصاحة
أم لا ترون ذلك فإن قالوا لا نرى ذلك لم يكلموا وإن قالوا نرى للكلام إذا كانت فيه
مزية توجب له الفصاحة قيل لهم فأخبرونا عن تلك

المزية ان يكون من اللفظ ام في المعنى فان قالوا في اللفظ دخلوا في الجهالة من حيث يلزم
من ذلك ان يكون الكناية والاستعارة والتمثيل اوصافا للفظ لانه لا يتصور ان يكون مزيتها في
اللفظ حتى يكون اوصافا له وذلك محال من حيث يعلم كل عاقل انه لا يكنى باللفظ عن اللفظ
وانه انما يكنى بالمعنى عن المعنى وكذلك يعلم انه لا يستعار اللفظ مجردا عن المعنى ولكن يستعار
المعنى ثم اللفظ يكون تبع المعنى على ما قدمنا الشرح فيه ويعلم كذلك انه محال ان يضرب
المثل باللفظ وان يكون قد ضرب لفظ اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى مثلا للتردد
في امر البيعة وان قالوا هي في المعنى قيل لهم فهو ما اردناكم عليه فدعوا الشك عنكم
وانتبهوا من رقدتكم فانه علم ضرورة قد ادى التقسيم اليه وكل علم كان كذلك فانه يجب
القطع على كل سؤال يسأل فيه بانه خطأ وان السائل ملبوس عليه ثم ان الذي يعرف
به وجه دخول الغلط عليهم في قولهم انه لو كان الكلام يكون فصيحا من اجل مزية يكون في
معناه لوجب ان يكون تفسيره فصيحا مثله هو انك اذا نظرت الى كلامهم هذا وجدتهم
كانهم قالوا انه لو كان الكلام اذا كان فيه كناية او استعارة او تمثيل كان لذلك فصيحا
لوجب ان يكون اذا لم يوجد فيه هذه المعاني فصيحا ايضا ذاك لان تفسير الكناية
ان تتركها وتصرح بالمكنى عنه فتقول ان المعنى في قولهم هو كثير رماد القدر انه كثير
القرى وكذلك الحكم في الاستعارة فان تفسيرها ان تتركها وتصرح بالتشبيه فتقول
في رأيت اسدا ان المعنى رأيت رجلا يساوي الاسد في الشجاعة وكذلك الامر في التمثيل
لان تفسيره ان تذكر الممثل به فتقول في قوله اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى ان المعنى
انه قال اراك تتردد في امر البيعة فتقول تارة افعل واخرى لا افعل كمن يريد الذهاب
في وجه فتريه نفسه تارة ان الصواب في ان يذهب واخرى انه في ان لا يذهب فهو يقدم

رجلا ويؤخر اخرى وهذا خروج عن المعقول لانه بمنزلة ان يقول الرجل قد نصب لوصف
علة ان كان هذا الوصف يجب لهذه العلة فينبغي ان يجب مع عدمها ثم ان الذي استهواهم
هو انهم نظروا الى تفسير الفاظ اللغة بعضها ببعض فلما راوا اللفظ اذا فسر بلفظ مثل
ان يقال في الشرجب انه الطويل لم يجز ان يكون في المفسر من حيث المعنى مزية لا تكون
في التفسير ظنوا ان سبيل ما نحن فيه ذلك السبيل وذلك غلط منهم لانه انما كان
للمفسر فيما نحن فيه الفضل والمزية على التفسير من حيث كانت الدلالة في المفسر
دلالة معنى على معنى وفي التفسير دلالة لفظ على معنى وكان من المركوز في الطباع
والراسخ في غرائز العقول انه متى اريد الدلالة على معنى فترك ان يصرح به ويذكر
باللفظ الذي هو له في اللغة وعمد الى معنى آخر فاشير به اليه وجعل دليلا
عليه كان للكلام بذلك حسن ومزية لا يكونان اذا لم يصنع ذلك وذكر بلفظه صريحا
ولا يكون هذا الذي ذكرت انه سبب فضل المفسر على التفسير من كون الدلالة
في المفسر دلالة معنى على معنى وفي التفسير دلالة لفظ على معنى حتى يكون للفظ المفسر
معنى معلوم يعرفه السامع وهو غير معنى لفظ التفسير في نفسه وحقيقته
كما ترى من ان الذي هو معنى اللفظ في قولهم هو كثير رماد القدر غير الذي هو معنى
اللفظ في قولهم هو كثير القرى ولو لم يكن كذلك لم يتصور ان يكون هاهنا دلالة معنى على معنى
واذ قد عرفت هذه الجملة فقد حصل لنا منها ان المفسر يكون له دلالتان دلالة
اللفظ على المعنى ودلالة المعنى الذي دل اللفظ عليه على معنى لفظ آخر ولا يكون للتفسير
الا دلالة واحدة وهي دلالة اللفظ وهذا الفرق هو سبب ان كان للمفسر الفضل
والمزية على التفسير ومحال ان يكون هذا قضية التفسير والمفسر في الفاظ اللغة

ذاك لأن معنى المفسَّر يكون أولاً مجهولاً عند السامع ومحال أن يكون للمجهول دلالة ثم
إن معنى المفسِّر يكون هو معنى المفسَّر بعينه ومحال إذا كان المعنى واحداً أن يكون
للمفسِّر فضل على المفسَّر لأن الفضل كان في مسألتنا بأن دلّ لفظ المفسِّر على معنى ثم
دلّ معناه على معنى آخر وذلك لا يكون مع كون المعنى واحداً ولا يتصور بيان هذا أنه
محال أن يقال إن معنى الشرجب الذي هو المفسَّر يكون دليلاً على معنى تفسيره
الذي هو الطويل على وزان قولنا إن معنى كثير الرماد العود يدل على معنى تفسيره
الذي هو كثير القرى لأمرين أحدهما أنك لا تفسر الشرجب حتى يكون معناه مجهولاً
عند السامع ومحال أن يكون للمجهول دلالة والثاني أن المعنى في تفسيرنا الشرجب
بالطويل أن نعلم السامع أن معناه هو معنى الطويل بعينه وإذا كان كذلك كان محالاً
أن يقال إن معناه يدل على معنى الطويل بل الذي يعقل أن يقال إن معناه هو معنى الطويل
فاعرف ذلك وانظر إلى العجب من الغفلة بالقوم وإلى ما دعاهم إليه ما بهم من الأحلام الكاذبة
ولو أنهم تركوا الاستنامة إلى التقليد والأخذ بالهوينا وترك النظر وأشعروا
قلوبهم أن هاهنا كلاماً ينبغي أن يصغى إليه لعلموا ولعاد إعجابهم بأنفسهم في سؤالهم
هذا وفي سائر أقوالهم عجباً منها ومن تطويح الظنون بها وأعوذ بأن يسقط
ما عرض به القوم وتحقق غلطهم فينبغي أن تعلم أن ليست المزايا التي تجدها
لهذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره والمبالغة التي تحسها فيها في
أنفس المعاني التي يقصد المتكلم بخبره إليها ولكنها في طريق إثباته لها وتقريره
إياها وأنك إذا سمعتهم يقولون إن من شأن هذه الأجناس أن تكسب المعاني
مزية وفضلاً وتوجب لها شرفاً ونبلاً وأن تفخمها في نفوس السامعين فإنهم

لا يعنون أنفس المعاني التي يقصد المتكلم بخبره إليها كالقرى والشجاعة والتردد في الرأي
وإنما يعنون إثباتها لما تثبت له ويخبر بها عنه فإذا جعلوا للكناية مزية على التصريح
لم يجعلوا تلك المزية في المعنى المكنى عنه ولكن في إثباته للذي تثبت له وذلك أنا نعلم أن المعاني
التي يقصد الخبر بها لا تتغير في أنفسها بأن يكنى عنها بمعان سواها ويترك أن يذكر الألفاظ
التي هي لها في اللغة ومن هذا الذي يشك أن معنى طول القامة وكثرة القرى لا
يتغير بأن يكنى عنهما بطول النجاد وكثرة رماد القدر كيف وتقدير التغير فيهما
يؤدي إلى أن لا تكون الكناية عنهما ولكن عن غيرهما وقد ذكرت هذا في صدر الكتاب وذكرت
أن السبب في أن كان يكون للإثبات إذا كان من طريق الكناية مزية لا تكون إذا كان من طريق
التصريح أنك إذا كنيت عن كثرة القرى بكثرة رماد القدر كنت قد أثبتَّ كثرة القرى
بإثبات شاهدها ودليلها وما هو علم على وجودها وذلك لا محالة يكون أبلغ من
إثباتها بنفسها وذلك لأنه يكون حينئذ سبيلها سبيل الدعوى تكون معها شاهد
وذكرت أن السبب في أن كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة أنك إذا ادعيت للرجل
أنه أسد بالحقيقة كان ذلك أبلغ وأشد في تسويته بالأسد في الشجاعة ذاك لأنه محال أن
يكون من الأسود ثم لا يكون له شجاعة الأسود وكذلك الحكم في التمثيل فإذا قلت أراك تقدم
رجلاً وتؤخر أخرى كان أبلغ في إثبات التردد له من أن تقول أنت كمن يقدم رجلاً ويؤخر
أخرى واعلم أنه قد يهجس في نفس الإنسان شيء يظن من أجله أنه ينبغي أن يكون الحكم في
المزية التي تحدث بالاستعارة أنها تحدث في المثبت دون الإثبات وذلك أن تقول إنا إذا
نظرنا إلى الاستعارة وجدناها إنما كانت أبلغ من أجل أنها تدل على قوة الشبه وأنه
قد تناهى إلى أن صار المشبه لا يتميز عن المشبه به في المعنى الذي من أجله شبه به وإذا كان

كذلك كان المزية الحادثة بها حادثة في الشبه واذا كانت حادثة في الشبه كانت في المثبت
دون الاثبات والجواب عن ذلك ان يقال ان الاستعارة لعمري تقتضي قوة الشبه وكونه بحيث
لا يتميز المشبه عن المشبه به ولكن ليس ذاك سبب المزية وذلك لانه لو كان ذلك سبب
المزية لكان ينبغي اذا جئت به صريحا فقلت رايت رجلا مساويا للاسد في الشجاعة
وبحيث لولا صورته لظننت انك رايت اسدا وما شاكل ذلك من ضروب المبالغة ان تجد
لكلامك المزية التي تجدها لقولك رايت اسدا وليس يخفى على عاقل ان ذلك لا يكون فان قال
قائل ان المزية من اجل ان المساواة تعلم من رايت اسدا من طريق المعنى ومن رايت رجلا
مساويا للاسد من طريق اللفظ قيل قد علم فيما تقدم انه محال ان يتغير حال
المعنى في نفسه بان يكنى عنه بمعنى آخر وانه لا يتصور ان يتغير معنى طول القامة
بان يكنى عنه بطول النجاد ومعنى كثرة القرى بان يكنى عنه بكثرة الرماد وكما ان ذلك لا
يتصور فكذلك لا يتصور ان يتغير معنى مساواة الرجل الاسد في الشجاعة بان يكنى
عن ذلك ويدل عليه بان يجعل اسدا فانت الان اذا نظرت الى قوله فاسبلت
لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد فرايته قد افادك ان الدمع
كان لا يحرم من شبه اللؤلؤ والعين من شبه النرجس شيئا فلا تحسبن ان الحسن
الذي تراه (اي يعتقد) فيه والاريحية التي تجدها عنده انه افادك ذلك فحسب وذلك انك تستطيع
ان تجيء به صريحا فتقول فاسبلت دمعا كانه اللؤلؤ بعينه من عين كانها النرجس
حقيقة ثم لا ترى من ذلك الحسن شيئا ولكن اعلم ان سبب ان راقك وادخل الاريحية
عليك انه افادك في اثبات شدة الشبه مزية واوجدك فيه خاصة قد غرز في
طبع الانسان ان يرتاح لها ويجد في نفسه هزة عندها وهكذا حكم نظائره كقوله

والاصل في هذا ان المبالغة التي
هي الغرض انما تحصل بايهام
ان لا تشبيه حتى يتبين انك
لم تذكر الذي ذكرت الا
وانت تريد به الحقيقة
واذا كان كذلك كان
الكلام كلما كان ابعد من التشبيه
يكون رده الى الحقيقة كان
لا محالة احسن على رغمه

يبكي فيذري الدر عن نرجس ويلطم الورد بعناب وقول المتنبي بدت قمرا ومالت
خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا واعلم ان من شان الاستعارة انك كلما
زدت ارادتك التشبيه اخفاء ازدادت الاستعارة حسنا حتى انك تراها اغرب
ما تكون اذا كان الكلام قد الف تاليفا ان اردت ان تفصح فيه بالتشبيه خرجت
الى شيء تعافه النفس ويلفظه السمع ومثال ذلك قول ابن المعتز اثمرت اغصان
راحته لجناة الحسن عنابا الا ترى انك لو حملت نفسك على ان تظهر التشبيه و
تفصح به احتجت الى ان تقول اثمرت اصابع يده التي هي كالاغصان لطالبي الحسن
شبيه العناب من اطرافها المخضوبة وهذا ما لا تخفى غثاثته ومن اجل ذلك كان
موقع العناب في هذا البيت احسن منه في قوله وعضت على العناب بالبرد
وذلك لان اظهار التشبيه فيه لا يقبح هذا القبح المفرط لانك لو قلت وعضت على
اطراف اصابع كالعناب بثغر كالبرد كان شيئا يتكلم بمثله وان كان مرذولا وهذا
موضع لا يتبين سره الا من كان ملتهب الطبع حاد القريحة وفي الاستعارة
علم كثير ولطائف معان ودقائق فروق وسنقول فيها ان شاء الله في موضع
آخر واعلم انا حين اخذنا في الجواب عن قولهم انه لو كان الكلام يكون فصيحا من
اجل مزية تكون في معناه لكان ينبغي ان يكون تفسيره فصيحا مثله قلنا ان الكلام
الفصيح ينقسم قسمين قسم تعزى المزية فيه الى اللفظ وقسم تعزى فيه الى النظم
وقد ذكرنا في القسم الاول من الحجج ما لا يبقى معه لعاقل اذا هو تاملها شك في بطلان
ما تعلقوا به من انه يلزمنا في قولنا ان الكلام يكون فصيحا من اجل مزية تكون في
معناه ان يكون تفسير الكلام الفصيح فصيحا مثله وانه تهوس منهم وتقحم في

المجالات واما القسم الذي تعزى فيه المزية الى النظم فانهم لم يظنوا الظن سوا الهم الذي اعتروا
بد ينجه لهم فيه كان امرهم اعجب وكان جهلهم في ذلك اغرب وذلك لان النظم كما اعلمناك هو
توخي معاني النحو واحكامه وفروقه ووجوهه والعمل بقوانينه واصوله وليست
معاني النحو معاني الالفاظ فيتصور ان يكون لها تفسير وجملة الامر ان النظم انما هو
من ان الحمد من قوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مبتدأ ولله خبر ورب
صفة لاسم الله ومضاف الى العالمين والعالمين مضاف اليه والرحمن الرحيم صفتان
كالرب وملك من قوله ملك يوم الدين صفة ايضا ومضاف الى يوم ويوم مضاف
الى الدين واياك ضمير اسم الله تعالى وهو ضمير يقع موقع الاسم اذا كان الاسم
منصوبا معنى ذلك انك لو ذكرت اسم الله مكانه لقلت الله نعبد ثم ان نعبد هو
المقتضي معنى النصب فيه وكذلك حكم اياك نستعين ثم ان جملة اياك نستعين معطوف
بالواو على جملة اياك نعبد والصراط مفعول والمستقيم صفة للصراط وصراط
الذين بدل من الصراط المستقيم وانعمت عليهم صلة الذين وغير المغضوب عليهم
صفة الذين ولا الضالين معطوف على المغضوب عليهم فانظر الان هل يتصور في شي
من هذه المعاني ان يكون معنى اللفظ وهل يكون كون الحمد مبتدا معنى لفظ الحمد
ام يكون كون رب صفة وكونه مضافا الى العالمين معنى لفظ الرب فان قيل
انه ان لم تكن هذه المعاني معاني انفس الالفاظ فانها تعلم على كل حال من ترتيب
الالفاظ ومن الاعراب فبالرفع في الدال من الحمد نعلم انه مبتدا وبالجر في الباء من
رب نعلم انه صفة وبالياء في العالمين نعلم انه مضاف اليه وعلى هذا قياس الكل
قيل ان ترتيب اللفظ لا يكون لفظا والاعراب وان كان يكون لفظا فانه لا يتصور

ان يكون ههنا لفظان كلاهما علامة اعراب ثم يكون احدهما نفسه للاخر وزيادة
القول في هذا من خطل الرأي فانه مما يعلمه العاقل ببديهة النظر ومن لم يتنبه له في
اول ما يسمع لم يكن اهلا لان يكلم ونعود الى رأس الحديث فنقول قد بطل الآن من
كل وجه وكل طريق ان يكون الفصاحة وصفا للفظ من حيث هو لفظ ونطق
لسان واذا كان هذا صورة الحال وجملة الامر ثم لم نر القوم تفكروا في شيء مما
شرحناه بحال ولا اخطروه لهم ببال بان وظهر انهم لم يأتوا الامر من بابه ولم
يطلبوه من معدنه ولم يسلكوا اليه طريقه وانهم لم يزيدوا على ان اوهموا انفسهم
وهما كاذبا انهم قد ابانوا الوجه الذي به كان القرآن معجزا والوصف الذي به
بان من كلام المخلوقين من غير ان يكونوا قد قالوا فيه قولا يشفي من شاك غليلا
ويكون على علم خلافك دليلا والى معرفة ما قصدوا له سبيلا واعلم انه اذا نظر
العاقل الى هذه الادلة فرأى ظهورها استبعد ان يكون قد ظن ظان في الفصاحة
انها من صفة اللفظ صريحا ولعمري انه كذلك ينبغي الا انا انما ننظر الى جدهم
وتشددهم وبتهم الحكم بان المعاني لا تتزايد وانما تتزايد الالفاظ فلئن كانوا قد قالوا
الالفاظ وهم لا يريدون بها انفسها وانما يريدون لطائف معاني تفهم منها لقد كان
ينبغي ان يتبعوا ذلك من قولهم ما ينبئ عن غرضهم وان يذكروا انهم عنوا بالالفاظ
ضربا من المعنى وان غرضهم مفهوم خاص هذا وامر النظم في انه ليس شيئا غير
توخي معاني النحو فيما بين الكلم وانك ترتب المعاني اولا في نفسك ثم تحذو على
ترتيبها الالفاظ في نطقك وانا لو فرضنا ان تخلو الالفاظ من المعاني لم يتصور
ان يجب فيها نظم وترتيب في غاية القوة والظهور ثم ترى الذين لهجوا بامر اللفظ

قد ابوا الا ان يجعلوا النظم في الالفاظ ترى الرجل منهم يرى ويعلم ان الانسان لا يستطيع
ان يجيء بالالفاظ مرتبة الا من بعد ان يفكر في المعاني ويرتبها في نفسه على ما اعلمناك
ثم تفتشه فتراه لا يعرف الامر بحقيقته وتراه ينظر الى حال السامع فاذا راى
المعاني لا تقع مرتبة في نفسه الا من بعد ان تقع الالفاظ مرتبة في سمعه نسي حال
نفسه واعتبر حال من يسمع منه وسبب ذلك قصر الهمة وضعف العناية و
ترك النظر والانس بالتقليد وما يغني وضوح الدلالة مع من لا ينظر فيها وان
الصبح ليملأ الافق ثم لا يراه النائم ومن قد اطبق جفنه واعلم انك لا ترى في الدنيا
علما قد جرى الامر فيه بديا واخيرا على ما جرى عليه في علم الفصاحة والبيان
اما البدي فهو انك لا ترى نوعا من انواع العلوم الا واذا تاملت كلام الاولين
الذين علموا الناس وجدت العبارة فيه اكثر من الاشارة والتصريح اغلب
من التلويح والامر في علم الفصاحة بالضد من هذا فانك اذا قرات ما قاله العلماء
فيه وجدت جله او كله رمزا ووحيا وكناية وتعريضا وايماء الى الغرض من وجه
لا يفطن له الا من غلغل الفكر وادق النظر ومن يرجع من طبعه الى المعية
يقوى معها على الغامض ويصل بها الى الخفي حتى كان بسلا حراما ان تتجلى
معانيهم سافرة الاوجه لا نقاب لها وبادية الصفحة ليس لها حجاب دونها وحتى
كان الافصاح بها حراما وذكرها الا على سبيل الكناية والتعريض غير سائغ و
اما الاخير فهو انا لم نر العقلاء قد رضوا من انفسهم في شيء من العلوم ان يحفظوا
كلاما للاولين ويتدارسوه ويكلم به بعضهم بعضا من غير ان يعرفوا له معنى
ويقفوا منه على غرض صحيح ويكون عندهم ان يسالوا عنه بيان له وتفسير

الا علم الفصاحة فانك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم الفاظا للقدماء
وعبارات من غير ان يعرفوا لها معنى اصلا او يستطيعوا ان يسالوا عنها ان يذكروا [في الهامش: سئلوا]
لها تفسيرا يصح فمن اقرب ذلك انك تراهم يقولون اذا هم تكلموا في مزية كلام على كلام
ان ذلك يكون بجزالة اللفظ واذا تكلموا في زيادة نظم على نظم ان ذلك يكون
لوقوعه على طريقة مخصوصة وعلى وجه دون وجه ثم لا تجدهم يفسرون الجزالة
بشيء ويقولون في المراد بالطريقة والوجه ما يحلى منه السامع بطائل وتقرا في
كتب البلغاء ضروب كلام قد وصفوا اللفظ فيها باوصاف تعلم ضرورة انها لا
ترجع اليه من حيث هو لفظ ونطق لسان وصدى حرف كقولهم لفظ متمكن
غير قلق ولا ناب به موضعه وانه جيد السبك صحيح الطابع وانه ليس
فيه فضل عن معناه وكقولهم ان من حق اللفظ ان يكون طبقا للمعنى لا يزيد عليه
ولا ينقص عنه وكقول بعض من وصف رجلا من البلغاء كانت الفاظه قوالب
لمعانيه هذا اذا مدحوه وقولهم اذا ذموه هو لفظ معقد وانه بتعقيده
قد استهلك المعنى واشباه لهذا ثم لا يخطر ببالهم انه لا يجب ان يطلب لما
قالوه معنى ويعلم له فائدة ويجشم فيه فكر وان يعتقد على الجملة اقل ما في الباب
انه كلام لا يصح حمله على ظاهره وان يكون المراد باللفظ فيه نطق اللسان
فالوصف بالتمكن والقلق في اللفظ محال فانما يتمكن الشيء ويقلق اذا
كان شيئا يثبت في مكان والالفاظ حروف لا يوجد منها حرف حتى يعدم
الذي كان قبله وقولهم متمكن وقلق وصف للكلمة باسرها لا حرف حرف
منها ثم انه لو كان يصح في حروف الكلمة ان يكون بها فيه مجموعها لكان ذلك

فهاهنا لا ابهام من حيث ان الشيء انما يتمكن ويقلق في مكانه الذي يوجد فيه و
مكان الحروف انما هو الحلق والفم واللسان والشفتان فلو كان يصح عليها
ان توصف بانها تتمكن وتقلق لكان يكون ذلك التمكن وذلك القلق منها في اماكنها
من الحلق والفم واللسان والشفتين وكذلك قولهم لفظ ليس فيه فضل عن معناه
محال ان يكون المراد به اللفظ لانه ليس هاهنا اسم او فعل او حرف يزيد على معناه
او ينقص عنه كيف وليس بالذرع وضعت الالفاظ وان اعتبرنا المعاني
المستفادة من الجمل فكذلك وذلك لانه ليس هاهنا جملة من مبتدا وخبر او فعل
وفاعل يحصل بها الاثبات او النفي اتم او انقص مما يحصل باخرى وانما فضل
اللفظ عن المعنى ان يريد الدلالة بمعنى على معنى فيدخل في اثناء ذلك شيا لا حاجة
بالمعنى المدلول عليه اليه وكذلك التشبيه في التسبك والطابع واشباههما
لا يحتمل شي من ذلك ان يكون المراد به اللفظ من حيث هو لفظ فان اردت
الصدق فانك لا ترى في الدنيا شانا اعجب من شان الناس مع اللفظ و
لا فسادا دخل النفوس وخامرها واستحكم فيها وصار كاحد
طبائعها من رايهم في اللفظ فقد بلغ من ملكته لهم وقوته عليهم ان تركهم
وكانهم اذا نوظروا فيه اخذوا عن انفسهم وغيبوا عن عقولهم وحيل
بينهم وبين ان يكون لهم فيما يسمعونه نظر وترى لهم ابدا عن الاصغا صددا
فلست ترى الا نفوسا قد جعلت ترك النظر دابها ووصلت بالهوينا
اسبابها فهي تغتر بالاضاليل وتتباعد عن التحصيل وتلقي بايديها الى
الشبه وتسرع الى القول المموه ولقد بلغ من قلة نظرهم ان قوما منهم

لما راوا الكتب المصنفة في اللغة قد شاع فيها ان توصف الالفاظ المفردة
بالفصاحة وراوا ابا العباس ثعلبا قد سمى كتابه الفصيح مع انه لم يذكر فيه
الا اللغة والالفاظ المفردة وكان محالا اذا قيل ان الشمع بفتح الميم افصح من
الشمع باسكانه ان يكون ذلك من اجل المعنى اذ ليس تفيد الفتحة في الميم شيا
في الذي يسمى به سبقوا الى ظنون لم تحكم الوصف بالفصاحة انما كان في اي شي
كان ان لا يكون له مرجع الى المعنى البتة وان يكون وصفا للفظ في نفسه ومن حيث
هو لفظ ونطق لسان ولم يعلموا ان المعنى في وصف الالفاظ المفردة بالفصاحة
انها في اللغة اثبت وفي استعمال الفصحا اكثر او انها اجرى على مقاييس اللغة
والقوانين التي وضعوها وان الذي هو معنى الفصاحة في اصل اللغة هو الابانة
عن المعنى بدلالة قولهم فصيح واعجم وقولهم افصح الاعجمي وفصح اللحان وافصح
الرجل بكذا اذا صرح به وانه لو كان في وصفهم الكلمات المفردة بالفصاحة
من اجل وصف هو لها من حيث هي الفاظ ونطق لسان لوجب اذا وجد كلمة
يقال انها فصيحة على صفة في اللفظ ان لا توجد كلمة على تلك الصفة الا وجب
لها ان تكون فصيحة وحتى يجب اذا كان نقهت الحديث بالكسر افصح منه بالفتح
ان يكون سبيل كل فعل مثله في الزنة ان يكون الكسر فيه افصح من الفتح ثم ان فيما ذكره
ثعلب كتابه ما هو افصح من اجل انه لم يكن فيه حرف كان فيما جعله افصح منه
مثل ان وقفت افصح من اوقفت افترى انه حدث في الواو والقاف والفاء
بان لم يكن معها الهمزة فضيلة وجب لها ان يكون افصح وكفى براي هذا مؤداه
تهافتا وخطلا وجملة الامر انه لا بد لقولنا الفصاحة من معنى يعرف

فان كان ذلك المعنى وصفًا في الفاظ الكلمات المفرده فينبغي ان يشار لنا اليه ويوضع اليد
عليه ومن ابين ما يدل على قلة نظرهم انه لا شبهة على من نظر في كتاب تذكر فيه الفصاحة
ان الاستعاره عنوان ما يجعل اللفظ فصيحا وان المجاز جملة والايجاز من معظم ما
يوجب للفظ الفصاحة وانت تراهم يذكرون ذلك ويعتمدونه ثم يذهب عنهم ان ايجابهم
الفصاحة للفظ بهذه المعاني اعتراف بصحة ما ندعوهم الى القول به من انه يكون فصيحا
لمعناه اما الاستعارة فانهم ان اغفلوا فيها الذي قلناه من ان المستعار بالحقيقة يكون
معنى اللفظ واللفظ تبع من حيث انا لا نقول رايت اسدا ونحن نعني رجلا الا على
انا ندعي انا راينا اسدا بالحقيقة من حيث نجعله لا يتميز عن الاسد في بأسه وبطشه
وجرأة قلبه فانهم على كل حال لا يستطيعون ان يجعلوا الاستعارة وصفا للفظ
من حيث هو لفظ مع ان اعتقادهم انك اذا قلت رايت اسدا كنت نقلت اسم
الاسد الى الرجل او جعلته هكذا غفلا ساذجا في معنى شجاع افترى ان لفظ الاسد
لما نقل عن السبع الى الرجل المشبه به احدث هذا النقل في اجراس حروفه ومذاقتها
وصفا صار بذلك الوصف فصيحا ثم ان من الاستعارة قبيلا لا يصح ان يكون المستعار
فيه اللفظ البتة ولا يصح ان يقع الاستعاره فيه الا على المعنى وذلك ما كان مثل اليد في
قول لبيد وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ذاك انه
ليس هاهنا شيء يزعم انه شبهه باليد حتى يكون لفظ اليد مستعارا له وكذلك ليس
فيه شيء يتوهم ان يكون قد شبهه بالزمام وانما المعنى على انه شبه الشمال في تصريفها
الغداة على طبيعتها بالانسان يكون زمام البعير في يده فهو يصرفه على ارادته ولما
اراد ذلك جعل للشمال يدا وعلى الغداة زماما وقد شرحت هذا قبل شرحا شافيا

وليس هذا الضرب من الاستعارة بدون الضرب الاول في ايجاب وصف الفصاحة
للكلام لا بل هو اقوى منه في اقتضائها والمحاسن التي تظهر به والصور التي تحدث
للمعاني بسببه آنق واعجب وان اردت ان تزداد علما بالذي ذكرت لك من امره فانظر
الى قوله سقته كف الليل اكواس الكرى وذلك انه ليس يخفى على عاقل انه لم يرد ان
يشبه شيئا بالكف ولا اراد ذلك في الاكواس ولكن لما كان يقال سكر الكرى وسكر النوم
استعار للكرى الاكواس كما استعار الآخر الكاس في قوله وقد سقى القوم كاس
النعسة السهر ثم انه لما كان الكرى يكون في الليل جعل الليل ساقيا ولما جعله
ساقيا جعل له كفا اذ كان الساقي يناول الكاس بالكف ومن اللطيف النادر في ذلك
ما تراه في آخر هذه الابيات وهي للحكم بن قنبر ولولا اعتصامي بالمنى كلما بدا لي
الياس منها لم يقم بالهوى صبري ولولا انتظاري كل يوم جدا غد لراح بنعشي الدافنون
الى قبري وقد رابني وهن المنى وانقباضها وبسط جديد الياس كفيه في صدري
ليس المعنى على انه استعار لفظ الكفين لشيء ولكن على انه اراد ان يصف الياس بانه قد
غلب على نفسه وتمكن في صدره ولما اراد ذلك وصفه بما يصفون به الرجل بفضل
القدرة على الشيء وبانه متمكن منه وان يفعل فيه كل ما يريد كقولهم قد بسط يديه في
المال ينفقه ويصنع فيه ما يشاء وقد بسط العامل يده في الناحية وفي ظلم
الناس فليس لك الا ان تقول انه لما اراد ذلك جعل للياس كفين واستعارهما له
فاما ان يوقع الاستعاره فيه على اللفظ فمما لا يخفى استحالته على عاقل والقول في
المجاز هو القول في الاستعارة لانه ليس هو بشيء غيرها وانما الفرق ان
المجاز اعم من حيث ان كل استعارة مجاز وليس كل مجاز استعاره واذا نظرنا من

المجاز فيما لا ينطلق عليه انه استعارة ازداد خطأ القوم قبحا وشناعة وذلك انه يلزم
على قياس قولهم ان يكون انما كان قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا افصح من اصله الذي هو قولنا والنهار تبصرون فيه او مبصرا انتم فيه
من اجل ان حدثت في حروف مبصر بان جعل الفعل للنهار على سعة الكلام وصف لم يكن
وكذلك يلزم ان يكون السبب في ان كان قول الشاعر فنام ليلي وتجلى همي افصح من قولنا فنمت
في ليلي من اجل ان كسب هذا المجاز لفظ نام ولفظ الليل مذاقة لم تكن لهما وهذا مما ينبغي
للعاقل ان يستحيي منه وان يأنف من ان يهمل النظر اهمالا يؤديه الى مثله ونسأل الله تعالى
التوفيق والعصمة واذ قد عرفت ما لزمهم في الاستعارة والمجاز فالذي يلزمهم في الايجاز
اعجب وذلك انه يلزمهم ان كان اللفظ يكون فصيحا لامر يرجع اليه نفسه دون معناه لم
يكن كذلك موجزا لامر يرجع الى نفسه وذلك من المحال الذي يضحك منه لانه لا معنى للايجاز
الا ان يدل باليسير من اللفظ على الكثير من المعنى واذا لم تجعله وصفا للفظ من اجل
معناه ابطلت معناه اعني ابطلت معنى الايجاز بان ازلت معنى شريفا فقد كان
ينبغي لهم ان يكون قد ذكرناه في اثناء ما مضى من كلامنا وهو ان العاقل اذا نظر علم علم
ضرورة انه لا سبيل له الى ان يكثر معاني الالفاظ او يقللها لان المعاني المودعة في
الالفاظ لا تتغير على الجملة عما اراده واضع اللغة واذا ثبت ذلك ظهر منه انه لا
معنى لقولنا كثرة المعنى مع قلة اللفظ غير ان المتكلم يتوصل بدلالة المعنى على المعنى
الى فوائد لو انه اراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج الى لفظ كثير واعلم ان القول
الفاسد والرأي المدخول اذا كان صدره عن قوم لهم نباهة وصيت وعلو منزلة
في انواع من العلوم غير العلم الذي قالوا ذلك القول فيه ثم وقع في الالسن فتداولته

ونشرته وفشا وظهر وكثر الناقلون له والمشيدون بذكره صار ترك النظر فيه سنة و
التقليد دينا ورأيت الذين هم اهل ذلك العلم وخاصته والممارسون له والذين هم
خلقاء ان يعرفوا وجه الغلط والخطأ فيه لو انهم نظروا فيه كالاجانب الذين ليسوا
من اهله في قبوله والعمل به والركون اليه ووجدتهم قد اعطوه مقادتهم والانوا له
جانبهم واوهمهم النظر الى منتماه ومنتسبه ثم اشتهاره وانتشاره واطباق الجمع بعد
الجمع عليه ان الضن به اصوب والمحاماة عليه اولى ولربما بل كلما ظنوا انه لم يشع ولم
ينتشر ولم يروه خلف عن سلف وآخر عن اول الا لان له اصلا صحيحا وانه اخذ من
معدن صدق واشتق من نبعة كريمة وانه لو كان مدخولا لظهر الدخل الذي فيه على
تقادم الزمان وكرور الايام وكم من خطأ ظاهر ورأي فاسد قد حظي بهذا السبب
عند الناس حتى بوؤوه في اخص موضع من قلوبهم ومنحوه المحبة الصادقة من
قلوبهم ونفوسهم وعطفوا عليه عطف الام على واحدها وكم من داء دوي قد استحكم [اي على ولدها الواحد]
بهذه العلة حتى اعيا علاجه وحتى بعل به الطبيب ولولا سلطان هذا الذي وصف
على الناس وان له اخذة تمنع القلوب عن التدبر وتقطع عنها دواعي التفكر لما كان
لهذا الذي ذهب اليه القوم في امر اللفظ هذا التمكن وهذه القوة ولا كان يرتفع في
النفوس هذا الرسوخ وتتشعب عروقه هذا التشعب مع الذي بان من تهافته
وسقوطه وفحش الغلط فيه وانك لا ترى في اديمه من اين نظرت وكيف صرفت
وقلبت مصحا ولا تراه باطلا فيه شوب من الحق وزيفا فيه شيء من الفضة ولكن
ترى الغش بحتا والغلط صرفا ونسأل الله تعالى التوفيق وكيف لا يكون في اسار الاخذة
ومحولا بينه وبين الفكرة من يسلم ان الفصاحة لا تكون في افراد الكلمات وانها

انما يكون فيها اذا ضُمّ بعضها الى بعض ثم لا يعلم ان ذلك يقتضي ان يكون وصفًا لها من اجل
معانيها لا من اجل انفسها ومن حيث هي الفاظ ونطق لسان ذاك لانه ليس من عاقل
يفتح عين قلبه الا وهو يعلم ضرورة ان المعنى في ضم بعضها الى بعض تعليق بعضها ببعض
وجعل بعضها بسبب من بعض لا ان ينطق بعضها في اثر بعض من غير ان يكون فيما
بينها تعلق ويعلم كذلك ضرورة اذا فكر ان التعلق يكون فيما بين معانيها لا فيما بين انفسها
الا ترى انا لو جهدنا كل الجهد ان نتصور تعلقا فيما بين لفظين لا معنى تحتهما لم نتصور
ومن اجل ذلك انقسمت الكلم قسمين مؤتلف وهو الاسم مع الاسم والفعل مع الاسم
وغير مؤتلف وهو ما عدا ذلك كالفعل مع الفعل والحرف مع الحرف ولو كان
التعلق يكون بين الالفاظ لكان ينبغي ان لا يختلف حالها في الائتلاف وان لا يكون في الدنيا
كلمتان الا ويصح ان يأتلفا لانه لا تنافي بينهما من حيث هي الفاظ واذا كان كل منهم قد اعطى
يده بان الفصاحة لا تكون في الكلم افرادا وانها انما تكون اذا ضم بعضها الى بعض وكان
يكون المراد بضم بعضها الى بعض تعليق معانيها بعضها ببعض لا كون بعضها في النطق
على اثر بعض وكان واجبا اذا علم ذلك ان يعلم ان الفصاحة تجب لها من اجل معانيها
لا من اجل انفسها لانه محال ان يكون سبب ظهور الفصاحة فيها تعلق معانيها بعضها
ببعض ثم تكون الفصاحة وصفا لها لا لانفسها لا لمعانيها واذا كان العلم بهذا ضرورة ثم
رأيتهم لا يعلمونه فليس الا ان اعتزامهم على التقليد قد حال بينهم وبين الفكرة وعرض
لهم منه شبه الاخذة واعلم انك اذا نظرت وجدت مثلهم مثل من يرى خيال
الشيء فيحسبه الشيء وذاك انهم قد اعتمدوا في كل امرهم على النسق الذي يرونه في
الالفاظ وجعلوا لا يحفلون بغيره ولا يعولون في الفصاحة والبلاغة على شيء

سواه حتى انتهوا الى ان زعموا ان من عمد الى شعر فصيح فقرأه ونطق بالفاظه على
النسق الذي وضعها الشاعر عليه كان قد اتى بمثل ما اتى به الشاعر في فصاحته وبلاغته
الا انهم زعموا انه يكون في اتيانه به محتذيا لا مبتدئا ونحن اذا تأملنا وجدنا الذي يكون في الالفاظ
من تقدم شيء منها على شيء انما يقع في النفس انه نسق اذا اعتبرنا ما توخي من معاني النحو في
معانيها فاما مع ترك اعتبار ذلك فلا يقع ولا يتصور بحال الا ترى انك لو فرضت في قوله
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ان لا يكون نبك جوابا للامر ولا يكون من معدى بمن الى ذكرى
ولا يكون ذكرى مضافة الى حبيب ولا يكون منزل معطوفا بالواو على حبيب لخرج ما ترى
من التقديم والتأخير عن ان يكون نسقا ذاك لانه انما يكون تقدم الشيء على الشيء نسقا
وترتيبا اذا كان ذلك التقدم قد كان لموجب اوجب ان يقدم هذا ويؤخر ذاك فاما
ان يكون مع عدم الموجب نسقا فمحال لانه لو كان يكون تقدم اللفظ على اللفظ من
غير ان يكون له موجب نسقا لكان ينبغي ان يكون توالي الالفاظ في النطق على اي وجه
كان نسقا حتى انك لو قلت نبك قفا حبيب ذكرى لم تكن قد اعدمته النسق والنظم
وانما اعدمته الوزن فقط وقد تقدم هذا فيما مضى ولكنا اعدناه ههنا لان الذي
اخذناه فيه من اسلام القوم انفسهم الى التقليد اقتضى اعادته واعلم ان الاحتذاء
عند الشعراء واهل العلم بالشعر وتقديره ان يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض اسلوبا
والاسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه فيعمد شاعر اخر الى ذلك الاسلوب
فيجيء به في شعره فيشبه بمن يقطع من اديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها
فيقال قد احتذى على مثاله وذلك مثل ان الفرزدق قال ايرجو ربيع ان تجيء
صغارها بخير وقد اعيا ربيعا كبارها واحتذاه البعيث فقال

ارجو كليب لان يجيء جدّها بخير وقد اعيا كليبا قديمها وقال الوائل العردد فلما سمع
هذا البيت قال اذا ما قلت قافية شرودا تنخّلها ابن حمراء العجان وقال الكلبي
البعيث قال في هذه القصيدة كليب لئام الناس قد يعلمونه وانت اذا عدّت كليب
لئيمها وقال البحتري بنو هاشم في كل شرق ومغرب كرام بني الدنيا وانت
كريمها وحكى العسكري في صنعة الشعر ان ابن الرومي قال لي البحتري قول ابي نواس
ولم ادر ما هم غير ما شهدت لهم بشرقي ساباط الديار البسابس ماخوذ من
قول ابي خراش ولم ادر من القى عليه رداءه سوى انه قد سُلّ من ماجد محض
قال فقلت قد اختلف المعنى فقال اما ترى حذو الكلام حذوا واحدا وهذا
الذي كتبت من جلي الاخذ في الحذو ومما هو في حد الخفي قول البحتري
ولن ينقل الحسّاد مجدك بعدما تمكّن رضوى واطمأنّ متالع وقول ابي تمام
ولقد جهدتم ان تزيلوا عزّه فاذا ابان قد رسا ويلملم فقد احتذى كل واحد ارادوا
منهما على قول الفرزدق فادفع بكفك ان اردت بناءنا ثهلان ذا الهضبات
هل يتحلحل وجملة الامر انهم لا يجعلون الشاعر محتذيا الا بما يجعلونه به آخذا
ومسترقا قال ذو الرمة وشعر قد ارقت له غريب اجنّبه المساند والمحالا
فبت اقيمه واقدّ منه قوافي لا اريد لها مثالا قال يقول لا احذوها
على شيء سمعته فاما ان يجعل انشاد الشعر وقراءته احتذاء فما لا يعلمونه
كيف واذا عمد عامد الى بيت شعر فوضع مكان كل لفظة لفظا في معناه
كمثل ان يقول في قوله دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
ذر المآثر لا تذهب لمطلبها واجلس فانك انت الآكل اللابس لم يجعلوا

ذلك احتذاء ولم يؤهلوا صاحبه لان يسموه محتذيا ولكن يسمون هذا الصنيع
سلخا ويرذلونه ويسخفون المتعاطي له فمن اين يجوز لنا ان نقول في صبي يقرأ
قصيدة امرئ القيس انه احتذاه في قوله فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا
وناء بكلكل والعجب انهم لم ينظروا فيعلموا انه لو كان منشد الشعر يكون
محتذيا لكان يكون قائل شعر كما ان الذي يحذو النعل بالنعل يكون قاطع نعل وهذا
تفريع يصلح لان يحفظ للمناظرة وهو ان يقال لمن يزعم ان المنشد اذا انشد شعر امرئ
القيس كان قد اتى بمثله على سبيل الاحتذاء اخبرنا عنك لماذا زعمت ان المنشد
قد اتى بمثل ما قاله امرؤ القيس الانه نطق بانفس الالفاظ التي نطق بها ام لانه
راعى النسق الذي راعاه في النطق بها فان قلت ان ذلك لانه نطق بانفس الالفاظ
التي نطق بها احلت لانه انما يصح ان يقال في الثاني انه اتى بمثل ما اتى به الاول اذا كان
الاول قد سبق الى شيء فاحدثه ابتداء وذلك في الالفاظ محال اذ ليس يمكن ان يقال
انه لم ينطق بهذه الالفاظ التي هي قوله قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل قبل امرئ
القيس احد وان قلت ان ذلك لانه قد راعى في نطقه بهذه الالفاظ النسق الذي راعاه
امرؤ القيس قيل ان كنت لهذا قضيت في المنشد انه اتى بمثل شعره فاخبرنا
عنك اذا قلت ان التحدي وقع في القرآن الى ان يؤتى بمثله على جهة الابتداء ما
تعني به اتعني انه يأتي بالفاظ غير الفاظ القرآن بمثل الترتيب والنسق الذي تراه
في الفاظ القرآن فان قال ذاك اعني قيل له اعلمت انه لا يكون الاتيان بالاشياء
بعضها في اثر بعض على التوالي نسقا وترتيبا حتى تكون الاشياء مختلفة في
انفسها ثم يكون للذي يجيء بها مضموما بعضها الى بعض غرض فيها ومقصود

لا تتم ذلك الغرض وذلك المقصود الا بان يخير لهما مواضع فيجعل هذا اولا وذاك ثانيا
فان هذا ما لا شبهة فيه على عاقل واذا كان الامر كذلك لزمك ان تبين الغرض الذي اقتضى
ان تكون الفاظ القران منسوقة النسق الذي تراه ولا مخلص له من هذه المطالبة لانه
اذا ابى ان يكون المقتضي والموجب للذي تراه من النسق المعاني وجعله قد وجب لامر يرجع
الى اللفظ لم تجد شيئا يحيل في وجوبه عليه البتة اللهم الا ان يجعل الاعجاز في
الوزن ويزعم ان النسق الذي تراه في الفاظ القران انما كان معجزا من اجل انه كان
قد حدث عنه ضرب من الوزن يعجز الخلق عن ان يأتوا بمثله واذا قال ذلك
لم يمكنه ان يقول ان التحدي وقع الى ان يأتوا بمثله في فصاحته وبلاغته لان الوزن
ليس هو من الفصاحة والبلاغة في شيء اذ لو كان يكون له مدخل فيهما لكان يجب في كل
قصيدتين اتفقتا في الوزن ان يتفقا في الفصاحة والبلاغة فان دعا بعض الناس
طول الالف لما سمع من ان الاعجاز في اللفظ الى ان يجعله في مجرد الوزن كان قد
دخل في امر شنيع وهو انه يكون قد جعل القران معجزا لا من حيث هو كلام
ولا بما به كان لكلام فضل على كلام فليس بالوزن ما كان الكلام كلاما ولا به كان كلام خيرا
من كلام وهكذا السبيل ان زعم زاعم ان الوصف المعجز هو الجريان والسهولة ثم
يعني بذلك سلامته من ان يلتقي فيه حروف تثقل على اللسان لانه ليس بذلك كان الكلام
كلاما ولا هو بالذي يتناهى امره ان عد في الفضيلة الى ان يكون الاصل والى ان يكون
المعول عليه في المفاضلة بين كلام وكلام فما به كان الشاعر مفلقا والخطيب
مصقعا والكاتب بليغا ورأيت العقلاء حيث ذكروا عجز العرب عن معارضة
القران قالوا ان النبي صلى الله عليه تحداهم وفيهم الشعراء والخطباء والذين يدلون

بفصاحة اللسان والبراعة والبيان وقوة القرائح والاذهان والذين اوتوا الحكمة
وفصل الخطاب ولم نرهم قالوا ان النبي عليه السلام تحداهم وهم العارفون بما يسوغ
ان يصنع حتى يسلم الكلام من ان يلتقي فيه حروف تثقل على اللسان ولما ذكروا معجزات
الانبياء عليهم السلام قالوا ان الله تعالى قد جعل معجزة كل نبي فيما كان اغلب على
الذين بعث فيهم وفيما كانوا يتباهون به وكانت عوامهم تعظم فيه خواصهم فقالوا
انه لما كان السحر الغالب على قوم فرعون ولم يكن قد استحكم في زمان استحكامه
في زمانه جعل تعالى معجزة موسى عليه السلام في ابطاله وتوهينه ولما كان
الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب جعل تعالى معجزته في ابراء الاكمه و
الابرص واحياء الموتى ولما انتهوا الى ذكر نبينا صلى الله عليه وذكر ما كان الغالب على
زمانه لم يذكروا الا البلاغة والبيان والتصرف في ضروب النظم وقد ذكرت في
الذي تقدم غير ما ذكرته هاهنا مما يدل على سقوط هذا القول وما دعاني الى اعادة ذكره
الا انه ليس بهم لكل الناس من حديث اللفظ والمحاماة على الاعتقاد الذي اعتقدوه
فيه وضن انفسهم به الى حد فاحببت ان لا اكون قد ادع شيئا مما يجوز ان يتعلق به
متعلق ويلجأ اليه لاجئ ويقع منه في نفس سامع شك الا استقصيت في
الكشف عن بطلانه وهاهنا امر عجيب وهو انه معلوم لكل من نظر ان الالفاظ
من حيث هي الفاظ وكلم ونطق لسان لا تختص بواحد دون آخر وانها انما تختص
اذا توخي فيها النظم واذا كان كذلك كان من رفع النظم من البين وجعل الاعجاز
بجملته في سهولة الحروف وجريانها جاعلا له فيما لا يصح اضافته الى الله تعالى
وكفى بهذا دليلا على عدم التوفيق وشدة الضلال عن الطريق وقد بلغنا في حرط

مداواة الناس من دائهم وعلاج الفساد الذي عرض في آرائهم كل مبلغ واسهمنا الى
كل غاية واخذنا بهم عن المجاهل التي كانوا يتعسفون فيها الى السنن اللاحب و
نقلناهم عن الآجن المطروق الى النمير الذي يشفي غليل الشارب ولم ندع لباطلهم
عِرقاً ينبض الا كويناه ولا للخلاف لساناً ناطقاً الا اخرسناه ولم نترك غطاءً كان
على بصر ذي عقل الا حسرناه فيا ايها السامع لما قلناه والناظر فيما كتبناه و
المتصفح لما دوّناه ان كنت سمعت سماع صادق الرغبة في ان يكون في امرك على
بصيرة ونظرت نظر تام العناية في ان تورد وتصدر عن معرفة وتصفحت
تصفح من اذا مارس باباً من العلم لم يقنعه الا ان يكون على ذروة السنام ويضرب
بالمُعلّى من السهام فقد هُديت لضالتك وفُتح لك الطريق الى بغيتك وهُيّئ
لك الاداة التي بها تبلغ واوتيت الآلة التي معها تصل فخذ لنفسك بالتي هي املأ
ليديك واعوَد بالحظ عليك ووازن بين حالك الآن وقد تنبهت من رقدتك و
افقت من غفلتك وصرت تعلم اذا انت خضت في امر اللفظ والنظم
معنى ما تذكر وتعلم كيف تورد وتصدر وبينها وانت من امرهما في عمياء
وخابط عشواء قصاراك ان تكرر الفاظاً لا تعرف لشيء منها تفسيراً و
ضروب كلام للبلغاء ان سئلت عن اغراضهم فيها لم تستطع لها تبييناً فانك
تراك تطيل التعجب من غفلتك وتكثر الاعتذار الى عقلك من الذي كنت عليه طول
مدتك ونسأل الله تعالى ان يجعل كل ما نأتيه ونقصده ونتحيه لوجهه خالصاً
والى رضاه عز وجل مؤدياً ولثوابه مقتضياً وللزلفى عنده موجباً بمنه
بسم الله الرحمن الرحيم
وفضله ورحمته ۞ اعلم انه لما كان الغلط الذي دخل على الناس في حديث

اللفظ كالداء الذي يسري في العروق ويفسد مزاج البدن وجب ان يتوخى
دائباً فيهم ما يتوخاه الطبيب في الناقه من تعهده بما يزيده منّة ويبقيه
على صحته ويؤمنه النكس في علته وقد علمنا ان اصل الفساد وسبب الآفة
هو ذهابهم عن ان من شأن المعاني ان تختلف عليها الصور وتحدث فيها
خواص ومزايا من بعد ان لا تكون وانك ترى الشاعر قد عمد الى معنى مبتذل
فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق اذا هو اغرب في صنعة خاتم وعمل
شنف وغيرهما من اصناف الحلي فان جهلهم بذلك من حالها هو الذي اغواهم
واستهواهم وورطهم فيما تورطوا فيه من الجهالات واداهم الى التعلق
بالمحالات وذلك انهم لما جهلوا شأن الصورة وضعوا لانفسهم اساساً
وبنوا على قاعدة فقالوا انه ليس الا المعنى واللفظ ولا ثالث وانه اذا
كان كذلك وجب اذا كان لاحد الكلامين فضيلة لا تكون للآخر ثم كان الغرض
من احدهما هو الغرض من صاحبه ان يكون مرجع تلك الفضيلة الى اللفظ
خاصة وان لا يكون لها مرجع الى المعنى من حيث ان ذلك زعموا يؤدي الى
التناقض وان يكون معناهما متغايراً وغير متغاير معاً ولما اقروا
هذا في نفوسهم حملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا فيه الفضيلة الى
العقلاء
اللفظ على ظاهره وابوا ان ينظروا في الاوصاف التي اتبعوها نسبتهم
الفضيلة الى اللفظ مثل قولهم لفظ متمكن غير قلق ولا ناب به موضعه
الى سائر ما ذكرناه قبل فيعلموا انهم لم يوجبوا للفظ ما اوجبوه
من الفضيلة وهم يعنون نطق اللسان واجراس الحروف ولكن جعلوا

كالمواضعة فما لهم ان يقولوا اللفظ وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى
والخاصة التي حدثت فيه ويعنون الذي عناه الجاحظ حيث قال وذهب الشيخ
الى استحسان المعاني والمعاني مطروحة وسط الطريق يعرفها العربي و
العجمي والحضري والبدوي وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير وما يعنونه
اذا قالوا انه ياخذ الحديث فيشنفه ويقرطه وياخذ المعنى خرزة فيرده
جوهرة وعباءة فيجعله ديباجة وياخذه عاطلا فيرده حاليا وليس كون
هذا مرادهم بحيث كان ينبغي ان يخفى هذا الخفاء ويشتبه هذا الاشتباه
ولكن اذا تعاطى الشيء غير اهله وتولى الامر غير البصير به اعضل الداء
واشتد البلاء ولو لم يكن من الدليل على انهم لم ينحلوا اللفظ الفضيلة وهم يريدونه
نفسه وعلى الحقيقة الا واحد وهو وصفهم له بانه يزين المعنى وانه حلي
له لكان فيه الكفاية وذاك ان الالفاظ ادلة على المعاني وليس للدليل الا ان
يعلمك الشيء على ما يكون عليه فاما ان يصير الشيء بالدليل على صفة لم يكن عليها
فما لا يقوم في عقل ولا يتصور في وهم ومما اذا تفكر فيه العاقل اطال
التعجب من امر الناس ومن شدة غفلتهم قول العلماء حيث ذكروا الاخذ والسرقة الاخذ
ان من اخذ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده كان احق به وهو كلام
مشهور متداول يقرأه الصبيان في اول كتاب عبد الرحمن ثم لا ترى احدا
من هؤلاء الذين لهجوا بجعل الفضيلة في اللفظ يفكر في ذلك فيقول من
اين يتصور ان يكون ها هنا معنى عار من لفظ يدل عليه ثم من اين يعقل ان
يجيء الواحد منا الى معنى من المعاني بلفظ من عنده ان كان المراد باللفظ

نطق اللسان ثم هب انه يصح له ان يفعل ذلك فمن اين يجب اذا وضع
لفظا على معنى ان يصير احق به من صاحبه الذي اخذه منه ان كان هو لا يصنع
بالمعنى شيئا ولا يحدث فيه صفة ولا يكسبه فضيلة واذا كان كذلك فهل يكون لكلامهم هذا
وجه سوى ان يكون اللفظ في قولهم فكساه لفظا من عنده عبارة عن صورة يحدثها
الشاعر او غير الشاعر للمعنى فان قالوا بلى يكون ذا وهو لا يستعير للمعنى لفظا قيل
الشان في انهم قالوا اذا اخذ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده كان احق به والاستعارة
عندكم مقصورة على مجرد اللفظ ولا ترون المستعير يصنع بالمعنى شيئا وترون انه
لا يحدث فيه مزية على وجه من الوجوه واذا كان كذلك فمن اين ليت شعري يكون
احق به فاعرفه ثم ان اردت مثالا في ذلك فان من احسن شيء فيه ما صنع ابو تمام في
بيت ابي نخيلة وذلك ان ابا نخيلة قال في مسلمة بن عبد الملك امسلم اني يا ابن كل خليفة
ويا جبل الدنيا ويا واحد الارض شكرتك ان الشكر حبل من التقى وما كل من اوليته صالحا
يقضي وانبهت لي ذكرى وما كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض فعمد ابو تمام الى
هذا البيت الاخير فقال لقد زدت اوضاحي امتدادا ولم اكن بهيما ولا ارضى من
الارض مجهلا ولكن ايادي صادفتني جسامها اغر فاوفت بي اغر محجلا وفي كتاب
الشعر والشعراء للمرزباني فصل في هذا المعنى حسن قال ومن الامثال القديمة قولهم
حرا اخاف على جاني كماة لا قرا يضرب مثلا للذي يخاف من شيء فيسلم منه ويصيبه
غيره مما لم يخفه فاخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال وحذرت من امر فمر بجانبي
لم ينكني ولقيت ما لم احذر وقال لبيد اخشى على اربد الحتوف ولا ارهب نوء السماك
والاسد قال واخذه البحتري فاحسن وطغى اقتداره على العبارة واتساعا في المعنى

فقال لو انني اوتي التجارب حقها فيما ارت لرجوت ما اخشاه وشبيه بهذا
الفصل فصل آخر من هذا الكتاب ايضا انشد لابرهيم بن المهدي يا من لقلب صيغ
من صخرة في جسد من لؤلؤ رطب جرحت خديه بلحظي فما برحت حتى اقتص
من قلبي ثم قال وقال علي بن هرون اخذه احمد بن ابي فنن معنى ولفظا فقال
ادميت باللحظات وجنته فاقتص ناظره من القلب قال ولكنه بنقصان عبارته
وحسن ماخذه قد صار اولى به ففي هذا دليل لمن عقل انهم لا يعنون بحسن العبارة
مجرد اللفظ ولكن صورة وصفة وخصوصية تحدث في المعنى وشيا طريق
معرفته على الجملة العقل دون السمع فانه على كل حال لم يقل في البحتري انه احسن
فطوى اقتدارا على العبارة من اجل حروف لو انني اوتي التجارب حقها وكذلك لم
يصف ابن ابي فنن بنقصان العبارة من اجل حروف ادميت باللحظات وجنته واعلم
انك اذا سبرت احوال هولا الذين زعموا انه اذا كان المعبر عنه واحدا والعبارة اثنتين
ثم كانت احدى العبارتين افصح من الاخرى واحسن فانه ينبغي ان يكون السبب في كونها
افصح واحسن اللفظ نفسه وجدتهم قد قالوا ذلك من حيث قاسوا الكلامين على
الكلمتين فلما راوا انه اذا قيل في الكلمتين ان معناهما واحد لم يكن بينهما تفاوت و
لم يكن للمعنى في احديهما حال لا يكون له في الاخرى ظنوا ان سبيل الكلامين هذا السبيل
ولقد غلطوا فافحشوا لانه لا يتصور ان تكون صورة المعنى في احد الكلامين او
البيتين مثل صورته في الاخر البتة اللهم الا ان يعمد عامد الى بيت فيضع مكان كل لفظة
منه لفظة في معناها ولا يعرض لنظمه وتاليفه كمثل ان يقول في بيت الحطيئة
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي ذر المفاخر لا تذهب لمطلبها

واجلس فانك انت الآكل اللابس وما كان هذا سبيله كان بمعزل من ان يكون به
اعتداد وان يدخل في قبيل ما تتفاضل فيه العبارتان بل لا يصح ان يجعل ذلك عبارة
ثانية ولا ان يجعل الذي يتعاطاه بمحل من يوصف بانه اخذ معنى ذلك لانه لا يكون
بذلك صانعا شيئا يستحق ان يدعى من اجله واضع كلام ومستانف عبارة
وقائل شعر ذاك لان بيت الحطيئة لم يكن كلاما وشعرا من اجل معاني الالفاظ المفردة
التي تراها فيه مجردة معراة من معاني النظم والتاليف بل منها متوخى فيها ما ترى
من كون المكارم مفعولا لدع وكون قوله لا ترحل لبغيتها جملة اكدت الجملة قبلها
وكون اقعد معطوفا بالواو على مجموع ما مضى وكون جملة انك انت الطاعم الكاسي
معطوفا بالفاء على اقعد فالذي يجي ولا يغير شيا من هذا الذي به كان كلاما وشعرا
لا يكون قد اتى بكلام ثان وعبارة ثانية بل لا يكون قد قال من عند نفسه شيا البتة
وجملة الامر انه كما لا تكون الفضة او الذهب خاتما او سوارا او غيرهما من اصناف
الحلي بانفسهما ولكن بما يحدث فيهما من الصورة كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي
اسما وافعال وحروف كلاما وشعرا من غير ان يحدث فيها النظم الذي حقيقته
توخي معاني النحو واحكامه فاذا ليس لمن يتصدى لما ذكرنا من ان يعمد الى بيت فيضع
مكان كل لفظة منه لفظة في معناها الا ان يستركّ عقله ويستخف ويعد معد
الذي حكي انه قال اني قلت بيتا هو اشعر من بيت حسان قال حسان يغشون
حتى ما تهر كلابهم لا يسالون عن السواد المقبل وقلت يغشون حتى ما تهر
كلابهم ابدا ولا يسالون من ذا المقبل فقيل له هو بيت حسان ولكنك قد افسدته
واعلم انه انما اتي القوم من قلة نظرهم في الكتب التي وضعها العلما في اختلاف

العبارتين على المعنى الواحد وفي كلامهم في اخذ الشاعر من الشاعر وفي ان يقول الشاعران على الجملة في معنى واحد وفي الاشعار التي دونوها في هذا المعنى ولو انهم كانوا اخذوا انفسهم بالنظر في تلك الكتب وتدبروا ما فيها حق التدبر لكان يكون ذلك قد ايقظهم من غفلتهم وكشف الغطاء عن اعينهم وقد اوردت الى الكتب جملة من الشعر الذي انت ترى الشاعرين فيه قد قالا في معنى واحد وهو ينقسم قسمين قسم انت ترى احد الشاعرين فيه قد اتى بالمعنى غفلا ساذجا وترى الآخر قد اخرجه في صورة تروق وتعجب وقسم انت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصوّر وابدأ بالقسم الاول الذي يكون المعنى في احد البيتين غفلا وفي الآخر مصوّرا مصنوعا ويكون ذلك اما لان متأخرا قصّر عن متقدم واما لان هدى متأخر لشيء لم يهتد اليه المتقدم ومثال ذلك قول المتنبي بئس الليالي سهدت من طربي شوقا الى من يبيت يرقدها مع قول البحتري ليل يصادفني ومرهفة الحشا ضدين اسهره لها وتنامه وقول البحتري ولو ملكت زماعا ظل يجذبني قودا لكان ندى كفيك من عقلي مع قول المتنبي وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وقول المتنبي اذا اعتل سيف الدولة اعتلت الارض ومن فوقها والباس والكرم المحض مع قول البحتري ظللنا نعود الجود من وعكك الذي وجدت وقلنا اعتل عضو من المجد وقول المتنبي يعطيك مبتديا فان اعجلته اعطاك معتذرا كمن قد اجرما مع قول ابي تمام اخو عزمات فعله فعل محسن الينا ولكن عذره عذر مذنب وقول المتنبي كريم متى استوهبت ما انت راكب وقد لقحت حرب فانك نازل مع قول البحتري ماض على عزمه في الجود لو وهب الشباب يوم لقاء البيض ما وهبا

وقول المتنبي والذي يشهد الوغى ساكن القلب كان القنا لها اذمام مع قول البحتري لقد كان ذاك الجاش جاش مسالم على ان ذاك الزي زي محارب وقول ابي تمام الصبح مشهور بغير دلائل من غيره ابتغيت ولا اعلام مع قول المتنبي وليس يصح في الافهام شيء اذا احتاج النهار الى دليل وقول ابي تمام وفي شرف الحديث دليل صدق لمختبر على شرف القديم مع قول المتنبي افعاله نسب لو لم يقل معها جدي الخصيب عرفنا العرق بالغصن وقول البحتري واحب آفاق البلاد الى الفتى ارض ينال بها كريم المطلب مع قول المتنبي وكل امرئ يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب وقول المتنبي يقر له بالفضل من لا يوده ويقضي له بالسعد من لا ينجم مع قول البحتري لا ادعي لابي العلاء فضيلة حتى يسلمها اليه عداه وقول خالد الكاتب رقدت ولم ترث للساهر وليل المحب بلا آخر مع قول بشار لخديك من كفيك في كل ليلة الى ان ترى ضوء الصباح وساد تبيت تراعي الليل ترجو نفاده وليس لليل العاشقين نفاد وقول ابي تمام ثوى بالمشرقين لهم ضجاج اطار قلوب اهل المغربين وقول البحتري تناذر اهل الشرق منه وقائعا اطاع لها العاصون في بلد الغرب مع قول مسلم لما نزلت على ادنى ديارهم القى اليك الاقاصي بالمقاليد وقول محمد بن بشير افرغ لحاجتنا ما دمت مشغولا فلو فرغت لكنت الدهر مبذولا مع قول ابي علي البصير فقل للسعيد اسعد الله جده لقد رث حتى كاد ينصرم الحبل ولا تعتذر بالشغل عنا فانما تناط بك الآمال ما اتصل الشغل وقول البحتري من غادة منعت وتمنع وصلها فلو انها بذلت لنا لم تبذل مع قول ابن الرومي ومن البلية انني علقت ممنوعا منوعا وقول ابي تمام لئن كان ذنبي ان احسن مطلبي أساء ففي سوء القضاء لي العذر

مع قول البحتري اذا محاسني اللاتي ادل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر
وقول ابي تمام قد يقدم العير من ذعر على الاسد مع قول البحتري فجاء مجيء العير
قادته حيرة الى اهرت الشدقين تدمى اظافره ٥ وقول معن بن اوس
اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجه آخر الدهر تقبل مع قول العباس
بن الاحنف نقل الجبال الرواسي من اماكنها اخف من رد نفس حين تنصرف
وقول امية بن ابي الصلت عطاؤك زين لامرئ ان اصبته بخير وما كل العطاء يزين
مع قول ابي تمام تدعى عطاياه وفرا وهي ان شهرت كانت فخارا لمن يعفوه مؤتنفا
ما زلت منتظرا اعجوبة عننا حتى رايت سؤالا يجتني شرفا ٥ وقول جرير
بعثن الهوى ثم ارتمين قلوبنا باسهم اعداء وهن صديق مع قول ابي نواس
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق ٥ وقول كثير
اذا ما اردت خلة ان تزيلنا ابينا وقلنا الحاجبية اول مع قول ابي تمام
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول ٥ وقول المتنبي
وعند من اليوم الوفاء لصاحب شبيب واوفى من ترى اخوان مع قول
ابي تمام فلا تحسبا هندا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند ٥
وقول البحتري ولم ارض في رنق الصرى لي موردا فحاولت ورد النيل عند
احتفاله مع قول المتنبي قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر
استقل السواقيا ٥ وقول المتنبي كانما يولد الندى معهم لا صغر عاذر ولا هرم
مع قول البحتري عن يغتدون في الافضال يؤتنف الندى لناشئهم من حيث يؤتنف العمر
وقول البحتري فلا تغلين بالسيف كل غلائه ليمضي فان الكف لا السيف يقطع ٥

مع قول المتنبي اذا الهند سوت بين سيفي كريهة فسيفك في كف تزيل التساويا
وقول البحتري ساموك من حسد فافضل منهم غير الجواد وجاد غير المفضل
فبذلت فينا ما بذلت سماحة وتكرما وبذلت ما لم تبذل مع قول ابي تمام
ادى الناس منهاج الندى بعدما عفت مهايعه المثلى ومحت لواحبه
ففي كل نجد في البلاد وغائر مواهب ليست منه وهي مواهبه ٥ وقول المتنبي
بيضاء تطمع فيما تحت حلتها وعز ذلك مطلوبا اذا طلبا مع قول البحتري
تبدو بعطفة مطمع حتى اذا شغل الخلي ثنت بصدفة مويس ٥ وقول المتنبي
اذكار مثلك ترك اذكاري له اذ لا تريد لما اريد مترجما مع قول ابي تمام
واذا المجد كان عوني على المرء تقاضيته بترك التقاضي ٥ وقول ابي تمام
فنعمت من شمس اذا حجبت بدت من خدرها وكانها لم تحجب مع قول
قيس بن الخطيم قضى لها الله حين صورها الخالق ان لا يكنها سدف
وقول المتنبي راميات باسهم ريشها الهدب تشق القلوب قبل الجلود
مع قول كثير رمتني بسهم ريشها الكحل لم يجز ظواهر جلدي وهو في
القلب جارح ٥ وقول بعض شعراء الجاهلية ودعوت ربي بالسلامة
جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء مع قول ابي العتاهية اسرع
في نقص امرئ تمامه تدبر في اقبالها اياما ٥ وقول
اقلل زيارتك الحبيب تكون كالثوب استجده ان الصديق يمله ان لا يزال
يراك عنده مع قول ابي تمام وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
وقول الخزيمي زاد معروفك عندي عظما انه عندك محقور صغير

تناساه كأن لم تأته وهو عند الناس مشهور كبير مع قول المتنبي بطن من فقدك
اعتداده انهم انعموا وما عملوا ه وقول البحتري ألم تر للنوائب كيف
تسمو الى اهل النوافل والفضول مع قول المتنبي افاضل الناس
اغراض لذا الزمن يخلو من الهم اخلاهم من الفطن ه وقول المتنبي
تذلل لها واخضع على القرب والنوى فما عاشق من لا يذل ويخضع
مع قول بعض المحدثين كن اذا احببت عبدا للذي تهوى مطيعا
لن تنال الوصل حتى تلزم النفس الخضوعا وقول مضرس بن ربعي
لعمرك اني بالخليل الذي له علي دلال واجب لمفجع واني بالمولى الذي ليس نافعي
ولا ضائري فقدانه لممتع مع قول المتنبي اما تغلط الايام في بان ارى
بغيضا تنائي او حبيبا تقرب ه وقول المتنبي مظلومة القد في تشبيهه غصنا
مظلومة الريق في تشبيهه ضربا مع قول اذا نحن شبهناك بالبدر طالعا
بخسناك حظا انت ابهى واجمل ه ونظلم ان قسناك بالليث في الوغى
لانك احمى للحريم وابسل ه ذكر ما انت ترى فيه في كل واحد من البيتين
صنعة وتصويرا واستاذية على الجملة فمن ذلك وهو من النادر قول لبيد
واكذب النفس اذا حدثتها ان صدق النفس يزري بالامل ه مع قول نافع بن لقيط
واذا صدقت النفس لم تترك لها املا ويأمل ما اشتهى المكذوب وقول
رجل من الخوارج اتي به الحجاج في جماعة من اصحاب قطري فقتلهم ومن
عليه ليد كانت له عنده وعاد الى قطري فقال له قطري عاود قتال عدو
الله الحجاج فابى وقال أأقاتل الحجاج عن سلطانه بيد تقر بانها مولاته

عملوا
النوافل
لذي
بعضهم

ماذا اقول اذا وقفت ازاءه في الصف واحتجت له فعاله مع قول ابي تمام
أسربل هجر القول من لو هجوته اذا لهجاني عنه معروفه عندي ه وقول النابغة اذا ما
غزا بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدي بعصائب جوانح قد ايقن ان قبيله
اذا ما التقى الصفان اول غالب مع قول ابي نواس واذا مج القنا علقا
وتراءى الموت في صوره راح في ثنيي مفاضته اسد يدمي شبا ظفره
تتأيا الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره المقصود البيت الاخير وحكى المرزباني
قال حدثني عمرو الوراق قال رأيت ابا نواس ينشد قصيدته التي اولها ايها المنتاب
عن عفره بحسدته فلما بلغ الى قوله تتأيا الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره
قلت له ما تركت للنابغة شيئا حيث يقول اذا ما غزا بالجيش البيتين فقال اسكت
فلئن كان سبق لما اساء الاتباع وهذا الكلام من ابي نواس دليل على انه المعنى ينقل
من صورة الى صورة ذاك لانه لو كان يكون قد صنع بالمعنى شيئا لكان قوله لما اساء
الاتباع محالا لانه على كل حال لم يتبعه في اللفظ ثم ان الامر ظاهر لمن نظر في انه
قد نقل المعنى عن صورته التي هو عليها في شعر النابغة الى صورة اخرى وذلك ان هاهنا
معنيين احدهما اصل وهو علم الطير بان الممدوح اذا غزا عدوا كان الظفر له و
كان هو الغالب والاخر فرع وهو طمع الطير في ان تشبع عليها المطاعم من لحوم
القتلى وقد عمد النابغة الى الاصل الذي هو علم الطير بان الممدوح يكون الغالب
فذكره صريحا وكشف عن وجهه واعتمد في الفرع الذي هو طمعها في لحوم القتلى
وانها لذلك تحلق فوقه على دلالة الفحوى وعكس ابو نواس القضية فذكر الفرع الذي
هو طمعها في لحوم القتلى صريحا فقال كما ترى ثقة بالشبع من جزره وعول في

القول
الجمعان
الحبشان

الاصل الذي علمها ان الظفر يكون للممدوح على الفحوى و دلالة الفحوى على علمها ان
الظفر يكون للممدوح هي من لم يزل من جنوده وهي لا تشوبان شبعها يكون من جنود الممدوح
حتى يعلم ان الظفر يكون له ام يكون سنى اظهر من هذا النقل عن صورة الى صورة ارجع فی م
الى النسق ومن ذلك قول ابي العتاهية شيم فتحت من المدح ما قد كان مستغلقا
على المداح مع قول ابي تمام نظمت له خرز المديح مواهب ينفثن في عقد اللسان
المفحم وقول ابي وجزه اتاك المجد من هنا وهنا وكنت له بمجتمع السيول
مع قول المنصور النمري ان المكارم والمعروف اودية احلك الله منها حيث
تجتمع وقول بشار الشيب كره وكره ان يفارقني اعجب بشيء على البغضاء
مودود مع قول البحتري تعيب الغانيات علي شيبي ومن لي ان امتع
بالمعيب وقول ابي تمام يشتاقه من كماله غده ويكثر الوجد نحوه الامس
مع قول ابن الرومي امام من ظل الامس يعمل نحوه تلفت ملهوف ويشتاقه الغد
لو سطر الى ابه قال ويشتاقه الغد فاعاد لفظ ابي تمام ولكن انظر الى قوله يعمل
نحوه تلفت ملهوف وقول ابي تمام لئن ذممت الاعداء سوء صباحها
فليس يؤدي شكرها الذئب والنسر مع قول المتنبي وانبت منهم ربع
السباع فاثنت باحسانك الشامل وقول ابي تمام ورب نائي المغاني
روحه ابدا لصيق روحي ودان ليس بالداني مع قول المتنبي لنا ولاهله
ابدا قلوب تلاقى في جسوم ما تلاقى وقول ابن هفان اصبح الدهر
مسيئا كله ماله الا ابن يحيى حسنه مع قول المتنبي ازالت بك الايام عتبي
كانما بنوها لها ذنب وانت لها عذر وقول علي بن جبلة واذكى

الليالي ما طوت من قوتي رددته في عظتي وفي افهامي مع قول ابن المعتز
وما ينتقص من شباب الرجال يزد في نهاها والبابها وقول بكر بن النطاح
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله مع قول المتنبي
انا من معشر اذا وهبوا ما دون اعمارهم فقد بخلوا وقول البحتري
ومن ذا يلوم البحر ان بات زاخرا يفيض وصوب المزن ان راح يهطل
مع قول المتنبي وما ثناك كلام الناس عن كرم ومن يسد طريق العارض الهطل
وقول الكندي عزوا وعز بعزهم من جاوروا فهم الذرى وجماجم الهامات
ان يطلبوا بتراتهم يعطوا بها او يطلبوا لا يدركوا بترات مع قول المتنبي
نفيت الليالي كل شيء اخذته وهن لما ياخذن منك غوارم وقول ابي تمام
اذا سيفه اضحى على الهام حاكما غدا العفو منه وهو في السيف حاكم
مع قول المتنبي له من كريم الطبع في الحرب منتض ومن عادة الاحسان
والصفح غامده فانظر الان نظر من نفى الغفلة عن نفسه فانك ترى عيانا ان
للمعنى في كل واحد من البيتين من جميع ذلك صورة وصفة غير صورته وصفته
في البيت الاخر وان العلماء لم يريدوا حيث قالوا ان المعنى في هذا هو المعنى
في ذاك ان الذي يعقل من هذا لا يخالف الذي يعقل من ذاك وان المعنى عائد عليك
في البيت الثاني على هيئته وصفته التي كان عليها في البيت الاول وان لا فرق
ولا فصل ولا تباين بوجه من الوجوه وان حكم البيتين مثلا حكم الاسمين قد وضعا
في اللغة لشيء واحد كالليث والاسد ولكن قالوا ذلك على حسب ما يقوله
العقلاء في الشيئين يجمعهما جنس واحد ثم يفترقان بخواص ومزايا وصفات

[illegible]
وباين الطبيعة الكلية ... [illegible]
كما يستلذ بعض المرضى أكل الطين ويستمر بعضهم الحلوة

كالخاتم والخاتم والشنف والشنف والسوار والسوار وسائر أصناف الحلي
التي يجمعها جنس واحد ثم يكون بينها الاختلاف الشديد في الصنعة والعمل ومن هذا
الذي ينظر إلى بيت الخارجي وبيت أبي تمام فلا يعلم أن صورة المعنى في ذلك غير
صورته في هذا كيف والخارجي يقول واحتمت له فعلاته ويقول أبو تمام إذا
لهجاني عنه معروفه عندي ومتى كان أخذ وهما واحدًا في المعنى وكذلك الحكم
في جميع ما ذكرنا فليس يتصور في نفس عاقل أن يكون قول البحتري وأحب آفاق
البلاد إلى الفتى أرض ينال بها كريم المطالب وقول المتنبي وكل مكان ينبت العز
طيب سواء واعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا
على الذي نراه بأبصارنا فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة
الصورة فكان يبين إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة
هذا لا تكون في صورة ذاك وكذلك كان الأمر في المصنوعات فكان يبين خاتم
من خاتم وسوار من سوار بذلك ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في
الآخر بينونة في عقولنا وفرقًا عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا
للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك وليس العبارة عن ذلك بالصورة
شيئًا نحن ابتدأناه فينكره منكر بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء و
يكفيك قول الجاحظ وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير واعلم أنه
لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر وكان التالي
من الشاعرين يجيئك به معادًا على وجهه لم يحدث فيه شيئًا ولم يغير له صفة
لكان قول العلماء في شاعر إنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد وفي آخر

[illegible]

إنه أساء وقصّر لغوًا من القول من حيث كان محالًا أن يحسن أو يسيء في شيء لا يصنع
به شيئًا وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيرًا للبيت ومناسبًا له خطأ منهم
لأنه محال أن يناسب الشيء نفسه وأن يكون نظيرًا لنفسه وأمر ثالث وهو أنهم
يقولون في واحد إنه أخذ المعنى فظهر أخذه وفي آخر إنه أخذه فأخفى أخذه
ولو كان المعنى يكون معادًا على صورته وهيئته وكان الآخذ له من صاحبه لا
يصنع شيئًا غير أن يبدل لفظًا مكان لفظ لكان الإخفاء فيه محالًا لأن اللفظ لا
يخفي المعنى وإنما يخفيه إخراجه في صورة غير التي كان عليها مثال ذلك أن
القاضي أبا الحسن ذكر فيما ذكر فيه تناسب المعاني بيت أبي نواس خُلّيتُ و
الحسن تأخذه تنتقي منه وتنتخب وبيت عبد الله بن مصعب كأنكم جئتم
محكّمًا عليهم تخيّر في الأبوة ما تشا وذكر أنهما معًا من بيت بشار
خُلقتُ على ما فيَّ غيرَ مخيَّرٍ هوايَ ولو خُيّرتُ كنتُ المهذَّبا والأمر
في تناسب هذه الثلاثة ظاهر ثم إنه ذكر أن أبا تمام قد تناوله فأخفاه وقال
فلو صوّرتَ نفسك لم تزِدْها على ما فيك من كرم الطباع ومن العجيب
في ذلك ما تراه إذا أنت تأملت قول أبي العتاهية جُزِيَ البخيلُ عليَّ صالحةً
عني لخفّته على ظهري أعلي وأكرم عن يديه يدي فعلَتْ ونزّه قدره قدري
ورُزِقتُ من جدواه عافيةً أن لا يضيق بشكره صدري وغنيتُ خِلْوًا من
تفضّله أحنو عليه بأحسن العذرِ ما فاتني خيرُ امرئٍ وضَعَتْ عني
يداه مؤونة الشكرِ ثم نظرت إلى قول الذي يقول أعتقني سوءُ ما صنعتَ
من الرقِّ فيا بَرْدَها على كبدي فصرتُ عبدًا للسوء فيك وما أحسنَ سوءٌ

على

ومما هو في غاية الندرة من هذا الباب ما صنعه الجاحظ بقول نصيب ولو
سكتوا اثنت عليك الحقائب حسن نشره فعال وكتب به الى ابن الزيات نحن
اعزك الله نسحر بالبيان ونموه بالقول والناس ينظرون الى الحال و
يقضون بالعيان فاثر في امرنا اثرا ينطق اذا اشكلنا فان المدعي بغير بينة
متعرض للتكذيب وهذه جملة من وصفهم الشعر وعمله وادلالهم به
ابو حية النميري ان القصائد قد علمن بانني صنع اللسان بهن لا اتنحل النميري
واذا ابتدأت عروض نسج ريض جعلت تذل لما اريد وتسهل
حتى تطاوعني ولو يرتاضها غيري لحاول صعبة لا تقبل تميم بن مقبل
اذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى لها قائلا بعدي اطب واشعرا
واكثر بيتا سائرا ضربت له حزون جبال الشعر حتى تيسرا اغر غريبا
تمسح الناس وجهه كما تمسح الايدي الاغر المشهرا عدي بن الرقاع
وقصيدة قد بت اجمع بينها حتى اقوم ميلها وسنادها نظر
المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها كعب بن زهير
من للقوافي شانها من يحوكها اذا ما ثوى كعب وفوز جرول
يقومها حتى تلين متونها فيقصر عنها كلما يتمثل بشار
عميت جنينا والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافدا بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول اذا ما احزن الشعر اسهلا ه
وله ذو زملوك عليه ابهة يعرف من شعره ومن خطبه لله ما

النادر
المجلس

راح في جوانحه من لؤلؤ لا ينام عن طلبه تخرج من فيه للندي كما تخرج ضوء
السراج من لهبه ابو شريح العميري فان اهلك فقد ابقيت بعدي
قوافي تعجب المتمثلينا لذيذات المقاطع محكمات لو ان الشعر يلبس
لارتدينا الفرزدق بلغن الشمس حين تكون شرقا ومسقط قرنها من
حيث غابا بكل ثنية وبكل ثغر غرائبهن تنتسب انتسابا ابن ميادة
فجرنا ينابيع الكلام وبحره فاصبح فيه ذو الرواية يسبح وما الشعر
الا شعر قيس وخندف وشعر سواهم كلفة وتملح وقال عقال بن هشام
يرد على ابن الرماح نقض مقاله بها خطل الرماح او كان يمزح
لقد خرق الجن اليمانون قبلهم بحور الكلام تستقى وهي طفح
وهم علموا من بعدهم فتعلموا وهم اعربوا هذا الكلام واوضحوا فللسابقين
الفضل لا يجحدونه وليس لمسبوق عليهم تبجح ابو تمام كشفت قناع
الشعر عن حر وجهه وطيرته عن وكره وهو واقع بغر يراها من
يراها بسمعه ويدنو اليها ذو الحجى وهو شاسع يود وداد ان اعضاء
جسمه اذا انشدت شوقا اليها مسامع وله جدا تملا كل اذن حكمة
وبلاغة وتدر كل وريد كالدر والمرجان الف نظمه بالشذر في عنق الفتاة
الرود كشقيقة البرد المنمنم وشيه في ارض مهرة او بلاد تزيد
يعطي بها البشرى الكريم ويرتدي بردائها في المحفل المشهود بشرى الغني
ابي البنات تتابعت بشراؤه بالفارس المولود وله جانك من نظم
اللسان قلادة سمطان فيها اللؤلؤ المكنون احذاكها صنع الضمير يمده

هاشم القيني
جفر اذا نضب الكلام معينه

فول

اخذ لفظ الصنع من ابي حية ما بين صنع اللسان بهن لا انتحل ونقله الى الضمير وقد جعل حسان ايضا اللسان صنعا وذلك في قوله اهدى لهم مدحا قلب موازرة فيما احب لسان حائك صنع ولابي تمام البكر اوجنا عازب الشعر بعدما تمهل في روض المعاني العجائب غرائب لاقت في فنائك انسها من المجد فهي الآن غير غرائب ولو كان يفنى الشعر افناه ما قرت حياضك منه في السنين الذواهب ولكنه صوب العقول اذا انجلت سحائب منه اعقبت بسحائب وللبحتري السنن الموالي فكم نظم قصائد هي الانجم اقتادت مع الليل انجما ثناكان الروض منه منورا ضحى وكان الوشي منه منمنما وله احسن ابا حسن بالشعر اذ جعلت عليك انجمه بالمدح تنتثر فقد اتتك القوافي غب فائدة كما تفتح غب الوابل الزهر وله البكر القوافي نازعات قواصد نسير ضاحي وشيها وينمنم ومشرقة في النظم غر يزينها بهاء وحسنا انها لك تنظم وله بمنقوشة نقش الدنانير ينتقى لها اللفظ مختارا كما ينتقى التبر وله ايذهب هذا الدهر لم ير موضعي ولم يدر مقدار حلي ولا عقري ويكسد مثلي وهو تاجر سودد يبيع ثمينات المكارم والمجد سوائر شعر جامع بدد العلى تعلقن من قبلي واتعبن من بعدي يقترعها صانع متعمل لاحكامها تقديرا داود في السرد وله الله يسهر في مديحك ليله متململا وتنام دون ثوابه يقظان ينتخل الكلام كانه جيش لديه يريد ان يلقى به فاتى به كالسيف رقرق صيقل ما بين قائم سنخه وذبابه ومن نادر وصفه للبلاغة قوله في نظام من البلاغة ما شك امرؤ انه نظام فريد

وبديع

المجاز الحكمي يظهر انك تراك في الاستعارة التي هي مجاز في نفس الكلمة وانت تحتاج في الامر لا اكثر الى ان تمهد لها وتقدم او تؤخر ما يعلم به انك مستعير ومشبه وتفتح طريق المجاز الى الكلمة الا ترى الى قوله وصاعقة من نصله تنكفي بها على ارؤس الاقران خمس سحائب عنى بخمس السحائب انامله ولكنه لم يات بهذه الاستعارة دفعة ولم يرمها اليك بغتة بل ذكر ما ينبي عنها ويستدل به عليها فذكر ان هناك صاعقة وقال من نصله فبين ان تلك الصاعقة من نصل سيفه ثم قال على ارؤس الاقران ثم قال خمس فذكر الخمس التي هي عدد انامل اليد فبان من مجموع هذه الامور غرضه وانشدوا لبعض العرب فان تعافوا العدل والايمانا فان في ايماننا نيرانا يريد فان في ايماننا سيوفا نضربكم بها ولولا قوله اولا فان تعافوا العدل والايمان وان في ذلك دلالة على ان جوابه انهم يحاربون ويقسرون على الطاعة بالسيف ثم قوله فان في ايماننا لما عقل مراده ولما جاز ان يستعير النيران للسيوف لانه كان لا يعقل الذي يريد لانا وان كنا نقول في ايديهم سيوف تلمع كانها شعل نار كما قال ناهضتهم والبارقات كانها شعل على ايديهم تتلهب فان هذا التشبيه لا يبلغ مبلغ ما يعرف مع الاطلاق كمعرفتنا اذا قال رايت اسدا انه يريد الشجاعة واذا قال لقيت شمسا وبدرا انه يريد الحسن ولا يقوى تلك القوة فاعرفه ومما طريق المجاز فيه الحكم قول الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار وذلك انها لم ترد بالاقبال والادبار غير معناهما فتكون قد تجوزت في نفس الكلمة وانما تجوزت في ان جعلتها لكثرة ما

تقبل وتدبر ولغلبة ذاك عليها واتصاله منها وأنه لم يكن لها حال غيرهما كأنها
قد تجسمت من الإقبال والإدبار وإنما كان يكون المجاز في نفس الكلمة لو أنها
كانت قد استعيرت الإقبال والإدبار لمعنى غير معناهما الذي وضعا له في اللغة
ومعلوم أن ليس الاستعارة مما أرادته في شيء واعلم أنه ليس بالوجه أن يعد
هذا على الإطلاق معدّ ما حذف منه المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه
مثل قوله جل وعز واسأل القرية ومثل قول النابغة وكيف تواصل من أصبحت
خلالته كأبي مرحب وقول الأعرابي حسبت بغام راحلتي عناقا وما
هي ويب غيرك بالعناق وإن كنا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف
ويقولون إنه في تقدير فإنما هي ذات إقبال وإدبار ذاك لأن المضاف المحذوف
من نحو الآية والبيتين في سبيل ما يحذف من اللفظ ويراد في المعنى كمثل أن يحذف
خبر المبتدأ أو المبتدأ إذا دل الدليل عليه إلى سائر ما إذا حذف كان في حكم
المنطوق به وليس الأمر كذلك في بيت الخنساء لأنا إذا جعلنا المعنى فيه الآن
كالمعنى إذا نحن قلنا فإنما هي ذات إقبال وإدبار أفسدنا الشعر على أنفسنا و
خرجنا إلى شيء مغسول وإلى كلام عامي مرذول وكان سبيلنا سبيل من
يزعم مثلا في بيت المتنبي بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا
ورنت غزالا أنه في تقدير محذوف وأن معناه الآن كالمعنى إذا قلت
بدت مثل قمر ومالت مثل خوط بان وفاحت مثل عنبر ورنت مثل
غزال في أنا نخرج إلى الغثاثة وإلى شيء يعزل البلاغة عن سلطانها و
يخفض من شأنها ويصد أوجهنا عن محاسنها ويسد باب المعرفة بها

معنى صح
ويلطف معناها علينا فالوجه أن يكون تقدير المضاف في هذا على أنه لو كان الكلام
قد جيء به على ظاهره ولم يقصد إلى الذي ذكرنا من المبالغة والاتساع وأن
تجعل الناقة كأنها قد صارت بجملتها إقبالا وإدبارا حتى كأنها قد تجسمت
منهما لكان حقه حينئذ أن يجاء فيه بلفظ الذات فيقال فإنما هي ذات إقبال وإدبار
فأما أن يكون الشعر الآن موضوعا على إرادة ذلك وعلى تنزيله منزلة المنطوق
به حتى يكون الحال فيه كالحال في حسبت بغام راحلتي عناقا حين كان المعنى
والقصد أن يقول حسبت بغام راحلتي بغام عناق فمما لا مساغ له عند من كان
صحيح الذوق صحيح المعرفة نسابة للمعاني فصل هذه مسألة
قد كنت عملتها قديما وقد كتبتها ههنا لأن لها اتصالا بهذا الذي
صار بنا القول إليه قوله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي
لمن أعمل قلبه فيما خلق القلب له من التدبر والتفكر والنظر فيما ينبغي أن ينظر
فيه فهذا على أن يجعل الذي لا يعي ولا يسمع ولا ينظر ولا يتفكر كأنه قد عدم القلب
من حيث عدم الانتفاع به وفاته الذي هو فائدة القلب والمطلوب منه كما جعل
الذي لا ينتفع ببصره وسمعه ولا يفكر فيما يؤديان إليه ولا يحصل من رؤية
ما يرى وسماع ما يسمع على فائدة بمنزلة من لا سمع له ولا بصر فأما
تفسير من يفسره على أنه بمعنى من كان له عقل فإنه إنما يصح على أن يكون قد أراد
الدلالة على الغرض على الجملة فأما أن يؤخذ به على هذا الظاهر حتى كأن القلب
اسم للعقل كما يتوهمه الحشو ومن لا يعرف مخارج الكلام فمحال باطل
لأنه يؤدي إلى إبطال الغرض من الآية وإلى تحريف الكلام عن صورته وإزالة المعنى

عن جهته وذلك أن المراد به الحث على النظر والتقريع على تركه وذم من يخل
به ويغفل عنه ولا يحصل ذلك إلا بالطريق الذي قدمته ولا بأن يكون قد جعل
من لا يعقله بقلبه ولا ينظر ولا يتذكر كأنه ليس بذي قلب كما يجعل كأنه جماد وكأنه
ميت لا يشعر ولا يحس وليس سبيل من فسر القلب ههنا على العقل إلا
سبيل من فسر عليه العين والسمع في قول الناس هذا بين لمن كانت له عين ولمن
كان له سمع وفسر العمى والصمم والموت في صفة من يوصف بالجهالة على
مجرد الجهل وأجرى جميع ذلك على الظاهر فاعرفه ومن عادة قوم ممن يتعاطى
التفسير بغير علم أن يتوهموا أبدا في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل
أنها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويمنعوا أنفسهم
والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف وناهيك بهم إذا
هم أخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون في غير طائل هناك ترى ما
شئت من باب جهل قد فتحوه وزند ضلالة قد قدحوا به ونسأل الله
العصمة والتوفيق فصل هذا فن من القول دقيق المسلك لطيف
المأخذ وهو أنا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية و
التعريض كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب وإذا فعلوا ذلك بدت
هناك محاسن تملأ الطرف ودقائق تعجز الوصف ورأيت هنالك شعرا شاعرا
وسحرا ساحرا وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفلق والخطيب المصقع وكما
أن الصفة إذا لم تأتك مصرحا بذكرها مكشوفا عن وجهها ولكن مدلولا عليها بغيرها
كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لمكانها كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه

إلى السامع صريحا وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة كان
له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله ولا يجهل موضع الفضيلة
فيه وتفسير هذه الجملة وشرحها أنهم يرومون وصف الرجل ومدحه وإثبات معنى
من المعاني الشريفة له فيدعون التصريح بذلك ويكنون عن جعلها فيه بجعلها في شيء
يشتمل عليه ويتلبس به ويتوصلون في الجملة إلى ما أرادوا من الإثبات لا من الجهة الظاهرة
المعروفة بل من طريق يخفى ومسلك يدق ومثاله قول زياد الأعجم إن السماحة والمروءة
والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج أراد كما لا يخفى أن يثبت هذه المعاني والأوصاف
خلالا للممدوح وضرائب فيه فترك أن يصرح فيقول إن السماحة والمروءة والندى مجموعة
في ابن الحشرج أو مقصورة عليه أو مختصة به وما شاكل ذلك مما هو صريح في إثبات الأوصاف
للمذكورين بها وعدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح فجعل كونها في القبة المضروبة عليه
عبارة عن كونها فيه وإشارة إليه فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة وظهر
فيه ما أنت ترى من الفخامة ولو أنه أسقط هذه الواسطة من البين لما كان إلا كلاما
غفلا وحديثا ساذجا وهذه الصنعة في طريق الإثبات هي نظير الصنعة في المعاني
إذا جاءت كنايات عن معان أخر نحو قوله وما يك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول
الفصيل فكما أنه إنما كان من فاخر الشعر ومما يقع في الاختيار لأجل أنه أراد أن يذكر
نفسه بالقرى والضيافة فكنى عن ذلك بجبن الكلب وهزال الفصيل وترك أن يصرح
فيقول قد عرف أن جنابي مألوف وكلبي مؤدب لا يهر في وجوه من يغشاني من
الأضياف وأني أنحر المتالي من إبلي وأدع فصالها هزلى كذلك إنما راقك بيت زياد لأنه
كنى عن إثباته السماحة والمروءة والندى كائنة في الممدوح بجعلها كائنة في القبة المضروبة

عليه هذا وكما ان من شان الكناية الواقعة في نفس الصفة ان يجي على صور مختلفة
كذلك من شانها اذا وقعت في طريق اثبات الصفة ان يجي على هذا الحد ثم يكون في
ذلك ما يتناسب كما كان ذلك في الصفة نفسها تفسير هذا انك تنظر الى قول يزيد بن
الحكم يمدح يزيد بن المهلب وهو في حبس الحجاج اصبح في قيدك السماحة والمجد
وفضل الصلاح والحسب فتراه نظير البيت زياد وتعلم ان مكان القيد ها هنا
هو مكان القبة هناك كما انك تنظر الى قوله جبان الكلب فتعلم انه نظير لقوله
زجوت كلابي ان يهر عقورها من حيث لم يكن ذلك الجبن منه الا لان دام منه الزجر
واستمر حتى اخرج الكلب بذلك عما هو عادته من الهرير والنبح في وجه من
يدنو من دار هو مرصد لان يعس دونها وتنظر الى قوله مهزول الفصيل فتعلم انه
نظير قول ابن هرمة لا امتع العوذ بالفصال وتنظر الى قول نصيب لعبد العزيز
على قومه وغيرهم منن ظاهرة فبابك ابوابهم ودارك ماهولة عامرة
وكلبك آنس بالزائرين من الام بالابنة الزائرة فتعلم انه من قول الآخر يكاد اذا ما
ابصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو اعجم وان بينهما قرابة شديدة ونسبا
لاصقا وان صورتهما في فرط التناسب صورة بيتي زياد ويزيد ومما هو اثبات
الصفة على طريق الكناية والتعريض قولهم المجد بين ثوبيه والكرم في برديه وذلك
ان قائل هذا يتوصل الى اثبات المجد والكرم للممدوح بان يجعلهما في ثوبه الذي يلبسه
كما توصل زياد الى اثبات السماحة والمروة والندى لابن الحشرج بان جعلها في
القبة التي هو جالس فيها ومن ذلك قوله وحيثما يك امر صالح تكن وما جاء في معناه
من قوله يصير ابان قرين السماح والمكرمات معا حيث صارا وقول ابي نواس

الكناية عن صح

استهل صح

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير كل ذلك توصل الى اثبات
الصفة في الممدوح باثباتها في المكان الذي يكون فيه والى لزومها له بلزومها الموضع
الذي يحل فيه وهكذا ان اعتبرت قول الشنفرى يصف امراة بالعفة يبيت
بمنجاة من اللوم بيتها اذا ما بيوت بالملامة حلت وجدته يدخل في معنى بيت
زياد وذلك انه توصل الى نفي اللوم عنها وابعادها عنه بان نفاه عن بيتها وباعد
بينه وبينه وكان مذهبه في ذلك مذهب زياد في التوصل الى جعل السماحة و
المروة والندى في ابن الحشرج بان جعلها في القبة المضروبة عليه وانما الفرق
ان هذا ينفي وذاك يثبت وذاك الفرق لا في موضع الجمع فهو لا يمنع ان يكونا من قد اخرج م
نصاب واحد ومما هو في حكم المتناسب بيت زياد وامثاله التي ذكرت وان كان في
صورة اغرب وابدع قول حسان بنى المجد بيتا فاستقرت عماده علينا
فاعيا الناس ان يتحولا وقول البحتري اوما رايت المجد القى رحله في آل طلحة
ثم لم يتحول ذاك لان مدار الامر على انه جعل المجد والممدوح في مكان وجعله يكون
حيث يكون واعلم انه ليس كل ما جاء كناية في اثبات الصفة يصلح ان يحكم عليه
بالتناسب معنى هذا ان جعلهم الجود والكرم والمجد يمرض بمرض الممدوح كما
قال البحتري ظللنا نعود الجود من وعكك الذي وجدت وقلنا اعتل عضو
من المجد وان كان يكون القصد منه اثبات الجود والمجد للممدوح فانه لا يصح ان
يقال انه نظير لبيت زياد كما قلنا ذلك في بيت ابي نواس ولكن يصير الجود حيث
يصير وغيره مما ذكرنا انه نظير له كما انه لا يجوز ان يجعل قوله وكلبك آنس
بالزائرين مثلا نظير قوله مهزول الفصيل وان كان الغرض منهما جميعا الوصف

بالقرى والضيافة ~~وكلتا جمعا~~ وكانا جميعا كنايتين عن معنى واحد لان تعاقب الكنايات
على المعنى الواحد لا يوجب تناسبها لانه في عروض ان تتفق الاشعار الكثيرة في كونها
مدحا بالشجاعة مثلا او بالجود او ما اشبه ذلك وقد يجتمع في البيت الواحد كنايتان
المغزى منهما شيء واحد ثم لا تكون احديهما في حكم النظير للاخرى مثال ذلك انه لا يكون قوله
جبان الكلب نظيرا لقوله مهزول الفصيل بل كل واحدة من هاتين الكنايتين اصل
بنفسه وجنس على حدة وكذلك قول ابن هرمة لا امتع العوذ بالفصال ولا
ابتاع الا قريبة الاجل ليس احدى كنايتيه في حكم النظير للاخرى ~~مثال ذلك انه لا يكون~~
~~قوله جبان الكلب~~ وان كان المكنى بهما عنه واحدا فاعرفه وليس لشعب هذا
الاصل وفروعه وامثلته وصوره وطرقه ومسالكه حد ونهاية ومن لطيف ذلك
ونادره قول ابي تمام ابين فما يزرن سوى كريم وحسبك ان يزرن ابا سعيد
ومثله وان لم يبلغ مبلغه قول الآخر متى تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو من تميم
وكذلك قول بعض العرب اذا الله لم يسق الا الكرام فسقى وجوه بني حنبل
وسقى ديارهم باكرا من الغيث في الزمن الممحل ومن عجيب ذلك قول بعضهم
في البرامكة سألت الندى والجود ما لي اراكما تبدلتما ذلا بعز مؤبد وما بال
ركن المجد امسى مهدما فقالا اصبنا بابن يحيى محمد فقلت فهلا متما عند موته
فقد كنتما عبديه في كل مشهد فقالا اقمنا كي نعزى بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد
فصل واعلم ان مما اغمض الطريق الى معرفته ما نحن بصدده ان ها هنا
فروقا خفية يجهلها العامة وكثير من الخاصة ليس انهم يجهلونها في موضع و
يعرفونها في آخر بل لا يدرون انها هي ولا يعلمونها في جملة ولا تفصيل روي عن ابن

الانباري انه قال ركب الكندي المتفلسف الى ابي العباس [المبرد] وقال له اني اجد في كلام العرب
حشوا فقال له ابو العباس في اي موضع وجدت ذلك فقال اجد العرب يقولون عبد
الله قائم ثم يقولون ان عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله لقائم فالالفاظ متكررة و
المعنى واحد فقال له ابو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الالفاظ فقولهم عبد الله
قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله
لقائم جواب عن انكار منكر قيامه فقد تكررت الالفاظ لتكرر المعاني قال فما احار
المتفلسف جوابا واذا كان الكندي يذهب هذا عليه حتى يركب فيه ركوب مستفهم
او معترض فما ظنك بالعامة ومن هو في عداد العامة ممن لا يخطر شبه هذا بباله
واعلم ان ها هنا دقائق لو ان الكندي استقرى وتصفح وتتبع مواقع ان ثم الطف
النظر واكثر التدبر لعلم علم ضرورة ان ليس سواء دخولها وان لا تدخل فاول ذلك و
اعجبه ما قدمت لك ذكره في بيت بشار بكرا صاحبي قبل الهجير ان ذاك النجاح في التبكير
ومما اشبهه معه من قول بعض العرب فغنها وهي لك الفداء ان غناء الابل الحداء وذلك
انه هل شيء ابين في الفائدة وادل على ان ليس سواء دخولها وان لا تدخل انك ترى الجملة
اذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به حتى كأن الكلامين قد افرغا
افراغا واحدا وكأن احدهما قد سبك في الآخر وهذه هي الصورة حتى اذا جئت
الى ان فاسقطتها رأيت الثاني منهما قد نبا عن الاول وتجافى معناه عن معناه و
رأيته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل حتى تجيء بالفاء فتقول بكرا صاحبي قبل الهجير فذاك
النجاح في التبكير وغنها وهي لك الفداء فغناء الابل الحداء ثم لا ترى الفاء تعيد الجملتين
الى ما كانتا عليه من الالفة ولا ترد عليك الذي كنت تجد بان من المعنى وهذا الضرب كثير

في النفوس جدًّا ومن ذلك قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله تعالى
يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور
وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم ومن
ابين ذلك قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقد يتكرر في الاية الواحدة كقوله
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وهي على الجملة كـ
الكثرة بحيث لا يدركها الاحصاء ومن خصائصها انك ترى لضمير الامر والشان معها
من الحسن واللطف ما لا تراه اذا هي لم تدخل عليه بل تراه لا يصلح حيث يصلح الا بها وذلك
في مثل قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله انه من يحادد
الله ورسوله وقوله انه من عمل منكم سوءًا بجهالة ثم تاب وقوله انه لا يفلح الكافرون
ومن ذلك قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار واجاز ابو الحسن الاخفش فيها وجها آخر وهو ان
يكون الضمير في انها للابصار اضمرت قبل الذكر على شريطة التفسير والحاجة
في هذا الوجه ايضا الى ان قائمة كما كانت في الوجه الاول فانه لا يقال هي لا تعمى
الابصار كما لا يقال هو من يتق ويصبر فان الله لا يضيع فان قلت اوليس
قد جاء ضمير الامر مبتدأ به معرًّى من العوامل في قوله تعالى قل هو الله احد
قيل هو وان جاء هنا فانه لا يكاد يوجد مع الجملة من الشرط والجزاء بل تراه
لا يجيء الا بانّ على انهم قد اجازوا في قل هو الله احد ان لا يكون الضمير للامر ومن
لطيف ما جاء في هذا الباب ونادره ما تجده في آخر هذه الابيات انشدها الجاحظ
لبعض الحجازيين اذا طمع يوما عراني قريته كتائب يأس كرّها وطرادها اكدّ
ثمادي والمياه كثيرة اعالج منها حفرها واكتدادها وارضى بها من بحر آخر انه

هو الري ان ترضى النفوس ثمادها المقصود قوله انه هو الري وذلك ان الظاهر
في انه يحتمل امرين احدهما ان يكون ضمير الامر ويكون قوله هو ضمير ان ترضى وقد اضمر
قبل الذكر على شريطة التفسير الاصل ان الامر ان ترضى النفوس ثمادها الري ثم اضمر
قبل الذكر كما اضمرت الابصار في فانها لا تعمى الابصار على مذهب ابي الحسن ثم اتى بالمضمر
مصرحًا به في آخر الكلام فعلم بذلك ان الضمير السابق له وانه المراد به والثاني ان
يكون الظاهر انه ضمير ان ترضى قبل الذكر ويكون هو فصلًا ويكون اصل الكلام ان ان
ترضى النفوس ثمادها هو الري ثم اضمر على شريطة التفسير واي الامرين كان فانه
لا بد فيه من انّ ولا سبيل الى اسقاطها لانك ان اسقطتها افضى ذلك بك الى شيء شنيع
وهو ان تقول وارضى بها من بحر آخر هو هو الري ان ترضى النفوس ثمادها هذا وفي
انّ هذه شيء آخر يوجب الحاجة اليها وهو انها تتولى من ربط الجملة بما قبلها نحوًا مما
ذكرت لك في بيت بشار الا ترى انك لو اسقطت انّ والضمير معا واقتصرت على
ما ذكر ما يبقى من الكلام لم يعقله الا ما الفاكهو لك وارضى بها من بحر آخر فالري ان
ترضى النفوس ثمادها فلو ان الفيلسوف قد كان تتبع هذه المواضع لما ظن الذي ظن
هذا واذا كان خلف الاحمر وهو القدوة ومن يؤخذ عنه ومن هو بحيث يقول الشعر
فينحله الفحول من الجاهليين فيخفى ذلك له ويجوز ان يشتبه ما جرى فيه علمه حتى يقع له ان
ينتقد على بشار فلا غرو ان تدخل الشبهة في ذلك على الكندي ومما تصنعه انّ
في الكلام انك تراها تهيئ النكرة وتصلحها لان يكون لها حكم المبتدأ اعني ان تكون
محدَّثًا عنها بحديث من بعدها ومثال ذلك قوله ان شواءً ونشوةً وخبب البازل
الامون لم يكن كلاما فان كانت النكرة موصوفة وكانت لذلك تصلح ان يبتدأ بها فانك

قوله ويجوز ان يقطع الكلام
في يتوى الكلام بقوله
يشتبه
م

صح
قد نرى حسنا وضعه الغنى معها
في الكلام حتى يهان
عمران فقلت اشواء و
نسخة وخبب البازل
الامون
م

تراها مع إن أحسن وترى المعنى حسنًا أولى بالصحة وأمكن أفلا ترى الى قوله
إن دهرًا يلفّ شملي بسعدى لزمانٌ يهمّ بالإحسان ليس يخفى وإن كان يستقيم
أن يقول دهرٌ يلفّ شملي بسعدى دهرٌ صالح أن ليس الحال على سواءٍ وكذلك
ليس يخفى أنك لو عمدت الى قوله إن أمرًا فادحًا عن جوابي شغلك فأسقطت
منه إن لعدمت الحسن والطلاوة والتمكن الذي أنت واجده الآن و
وجدت ضعفًا وفتورًا ومن تأثير إن في الجملة أنها تغني إذا كانت فيها عن
الخبر في بعض الكلام ووضع صاحب الكتاب في ذلك بابًا فقال هذا باب
ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة لإضمارك ما يكون مستقرًا
لها وموضعًا لو أظهرته وليس هذا المضمر بنفس المظهر وذلك إن مالًا وإن ولدًا
وإن عددًا أي إن لهم مالًا فالذي أضمرت هو لهم وتقول الرجل للرجل هل لكم
أحدٌ إن الناس ألبٌ عليكم فيقول إن زيدًا وإن عمرًا أي لنا وقال إن محلًا وإن
مرتحلًا وإن في السفر إذ مضوا مهلا ه وتقول إن غيرها إبلًا وشاءً كأنه
قال إن لنا أو عندنا غيرها قال وانتصب الإبل والشاء كانتصاب الفارس إذا
قلت ما في الناس مثله فارسًا قال ومثل ذلك قوله يا ليت أيام الصبا رواجعا
قال فهذا كقولهم ألا ماءً باردًا كأنه قال ألا ماءً لنا باردًا وكأنه قال يا ليت أيام الصبا
أقبلت رواجعا فقد أراك في هذا أن الخبر محذوف وقد ترى حسن الكلام
وصحته مع حذفه وترك النطق به ثم إنك إن عمدت الى إن فأسقطتها وجدت
الذي كان حسن من حذف الخبر لا يحسن أو لا يسوغ فلو قلت مالٌ وعددٌ
ومحلٌ ومرتحلٌ وغيرها إبلًا وشاءً لم يكن شيئًا وذلك أن إن كانت السبب

في أن حسن حذف الذي حذف من الخبر وأنها حاضنته والمترجم عنه و
المتكفل بشأنه واعلم أن الذي قلنا في إن من أنها تدخل على الجملة من شأنها إذا
هي أسقطت منها أن يحتاج فيها الى الفاء لا يطرد في كل شيء وفي كل موضع بل يكون
في موضع دون موضع وفي حال دون حال فإنك تراها قد دخلت على الجملة ليست
هي مما يقتضي الفاء وذلك فيما لا يحصى كقوله تعالى إن المتقين في مقام أمين في جنات
وعيون وذاك أن قبله إن هذا ما كنتم به تمترون ومعلوم أنك لو قلت إن هذا
ما كنتم به تمترون فالمتقون في جنات وعيون لم يكن كلامًا وكذلك قوله إن الذين
سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لأنك لو قلت لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
فالذين سبقت لهم منا الحسنى لم تجد لإدخالك الفاء فيه وجهًا وكذا قوله إن
الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل
بينهم يوم القيامة الذين آمنوا اسم إن وما بعده معطوف عليه وقوله إن الله يفصل
بينهم يوم القيامة جملة في موضع الخبر ودخول الفاء فيها محال لأن الخبر لا يعطف
على المبتدأ ومثله سواء إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن
عملًا فإذًا إنما يكون الذي ذكرنا في الجملة من حديث اقتضاء الفاء إذا كان مصدرها
مصدر الكلام يصحح به ما قبله ويحتج له ويبين وجه الفائدة فيه ألا ترى أن الغرض
من قوله إن ذاك النجاح في التبكير أن يبين المعنى في قوله لصاحبيه بكّرا وأن يحتج
لنفسه في الأمر بالتبكير ويبين وجه الفائدة فيه وكذلك الحكم في الآي التي تلوناها
وقوله إن زلزلة الساعة شيء عظيم بيان للمعنى في قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم ولم
أمروا بأن يتقوا وكذلك قوله إن صلواتك سكن لهم بيان للمعنى في أمر النبي صلى الله عليه وسلم

بالصلوة عليهم اي بالدعاء لهم وهذا سبيل كل ما ترى فيه الجملة يحتاج فيها الى الفاء أنت
فاعرف ذلك واما الذي ذكر عن ابي العباس من جعله لها جواب سائل اذا كانت
وحدها وجواب منكر اذا كانت معها اللام فالذي يدل على ان لها اصلا في الجواب
انا رأيناهم قد الزموها الجملة من المبتدأ والخبر اذا كانت جوابا للقسم نحو
والله ان زيدا منطلق وامتنعوا من ان يقولوا والله زيد منطلق ثم انا اذا استقرينا
الكلام وجدنا الامر بينا في الكثير من مواقعها انه يقصد بها الى الجواب كقوله
تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض
وكقوله تعالى نحن نقص عليك ~~احسن القصص~~ نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم و
كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وقوله قل اني نهيت ان اعبد الذين
تدعون من دون الله وقل اني انا النذير المبين واشباه ذلك مما يعلم انه كلام امر
النبي عليه السلام بان يجيب به الكفار في بعض ما جادلوا وناظروا فيه وعلى ذلك
قوله فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وذلك انه يعلم ان المعنى فأتياه
فاذا قال لكما ما شأنكما وما جاء بكما وما تقولان فقولا انا رسول رب العالمين
وكذا قوله تعالى وقال موسى يا فرعون اني رسول رب العالمين هذا سبيله ومن
البين في ذلك قوله تعالى في قصة السحرة قالوا انا الى ربنا منقلبون وذلك لانه
عيان انه جواب فرعون عن قوله آمنتم له قبل ان آذن لكم فهذا هو وجه القول في
نصرة هذه الحكاية ثم ان الاصل الذي ينبغي ان يكون عليه البناء هو الذي دون في الكتب
من انها للتاكيد واذا كان قد ثبت ذلك فاذا كان الخبر بامر ليس للمخاطب ظن في
خلافه البتة ولا يكون قد عقد في نفسه ان الذي تزعم انه كائن غير كائن وان

الذي تزعم انه لم يكن كائن فانت لا تحتاج هناك الى ان وانما تحتاج اليها اذا كان له
ظن في الخلاف وعقد قلب على نفي ما تثبت او اثبات ما تنفي ولذلك تراها
تزداد حسنا اذا كان الخبر بامر يبعد مثله في الظن وبشيء قد جرت عادة
الناس بخلافه كقول ابي نواس عليك باليأس من الناس ان غنى نفسك في اليأس
فقد ترى حسن موقعها وكيف قبول النفس لها وليس ذلك الا لان الغالب على
الناس انهم لا يحملون انفسهم على اليأس ولا يدعون الرجاء والطمع ولا يعترف
كل احد ولا يسلم ان الغنى في اليأس فلما كان كذلك كان الموضع موضع فقر الى
التاكيد فلذلك كان من حسنها ما ترى ومثله سواء قول محمد بن وهيب اجارتنا
ان التعفف باليأس وصبرا على استدرار دنيا بإبساس حريان ان لا يقذفا بمذلة
كريما وان لا يحوجاه الى الناس اجارتنا ان القداح كواذب واكثر اسباب النجاح مع اليأس
هو كما لا يخفى كلام مع من لا يرى ان الامر كما قال بل ينكره ويعتقد خلافه ومعلوم
انه لم يقله الا والمرأة تحدوه وتبعثه على التعرض للناس وعلى الطلب ومن
ومن لطيف مواقعها ان يدعى على ظن لم يظنه ولكن يراد التهكم به وان يقال ان على المخاطب
حالك والذي صنعت يقتضي ان تكون قد ظننت ذلك ومثال ذلك قول الاول
جاء شقيق عارضا رمحه ان بني عمك فيهم رماح يقول ان مجيئه هكذا مدلا
بنفسه وبشجاعته قد وضع رمحه عرضا دليل على اعجاب شديد وعلى
اعتقاد منه انه لا يقوم له احد حتى كأن ليس مع احد منا رمح يدفعه به وكأنا
كلنا عزل واذا كان كذلك وجب اذا قيل انها جواب سائل ان يشترط فيه
ان يكون للسائل ظن في المسؤول عنه على خلاف ما انت تجيبه به فاما ان يجعل

مجرد الجواب اصلا فيها فلا لانه يؤدي الى ان لا يستقيم لنا اذا قال الرجل كيف
زيد ان يقول صالح واذا قيل اين هو ان يقول في الدار وان لا يصح حتى يقول انه صالح
وانه في الدار وذلك مما لا يقوله احد واما جعلها اذا جمع بينها وبين اللام نحو ان
عبد الله لقائم للكلام مع المنكر فجيد لانه اذا كان الكلام مع المنكر كانت الحاجة
الى التاكيد اشد وذلك انك احوج ما تكون الى الزيادة في تثبيت خبرك اذا
كان هناك من يدفعه وينكر صحته الا انه ينبغي ان تعلم انه كما يكون للانكار قد
كان من السامع فانه يكون للانكار يعلم او يرى انه يكون من السامعين وجملة
الامر انك لا تقول انه لكذلك حتى تريد ان تضع كلامك وضع من يزع فيه عن
الانكار واعلم انها قد تدخل للدلالة على ان الظن كان منك ايها المتكلم في الذي كان
انه لا يكون وذلك قولك للشيء هو بمرأى من المخاطب ومسمع انه كان من الامر
ما ترى وكان مني الى فلان احسان ومعروف ثم انه جعل جزائي ما رايت
فتجعلك كانك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين الخطا في الذي توهمت
وعلى ذلك والله اعلم قوله تعالى حكاية عن ام مريم عليها السلام قالت رب اني
وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام
قال رب ان قومي كذبون وليس الذي يعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق
والامور الخفية بالشيء يدرك بالهوينا ونحن نقتصر الان على ما ذكرناه ونأخذ في
القول عليها اذا اتصلت بها ما مسائل انما قال الشيخ ابو علي في
الشيرازيات يقول ناس من النحويين في نحو قوله تعالى قل انما حرم ربي — ما اتى من النحو بشيراز
الفواحش ما ظهر منها وما بطن ان المعنى ما حرم ربي الا الفواحش قال

واصبت ما يدل على صحة قولهم في هذا وهو قول الفرزدق انا الذائد الحامي الذمار وانما
يدافع عن احسابهم انا او مثلي فليس يخلو هذا الكلام من ان يكون موجبا او منفيا فهو
كلن فلو كان المراد به الايجاب لم يستقم الا ترى انك لا تقول يدافع انا ولا يقاتل انا
وانما تقول ادافع واقاتل الا ان المعنى لما كان ما يدافع الا انا فصلت الضمير كما تفصله
من النفي اذا الحقت معه الا حملا على المعنى وقال ابو اسحق الزجاج في قوله انما حرم
عليكم الميتة والدم النصب في الميتة هو القراءة ويجوز انما حرم عليكم الميتة قال ابو اسحق
والذي اختاره ان يكون ما هي التي تمنع ان من العمل ويكون المعنى ما حرم عليكم الا الميتة
لان انما تاتي اثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه وقول الشاعر وانما يدافع عن احسابهم
انا او مثلي المعنى ما يدافع عن احسابهم الا انا او مثلي انتهى كلام الشيخ ابي علي اعلم انهم و
ان كانوا قد قالوا هذا الذي كتبته لك فانهم لم يعنوا بذلك ان المعنى في هذا هو المعنى في ذلك
بعينه وان سبيلهما سبيل اللفظين يوضعان لمعنى واحد وفرق بين ان يكون في الشيء معنى
الشيء وبين ان يكون الشيء الشيء على الاطلاق يبين لك انهما لا يكونان سواء انه ليس كل كلام
يصلح فيه ما والا يصلح فيه انما الا ترى انها لا تصلح في مثل قوله تعالى وما من اله الا الله ولا
في نحو قولنا ما احد الا وهو يقول ذاك اذ لو قلت انما من اله الله وانما احد وهو
يقول ذاك قلت ما لا يكون له معنى فان قلت ان سبب ذلك ان احدا لا يقع الا في النفي
وما يجري مجرى النفي من النهي والاستفهام وان من المزيدة في ما من اله الا الله كذلك
لا يكون الا في النفي وما يجري مجرى النفي من النهي والاستفهام قيل مع هذا كفاية
فانه اعتراف بان ليسا سواء لانهما لو كانا سواء لكان ينبغي ان يكون في انما من النفي مثل ما
يكون في ما والا وكما وجدت انما لا تصلح فيما ذكرنا كذلك تجد ما والا لا تصلح في ضرب

من الكلام قد صلح فيه إنما ودلك لأنه مثل قولك إنما هو درهم لا دينار لو قلت ما هو
إلا درهم لا دينار لم يكن شيئا وإذ قد بان بهذه الجملة أنهم حين جعلوا إنما في معنى ما وإلا
لم يعنوا أن المعنى فيهما واحد على الإطلاق وأن يسقطوا الفرق فإني أبين لك أمرهما و
ما هو أصل في كل واحد منهما بعون الله وتوفيقه اعلم أن موضوع إنما على أن يجيء
لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة تفسير ذلك أنك
تقول للرجل إنما هو أخوك إنما هو صاحبك القديم لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع
صحته ولكن لمن يعلمه ويقر به إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ
وحرمة الصاحب ومثله قول الآخر إنما أنت والد والأب القاطع أحنى من واصل
الأولاد لم يرد أن يعلم كافورا أنه والد ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام
ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم لينبني عليه استدعاء ما يوجبه كونه
بمنزلة الوالد ومثل ذلك قولهم إنما يعجل من يخشى الفوت وذلك أن من المعلوم
الثابت في النفوس أن من لم يخش الفوت لم يعجل ومثاله من التنزيل قوله تعالى إنما
يستجيب الذين يسمعون وقوله إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقوله
إنما أنت منذر من يخشاها كل ذلك تذكير بأمر معلوم ثابت وذلك أن كل عاقل يعلم
أنه لا تكون استجابة إلا ممن يسمع ويعقل ما يقال له ويدعى إليه وأن من لم يسمع ولم
يعقل لم يستجب وكذلك معلوم أن الإنذار إنما يكون إنذارا ويكون له تأثير إذا كان
مع من يؤمن بالله ويخشاه ويصدق بالبعث والساعة فأما الكافر الجاهل
فالإنذار وترك الإنذار معه واحد فهذا مثال ما الخبر فيه خبر بأمر يعلمه المخاطب
ولا ينكره بحال وأما مثال ما ينزل هذه المنزلة فكقوله إنما مصعب شهاب من الله

ظاهر

تجلت عن وجهه الظلماء ادعى في كون الممدوح بهذه الصفة أنه أمر معلوم للجميع على
عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنها
ثابتة لهم وأنهم قد شهروا بها وأنهم لم يصفوا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد
كما قال وتعذلني أفناء سعد عليهم وما قلت إلا بالتي علمت سعد وكما قال البحتري
لا أدعي لأبي العلاء فضيلة حتى يسلمها إليه عداه ومثله قولهم إنما هو أسد
وإنما هو نار وإنما هو سيف صارم إذا أدخلوا إنما جعلوا ذلك في حكم الظاهر المعلوم
الذي لا ينكر ولا يدفع ولا يخفى وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو ما هو إلا كذا و
إن هو إلا كذا فيكون للأمر الذي ينكره المخاطب ويشك فيه فإذا قلت ما هو إلا
مصيب أو ما هو إلا مخطئ قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت وإذا رأيت
شخصا من بعيد فقلت ما هو إلا زيد لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد
وأنه إنسان آخر ويجد في الإنكار أن يكون زيدا وإذا كان الأمر ظاهرا كالذي مضى
لم تقله كذلك فلا تقول للرجل ترققه على أخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة
الرحم ومن حسن التحافي ما هو إلا أخوك وكذلك لا يصلح في إنما أنت والد ما أنت
إلا والد فأما نحو إنما مصعب شهاب فيصلح فيه أن تقول ما مصعب إلا شهاب
لأنه ليس من المعلوم على الصحة وإنما ادعى الشاعر فيه أنه كذلك وإذا كان هذا
هكذا جاز أن تقوله بالنفي والإثبات إلا أنك تخرج المدح حينئذ عن أن يكون على
حد المبالغة من حيث لا تكون قد ادعيت فيه أنه معلوم وأنه بحيث لا ينكره
منكر ولا يخالف فيه مخالف وقوله تعالى إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما
كان يعبد آباؤنا إنما جاء والله أعلم بإن وإلا دون إنما فلم يقل إنما أنتم بشر مثلنا لأنهم

جعلوا الرسل كأنهم بادعائهم النبوة قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشرا مثلهم
وادعوا أمرا لا يجوز أن يكون لمن هو بشر ولما كان الأمر كذلك أخرج اللفظ مخرجه
حيث يراد إثبات أمر يدفعه المخاطب ويدعي خلافه ثم جاء الجواب من الذى هو قوله الرسل
الذى هو قوله قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم كذلك بإن وإلا دون إنما لأن من حكم
من ادعى عليه خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلام الخصم على وجهه
ويجيء به على هيئته ويحكيه كما هو فإذا قلت للرجل أنت من شأنك كيت وكيت قال نعم
أنا من شأني كيت وكيت ولكن لا ضير علي ولا يلزمني من أجل ذلك ما ظننت أنه يلزم
فالرسل عليهم السلام كأنهم قالوا إن ما قلتم من أنا بشر مثلكم كما قلتم لسنا ننكر ذلك و
لا نجهله ولكن ذلك لا يمنعنا أن يكون الله تعالى قد من علينا وأكرمنا بالرسالة وأما قوله
تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم فجاء بإنما لأنه ابتداء كلام قد أمر النبي صلى الله عليه بأن يبلغه
إياهم ويقوله معهم وليس هو جوابا لكلام سابق قد قيل إن أنت إلا بشر فيجب أن
يؤتى به على وفق ذلك الكلام ويراعى فيه حذوه كما كان ذلك في الآية وحكم الأمر أنك متى
رأيت شيئا هو من المعلوم الذي لا يشك فيه قد جاء بالنفي فذلك لتقدير معنى صار به
في حكم المشكوك فيه فمن ذلك قوله تعالى وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير إنما
جاء والله أعلم بالنفي والإثبات لأنه لما قال تعالى وما أنت بمسمع من في القبور وكان المعنى
في ذلك أن يقال للنبي عليه السلام إنك لن تستطيع أن تحول قلوبهم عما هي عليه من الإباء
ولا تملك أن توقع الإيمان في نفوسهم مع إصرارهم على كفرهم واستمرارهم على
جهلهم وصدهم بأسماعهم عما تقوله لهم وتتلوه عليهم كان اللائق بهذا أن يجعل حال النبي
عليه السلام حال من قد ظن أنه يملك ذلك ومن لا يعلم يقينا أنه ليس في وسعه شيء أكثر

من أن ينذر ويحذر فأخرج اللفظ مخرجه إذا كان الخطاب مع من يشك فقيل إن
أنت إلا نذير ويبين ذلك أنك تقول للرجل يطيل مناظرة الجاهل ومقاولته إنك
لا تستطيع أن تسمع الميت وأن تفهم الجماد وأن تحول الأعمى بصيرا وليس بيدك إلا
أن تبين وتحتج ولست تملك أكثر من ذلك لا تقول هاهنا فإنما الذي بيدك أن تبين وتحتج
ذاك لأنك لم تقل له إنك لا تستطيع أن تسمع الميت حتى جعلته بمثابة من يظن أنه يملك
وراء الاحتجاج والبيان شيئا وهذا واضح فاعرفه ومثل هذا في أن الذي تقدم من الكلام اقتضى
أن يكون اللفظ كالذي تراه من كونه بإن وإلا قوله تعالى قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا
إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا
نذير وبشير لقوم يؤمنون

فصل هذا بيان آخر في إنما اعلم أنها تفيد في الكلام
بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره فإذا قلت إنما جاءني زيد عقل منه أنك أردت
أن تنفي أن يكون الجائي غيره فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك جاءني زيد لا عمرو إلا
أن لها مزية وهي أنك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة وفي
حال واحدة وليس كذلك الأمر في جاءني زيد لا عمرو فإنك تعقلهما في حالين ومزية ثانية وهي
أنها تجعل الأمر ظاهرا في أن الجائي زيد ولا يكون هذا الظهور إذا جعلت الكلام بلا
فقلت جاءني زيد لا عمرو ثم اعلم أن قولنا في لا العاطفة إنها تنفي عن الثاني ما وجب للأول
ليس المراد به أنها تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك الأول في الفعل بل أنها تنفي أن يكون
الفعل الذي قلت إنه كان من الأول قد كان من الثاني دون الأول ألا ترى أن ليس المعنى في
قولك جاءني زيد لا عمرو أنه لم يكن من عمرو مجيء إليك مثل ما كان من زيد حتى كأنه عكس قولك
جاءني زيد وعمرو بل المعنى أن الجائي هو زيد لا عمرو فهو كلام تقوله مع من يغلط في الفعل

صح
قال الشيخ الإمام أبو زيد قال
الأستاذ عبد القاهر رحمه الله
كان الأولى في القرآن ... فيه
من استحقاق ... لم يرد
بلفظ ما لم يسم فاعله ...
فكذا في القرآن وأوضح الله
كذا ولا تقول ذكر كذا ...
اللفظ لأنه أقرب إلى التعظيم

وقد كان من هذا عندهم انه كان من ذلك. والنكتة انه لا شبهة في ان ليس ها هنا جائيان
وانه ليس الا جاءٍ واحد وانما الشبهة في ان ذلك الجائي زيد ام عمرو فانت تحقق على
المخاطب بقولك جاءني زيد لا عمرو انه زيد وليس بعمرو ونكتة اخرى وهي انك لا تقول
جاءني زيد لا عمرو حتى يكون قد بلغ المخاطب انه كان مجيء الى ذلك من جاءٍ الا انه ظن انه كان من
عمرو فاعلمته انه لم يكن من عمرو ولكن من زيد واذ قد عرفت هذه المعاني في الكلام بلا
العاطفة فاعلم انها بحالها قائمة لك في الكلام بانما فاذا قلت انما جاءني زيد لم يكن غرضك
ان تنفي ان يكون قد جاء مع زيد غيره ولكن ان تنفي ان يكون المجيء الذي قلت انه كان منه
كان من عمرو وكذلك يكون الشبهة مرتفعة في ان ليس ها هنا جائيان وان ليس الا جاءٍ واحد
وانما يكون الشبهة في ان ذلك الجائي زيد ام عمرو فاذا قلت انما جاءني زيد حققت الامر في
انه زيد وكذلك لا تقول انما جاءني زيد حتى يكون قد بلغ المخاطب ان قد جاءك جاءٍ ولكنه
ظن انه عمرو مثلا فاعلمته انه زيد فان قلت فانه قد يصح ان يقول انما جاءني من بين
القوم زيد وحده وانما اتاني من جملتهم عمرو فقط فان ذلك الشيء كالتكلف والكلام
هو الاول ثم ان الاعتبار به اذا اطلق فلم يقيد بوحده وما في معناه ومعلوم انك
اذا قلت انما جاءني زيد ولم تزد على ذلك انه لا يسبق الى القلب من المعنى الا ما
قد مضى شرحه من انك اردت النص على زيد انه الجائي وان تبطل ظن المخاطب ان المجيء
لم يكن منه ولكن كان من عمرو حسب ما يكون اذا قلت جاءني زيد لا عمرو فاعرفه واذ قد
عرفت هذه الجملة فانا نذكر جملة من القول في ما والا وما يكون من حكمهما اعلم انك
اذا قلت ما جاءني الا زيد احتمل امرين احدهما ان تريد اختصاص زيد بالمجيء وان تنفيه
عمن عداه وان يكون كلاما تقوله لا لان بالمخاطب حاجة الى ان يعلم ان زيدا قد جاءك

ولكن لان به حاجة الى ان يعلم انه لم يجئ اليك غيره والثاني ان تريد الذي ذكرناه في انما
ويكون كلاما تقوله ليعلم ان الجائي زيد لا غيره فمن ذلك قولك للرجل يدعي انك قلت قولا
ثم قلت خلافه ما قلت اليوم الا ما قلته امس بعينه وتقول لم تر زيدا وانما رأيت
عمرا فتقول بل لم ار الا زيدا وعلى ذلك قوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا
الله ربي وربكم لانه ليس المعنى اني لم ازد على ما امرتني به شيئا ولكن المعنى اني لم ادع ما
امرتني به ان اقوله لهم وقلت خلافه ومثاله ما جاء في الشعر من ذلك قوله قد علمت
سلمى وجاراتها ما قطّر الفارس الا انا المعنى انا الذي قطّر الفارس وليس المعنى على
انه يريد ان يزعم انه انفرد بان قطّره وانه لم يشركه فيه غيره وها هنا كلام ينبغي
ان تعلمه الا اني اكتب لك من قبله مسألة لان فيها عونا عليه قوله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء في تقديم اسم الله تعالى معنى خلاف ما يكون لو اخّر وانما يبين لك
ذلك اذا اعتبرت الحكم في ما والا وحصلت الفرق بين ان تقول ما ضرب زيدا
الا عمرو وبين قولك ما ضرب عمرو الا زيدا والفرق بينهما انك اذا قلت ما ضرب
زيدا الا عمرو فقدمت المنصوب كان الغرض بيان الضارب من هو والاخبار
بانه عمرو خاصة دون غيره واذا قلت ما ضرب عمرو الا زيدا فقدمت المرفوع
كان الغرض بيان المضروب من هو والاخبار بانه زيد خاصة دون غيره واذ قد
عرفت ذلك فاعتبر به الآية واذا اعتبرتها به علمت ان تقديم اسم الله تعالى انما كان
لاجل ان الغرض ان يبين الخاشون من هم ويخبر بانهم العلماء خاصة دون غيرهم
ولو اخّر ذكر اسم الله تعالى وقدم العلماء فقيل انما يخشى العلماء الله لصار
المعنى على ضد ما هو عليه الآن ولصار الغرض بيان المخشي من هو والاخبار

بانه الله دون غيره ولم يجب حينئذ ان يكون الخشية من الله مقصورة على العلما وان
يكونوا مخصوصين بها كما هو الغرض في الايه بل كان يكون المعنى ان غير العلما يخشون
الله تعالى ايضا الا انهم مع خشيتهم لله يخشون معه غيره والعلما لا يخشون غير
الله وهذا المعنى وان كان قد جا في التنزيل في غير هذه الايه كقوله تعالى ولا يخشون
احدا الا الله فليس هو الغرض في الايه ولا اللفظ بمحتمل له البته ومن اجاز
حملها عليه كان قد ابطل فايده التقديم وسوى بين قوله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلما وبين ان يقال انما يخشى العلما الله واذا سوى بينهما لزمه ان يسوي بين قولنا
ما ضرب زيدا الا عمرو وما ضرب عمرو الا زيدا وذلك ما لا شبهه في امتناعه فهذه
هي المسله واذ قد عرفتها فالامر فيها بين ان الكلام بما والا قد يكون في معنى الكلام
بانما الا ترى الى وضوح الصورة في قولك ما ضرب زيدا الا عمرو وما ضرب عمرو الا زيدا
انه في الاول لبيان من الضارب وفي الثاني لبيان من المضروب وان كان تكلفا ان تحمله
على نفي الشركه فتريد بما ضرب زيدا الا عمرو انه لم يضربه اثنان وبما ضرب عمرو الا زيدا
انه لم يضرب اثنين ثم اعلم ان السبب في ان لم يكن تقديم المفعول في هذا كتاخيره ولم يكن
ما ضرب عمرو الا زيدا وما ضرب زيدا الا عمرو سوا في المعنى ان الاختصاص يقع في
واحد من الفاعل والمفعول ولا يقع فيهما جميعا ثم انه يقع في الذي يكون بعد الا
منهما دون الذي قبلها لاستحاله ان يحدث معنى الحرف في الكلمه قبل ان يجي
الحرف واذا كان الامر كذلك وجب ان يفترق الحال بين ان تقدم المفعول على الا
فتقول ما ضرب زيدا الا عمرو وبين ان تقدم الفاعل عليها فتقول ما ضرب عمرو الا
زيدا لانا ان زعمنا ان الحال لا يفترق جعلنا المتقدم كالمتاخر في جواز حدوثه

فيه وذلك يقتضي المحال الذي قلنا من ان يحدث معنى الا في الاسم قبل ان تجي بها فاعرفه واذ قد
عرفت ان الاختصاص مع الا يقع في الذي يوخره من الفاعل والمفعول فكذلك يقع مع
انما في المؤخر منهما دون المقدم فاذا قلت انما ضرب زيدا عمرو كان الاختصاص في
الضارب واذا قلت انما ضرب عمرو زيدا كان الاختصاص في المضروب وكما لا
يجوز ان يستوي الحال بين التقديم والتاخير مع الا كذلك لا يجوز مع انما واذا استبنت
هذه الجمله عرفت منها ان الذي صنعه الفرزدق في قوله وانما يدافع عن احسابهم
انا او مثلي شي لو لم يصنعه لم يصح له المعنى ذاك لان غرضه ان يخص المدافع لا المدافع
عنه ولو قال وانما ادافع عن احسابهم لصار المعنى انه يخص المدافع عنه
وانه يزعم ان المدافعه منه تكون عن احسابهم لا عن احساب غيرهم كما يكون اذا قال
وما ادافع الا عن احسابهم وليس ذلك معناه انما معناه ان يزعم ان المدافع هو لا
غيره فاعرف ذلك فان الغلط كما اظن يدخل على كثير ممن تسمعهم يقولون انه فصل
الضمير للحمل على المعنى فيرى انه لو لم يفصله لكان يكون معناه مثله الان هذا و
لا يجوز ان ينسب فيه الى الضروره فيجعل مثالا لها قول الاخر كانا يوم قرى انما
نقتل ايانا لانه ليس به ضروره الى ذلك من حيث ان ادافع ويدافع واحد في الوزن
فاعرف هذا ايضا وجمله الامر ان الواجب ان يكون اللفظ على وجه يجعل الاختصاص
فيه للفرزدق وذاك لا يكون الا بان يقدم الاحساب على ضميره وهو لو قال وانما
ادافع عن احسابهم استكن ضميره في الفعل فلم يتصور تقديم الاحساب عليه
ولم تقع الاحساب الا موخرا عن ضمير الفرزدق واذا تاخرت انصرف الاختصاص
اليها لا محاله فان قلت انه كان يمكنه ان يقول وانما ادافع عن احسابهم انا فيقدم

لا احتساب على انا فيسكن اليه اذا قال اذا دفع كان الفاعل الضمير المستكن في الفعل
وكان انا الظاهر تاكيدا له اعني للمستكن والحكم يتعلق بالمؤكد دون التاكيد لان التاكيد
كالتكرير فهو يجيء من بعد نفوذ الحكم ولا يكون تقديم الجار مع المجرور الذي هو قوله عن
احسابهم على الضمير الذي هو تاكيد تقديما له على الفاعل لان تقديم المفعول على الفاعل
انما يكون اذا ذكرت المفعول قبل ان تذكر الفاعل ولا يكون لك اذا قلت وانما ادافع
عن احسابهم سبيل الى ان تذكر المفعول قبل ان تذكر الفاعل لان ذكر الفاعل ها هنا
هو ذكر الفعل من حيث ان الفاعل مستكن في الفعل فكيف يتصور تقديم شيء
عليه فاعرفه واعلم انك اذا عمدت الى الفاعل والمفعول فاخرتهما جميعا الى ما بعد
الا فان الاختصاص يقع حينئذ في الذي يلي الا منهما فاذا قلت ما ضرب الا عمرو زيدا
كان الاختصاص في الفاعل وكان المعنى انك قلت ان الضارب عمرو لا غيره وان قلت ما
ضرب الا زيدا عمرو كان الاختصاص في المفعول وكان المعنى انك قلت ان المضروب
زيد لا من سواه وحكم المفعولين حكم الفاعل والمفعول فيما ذكرت لك تقول لم
يكس الا زيدا جبة فيكون المعنى انه خص زيدا من بين الناس بكسوة الجبة فان قلت
لم يكس الا جبة زيدا كان المعنى انه خص الجبة من اصناف الكسوة وكذلك الحكم
حيث يكون بدل احد المفعولين جار ومجرور كقول السيد الحميري
لو خير المنبر فرسانه ما اختار الا منكم فارسا فالاختصاص في منكم دون فارس
ولو قلت ما اختار الا فارسا منكم صار الاختصاص في فارسا واعلم ان الامر
في المبتدا والخبر اذا كانا بعد انما على العبرة التي ذكرت لك في الفاعل والمفعول
اذا انت قدمت احدهما على الاخر معنى ذلك انك ان تركت الخبر في موضعه فلم

تقدمه على المبتدا كان الاختصاص فيه وان قدمته على المبتدا صار الاختصاص
الذي كان فيه في المبتدا تفسير هذا انك تقول انما هذا لك فيكون الاختصاص في لك
بدلالة انك تقول انما هذا لك لا لغيرك وتقول انما لك هذا فيكون الاختصاص في هذا
بدلالة انك تقول انما لك هذا لا ذاك والاختصاص يكون ابدا في الذي اذا جئت بلا
العاطفة كان العطف عليه وان اردت ان يزداد ذلك وضوحا عندك فانظر الى قوله
تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله عز وجل انما السبيل على الذين
يستاذنونك وهم اغنياء فانك ترى الامر ظاهرا ان الاختصاص في الاية الاولى في المبتدا
الذي هو البلاغ والحساب دون الخبر الذي هو عليك وعلينا وانه في الاية الثانية
في الخبر الذي هو على الذين دون المبتدا الذي هو السبيل واعلم انه اذا كان الكلام
بما والا كان الذي ذكرته من ان الاختصاص يكون في الخبر اذا لم تقدمه وفي المبتدا
ان قدمت الخبر اوضح وابين تقول ما زيد الا قائم فيكون المعنى انك اختصصت
القيام من بين الاوصاف التي يتوهم كون زيد عليها بجعله صفة له وتقول ما
قائم الا زيد فيكون المعنى انك اختصصت زيدا بكونه موصوفا بالقيام فقد
قصرت في الاول الصفة على الموصوف وفي الثاني الموصوف على الصفة و
اعلم ان قولنا في الخبر اذا اخر نحو ما زيد الا قائم انك اختصصت القيام من
بين الاوصاف التي يتوهم كون زيد عليها ونفيت ما عدا القيام عنه فانما نعني
انك نفيت عنه الاوصاف التي تنافي القيام نحو ان يكون جالسا او مضطجعا او
متكئا او ما شاكل ذلك ولم ترد انك نفيت ما ليس من القيام بسبيل اذ لسنا
ننفي عنه بقولنا ما هو الا قائم ان يكون اسود او ابيض او طويلا او قصيرا

او عالما او جاهلا كما انا اذا قلنا ما قام الا زيد لم نرد انه ليس في الدنيا قائم سواه
وانما نعني ما قام حيث نحن وبحضرتنا وما اشبه ذلك واعلم ان الامر بيّن في قولنا ما زيد الا
قائم ان ليس المعنى على نفي الشركة ولكن على نفي ان لا يكون المذكور ويكون بدله شيء آخر الا
ترى ان ليس المعنى انه ليس له مع القيام صفة اخرى بل المعنى ان ليس له بدل القيام صفة
ليست بالقيام وان ليس القيام منفيا عنه وكائنا مكانه فيه القعود او الاضطجاع
او نحوهما فان قلت فصورة المعنى اذاً صورته اذا وضعت الكلام بانما
فقلت انما هو قائم ونحن نرى انه يجوز في هذا ان تعطف بلا فتقول انما هو
قائم لا قاعد ولا نرى ذلك جائزا مع ما والا اذ ليس من كلام الناس ان يقولوا ما
زيد الا قائم لا قاعد فان ذلك انما لم يجز من حيث انك اذا قلت ما زيد الا قائم
فقد نفيت عنه كل صفة تنافي القيام وصرت كانك قلت ليس هو بقاعد و
لا مضطجع ولا متكئ وهكذا حتى لا تدع صفة يخرج بها من القيام فاذا قلت
من بعد ذلك لا قاعد كنت قد نفيت بلا العاطفة شيئا قد بدأت فنفيته وهي
موضوعة لان تنفي بها ما بدأت فاوجبته لا لان تفيد بها النفي في شيء قد نفيته
ومن ثم لم يجز ان تقول ما جاءني احد لا زيد على ان تعمد الى بعض ما دخل في النفي
بعموم احدٍ فتنفيه على الخصوص بل كان الواجب اذا اردت ذلك ان تقول
ما جاءني احد ولا زيد فتجيء بالواو من قبل لا حتى تخرج بذلك عن ان تكون عاطفة فاعرف
ذلك واذ قد عرفت فساد ان تقول ما زيد الا قائم لا قاعد فانك تعرف بذلك
امتناع ان تقول ما جاءني الا زيد لا عمرو وما ضربت الا زيدا لا عمرا وما شاكل ذلك
وذلك انك اذا قلت ما جاءني الا زيد فقد نفيت ان يكون قد جاءك احد غيره

فاذا قلت لا عمرو كنت قد طلبت ان تنفي بلا العاطفة شيئا قد تقدمت فنفيته
وذلك كما عرفتك خروج بها عن المعنى الذي وضعت له الى خلافه فان قيل
فانك اذا قلت انما جاءني زيد فقد نفيت فيه ايضا ان يكون المجيء قد كان من غيره
فكان ينبغي ان لا يجوز فيه ايضا ان تعطف بلا فتقول انما جاءني زيد لا عمرو قيل
ان الذي قلته من انك اذا قلت انما جاءني زيد فقد نفيت فيه ايضا المجيء عن غيره
غير مسلّم لك على حقيقته وذلك انه ليس معك الا قولك جاءني زيد وهو كلام
كما تراه مثبت ليس فيه نفي البتة كما كان في قولك ما جاءني الا زيد وانما فيه انك
وضعت يدك على زيد فجعلته الجائي وذلك وان اوجب انتفاء المجيء عن غيره فليس
يوجبه من اجل ان كان ذلك اعمال نفي في شيء وانما اوجبه من حيث كان المجيء
الذي اخبرت به مجيئا مخصوصا اذا كان لزيد لم يكن لغيره والذي ابيناه ان
تنفي بلا العاطفة الفعل عن شيء وقد نفيته عنه لفظا ونظير هذا انا
نعقل من قولنا زيد هو الجائي ان هذا المجيء لم يكن من غيره ثم لا يمنع ذلك من ان
تجيء فيه بلا العاطفة فتقول زيد هو الجائي لا عمرو لانا لم نعقل ما عقلناه من
انتفاء المجيء عن غيره بنفيٍ اوقعناه على شيء ولكن بانه لما كان المجيء المقصود
مجيئا واحدا كان النص على زيد بانه فاعله واثباته له نفيا له عن غيره و
لكن من طريق المعقول لا من طريق ان كان في الكلام نفي كما كان ثمّ فاعرفه
فان قيل فانك اذا قلت ما جاءني الا زيد ولم يكن غرضك ان تنفي ان يكون قد
جاء معه واحد آخر كان المجيء ايضا مجيئا واحدا قيل انه وان كان واحدا
فانك انما تثبت ان زيدا الفاعل له بان نفيت المجيء عن كل من سوى زيد

كما يصح اذا اردت ان تنفي ان يكون قد جاء معه جاءٍ اخر واذا كان كذلك كان ذا
قلناه من انك ان جئت بلا العاطفة فقلت ما جاءني الا زيد لا عمرو كنت
قد نفيت الفعل عن شيء قد نفيته عنه مرة صحيحا ثابتا كما قلناه فاعرفه
واعلم ان حكم غير في جميع ما ذكرنا حكم الا فاذا قلت ما جاءني غير زيد احتمل
ان تريد نفي ان يكون قد جاء معه انسان اخر وان تريد نفي ان لا يكون قد جاء
جاء مكانه واحد اخر ولا يصح ان تقول ما جاءني غير زيد لا عمرو كما لم يجز
جاءني الا زيد لا عمرو فصل في نكتة تتصل بالكلام الذي تقدم فيما و
هلا اعلم ان الذي ذكرناه من انك تقول ما ضرب الا عمرو زيدا فتوقع الفاعل
والمفعول جميعا بعد الا ليس باكثر الكلام وانما الاكثر ان تقدم المفعول
على الا نحو ما ضرب زيدا الا عمرو حتى انهم ذهبوا فيه اعني في قولك ما
ضرب الا عمرو زيدا الى انه على كلامين وان زيدا منصوب بفعل مضمر حتى
كان المتكلم بذلك ابهم في اول امره فقال ما ضرب الا عمرو ثم قيل له من ضرب
فقال ضرب زيدا وها هنا اذا تاملت معنى لطيف يوجب ذلك و
هو انك اذا قلت ما ضرب زيدا الا عمرو كان غرضك ان تختص عمرا بضرب
زيد لا بالضرب على الاطلاق واذا كان كذلك وجب ان تعدي الفعل
الى المفعول من قبل ان تذكر عمرا الذي هو الفاعل لان السامع لا يعقل
عنك انك اختصصته بالفعل معدى حتى تكون قد بدأت فعديته اعني لا
يفهم عنك انك اردت ان تختص عمرا بضرب زيد حتى تذكره له معدى
الى زيد فاما اذا ذكرته غير معدى فقلت ما ضرب الا عمرو فان الذي يقع

في نفسه انك اردت ان تزعم انه لم يكن من احد غير عمرو ضرب وانه ليس
ها هنا مضروب الا وضاربه عمرو فاعرفه اصلا في شأن التقديم والتأخير
فصل ان قيل قد مضيت في كلامك كله على ان انما للخبر لا يجهله
المخاطب ولا يكون ذكرك له لان تفيده اياه وانا لنراها في كثير من الكلام
والقصد بالخبر بعدها ان تعلم السامع امرا قد غلط فيه بالحقيقة و
احتاج الى معرفته كمثل ما ذكرت في اول الفصل الثاني من قولك
انما جاءني زيد لا عمرو ونراها كذلك تدور في الكتب للكشف عن معاني غير
معلومة ودلالة المتعلم منها على ما لا يعلم قيل انك انما تجيء في الكلام من نحو انما
جاء زيد لا عمرو فانه وان كان يكون اعلاما لامر لا يعلمه السامع فانه لا بد مع ذلك من
ان يدعي هناك فضل انكشاف وظهور في ان الامر كالذي ذكر وقد قسمت في اول ما
افتتحت القول فيها فقلت انها تجيء للخبر لا يجهله السامع ولا ينكر صحته او لما
ينزل هذه المنزلة واما ما ذكرت من انها تجيء في الكتب لدلالة المتعلم على ما لم يعلمه
فانك اذا تاملت مواقعها وجدتها في الامر الاكثر قد جاءت لامر قد وقع العلم
بموجبه وبشيء يدل عليه فمثال ذلك ان صاحب الكتاب قال في باب كان اذا قلت
كان زيد فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك وانما ينتظر الخبر فاذا
قلت حليما فقد اعلمته مثل ما علمت واذا قلت كان حليما فانما ينتظر ان
تعرفه صاحب الصفة وذاك انه اذا كان معلوما انه لا يكون مبتدأ من غير خبر
ولا خبر من غير مبتدأ كان معلوما انك اذا قلت كان زيد فالمخاطب ينتظر الخبر
واذا قلت كان حليما انه ينتظر الاسم فلم يقع اذا بعد انما الا شيء كان معلوما

للفارسي من قبل أن يسمى الله وسماه الأمر فيه بين قوله في باب ظننت وإنما تحكى بعد قلت ما كان
كلاما لا قولا وذلك أنه معلوم أنك لا تحكي بعد قلت إذا كنت تنحو نحو المعنى إلا ما
كان جملة مفيدة فلا تقول قال أمير زيد وتسكت اللهم إلا أن تريد أنه نطق بالاسم على
هذه الهيئة كأنك تريد أنه ذكره مرفوعا ومثل ذلك قولهم إنما يحذف الشيء إذا
كان في الكلام دليل عليه إلى أشباه ذلك مما لا يحصى فإن رأيتها قد دخلت على كلام
هو ابتداء إعلام لشيء لم يعلمه السامع فلأن الدليل عليه حاضر معه والشيء بحيث
يقع العلم به عن كثب واعلم أنه ليس يكاد يسهى ما يعرض بسبب هذا الحرف من
الدقائق ومما يجب أن يعلم أنه إذا كان الفعل بعدها فعلا لا يصح إلا من المذكور
ولا يكون من غيره كالتذكر الذي يعلم أنه لا يكون إلا من أولي الألباب لم يحسن العطف
العطف بلا فيه كما يحسن فيما يختص بالمذكور ويصح من غيره تفسير هذا أنه لا يحسن أن يقول
إنما يتذكر أولو الألباب لا الجهال كما يحسن أن تقول إنما يجيء زيد لا عمرو ثم إن النفي فيما
يجيء فيه النفي يتقدم تارة ويتأخر أخرى فمثال التأخير ما تراه في قولك إنما يجيء زيد
لا عمرو وكقوله تعالى إنما أنت منذر لست عليهم بمصيطر وكقول لبيد إنما يجزي الفتى
ليس الجمل ومثال التقديم قولك ما جاءني زيد وإنما جاءني عمرو وهذا مما أنت تعلم
به مكان الفائدة فيها وذلك أنك تعلم ضرورة أنك لو لم تدخلها وقلت ما جاءني زيد
وجاءني عمرو لكان الكلام مع من ظن أنهما جاءاك جميعا وأن المعنى الآن مع دخولها
أن الكلام مع من غلط في عين الجائي فظن أنه كان زيدا لا عمرا أو أمر آخر وهو أنه
ليس ببعيد أن يظن الظان أنه ليس في انضمام ما إلى إن فائدة أكثر من أنها تبطل
عملها حتى ترى النحويين لا يزيدون في أكثر كلامهم على أنها كافة ومكانها ها هنا

يزيل هذا الظن ويبطله وذلك أنك ترى أنك لو قلت ما جاءني زيد ولكن عمرو جاءني
لم يعقل منه أنك أردت أن الجائي زيد لا عمرو ويكون دخول لكن كالشيء الذي يحتاج
إليه ويحذف المعنى ينبو عنه ثم اعلم أنك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون
وأعلق ما ترى بالقلب إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ولكن التعريض
بأمر هو مقتضاه نحو أنا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى إنما يتذكر أولو الألباب
أن يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن أن يذم الكفار وأن يقال إنهم من فرط العناد
ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل وإنكم إن طمعتم منهم في أن ينظروا
ويتذكروا كنتم كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب وكذلك قوله إنما أنت منذر من
من يخشيها وقوله تعالى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب المعنى على أن من لم تكن
له هذه الخشية فهو كأنه ليس له أذن تسمع وقلب يعقل فالإنذار معه كلا إنذار
ومثال ذلك من الشعر قوله أنا لم أرزق محبتها إنما للعبد ما رزقا الغرض أن يفهمك
من طريق التعريض أنه قد صار ينصح نفسه ويعلم أنه ينبغي له أن يقطع الطمع
من وصلها وييأس من أن يكون منها إسعاف ومن ذلك قوله وإنما يعذر العشاق
من عشقا يقول إنه ليس ينبغي للعاشق أن يلوم من يلومه في عشقه وأنه ينبغي
أن لا ينكر ذلك منه فإنه لا يعلم كنه البلوى في العشق ولو كان ابتلي به لعرف ما
هو فيه فعذره وقوله ما أنت بالسبب الضعيف وإنما نجح الأمور بقوة
الأسباب فاليوم حاجتنا إليك وإنما يدعى الطبيب لساعة الأوصاب
يقول في البيت الأول إنه ينبغي أن أنجح في أمري حين جعلتك السبب إليه
ويقول في الثاني إنا قد وضعنا الشيء في موضعه وطلبنا الأمر من جهته حين

أُستعتابًا بل فيما عرض من الحاجة وعوّلنا على فضلك كما أن عوّل على الطبيب فيما يعرض له من السقم كان قد أصاب بالتعويل موضعه وطلب الشيء من معدنه ثم إن العجب في أن هذا التعريض الذي ذكرت لك لا يحصل من دون إنما فلو قلت يتذكر أولو الألباب لم يدل على ما دل عليه في الآية وإن كان الكلام لم يتغير في نفسه وليس إلا أنه ليس فيه إنما والسبب في ذلك أن هذا التعريض إنما وقع بأن كان من شأن إنما أن تضمّن الكلام معنى النفي من بعد الإثبات والتصريح بامتناع التذكر ممن لا يعقل وإذا أسقطت من الكلام فقيل يتذكر أولو الألباب كان مجرد وصف لأولي الألباب بأن يتذكرون ولم يكن فيه معنى النفي للتذكر عمّن ليس منهم ومحال أن يقع تعريض بشيء ليس له في الكلام ذكر ولا فيه دليل عليه فالتعريض بمثل هذا أعني بأن يقول يتذكر أولو الألباب بإسقاط إنما يقع إذًا إن وقع بمدح إنسان بالتيقظ وبأنه فعل ما فعل وتنبّه لما تنبه له لعقله ولحسن تمييزه كما يقال كذلك يفعل العاقل وهكذا يفعل الكريم وهذا موضع فيه دقة وغموض وهو مما لا يكاد يقع في نفس أحد أنه ينبغي أن يتعرف سببه ويبحث عن حقيقة الأمر فيه ومما يجب لك أن تجعله على ذكر منك من معاني إنما ما عرفتك أولًا من أنها قد تدخل في الشيء على أن يخيل فيه المتكلم أنه معلوم ويدعي أنه من الصحة بحيث لا يدفعه دافع كقوله إنما مصعب شهاب من الله ومن اللطيف في ذلك قول قتيبة بن حصين الا أيها الناهي فزارة بعد ما أجدّت لغزو إنما أنت حالم ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن اليهود وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون دخلت إنما لتدل

إذا قيل العاقل يتذكر كان ذكر من لا يتذكر عنه العقل ولا يمنعه من يفعل ما يفعله العقلاء وإذا قيل إنما يتذكر العاقل كان في ذكر نفي عنه العقل ويمنعه أن يكون فيه ما في العقلاء ونسبه إليه وإذا قيل الكريم يعفو كان في ذكره يحمله أهلًا لأن يفعل فعل الكريم وإذا قيل إنما يعفو الكريم كان في ذكره تباعده عن ذلك

أنهم حين ادعوا لأنفسهم أنهم مصلحون أظهروا أنهم يدعون من ذلك أمرًا ظاهرًا معلومًا ولذلك أكد الأمر في تكذيبهم والرد عليهم فجمع بين ألا الذي هو للتنبيه وإن الذي هو للتأكيد فقيل ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ○

فصل اعلم أنه لا يصح تقدير الحكاية في النظم والترتيب بل لن تعدو الحكاية الألفاظ وأجراس الحروف وذلك لأن الحاكي هو من يأتي بمثل ما أتى به المحكي عنه ولا بد من أن يكون حكايته فعلًا له وأن يكون بها عاملًا عملًا مثل عمل المحكي عنه نحو أن يصوغ إنسان خاتمًا فيبدع فيه صنعة ويأتي في صناعته بخاصة تستغرب فيعمد واحد آخر فيعمل خاتمًا على تلك الصورة والهيئة ويجيء بمثل صنعته فيه ويؤديها كما هي فيقال عند ذلك إنه قد حكى عمل فلان وصنعة فلان والنظم والترتيب في الكلام كما بينا عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الأصباغ المختلفة فيتوخى فيها ترتيبًا يحدث عنه ضروب من النقش والوشي وإذا كان الأمر كذلك فإنا إن تعدينا بالحكاية الألفاظ إلى النظم والترتيب أدى ذلك إلى المحال وهو أن يكون المنشد شعر امرئ القيس قد عمل في المعاني وترتيبها واستخرج النتائج والفوائد مثل عمل امرئ القيس وأن يكون حال إذا أنشد قوله فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازًا وناء بكلكل حال الصائغ ينظر إلى صورة قد عملها صائغ من ذهب له أو فضة فيجيء بمثلها من ذهبه أو فضته وذلك يخرج بمرتكبه إلى أن يكون الراوي مستحقًا لأن يوصف بأنه استعار وشبه وأن يجعل كالشاعر في كل ما يكون به ناظمًا

فيقال انه جعل هذا فاعلا وذاك مفعولا وهذا مبتدا وذاك خبرا وجعل
هذا حالا وذاك صفة وان يقال نفى كذا واثبت كذا وابدل كذا من كذا واضاف
كذا الى كذا وعلى هذا السبيل كما يقال ذاك في الشاعر واذا قيل ذلك لزم منه
ان يقال قد صدق وكذب كما يقال في المحكي عنه وكفى بهذا بعدا واحالة ويجمع
هذا كله انه يلزم منه ان يقال انه قال شعرا كما يقال فيمن حكى صنعة الصائغ في خاتم
قد عمله انه قد صاغ خاتما وجملة الحديث انا نعلم ضرورة انه لا يتاتى لنا ان ننظم
كلاما من غير روية وفكر فان كان راوي الشعر ومنشده يحكي نظم الشاعر على
حقيقته فينبغي ان لا يتاتى له رواية شعره الا بروية والا بان ينظر في جميع ما نظر
فيه الشاعر من امر النظم وهذا ما لا يبقى معه موضع عذر للشاك هذا وسبب
دخول الشبهة على من دخلت عليه انه لما راى المعاني لا تتجلى للسامع الا من
الالفاظ وكان لا يوقف على الامور التي بتوخيها يكون النظم الا بان ينظر الى
الالفاظ مرتبة على الانحاء التي يوجبها ترتيب المعاني في النفس وجرت العادة
بان تكون المعاملة مع الالفاظ فيقال قد نظم الفاظا فاحسن نظمها والف كلما
فاجاد تاليفها جعل الالفاظ الاصل في النظم وجعله يتوخى فيها انفسها وترك
ان يفكر في الذي بيناه من ان النظم هو توخي معاني الكلم وان توخيها في متون الالفاظ محال
فلما جعل هذا في نفسه ونشب هذا الاعتقاد به خرج له من ذلك ان الحاكي اذا
ادى الفاظ الشعر على النسق الذي سمعها عليه كان قد حكى نظم الشاعر كما
حكى لفظه وهذه شبهة قد ملكت قلوب الناس وعششت في صدورهم و
تشربتها نفوسهم حتى انك لترى كثيرا منهم وهو يحلها عندهم محل العلم

الضروري بحيث لا يرام انه الذي يرى ما ذكرناه اشياء لك ويشتد تعجبه دونك و
اظهر التعجب منك وتلك جريرة ترك النظر واخذ الشيء من غير معدنه ومن الله التوفيق

فصل اعلم انا اذا اضفنا الشعر او غير الشعر من ضروب الكلام الى
قائله لم تكن اضافتنا له من حيث هو كلم واوضاع لغة ولكن من حيث توخى فيها
النظم الذي بينا انه عبارة عن توخي معاني النحو في معاني الكلم وذلك ان من شان
الاضافة الاختصاص فهي تتناول الشيء من الجهة التي تختص منها بالمضاف اليه فاذا
قلت غلام زيد تناولت الاضافة الغلام من الجهة التي يختص منها بزيد وهي كونه
مملوكا واذا كان الامر كذلك فينبغي لنا ان ننظر في الجهة التي يختص منها الشعر
بقائله فاذا نظرناه وجدناه يختص به من جهة توخيه في معاني الكلم التي الفه
منها ما توخاه من معاني النحو ورأينا انفس الكلم بمعزل عن الاختصاص و
رأينا حالها معه حال الابريسم مع الذي ينسج منه الديباج وحال الذهب و
الفضة مع من يصوغ منها الحلي فكما لا يشتبه الامر في ان الديباج لا يختص بناسجه
من حيث الابريسم والحلي بصائغها من حيث الفضة والذهب ولكن من جهة العمل
والصنعة كذلك ينبغي ان لا يشتبه ان الشعر لا يختص بقائله من حيث انفس الكلم و
اوضاع اللغة وتزداد تبينا لذلك بان ننظر في القائل اذا اضفته الى الشعر فقلت
امرؤ القيس قائل هذا الشعر من اين جعلته قائلا له امن حيث نطق بالكلم وسمعت
الفاظها من فيه ام من حيث صنع في معانيها ما صنع وتوخى فيها ما توخى فان زعمت
انك جعلته قائلا له من حيث انه نطق بالكلم وسمعت الفاظها من فيه على النسق المخصوص
فاجعل راوي الشعر قائلا له فانه ينطق بها ويخرجها من فيه على الهيئة والصورة التي

وذكر ما لا يستقيم الا ... فهو على ان الراوي ذكر ... الفاظ الشعر ... الصورة ... م

نظم بها الشاعر فانه هو لم يسدك الشوق والترتيب وانما ذلك شيء ابتداه الشاعر (فيها)
فلذلك جعله القائل له دون الراوي فقيل لك خبرنا عنك أترى انه يتصور ان يجب
لألفاظ الكلم التي تراها في قوله قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل هذا الترتيب
من غير ان يتوخى في معانيها ما تعلم ان امرأ القيس توخاه من كون نبك جوابا للأمر
وكون من معدية له الى ذكرى وكون ذكرى مضافة الى حبيب وكون منزل معطوفا
على حبيب أم ذلك محال فان شككت في استحالته لم تكلم وان قلت نعم هو محال
قيل لك فاذا كان محالا ان يجب في الالفاظ ترتيب من غير ان يتوخى في معانيها
معاني النحو كان قولك ان الشاعر ابتدأ (فيها) ترتيبا قولا بما لا يتحصل وجملة الامر انه لا يكون
ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد الى صورة وصفة ان لم يقدم فيه ما قدم ولم يؤخر
فيه ما أخر وبدئ بالذي ثني به أو ثني بالذي ثلث به لم تحصل لك تلك الصورة وتلك
الصفة واذا كان كذلك فينبغي ان ينظر الى الذي يقصد واضع الكلام ان يحصل
له الصورة والصفة أفي الألفاظ يحصل له ذلك أم في معاني الألفاظ وليس من ثم
في الإمكان أن يشك عاقل إذا نظر أن ليس ذلك في الألفاظ وإنما الذي يتصور
أن يكون مقصودا في الألفاظ هو الوزن وليس هو من كلامنا في شيء لأنا نحن
فيما لا يكون الكلام كلاما إلا به وليس للوزن مدخل في ذلك فصل
واعلم أني على طول ما أعدت وأبدأت وقلت وشرحت في هذا الذي قام في
أوهام الناس من حديث اللفظ لربما ظننت أني لم أصنع شيئا وذاك أنك ترى الناس
كأنه قد قضي عليهم أن يكونوا في هذا الذي نحن بصدده على التقليد البحت وعلى التوهم و
التخيل وإطلاق اللفظ من غير معرفة بالمعنى قد صار ذاك الدأب والديدن

واستحكم الداء منه الاستحكام الشديد وهذا الذي عناه واوضحناه كأنك ترى ابدا حجازا
بينهم وبين أن يعرفوه وكأنك تسمعهم منه شيئا تلفظه أسماعهم وتنكره نفوسهم و
حتى كأنه كلما كان الأمر أبين كانوا عن العلم به أبعد وفي توهم خلافه أقعد وذلك لأن
الاعتقاد الأول قد نشب في قلوبهم وتأشب فيها ودخل بعروقه في نواحيها وصار
كالنبات السوء الذي كلما قلعته عاد فنبت والذي له صاروا كذلك أنهم حين رأوهم
يفردون اللفظ عن المعنى ويجعلون له حسنا على حدة ورأوهم قد قسموا الشعر فقالوا
إن منه ما حسن معناه ولفظه ومنه ما حسن لفظه دون معناه ومنه ما حسن معناه
دون لفظه ورأوهم يصفون اللفظ بأوصاف لا يصفون بها المعنى ظنوا أن للفظ من حيث
هو لفظ حسنا ومزية ونبلا وشرفا وأن الأوصاف التي نحلوه إياها هي أوصافه على
الصحة وذهبوا عما قدمنا شرحه من أن لهم في ذلك رأيا وتدبيرا وهو أن يفصلوا بين
المعنى الذي هو الغرض وبين الصورة التي يخرج فيها فنسبوا ما كان من الحسن والمزية في
صورة المعنى إلى اللفظ ووصفوه في ذلك بأوصاف هي تخبر عن أنفسها أنها ليست
له كقولهم إنه حلي المعنى وإنه كالوشي عليه وإنه قد كسب المعنى دلا وشكلا وإنه رشيق
أنيق وإنه متمكن وإنه على قدر المعنى لا فاضل ولا مقصر إلى أشباه ذلك مما لا يشك أنه
لا يكون وصفا له من حيث هو لفظ وصدى صوت إلا أنهم كانوا رأوا بسلا حراما
أن يكون لهم في ذلك فكر وروية وأن يميزوا فيه قبيلا من دبير ومما الصفة فيه للمعنى وإن
جرى في ظاهر المعاملة على اللفظ إلا أنه يبعد عند الناس كل البعد أن يكون الأمر فيه
كذلك وأن لا يكون من صفة اللفظ بالحقيقة وصفنا اللفظ بأنه مجاز وذاك أن العادة قد بالصحة م
جرت بأن يقال في الفرق بين الحقيقة والمجاز إن الحقيقة أن يقر اللفظ على أصله في اللغة

والمجاز لو نزل عن موضعه ويستعمل في غير ما وضع له فيقال اسد ويراد شجاع وبحر و
ويراد جواد وهو وان كان شيئا قد استحكم في النفوس حتى انك ترى الخاصة فيه كالعامة
فان الامر بعد على خلافه وذاك انا اذا حققنا لم نجد لفظ اسد قد القطع والبت (استعمل على)
في غير ما وضع له ذاك لانه لم يجعل في معنى شجاع على الاطلاق ولكن جعل الرجل بشجاعته
اسدا فالتجوز في ان ادعيت للرجل انه في معنى الاسد وانه كانه هو في قوة قلبه و
شدة بطشه وفي ان الخوف لا يخامره والذعر لا يعرض له وهذا ان انت حصلت
تجوز منك في معنى اللفظ لا اللفظ وانما كان يكون اللفظ مزالا بالحقيقة عن موضعه
ومنقولا عما وضع له ان لو كنت تجد عاقلا يقول هو اسد ولا يضمر في نفسه تشبيها
له بالاسد ولا يريد الا ما يريده اذا قال هو شجاع وذلك مما لا يشك في بطلانه وليس العجب
الا انهم لا يذكرون شيئا من المجاز الا قالوا انه ابلغ من الحقيقة فليت شعري ان كان
لفظ اسد قد نقل عما وضع له في اللغة وازيل عنه وجعل يراد به الشجاع هكذا غفلا
ساذجا فمن اين يجب ان يكون قولنا اسد ابلغ من قولنا شجاع وهكذا الحكم في الاستعارة
هي وان كانت في المعاملة من صفة اللفظ وكنا نقول هذه لفظة مستعارة وقد استعير (ظاهر)
له اسم الاسد فان مآل الامر الى ان القصد بها الى المعنى يدلك على ذلك انا نقول جعله
اسدا وجعله بدرا وجعله بحرا فلو لم يكن القصد بها الى المعنى لم يكن لهذا الكلام وجه
لان جعل لا يصلح الا حيث يراد اثبات صفة للشيء كقولنا جعلته اميرا وجعلته
واحد دهره تريد اثبت له ذلك وحكم جعل اذا تعدى الى مفعولين حكم صير فكما لا
تقول صيرته اميرا الا على معنى انك اثبت له صفة الامارة كذلك لا يصح ان تقول
جعلته اسدا الا على معنى انك جعلته في معنى الاسد ولا يقال جعلته زيدا بمعنى سميته

زيدا ولا يقال للرجل اجعل ابنك زيدا بمعنى سمه زيدا وولد لفلان ابن فجعله زيدا وانما يدخل
الغلط في ذلك على من لا يحصل فاما قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
فانما جاء على الحقيقة التي وصفتها وذلك لان المعنى على انهم اثبتوا للملائكة صفة الاناث
واعتقدوا وجودها فيهم وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم ما صدر من الاسم اعني اطلاق اسم
البنات وليس المعنى انهم وضعوا لها لفظ الاناث او لفظ البنات اسما من غير اعتقاد
معنى واثبات صفة هذا محال لا يقوله عاقل اما يسمع قول الله اشهدوا خلقهم
ستكتب شهادتهم ويسألون فان كانوا لم يزيدوا على ان اجروا الاسم على الملائكة ولم
يعتقدوا اثبات صفة ومعنى باجرائه عليهم فاي معنى لان يقال اشهدوا خلقهم هذا
ولو كانوا لم يقصدوا اثبات صفة ولم يزيدوا على ان وضعوا اسما لما استحقوا الا
اليسير من الذم ولما كان هذا القول منهم كفرا والامر في ذلك اظهر من ان يخفى وجملة
الامر انه ان قيل انه ليس في الدنيا علم قد عرض للناس فيه من فحش الغلط ومن قبيح التورط
ومن الذهاب مع الظنون الفاسدة ما عرض لهم في هذا الشان ظننت ان لا يخشى
على من يقوله الكذب وهل عجب اعجب من قوم عقلاء يتلون قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
ويؤمنون به ويدينون بان القرآن معجز ثم يصدون باوجههم عن برهان الاعجاز ودليله
ويسلكون غير سبيله ولقد جنوا لو دروا ذاك عظيما

فصل واعلم انه
وان كانت الصورة في الذي اعدنا وابدأنا فيه من انه لا معنى للنظم غير توخي معاني
النحو فيما بين الكلم قد بلغت في الظهور والوضوح والانكشاف الى اقصى الغاية
والى ان تكون الزيادة عليه كالتكلف لما لا يحتاج اليه فان النفس تنازع الى تتبع كل ضرب

من الشبهة ترى انه تعرض للمسلم نفسه عند اعتراض الشك وانا ارى ان في الناس من
اذا رأى انه يجري في القياس وضرب المثل ان تشبه الكلم في ضم بعضها الى بعض بضم
غزل الابريسم بعضه الى بعض ورأى ان الذي ينسج الديباج ويعمل النقش والوشي لا يصنع
بالابريسم الذي ينسج منه شيئا غير ان يضم بعضه الى بعض ويتخير للاصباغ المختلفة
المواقع التي يعلم انه اذا اوقعها فيها حدث له في نسجه ما يريد من النقش والصورة
جرى في ظنه ان حال الكلم في ضم بعضها الى بعض وفي تخير المواقع لها حال خيوط
الابريسم سواء ورأيت كلامه كلام من لا يعلم انه لا يكون الضم فيها ضما ولا الموقع موقعا
حتى يكون قد توخي فيها معاني النحو وانك ان عمدت الى الفاظ فجعلت تتبع بعضها
بعضا من غير ان تتوخى فيها معاني النحو لم تكن صنعت شيئا تدعى به مؤلفا وتشبه
معه بمن عمل نسجا او صنع على الجملة صنيعا ولم يتصور ان يكون قد تخيرت لها
المواقع وفساد هذا وشبهه من الظن وان كان معلوما ظاهرا فان ها هنا استدلالا
لطيفا تكثر بسببه الفائدة وهو انه يتصور ان يعمد عامد الى نظم كلام بعينه فيزيله
عن الصورة التي اراده الناظم لها ويفسدها عليه من غير ان يحول منه لفظا عن
موضعه او يبدله بغيره او يغير شيئا من ظاهر امره على حال مثال ذلك انك ان
قدرت في بيت ابي تمام لعاب الافاعي القاتلات لعابه واري الجنى اشتارته ايد
عواسل ان لعاب الافاعي مبتدأ ولعابه خبر كما يوهمه الظاهر افسدت عليه
كلامه وابطلت الصورة التي ارادها فيه وذلك (اي الغرض) ان يشبه مداد قلمه بلعاب الافاعي
على معنى انه اذا كتب في اقامة السياسات اتلف به النفوس وكذلك الغرض
ان يشبه مداده باري الجنى على معنى انه يكتب في العطايا والصلات اوصله

الى النفوس ما يحلو مذاقته عندها وادخل السرور واللذة عليها وهذا المعنى انما
يكون اذا كان لعابه مبتدأ ولعاب الافاعي خبرا فاما تقديرك ان يكون لعاب الافاعي
مبتدأ ولعابه خبرا فيبطل ذلك ويمنع منه البتة ويخرج بالكلام الى ما لا يجوز ان يكون
مرادا في مثل غرض ابي تمام وهو ان يكون اراد ان يشبه لعاب الافاعي بالمداد ويشبه
كذلك الاري به فلو كان حال الكلم في ضم بعضها الى بعض كحال غزل الابريسم لكان ينبغي ان لا
تتغير الصورة الحادثة عن ضم غزل الابريسم بعضه الى بعض حتى تزال الخيوط عن
مواضعها واعلم انه لا يجوز ان يكون سبيل قوله لعاب الافاعي القاتلات لعابه سبيل
قولهم عتابك السيف وذلك ان المعنى في بيت ابي تمام على انك تشبه شيئا بشيء لجامع
بينهما في وصف وليس المعنى في عتابك السيف على انك تشبه عتابه بالسيف ولكن على
ان تزعم انه يجعل السيف بدلا من العتاب اولا ترى انه يصح ان تقول مداد قلمه
قاتل كسم الافاعي ولا يصح ان تقول عتابك كالسيف اللهم الا ان تخرج الى باب
اخر وشيء ليس هو غرضهم بهذا الكلام فتريد انه قد عاتب عتابا خشنا مؤلما
ثم انك ان قلت السيف عتابك خرجت به الى معنى ثالث وهو ان تزعم ان عتابه
قد بلغ في ايلامه وشدة تأثيره مبلغا صار له السيف كانه ليس بسيف واعلم انه
ان نظر ناظر في شأن المعاني والالفاظ الى حال السامع فاذا رأى المعاني تقع في نفسه
من بعد وقوع الالفاظ في سمعه ظن لذلك ان المعاني تبع للالفاظ في ترتبها فان هذا
الذي بيناه يريه فساد هذا الظن وذلك انه لو كانت المعاني تكون تبعا للالفاظ في
ترتبها لكان محالا ان تتغير المعاني والالفاظ بحالها لم تزل عن ترتبها فلما رأينا المعاني
قد جاز فيها التغير من غير ان تتغير الالفاظ وتزول عن اماكنها علمنا ان الالفاظ

الحاصل ان نظم الكلم حسي يزال [illegible]
[illegible] عن مواقعها لكان تغير الصورة

هي التابعة والمعاني هي المتبوعة واعلم انه ليس من كلام يعمد فيه واضعه الى معرفتين
فيجعلهما مبتدأ وخبرا ثم يقدم الذي هو الخبر الا اشكل الامر عليك فيه فلم تعلم
ان المقدم خبر حتى ترجع الى المعنى وتحسن التدبر انشد الشيخ ابو علي في التذكرة
نم وان لم انم كراي كراكا ثم قال ينبغي ان يكون كراي خبرا مقدما ويكون الاصل كراك كراي
اي نم وان لم انم فنومك نومي كما تقول قم وان جلست فقيامك قيامي هذا هو عرف الاستعمال
في نحوه ثم قال واذا كان كذلك فقد قدم الخبر وهو معرفة وهو ينوي به التاخير من
حيث كان خبرا قال فهو كبيت الحماسة بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن ابناء الرجال
الاباعد فقدم خبر المبتدأ وهو معرفة وانما دل على انه ينوي التاخير المعنى و
لولا ذلك لكانت المعرفة اذا قدمت هي المبتدأ لتقدمها فافهم ذلك هذا لفظه
واعلم ان الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام اذا انت احسنت النظر فيما
ذكرت لك من انك تستطيع ان تنقل الكلام في معناه عن صورة الى صورة من غير ان
تغير من لفظه شيئا او تحول كلمة عن مكانها الى مكان آخر وهو الذي وسع مجال
التاويل والتفسير حتى صاروا يتاولون في الكلام الواحد تاويلين او اكثر ويفسرون
البيت الواحد عدة تفاسير وهو على ذلك الطريق المزلة التي ورطت كثيرا من الناس
في الهلكة وهو مما يعلم به العاقل شدة الحاجة الى هذا العلم وينكشف معه
عوار الجاهل به ويفتضح عنده المظهر الغنى عنه ذلك لانه قد يدفع الى الشيء لا يصح
الا بتقدير غير ما يريه الظاهر ثم لا يكون له سبيل الى معرفة ذلك التقدير اذا
كان جاهلا بهذا العلم فيتسكع عند ذلك في العمى ويقع في الضلال مثال ذلك
ان من نظر الى قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء

الحسنى ثم لم يعلم انه ليس المعنى في ادعوا الدعاء ولكن الذكر بالاسم كقولك هو يدعى زيدا
ويدعى الامير وان في الكلام محذوفا وان التقدير قل ادعوه الله او ادعوه الرحمن ايا ما
تدعوا فله الاسماء الحسنى كان بعرض ان يقع في الشرك من حيث انه ان جرى في خاطره
ان الكلام على ظاهره خرج ذلك به والعياذ بالله الى اثبات مدعوين تعالى الله عن ان
يكون له شريك وذلك من حيث كان محالا ان تعمد الى اسمين كلاهما اسم شيء واحد فتعطف
احدهما على الاخر فتقول مثلا ادع لي زيدا او الامير والامير هو زيد وكذلك محال ان
تقول ايا ما تدعو وليس هناك الا مدعو واحد لان من شان اي ان يكون لواحد من اثنين
او جماعة ومن ثم لم يكن له بد من الاضافة اما لفظا واما تقديرا وهذا باب واسع ومن
المشكل فيه قراءة من قرا وقالت اليهود عزير ابن الله بغير تنوين وذلك انهم قد حملوها
على وجهين احدهما ان يكون القارئ له اراد التنوين ثم حذفه لالتقاء الساكنين ولم يحركه
كقراءة من قرا قل هو الله احد الله الصمد بترك التنوين من احد وكما حكي عن عمارة
بن عقيل انه قرا ولا الليل سابق النهار بالنصب فقيل له ما تريد فقال اريد سابق
النهار فقيل له فهلا قلته فقال لو قلته لكان اوزن وكما جاء في الشعر من قوله
فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا الى نظائر ذلك فيكون المعنى
في هذه القراءة مثله في القراءة الاخرى سواء والوجه الثاني ان يكون الابن صفة
ويكون التنوين قد سقط على حد سقوطه في قولنا جاءني زيد بن عمرو ويكون في الكلام
محذوف ثم اختلفوا في المحذوف فمنهم من جعله مبتدأ فقدر وقالت اليهود هو
عزير ابن الله ومنهم من جعله خبرا فقدر وقالت اليهود عزير ابن الله معبودنا وفي
هذا امر عظيم وذلك انك اذا حكيت عن قائل كلاما انت تريد ان تكذبه فيه فان

التكذيب ينصرف الى ما كان فيه خبرا دون ما كان صفة تفسير هذا انك اذا حكيت
عن انسان انه قال زيد بن عمرو سيّد ثم كذّبته لم تكن قد انكرت بذلك ان يكون زيد ابن عمرو
ولكن ان يكون سيّدا وكذلك اذا قال زيد الفقيه قد قدم فقلت له كذبت او غلطت
لم تكن قد انكرت ان يكون زيد فقيها ولكن ان يكون قد قدم هذا ما لا شبهة فيه وذلك
انك اذا كذبت قائلا في كلام او صدقته فانما تصرف التكذيب منك والتصديق الى
اثباته ونفيه والاثبات والنفي يتناولان الخبر دون الصفة يدلك على ذلك انك تجد
الصفة ثابتة في حال النفي كثبوتها في حال الاثبات فاذا قلت ما جاءني زيد
الظريف كان الظرف ثابتا لزيد كثبوته اذا قلت جاءني زيد الظريف وذلك ان ليس
ثبوت الصفة للذي هي صفة له بالمتكلم وباثباته لها فينتفي بنفيه وانما ثبوتها
بنفسها وتقرر الوجود فيها عند المخاطب مثله عند المتكلم لانه اذا وقعت
الحاجة في العلم الى الصفة كان الاحتياج اليها من اجل خيفة اللبس على المخاطب
تفسير ذلك انك اذا قلت جاءني زيد الظريف فانك انما تحتاج الى ان تصفه بالظريف
اذا كان فيمن يجيء اليك واحد آخر يسمى زيدا فانت تخشى ان قلت جاءني زيد ولم
تقل الظريف ان يلتبس على المخاطب فلا يدري أهذا عنيت ام ذاك واذا
كان الغرض من ذكر الصفة ازالة اللبس والتبيين كان محالا ان يكون غير معلوم
عند المخاطب وغير ثابتة لانه يؤدي الى ان تروم تبيين الشيء للمخاطب بوصف
هو لا يعلمه في ذلك الشيء وذلك ما لا غاية وراءه في الفساد واذا كان الامر
كذلك كان جعل الابن صفة في الاية مؤديا الى الامر العظيم وهو اخراجه عن
موضع النفي والانكار الى موضع الثبوت والاستقرار جل الله تعالى عن شبه

المخلوقين وعن جميع ما يقوله الظالمون علوا كبيرا فان قيل ان هذه قراءة
معروفة والقول بجواز الوصفية كذلك معروف ومدوّن في الكتب وذلك يقتضي
ان يكونوا قد عرفوا في الاية تاويلا يدخل به الابن في الانكار مع تقدير الوصفية فيه
قيل ان القراءة كما ذكرت معروفة والقول بجواز ان يكون الابن صفة مثبت
مسطور في الكتب كما قلت ولكن الاصل الذي قدمناه من ان الانكار اذا لحق
الخبر دون الصفة ليس بالشيء الذي يعترض فيه شك او يتسلط عليه شبهة فليس
يتجه لان يكون الابن صفة ثم يلحقه الانكار مع ذلك الا على تأويل غامض وهو ان
يقال ان الغرض الدلالة على ان اليهود قد كان بلغ من جهلهم ورسوخهم في هذا
الشرك انهم كانوا يذكرون عزيرا هذا الذكر كما يقول في قوم تريد ان تصفهم بانهم
قد استهلكوا في امر صاحبهم وغلوا في تعظيمه اني اراهم قد اعتقدوا امرا
عظيما فهم يقولون ابدا زيد الامير تريد انه كذلك يكون ذكرهم له اذا ذكروه الا انه
انما يستقيم هذا التاويل فيه اذا انت لم تقدر له خبرا معينا ولكن تريد انهم
كانوا لا يخبرون عنه بخبر الا كان ذكرهم له هكذا ومما هو من هذا الذي
نحن فيه قوله سبحانه وتعالى ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم وذلك انهم قد
ذهبوا في رفع ثلثة الى انها خبر مبتدا محذوف وقالوا ان التقدير ولا تقولوا
آلهتنا ثلثة وليس ذلك بمستقيم وذلك انا اذا قلنا ولا تقولوا آلهتنا ثلثة كان
ذلك والعياذ بالله شبه الاثبات ان ههنا آلهة من حيث انك اذا نفيت
فانما تنفي المعنى المستفاد من الخبر عن المبتدا ولا تنفي معنى المبتدا فاذا قلت
ما زيد منطلقا كنت نفيت الانطلاق الذي هو معنى الخبر عن زيد ولم

تنفِ معنى زيد ولم توجب عدمه وإذا كان ذلك كذلك فإذا قلنا ولا تقولوا
آلهتنا ثلاثة كنا قد نفينا أن يكون عدة الآلهة ثلاثة ولم ننفِ أن يكون آلهة جل الله
وتعالى عن الشريك والنظير كما أنك إذا قلت ليس أمراؤنا ثلاثة كنت قد
نفيت أن يكون عدة الأمراء ثلاثة ولم تنفِ أن يكون لكم أمراء هذا ما لا شبهة
فيه وإذا أدى هذا التقدير إلى هذا الفساد وجب أن يعدل عنه إلى غيره
والوجه والله أعلم أن يكون ثلاثة صفة مبتدأ لا خبر مبتدإ ويكون التقدير
ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة أو في الوجود آلهة ثلاثة ثم حذف الخبر الذي هو
لنا أو في الوجود كما حذف من لا إله إلا الله وما من إله إلا الله فبقي ولا تقولوا
آلهة ثلاثة ثم حذف الموصوف الذي هو آلهة فبقي ولا تقولوا ثلاثة وليس في
حذف ما قدرنا حذفه ما يتوقف في صحته أما حذف الخبر الذي قلنا إنه لنا
أو في الوجود فمطرد في كل ما معناه التوحيد ونفي أن يكون مع الله تعالى الله
عن ذلك إله وأما حذف الموصوف بالعدد فكذلك شائع وذلك أنه كما
يسوغ أن تقول عندي ثلاثة وأنت تريد ثلاثة أثواب ثم تحذف لعلمك أن السامع
يعلم ما تريد كذلك يسوغ أن تقول عندي ثلاثة وأنت تريد أثواب ثلاثة لأنه لا فصل
بين أن تجعل المقصود بالعدد مميزًا وبين أن تجعله موصوفًا بالعدد في أنه يحسن
حذفه إذا علم المراد بين ذلك أنك تجري المقصود بالعدد فتترك ذكره ثم
لا تستطيع أن تعتده إلا موصوفًا وذلك في قولك عندي اثنان وعندي
واحد يكون المحذوف هاهنا موصوفًا لا محالة نحو عندي رجلان اثنان
وعندي درهم واحد ولا يكون مميزًا البتة من حيث كانوا قد رفضوا إضافة

إضافة الواحد والاثنين إلى الجنس فيتركوا أن يقولوا واحد رجال واثنا رجال على حد ثلاثة
ثلاثة رجال ولذلك كان قول الشاعر ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل شاذًا هذا ولا يمتنع
أن يجعل المحذوف من الآية في موضع التمييز دون موضع الموصوف فيجعل التقدير
ولا تقولوا ثلاثة آلهة ثم يكون الحكم في الخبر على ما مضى ويكون المعنى والله أعلم ولا تقولوا
لنا ثلاثة آلهة أو في الوجود ثلاثة آلهة فإن قيل فلم صار لا يلزم على هذا التقدير ما
لزم على قول من قدر ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة فذاك لأنا إذا جعلنا التقدير ولا تقولوا
لنا أو في الوجود آلهة ثلاثة أو ثلاثة آلهة كنا قد نفينا الوجود عن الآلهة كما نفيناه
في لا إله إلا الله وما من إله إلا الله وإذا زعموا أن التقدير ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة كانوا
قد نفوا أن يكون عدة الآلهة ثلاثة ولم ينفوا وجود الآلهة فإن قيل فإنه يلزم
على تقديرك الفساد من وجه آخر وذاك أنه يجوز إذا قلت ليس لنا أمراء ثلاثة أن يكون
المعنى ليس لنا أمراء ثلاثة ولكن لنا أميران اثنان وإذا كان كذلك كان تقديرك وتقديرهم جميعًا
خطأ قيل إن هاهنا أمرًا قد أغفلته وهو أن قولهم آلهتنا يوجب ثبوت آلهة
جل الله تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا وقولنا ليس لنا آلهة ثلاثة لا يوجب ثبوت
اثنين البتة فإن قيل إن كان لا يوجبه فإنه لا ينفيه قيل ينفيه ما بعده من قوله
تعالى إنما الله إله واحد فإن قيل فإنه كما ينفي الاثنين كذلك ينفي الآلهة وإذا كان كذلك
وجب أن يكون تقديرهم صحيحًا كتقديرك قيل هو كما قلت ينفي الآلهة ولكنهم إذا
زعموا أن التقدير آلهتنا ثلاثة وكان ذلك والعياذ بالله من الشرك يقتضي إثبات آلهة كانوا
قد دفعوا هذا النفي وخالفوه وأخرجوه إلى المناقضة وإذا كان كذلك كان محالًا أن
يكون للصحة سبيل إلى ما قالوه وليس كذلك الحال فيما قدرناه لأنا لم نعد شيئًا يقتضي

اثبات الهين تعالى الله حتى يكون حالنا حال من يدفع ما يوجبه هذا الكلام من نفيهما
بين لك ذلك انه يصح لنا ان نتبع ما قدرناه نفي الاسم ولا يصح لهم تفسير ذلك انه يصح
ان يقال ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة ولا إلهان لان ذلك يجري مجرى ان يقولوا ولا تقولوا
لنا إلهان وذلك فاسد فاعرفه واحسن تأمله ثم ان هاهنا طريقا آخر وهو ان يقدر
لا تقولوا الله والمسيح وامه ثلاثة اي نعبدهما كما نعبد الله تعالى يبين ذلك قوله تعالى لقد كفر
الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وقد استقر في العرف انهم اذا ارادوا الحاق اثنين بواحد في وصف
من الاوصاف وان يجعلوهما شبيهين له قالوا هم ثلاثة كما يقولون اذا ارادوا الحاق
واحد بآخر وجعله في معناه هما اثنان وعلى هذا السبيل كانهم يقولون هم يعدون
معًا واحدا ويوجب لهم التساوي والتشارك في الصفة والرتبة وما شاكل ذلك و
اعلم انه لا معنى لان يقال ان القول حكاية وانه اذا كان حكاية لم يلزم منه اثبات الآلهة لانه
يجري مجرى ان يقول ان من دين الكفار ان يقولوا الآلهة ثلاثة وذلك لان الخطاب في الآية
للنصارى انفسهم الا ترى الى قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا
على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح
منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم واذا كان الخطاب للنصارى
كان تقدير الحكاية محالا فلا تقولوا اذًا في معنى لا تعتقدوا واذا كان في معنى الاعتقاد لزم
اذا قدر ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ما قلناه انه يلزم من اثبات الآلهة وذلك لان الاعتقاد
يتعلق بالخبر لا بالمخبر عنه فاذا قلت لا تعتقدوا ان الامراء ثلاثة كنت نهيته عن ان يعتقد
كون الامراء على هذه العدة لا عن ان يعتقد ان هاهنا امراء هذا ما لا يشك فيه عاقل
وانما يكون النهي عن ذلك اذا قلت لا تعتقد ان هاهنا امراء لانك حينئذ تصير كانك قلت

[illegible]

لا تعتقد وجود امراء هذا ولو كان الخطاب مع المؤمنين لكان تقدير الحكاية لا يصح
ايضا لانه لا يجوز ان يقال ان المؤمنين نهوا عن ان يحكوا عن النصارى مقالتهم ويخبروا
عنهم بانهم يقولون كيت وكيت كيف وقد قال الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله ومن اين يصح النهي عن حكاية قول المبطل وفي ترك حكايته
ترك له وكفه وامتناع من النعي عليه والانكار لقوله والاحتجاج عليه واقامة
الدليل على بطلانه لانه لا سبيل الى شيء من ذلك الا من بعد حكاية القول والافصاح
به فاعرفه والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين قد اردنا ان
نستأنف تقريرا نزيد به الناس تبصيرا انهم في عمياء من امرهم حتى يسلكوا المسلك
الذي سلكناه ويفرغوا خواطرهم لتأمل ما استخرجناه وانهم ما لم يأخذوا انفسهم
بذلك ولم يجردوا عنايتهم له في غرور كمن يعد نفسه الري من السراب اللامع
ويخادعها بالكاذب من المطامع يقال لهم انكم تتلون قول الله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وقوله عز وجل قل فأتوا
بعشر سور مثله وقوله فأتوا بسورة من مثله فقولوا الآن أيجوز ان يكون تعالى قد امر نبيه
صلى الله عليه بان يتحدى العرب الى ان يعارضوا القرآن بمثله من غير ان يكونوا قد
عرفوا الوصف الذي اذا اتوا بكلام على ذلك الوصف كانوا قد اتوا بمثله ولا
بد من لا لانهم ان قالوا يجوز ابطلوا التحدي من حيث ان التحدي كما لا يخفى مطالبة
بان يأتوا بكلام على وصف ولا تصح المطالبة بالاتيان به على وصف من غير ان يكون
ذلك الوصف معلوما للمطالب ويبطل بذلك دعوى الاعجاز ايضا وذلك انه لا يتصور
ان يقال انه كان عجز حتى يثبت معجوز عنه معلوم فلا يقوم في عقل عاقل ان يقول

[illegible]

لخصم له قد اعجزك ان تفعل مثل فعلي وهو لا يشير له الى وصف يعلمه في فعله ويراه قد
وقع عليه افلا ترى انه لو قال رجل لآخر اني قد احدثت في خاتم عملته صنعة انت
لا تستطيع مثلها لم تتجه له عليه حجة ولم يثبت به انه قد اتى بما يعجزه الا من بعد ان
يريه الخاتم ويشير له الى ما زعم انه ابدعه فيه من الصنعة لانه لا يصح وصف الانسان بانه
قد عجز عن شيء حتى يريد ذلك الشيء ويقصد اليه ثم لا يتأتى له وليس يتصور ان يقصد
الى شيء لا يعلمه ولا يكون منه ارادة لامر لم يعلمه في جملة ولا تفصيل ثم ان هذا الوصف
ينبغي ان يكون وصفا قد تجدد بالقرآن امرا لم يوجد في غيره ولم يعرف قبل نزوله
واذا كان كذلك فقد وجب ان يعلم انه لا يجوز ان يكون في الكلم المفردة لان تقدير كونه
فيها المحال وهو ان تكون الالفاظ المفردة التي هي اوضاع اللغة قد حدث في مذاقة حروفها
واصدائها اوصاف لم تكن لتكون تلك الاوصاف فيها قبل نزول القرآن وتكون قد
اختصت في انفسها بهيئات وصفات يسمعها السامعون عليها اذا كانت
متلوة في القرآن لا يجدون لها تلك الهيئات والصفات خارج القرآن ولا يجوز ان
يكون في معاني الكلم المفردة التي هي لها بوضع اللغة لانه يؤدي الى ان يكون قد تجدد
في معنى الحمد والرب ومعنى العالمين والملك يوم الدين وهكذا وصف لم يكن قبل نزول
القرآن وهذا ما لو كان ههنا شيء ابعد من المحال واشنع لكان اياه ولا يجوز ان يكون
هذا الوصف في ترتيب الحركات والسكنات حتى كانهم تحدوا الى ان ياتوا بكلام
تكون كلماته على تواليها في زنة كلمات القرآن وحتى كان الذي بان به القرآن من
الوصف في سبيل بينونة بحور الشعر بعضها من بعض لانه يخرج الى ما تعاطاه
مسيلمة من الحماقة في انا اعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر والطاحنات

يجعلونه

طحنا وكذلك الحكم ان زعم زاعم ان الوصف الذي تحدوا اليه هو ان ياتوا بكلام له مقاطع
وفواصل كالذي تراه في القرآن لانه ايضا ليس باكثر من التعويل على مراعاة وزن وانما
الفواصل في الآي كالقوافي في الشعر وقد علمنا اقتدارهم على القوافي كيف هو فلو
لم يكن التحدي الا الى فصول من الكلام تكون لها اواخر اشباه القوافي لم يعوزهم ذلك
ولم يتعذر عليهم وقد خيل الى بعضهم ان كانت الحكاية صحيحة شيء من هذا حتى وضع
على ما زعموا فصولا كلاما اواخرها كاواخر الآي مثل يعلمون ويؤمنون واشباه
ذلك ومثله الا انه لا يعرض هذا وشبهه من الظنون لمن يعرض له الا من سوء المعرفة
بهذا الشان او للخذلان او لشهوة الاغراب في القول ومن هذا الذي يرضى من نفسه
ان يزعم ان البرهان الذي بان لهم والامر الذي بهرهم والهيبة التي ملأت صدورهم والروعة
التي دخلت عليهم فازعجتهم حتى قالوا ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله
لمغدق وان اعلاه لمثمر انما كان لشيء راعهم من مواقع حركاته ومن ترتيب بينها وبين
سكناته او لفواصل في اواخر آياته من اين تليق هذه الصفة وهذا التشبيه بذلك
ام ترى ان ابن مسعود حين قال في صفة القرآن لا يتفه ولا يتشان وقال اذا وقعت
في آل حم وقعت في روضات دمثات اتأنق فيهن اي اتتبع محاسنهن قال ذلك
من اجل اوزان الكلمات ومن اجل الفواصل في اواخر الآيات ام ترى انهم لذلك
قالوا لا تفنى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ام ترى الجاحظ حين قال في كتاب النبوة
ولو ان رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة لتبين له في نظامها
ومخرجها من لفظها وطابعها انه عاجز عن مثلها ولو تحدى بها ابلغ العرب
لاظهر عجزه عنها لغا ولغط فليس كلامه مما ذهبوا اليه في شيء وينبغي ان يكون

هذا

لغا اي من ذهب
الى ذلك التاويل

موازنتهم بين بعض الآي وبين ما قاله الناس في معناها كموازنتهم بين ولكم في القصاص
حياة وبين قتل البعض إحياء للجميع خطأ منهم لأنا لا نعلم لحديث التحريك و
التسكين وحديث الفاصلة مذهبا في هذه الموازنة ولا نعلمهم أرادوا غير
ما يريد الناس إذا وازنوا بين كلام وكلام في الفصاحة والبلاغة ودقة النظم و
زيادة الفائدة ولولا أن الشيطان قد استحوذ على كثير من الناس في هذا الشأن
وأنهم بترك النظر وإهمال التدبر وضعف النية وقصر الهمة قد طرقوا له حتى
جعل يلقي في نفوسهم كل محال وكل باطل وجعلوا هم يعطون الذي يلقيه حظا من
قبولهم ويبوؤنه مكانا من قلوبهم لما بلغ من قدر هذه الأقوال الفاسدة أن يدخل
في تصنيف ويعاد ويبدأ في تبيين وجه الفساد فيها وتعريف ثم إن هذه الـ
الشناعات التي تقدم ذكرها تلزم أصحاب الصرفة وذلك أنه لو لم يكن عجزهم
عن معارضة القرآن وعن أن يأتوا بمثله لأنه معجز في نفسه ولكن لأن أدخل عليهم
العجز وصرفت هممهم وخواطرهم عن تأليف كلام مثله وكان حالهم على الجملة
حال من أعدم العلم بشيء قد كان يعلمه وحيل بينه وبين أمر قد كان يتسع له
لكان ينبغي أن لا يتعاظمهم ولا يكون منهم ما يدل على إكبارهم أمره وتعجبهم منه
وعلى أنه قد بهرهم وعظم كل العظم عندهم بل كان ينبغي أن يكون الإكبار منهم و
التعجب للذي دخل من العجز عليهم ورأوه من تغير حالهم ومن أن حيل بينهم
وبين شيء قد كان عليهم سهلا وأن سد دونه باب كان لهم مفتوحا أرأيت
لو أن نبيا قال لقومه إن آيتي أن أضع يدي على رأسي هذه الساعة وتمنعون
كلكم من أن تستطيعوا وضع أيديكم على رؤوسكم وكان الأمر كما قال لهم

أصحاب الصرفة
من قال إنهم كانوا أهل هذا
يقدرون على مثله لكن لما
تحدى العرب صرفوا عن
الإتيان بمثله لتظهر المعجزة

يكون يتعجب القوم من وضعه يده على رأسه أم من عجزهم أن يضعوا أيديهم على
رؤوسهم ونعود إلى النسق فنقول فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن
في شيء مما عددناه لم يبق إلا أن يكون في النظم والتأليف لأنه ليس من بعد ما أبطلنا
أن يكون فيه إلا النظم وإذا ثبت أنه في النظم والتأليف وكنا قد علمنا أن ليس النظم
شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم وأنا إن بقينا الدهر نجهد أفكارنا
حتى نعلم للكلم المفردة سلكا ينظمها وجامعا يجمع شملها ويؤلفها ويجعل
بعضها بسبب من بعض غير توخي معاني النحو وأحكامه فيها طلبنا ما كل محال
دونه فقد بان وظهر أن المتعاطي القول في النظم والزاعم أنه يحاول بيان المزية فيه
وهو لا يعرض فيما يعيده ويبديه للقوانين والأصول التي قدمنا ذكرها ولا
يسلك إليه المسالك التي نهجناها في عمياء من أمره وفي غرور من نفسه وفي خداع
من الأماني والأضاليل ذاك لأنه إذا كان لا يكون النظم شيئا غير توخي معاني النحو
وأحكامه فيما بين الكلم كان من أعجب العجب أن يزعم زاعم أنه يطلب المزية في النظم
ثم لا يطلبها في معاني النحو وأحكامه التي النظم عبارة عن توخيها فيما بين الكلم
فإن قيل قولك إلا النظم يقتضي إخراج ما في القرآن من الاستعارة وضروب
المجاز من جملة ما هو به معجز وذلك ما لا مساغ له قيل ليس الأمر كما ظننت
بل ذلك يقتضي دخول الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز وذلك لأن هذه
المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها
من مقتضيات النظم وعنه يحدث وبه يكون لأنه لا يتصور أن يدخل شيء
منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو فلا يتصور أن

يكون هاهنا فعل واسم قد دخلته الاستعارة من دون ان يكون قد الف مع غيره
افلا ترى انه ان قدر في اشتعل من قوله تعالى واشتعل الراس شيبا ان لا يكون
الراس فاعلا له ويكون شيبا منصوبا عنه على التمييز لم يتصور ان يكون مستعارا
وهكذا السبيل في نظائر الاستعارة فاعرف ذلك واعلم ان السبب في ان لم يقع
النظر منهم موقعه انهم حين قالوا نطلب المزية ظنوا ان موضعها اللفظ بنا
على ان النظم نظم للالفاظ وانه يلحقها دون المعاني وحين ظنوا ذلك واعتقدوه
وقفوا على اللفظ وجعلوا لا يرمون باوهامهم الى شي سواه الا انهم على ذاك
لم يستطيعوا ان ينطقوا في تصحيح هذا الذي ظنوه بحرف بل لم يتكلموا
بشي الا كان ذلك نقضا وابطالا لان يكون اللفظ من حيث هو لفظ موضعا
للمزية والا انهم قد اعترفوا من حيث لم يدروا بان ليس للمزية التي طلبوها
موضع ومكان يكون فيه الا معاني النحو واحكامه وذلك انهم قالوا ان الفصاحة
لا تظهر في افراد الكلمات وانما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة فقولهم
بالضم لا يصح ان يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنيهما
لانه لو جاز ان يكون لمجرد ضم اللفظ الى اللفظ تاثير في الفصاحة لكان ينبغي اذا
قيل ضحك خرج ان يحدث في ضم خرج الى ضحك فصاحة واذا بطل ذلك لم يبق الا ان يكون
المعنى في ضم الكلمة الى الكلمة توخي معنى من معاني النحو فيما بينهما وقولهم على
طريقة مخصوصة يوجب ذلك ايضا وذلك انه لا يكون للطريقة اذا انت اردت
مجرد اللفظ معنى وهذا سبيل كل ما قالوه اذا انت تاملته تراهم في الجميع
قد دفعوا الى جعل المزية في معاني النحو واحكامه من حيث لم يشعروا

وذلك لانه امر ضروري لا يمكن الخروج منه ومما تجدهم يعتمدونه ويرجعون اليه قولهم
ان المعاني لا تتزايد وانما تتزايد الالفاظ وهذا كلام اذا تاملته لم تجد له معنى يصح عليه
غير ان تجعل تزايد الالفاظ عبارة عن المزايا التي تحدث من توخي معاني النحو واحكامه
فيما بين الكلم لان التزايد في الالفاظ من حيث هي الفاظ ونطق لسان محال ثم انا نعلم
ان المزية المطلوبة في هذا الباب مزية فيما طريقه الفكر والنظر من غير شبهة و
محال ان يكون اللفظ له صفة تستنبط بالفكر ويستعان عليها بالروية اللهم الا ان
تريد تاليف النغم وليس ذلك مما نحن فيه بسبيل ومن هاهنا لم يجز اذا عد الوجوه
التي تظهر بها المزية ان يعد فيها الاعراب وذلك ان العلم بالاعراب مشترك بين العرب
كلهم وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالروية فليس احدهم بان اعراب
الفاعل الرفع والمفعول به النصب والمضاف اليه الجر باعلم من غيره ولا ذاك
مما يحتاجون فيه الى حدة ذهن وقوة خاطر انما الذي تقع الحاجة فيه الى ذلك
العلم بما يوجب الفاعلية للشي اذا كان ايجابها من طريق المجاز كقوله تعالى فما ربحت
تجارتهم وكقول الفرزدق سقتها خروق في المسامع واشباه ذلك مما يجعل
الشي فيه فاعلا على تاويل يدق ومن طريق يلطف وليس يكون هذا علما بالاعراب
ولكن بالوصف الموجب للاعراب ومن ثم لا يجوز لنا ان نعتد في شاننا هذا بان
يكون المتكلم قد استعمل من اللغتين في الشي ما يقال انه افصحهما وبان يكون قد
تحفظ مما تخطي فيه العامة ولا بان يكون قد استعمل الغريب لان العلم بجميع
ذلك لا يعدو ان يكون علما باللغة وبانفس الكلم المفردة وبما طريقه طريق
الحفظ دون ما يستعان عليه بالنظر ويوصل اليه باعمال الفكر ولئن كانت

العامة واشباه العامة لا يكادون يعرفون الفصاحة غير ذلك لان من ضعف النحيزة
اخطار مثله في الفكر واجراءه في الذكر وانت تزعم انك ناظر في دلائل الاعجاز اترى لئن
العرب تجدوا الراء يختارون الفتح من الميم من الشمع والهاء من النهر على الاسكان
وان يتحفظوا من تخليط العامة في مثل هو يسوى الفا او الى ان يأتوا بالغريب الوحشي
في كلام يعارضون به القرآن كيف وانت تقرأ السورة من السور الطوال فلا تجد
فيها من الغريب شيئا وتتأمل ما جمعه العلماء في غريب القرآن فترى الغريب
منه الا في القليل انما كان غريبا من اجل استعارة هي فيه كقوله واشربوا في قلوبهم
العجل ومثل قوله خلصوا نجيا ومثل فاصدع بما تؤمر دون ان تكون اللفظة غريبة
في نفسها انما ترى ذلك في كلمات معدودة كجعل الناقطنا وذات الواح ودسر
وجعل ذلك بحيث يجب ان لو كان اكثر الفاظ القرآن غريبا لكان محالا ان يدخل ذلك في
الاعجاز وان يصح التحدي به ذاك لانه لا يخلو اذا وقع التحدي به من ان يتحدى من له علم
بامثاله من الغريب او من لا علم له بذلك فلو تحدى به من يعلم امثاله لم يتعذر عليه ان
يعارضه بمثله الا ترى انه لا يتعذر عليك اذا انت عرفت ما جاء من الغريب في معنى
الطويل ان تعارض من يقول الشوقب بان تقول انت الشوذب واذا قال الامق
ان تقول الاشق وعلى هذا السبيل ولو تحدى به من لا علم له بامثال ما فيه من الغريب
كان ذلك بمنزلة ان يتحدى العرب الى ان يتكلموا بلسان الترك هذا وكيف بان
يدخل الغريب في باب الفضيلة وقد ثبت انهم كانوا يرون الفضيلة في تركه
استعماله وتجنبه افلا ترى الى قول عمر رضي الله عنه في زهير انه كان لا يعاظل بين
القول ولا يتتبع حوشيه فقرن تتبع الحوشي وهو الغريب من غير شبهة

الكلام صح

الى المعاظلة التي هي التعقيد وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ورايت
الناس يتداولون رسالة يحيى بن يعمر على لسان يزيد بن المهلب الى الحجاج انا لقينا
العدو فقتلنا طائفة بعراعر الاودية واهضام الغيطان وبتنا بعرعرة الجبل
وبات العدو بحضيضه فقال الحجاج ما يزيد بابي عذر هذا الكلام فقيل له فقال
ابن ولدت فقال بالاهواز فقال فانى لك هذه الفصاحة فقال اخذتها عن ابي
وقال ورايتهم يديرون في كتبهم ان امراة خاصمت زوجها الى يحيى بن يعمر فانتهرها
مرارا فقال له يحيى ان سالتك ثمن شكرها وشبرك انشات تطلها وتضهلها
ثم قال فان كانوا قد رووا هذا الكلام لكي يدل على فصاحة وبلاغة فقد باعده
الله من صفة البلاغة واعلم انك كلما نظرت وجدت سبب الفساد واحدا
وهو ظنهم الذي ظنوه في اللفظ وجعلهم الاوصاف التي تجري عليها كلها اوصافا
له في نفسه ومن حيث هو لفظ وتركهم ان يميزوا بين ما كان وصفا له في نفسه
وبين ما كانوا قد كسوه اياه من اجل امر عرض في معناه ولما كان هذا دابهم ثم
راوا الناس واظهر شيء عندهم تقويم الاعراب والتحفظ من اللحن لم يشكوا انه
ينبغي ان يعتد به في جملة المزايا التي يفاضل بها بين كلام وكلام في الفصاحة
وذهب عنهم ان ليس هو من الفصاحة التي يعنينا امرها في شيء وان كلامنا
في فصاحة تجب للفظ لا من اجل شيء يدخل في النطق ولكن من اجل لطائف
تدرك بالفهم وانما نعتبر في شاننا هذا فضيلة تجب لاحد الكلامين على الآخر
من بعد ان يكونا قد برئا من اللحن وسلما في الفاظهما من الخطا ومن العجب انا اذا
نظرنا في الاعراب وجدنا التفاضل فيه محالا لانه لا يتصور ان يكون للرفع

ابو عذر الشيء اي مبدعه ومحدثه ومخترعه اولا

ابن الزوج

والنقص في كلام مزيد عليها في كلام آخر وأما الذي يتصور أن يكون ههنا كلامان قد
وقع في إعرابهما خلل ثم كان أحدهما أكثر صوابا من الآخر أو كلامان قد استمر أحدهما على
الصواب ولم يستمر الآخر ولا يكون هذا تفاضلا في الإعراب ولكن تركا له في شيء
واستعمالا له في آخر فاعرف ذلك وجملة الأمر أنك لا ترى ظنا هو أنأى بصاحبه
عن أن يصح له كلام أو يستمر له نظام أو تثبت له قدم أو ينطق منه إلا بالمحال فمن
ظنهم هذا الذي حام بهم حول اللفظ وجعلهم لا يعدونه ولا يرون للمزية مكانا دونه
واعلم أنه قد يجري في العبارة منا شيء هو يعيد الشبهة جذعة عليهم وهو أنه
يقع في كلامنا أن الفصاحة تكون في المعنى دون اللفظ فإذا سمعوا ذلك قالوا كيف
يكون هذا ونحن نراها لا تصلح صفة إلا للفظ ونراها لا تدخل في صفة المعنى
البتة لأنا نرى الناس قاطبة يقولون هذا لفظ فصيح وهذه ألفاظ فصيحة ولا نرى
عاقلا يقول هذا معنى فصيح وهذه معان فصاح ولو كانت الفصاحة تكون
في المعنى لكان ينبغي أن يقال ذلك كما أنه لما كان الحسن يكون فيه قيل هذا معنى حسن و
هذه معان حسنة وهذا شيء يأخذ من الغر مأخذا والجواب عنه أن يقال
إن غرضنا من قولنا إن الفصاحة تكون في المعنى أن المزية التي من أجلها يستحق اللفظ
الوصف بأنه فصيح تكون فيه دون معناه لكان ينبغي إذا قلنا في اللفظة إنها فصيحة
أن تكون تلك الفصاحة واجبة لها بكل حال ومعلوم أن الأمر بخلاف ذلك
فإنا نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع ونراها بعينها فيما لا يحصى
من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير وإنما كان كذلك لأن المزية التي
من أجلها نصف اللفظ في شأننا هذا بأنه فصيح مزية تحدث من بعد أن لا تكون

اي الرجل الذي لم تحنكه التجارب يعني يلتصق بقلبه من شدة عظمها

وتظهر في الكلم من بعد أن يدخلها النظم وهذا شيء إن أنت طلبته فيها وقد جئت بها أفرادا
لم ترم فيها نظما ولم تحدث لها تأليفا طلبت محالا وإذا كان ذلك كذلك وجب أن يعلم
قطعا وضرورة أن تلك المزية في المعنى دون اللفظ وعبارة أخرى في هذا بعينه وهي أن
يقال قد علمنا علما لا يعترض معه شبهة أن الفصاحة فيما نحن فيه عبارة عن مزية هي
بالمتكلم دون واضع اللغة وإذا كان كذلك فينبغي لنا أن ننظر إلى المتكلم هل يستطيع
أن يزيد من عند نفسه في اللفظ شيئا ليس هو في اللغة حتى يجعل ذلك من صنيعه
مزية يعبر عنها بالفصاحة وإذا نظرنا وجدناه لا يستطيع أن يصنع باللفظ
شيئا أصلا ولا أن يحدث فيه وصفا كيف وهو إن فعل ذلك أفسد على نفسه
وأبطل أن يكون متكلما لأنه لا يكون متكلما حتى يستعمل أوضاع لغة على ما وضعت
عليه وإذا ثبت من حاله أنه لا يستطيع أن يصنع بالألفاظ شيئا ليس هو لها في اللغة
وكنا قد أجمعنا على أن الفصاحة فيما نحن فيه عبارة عن مزية هي بالمتكلم ألبتة وجب
أن نعلم قطعا وضرورة أنهم وإن كانوا قد جعلوا الفصاحة في ظاهر الاستعمال
من صفة اللفظ فإنهم لم يجعلوها وصفا له في نفسه ومن حيث هو صدى صوت
ونطق لسان ولكنهم جعلوها عبارة عن مزية أفادها المتكلم في المعنى لأنه إذا كان
اتفاقا أنها عبارة عن مزية أفادها المتكلم ولم نره أفاد في اللفظ شيئا لم يبق
إلا أن يكون عبارة عن مزية أفادها في المعنى وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة
للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ولكنا نوجبها لها موصولة
بغيرها ومعلقا معناها بمعنى ما يليها فإذا قلنا في لفظة اشتعل من قوله تعالى و
اشتعل الرأس شيبا إنها في أعلى رتبة من الفصاحة لم توجب تلك الفصاحة

لها وحدها ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالالف واللام ومقرونا اليها الشيب
منكرا منصوبا هذا وانما يقع ذلك في الوهم لمن يقع له اعني ان يوجب الفصاحة
للفظة وحدها فيما كان مجازا استعارة فاما ما خلا من الاستعارة من الكلام الفصيح البليغ كان هم
فلا يعرض توهم ذلك فيه لعاقل اصلا الا ترى انه لا يقع في نفس من يعقل ادنى شيء اذا
هو نظر الى قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم والى اكبار الناس
شان هذه الاية في الفصاحة ان يضع يده على كلمة منها فيقول انها فصيحة كيف
وسبب الفصاحة فيها امور لا يشك عاقل في انها معنوية اولها ان كانت على
فيها متعلقة بمحذوف هو في موضع المفعول الثاني والثاني ان كانت الجملة
التي هي هم العدو بعدها عارية من حرف عطف والثالث التعريف في العدو
وان لم يقل هم عدو ولو انك علقت على بظاهر وادخلت على الجملة التي هي هم
العدو حرف عطف واسقطت الالف واللام من العدو فقلت يحسبون كل
صيحة واقعة عليهم وهم عدو لرايت الفصاحة قد ذهبت عنها باسرها و
لو انك اخطرت ببالك ان يكون عليهم متعلقا بنفس الصيحة ويكون حاله معها كحاله
اذا قلت صحت عليه لاخرجته عن ان يكون كلاما فضلا عن ان يكون فصيحا وهذا
هو الفيصل لمن عقل ومن العجب في هذا ما روي عن امير المومنين علي رضي الله عنه
انه قال ما سمعت كلمة عربية من العرب الا وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه
وسمعته يقول مات حتف انفه وما سمعتها من عربي قبله لا شبهة في ان
وصف اللفظ بالعربي في مثل هذا يكون في معنى الوصف بانه فصيح واذا كان
الامر كذلك فانظر هل يقع في وهم متوهم ان يكون رضي الله عنه قد جعلها عربية

من اجل الفاظها واذا نظرت لم تشك في ذلك واعلم انك تجد هولا الذين يشكون فيما
قلناه تجري على السنتهم الفاظ وعبارات لا يصح لها معنى سوى توخي معاني النحو
واحكامه فيما بين معاني الكلم ثم تراهم لا يعلمون ذلك فمن ذلك ما يقوله الناس قاطبة من ان العاقل
يرتب في نفسه ما يريد ان يتكلم به واذا رجعنا الى انفسنا لم نجد لذلك معنى سوى
انه يقصد الى قولك ضرب فيجعله خبرا عن زيد ويجعل الضرب الذي اخبر بوقوعه
منه واقعا على عمرو ويجعل يوم الجمعة زمانه الذي وقع فيه ويجعل التاديب
غرضه الذي فعل الضرب من اجله فيقول ضرب زيد عمرا يوم الجمعة تاديبا له
وهذا كما ترى هو توخي معاني النحو فيما بين معاني الكلم ولو انك فرضت ان لا تتوخى
في ضرب ان تجعله خبرا عن زيد وفي عمرو ان تجعله مفعولا به الضرب ويوم الجمعة
ان تجعله زمانا لهذا الضرب وفي التاديب ان تجعله غرض زيد من فعل الضرب
ما تصور في عقل ولا وقع في وهم ان يكون مرتبا لهذه الكلم واذ قد عرفت ذلك
فهو العبرة في الكلام كله فمن ظن ظنا يودي الى خلافه ظنا مما يخرج به عن المعقول
ومن ذلك اثباتهم التعلق والاتصال فيما بين الكلم وصواحبها تارة ونفيهم لهما
اخرى ومعلوم علم الضرورة ان لن يتصور ان يكون للفظة تعلق بلفظة اخرى
من غير ان تعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك ويراعى هناك امر يصل احدهما
بالاخرى كمراعاة كون نبك جوابا للامر في قوله قفا نبك وكيف بالشك في
ذلك ولو كانت الالفاظ يتعلق بعضها ببعض من حيث هي الفاظ ومع اطراح
النظر في معانيها لادى ذلك الى ان يكون الناس حين ضحكوا مما يصنعه المجان
من قراءة انصاف الكتب ضحكوا عن جهالة وان يكون ابو تمام قد اخطا حين قال

عذرًا لا شبيهًا بالجنون لكانما قرأت به الورهاء شطر كتاب ٥ لانهم لم يضحكوا الا
من عدم التعلق ولم يجعله ابو تمام جنونا الا لذلك فانظر الى ما يلزم هولاء القوم
من طرائف الامور فصــــــل وهذا فن من الاستدلال لطيف على بطلان ان
تكون الفصاحة صفة للفظ من حيث هو لفظ لا تخلو الفصاحة من ان تكون صفة
في اللفظ محسوسة تدرك بالسمع او تكون صفة فيه معقولة تعرف بالقلب
فمحال ان تكون صفة محسوسة لانها لو كانت كذلك لكان ينبغي ان يستوي السامعون
للفظ الفصيح في العلم بكونه فصيحا واذا بطل ان تكون محسوسة وجب الحكم
ضرورة بانها صفة معقولة واذا وجب الحكم بكونها صفة معقولة فانا لا
نعرف للفظ صفة تكون طريق معرفتها العقل دون الحس الا دلالته على معنى
واذا كان كذلك لزم منه العلم بان وصفنا اللفظ بالفصاحة وصف له من
جهة معناه لا من جهة نفسه وهذا ما لا يبقى لعاقل معه عذر في الشك والله
الموفق للصواب وبيان اخر وهو ان القارئ اذا قرأ قوله تعالى واشتعل الرأس
شيبا فانه لا يجد الفصاحة التي يجدها الا من بعد ان ينتهي الكلام الى آخره فلو كانت
الفصاحة صفة للفظ اشتعل لكان ينبغي ان يحسها القارئ فيه في حال نطقه
به فمحال ان تكون للشيء صفة ثم لا يصح العلم بتلك الصفة الا من بعد عدمه ومن ذا
رأى صفة يعرى موصوفها عنها في حال وجوده حتى اذا عدم صارت
موجودة فيه وهل سمع السامعون في قديم الدهر وحديثه بصفة شرط
حصولها لموصوفها ان يعدم الموصوف فان قالوا ان الفصاحة التي ادعيناها
للفظ اشتعل تكون فيه في حال نطقنا به الا انا لا نعلم في تلك الحال انها فيه

فاذا بلغنا

وبديع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد ٥ مشرق في جوانب السمع ما يخلقه
عوده على المستعيد ٥ فخح تحرش الآذان بالفاظ فرادى كالجوهر المعدود ٥ ومعانٍ
لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرول ولبيد ٥ حزن مستعمل الكلام اختيارا
وتجنبن ظلمة التعقيد ٥ وركبن اللفظ القريب فادركن به غاية المراد البعيد ٥
كالعذارى غدون في الحلل الصفر اذا رحن في الخطوط السود   الغرض من كتب
هذه الابيات الاستظهار حتى ان حمل حامل نفسه على الغرور والتقحم على غير بصيرة
فزعم ان الاعجاز في مذاقة الحروف وفي سلامتها مما يثقل على اللسان علم بالنظر فيها
فساد ظنه وقبح غلطه من حيث يرى عيانا ان ليس كلامهم كلام من خطر ذلك منه
ببال ولا اصغائهم صفات تصلح له على حال اذ لا يخفى على عاقل انه لم يكن ضرب تمم
لجنون حال الشعر ان يسلم الفاظه من حروف تثقل على اللسان ولا كان تقويم
عدي لشعره وتشبيهه نظره فيه بنظر المثقف في كعوب قناته لذلك وانه محال ان
يكون له جعل بشار نور العين قد غاض فصار الى قلبه وان يكون اللؤلؤ الذي كان
لا ينام عن طلبه وان ليس هو صوب العقول الذي اذا انجلت سحائب منه
اعقبت سحائب وان ليس هو الدر والمرجان مؤلفا بالشذر في العقد ولا
الذي له كان البحتري يفد ابن ابي داود في الشعر ذكيف وهذه كلها عبارات عما
تدرك بالعقل وتستنبط بالفكر وليس الفكر الطريق الى تمييز ما يثقل على اللسان
مما لا يثقل انما الطريق الى ذلك الحس ولولا ان البلوى قد عظمت بهذا الرأي الفاسد
وان الذين قد استهلكوا فيه قد صاروا من فرط شغفهم به يصغون الى كل شيء تسمعونه
حتى لو ان انسانا قال باقلّى حار تريهم انه يريد نصرة مذهبهم لاقبلوا بأوجههم عليه

جرول اسم الحطيئة الشاعر

جبال

والقوا اشباههم اليه لكان اطراحه وترك الاشتغال به اصوب لانه قول لا يحصل
جانب بالصواب البتة ذاك لانه اول شيء يؤدي الى ان يكون القرآن معجزا لا بما به منه
كان قرآنا وكلام الله عز وجل لانه على كل حال انما كان قرآنا وكلام الله عز وجل بالنظم
الذي هو عليه ومعلوم ان ليس النظم من مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على
اللسان في شيء ثم انه اتفاق من العقلاء ان الوصف الذي به تناهى القرآن الى حد عجز
عنه المخلوقون هو الفصاحة والبلاغة وما رأينا عاقلا جعل القرآن فصيحا
او بليغا بان لا يكون في حروفه ما يثقل على اللسان لانه لو كان يصح ذلك لكان يجب
ان يكون السوقي الساقط من الكلام والسفساف الرديء من الشعر فصيحا اذا
خفت حروفه واعجب من هذا انه يلزم منه ان لو عمد عامد الى حركات الاعراب
فجعل مكان كل ضمة وكسرة فتحة فقال الحمد لله بفتح الدال واللام والهاء وجرى
على هذا في القرآن كله ان لا يسلبه ذلك الوصف الذي هو معجز به بل كان ينبغي
ان يزيد فيه لان الفتحة كما لا يخفى اخف من كل واحدة من الضمة والكسرة
فان قال ان ذلك يحيل المعنى قيل له اذا كان المعنى العلة في كونه معجزا خفة
اللفظ وسهولته فينبغي ان يكون مع احالة المعنى معجزا لانه اذا كان معجزا
لوصف يخص لفظه دون معناه كان محالا ان يخرج عن كونه معجزا مع قيام
ذلك الوصف فيه ودع هذا وهب انه لا يلزم شيء منه فانه يكفي في الدلالة
على سقوطه وقلة تمييز القائل به انه يقتضي اسقاط الكناية والاستعارة و
التمثيل والمجاز والايجاز جملة واطراح جميعها رأسا مع انها الاقطاب
التي تدور البلاغة عليها والاعضاد التي تستند الفصاحة اليها والطلبة

والنضال

التي يتنازعها المحسنون والرهان الذي تجرب فيه الجياد والنضال الذي
تعرف به الايدي الشداد وهي التي نوه بذكرها البلغاء ورفع من اقدارها العلماء
وصنفوا فيها الكتب ووكلوا بها الهمم وصرفوا اليها الخواطر حتى صار
الكلام فيها نوعا من العلم مفردا وصناعة على حدة ولم يتعاط احد من
الناس القول في الاعجاز الا ذكرها وجعلها العمد والاركان فيما يوجب
الفضل والمزية وخصوصا الاستعارة والايجاز فانك تراهم يجعلونهما
عنوان ما يذكرون واول ما يوردون وتراهم يذكرون من الاستعارة قوله تعالى
واشتعل الرأس شيبا وقوله واشربوا في قلوبهم العجل وقوله عز وجل وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار وقوله عز وجل فاصدع بما تؤمر وقوله فلما استيأسوا
منه خلصوا نجيا وقوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها وقوله فما ربحت
تجارتهم ومن الايجاز قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء
وقوله تعالى ولا ينبئك مثل خبير وقوله فشرد بهم من خلفهم وتراهم على لسان
واحد في ان المجاز والايجاز من الاركان في امر الاعجاز واذا كان الامر كذلك عند
كافة العقلاء الذين تكلموا في المزايا التي للقرآن فينبغي ان ينظر في امر الذي يسلم
نفسه الى الغرور فيزعم ان الوصف الذي له كان القرآن معجزا هو سلامة حروفه
مما يثقل على اللسان ايصح له القول بذلك الا من بعد ان يزيد على الغلط على العقلاء
قاطبة فيما قالوا والخطأ فيما اجمعوا عليه واذا نظرنا وجدناه لا يصح له
ذلك الا بان يقتحم هذه الجهالة اللهم الا ان يخرج الى الضحكة فيزعم مثلا
ان من شأن الاستعارة والايجاز اذا دخلا الكلام ان يحدث بهما في حروفه

خفة وتحدث فيها سهولة ونسأل الله تعالى العصمة والتوفيق واعلم انا لا نأبى ان تكون
مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة
وان تكون مما يؤكد امر الاعجاز وانما الذي ننكره ونفيّل رأي من يذهب اليه ان يجعله
معوّلا به وحده ويجعله الاصل والعمدة فيخرج الى ما ذكرناه من الشناعات
ثم ان العجب كل العجب ممن يجعل كل الفضل في شيء هو اذا انفرد لم يجب به
فضل البتة ولم يدخل في اعتداد بحال وذلك انه لا يخفى على عاقل انه لا يكون لسهولة
الالفاظ وسلامتها مما يثقل على اللسان اعتداد حتى يكون قد أُلّف منها كلام ثم
كان ذلك الكلام صحيحا في نظمه والغرض الذي اريد به وانه لو عمد عامد الى الفاظ
فجمعها من غير ان يراعي فيها معنى ويؤلف منها كلاما لم تر عاقلا يعتد السهولة فيها
فضيلة لان الالفاظ لا تراد لانفسها وانما تراد لتجعل ادلة على المعاني فاذا عدمت
الذي له تراد او اختل امرها فيه لم يعتد بالاوصاف التي تكون في انفسها عليها وكانت
السهولة وغير السهولة فيها واحدا ومن ههنا رأيت العلماء يذمّون من يحمله تطلب
السجع والتجنيس على ان يضيم لهما المعنى ويدخل الخلل عليه من اجلهما وعلى ان
يتعسف في الاستعارة بسببهما ويركب الوعورة ويسلك المسالك المجهولة
كالذي صنع ابو تمام في مثل قوله سيف الامام الذي سمّته هيبته لما تخرّم اهل
الارض مخترما   قرّت بقرّان عين الدين وانشترت بالاشترين عيون الشرك
فاصطلما   وقوله ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون
أمذهبٌ ام مُذهَبُ   ويصنعه المتكلفون في الاسجاع وذلك انه لا يتصوّر
ان يجب بهما ومن حيث هما فضل ويقع بهما مع الخلو من المعنى اعتداد واذا

نظرت الى تجنيس ابي تمام امذهب ام مذهب فاستضعفته والى تجنيس القائل
حتى نجا من خوفه وما نجا   وقول المحدث   ناظراه فيما جنى ناظراه   او دعاني
بما بما أمُت او دعاني   فاستحسنته لم تشك بحال ان ذلك لم يكن لامر يرجع الى اللفظ
ولكن لانك رأيت الفائدة ضعفت في الاول وقويت في الثاني وذلك انك رأيت
ابا تمام لم يزدك بمذهب ومذهب على ان اسمعك حروفا مكررة لا تجد لها فائدة
ان وجدت الا متكلفة متمحلة ورأيت الآخر قد اعاد عليك اللفظة كأنه
يخدعك عن الفائدة وقد اعطاها ويوهمك انه لم يزدك وقد احسن الزيادة
ووفّاها ولهذه النكتة كان التجنيس وخصوصا المستوفى منه مثل نجا ونجا من حلي
الشعر والقول فيما يحسن وفيما لا يحسن من التجنيس والسجع يطول ولم يكن غرضنا
من ذكرهما شرح امرهما ولكن توكيد ما انتهى بنا القول من استحالة ان يكون الاعجاز
في مجرد السهولة وسلامة الالفاظ مما يثقل على اللسان وجملة الامر انا ما رأينا في الدنيا
عاقلا اطّرح النظم والمحاسن التي هو السبب فيها من الاستعارة والكناية والتمثيل
وضروب المجاز والايجاز وصد بوجهه عن جميعها وجعل الفضل كله والمزية
اجمعها في سلامة الحروف وكيف وهو يؤدي الى التسخف والى الخروج من العقل كما
بينا واعلم انه قد آن لنا ان نعود الى ما هو الامر الاعظم والغرض الاهم والذي كانه هو
الطلبة وكل ما عداه ذرائع اليه وهو المرام وما سواه اسباب للتسلق عليه وهو
بيان العلل التي لها وجب ان يكون لنظم مزية على نظم وان يعظم امر التفاضل فيه
ويتناهى الى الغايات البعيدة ونحن نسأل الله تعالى العون على ذلك والتوفيق والهداية
بسم الله الرحمن الرحيم
الله ما اظنك ايها القارئ لكتابنا ان كنت وفّيته حقه من النظر وتدبرته حق

الذي لا الا انك قد علمت علما ابى ان يكون للشك فيه نصيب وللتوقف نحوك
مذهب ان ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه ووجوهه وفروقه
فيما بين معاني الكلم وانك قد تبينت انه اذا رفع معاني النحو واحكامه مما بين
الكلم حتى لا تراد بها في جملة ولا تفصيل خرجت الكلم المنطوق ببعضها
في اثر بعض في البيت من الشعر والفصل من النثر عن ان يكون لكونها في مواضعها
التي وضعت فيها موجب ومقتضي وعن ان يتصور ان يقال في كلمة منها انها
مرتبطة بصاحبة لها ومتعلقة بها وكائنة بسبب منها ولن حسن تصورك
لذلك قد ثبتت فيه قدمك وملأ من الثقة نفسك وباعدك من ان تحن الى
الذي كنت عليه وان يجتذبك الالف والاعتياد اليه وانك جعلت ما قلناه
نقشا في صدرك واثبته في سويداء قلبك وصادفت فيه وبين نفسك فان
كان الامر كما ظنناه رجونا ان يصادف الذي نريد ان نستأنفه بعون الله تعالى
منك نية حسنة تقيك الملالة ورغبة صادقة تدفع عنك السأم واريحية
تخف معها عليك تعب الفكر وكد النظر والله تعالى ولي توفيقك ولو نفعنا
بمنه وفضله وبه القول . اذا ثبت الآن ان لا شك ولا مرية في ان ليس النظم
شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين معاني الكلم ثبت من ذلك ان طالب دليل
الاعجاز من نظم القرآن اذا هو لم يطلبه في معاني النحو واحكامه ووجوهه وفروقه
ولم يعلم انها معدنه ومعانه وموضعه ومكانه وانه لا مستنبط له سواها
وان لا وجه لطلبه فيما عداها غار نفسه بالكاذب من الطمع ومسلم لها الى
الخدع وانه ان ابى ان يكون فيها كان قد ابى ان يكون القرآن معجزا بنظمه ولزمه ان

يثبت شيئا آخر يكون معجزا به وان يلحق باصحاب الصرفة فيدفع الاعجاز من اصله
وهذا تقرير لا يدفعه الا معاند يعد الرجوع عن باطل قد اعتقده عجزا والثبات
عليه من بعد لزوم الحجة جلدا ومن وضع نفسه في هذه المنزلة كان قد باعدها
عن الانسانية ونسأل الله تعالى العصمة والتوفيق . وهذه اصول يحتاج الى
معرفتها قبل الذي عددناه اعلم ان معاني الكلام كلها معان لا تتصور الا فيما
بين شيئين والاصل والاول هو الخبر واذا احكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته
في الجميع ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس انه لا يكون خبر حتى يكون
مخبر به ومخبر عنه لانه ينقسم الى اثبات ونفي والاثبات يقتضي مثبتا ومثبتا له
والنفي يقتضي منفيا ومنفيا عنه فلو حاولت ان يتصور اثبات معنى او نفيه
من دون ان يكون هناك مثبت له ومنفي عنه حاولت ما لا يصح في عقل ولا يقع في
وهم ومن اجل ذلك امتنع ان يكون لك قصد الى فعل من غير ان تريد اسناده الى
شيء وكنت اذا قلت ضرب لم تستطع ان تريد منه معنى في نفسك من غير ان تريد
اسناده الى شيء مظهر او مقدر وكان لفظك به اذا انت لم ترد ذلك وصوتا
تصوته سواء وان اردت ان تستحكم معرفة ذلك في نفسك فانظر اليك اذا
قيل لك ما فعل زيد فقلت خرج هل يتصور ان يقع في خلدك من خرج معنى من
دون ان تنوي فيه ضمير زيد وهل تكون ان انت زعمت انك لم تنو ذلك الا مخرجا
نفسك الى الهذيان وكذلك فانظر اذا قيل لك كيف زيد فقلت صالح هل يكون
لقولك صالح اثر في نفسك من دون ان تريد هو صالح ام هل يعقل السامع منه
شيئا ان هو لم يعتقد ذلك فانه مما لا يبقى معه لعاقل شك ان الخبر معنى لا يتصور

الا من شيئين يكون احدهما مثبتا والاخر مثبتا له او يكون احدهما منفيا والاخر
منفيا عنه وانه لا يتصور مثبت من غير مثبت له ومنفي من دون منفي عنه
ولما كان الامر كذلك وجب ذلك ان لا يعقل الا من مجموع جملة فعل واسم كقولنا
خرج زيد او اسم واسم كقولنا زيد منطلق وليس في الدنيا خبر يعرف من غير هذا
السبيل وبغير هذا الدليل وهو شيء يعرفه العقلاء في كل جيل وامة وحكم يجري
عليه الامر في كل لسان ولغة واذ قد عرفت انه لا يتصور الخبر الا فيما بين شيئين
مخبر به ومخبر عنه كذلك لا يتصور ان يكون خبر حتى يكون له مخبر يصدر عنه ويحصل
من جهته ويكون له نسبة اليه ويعود التبعة فيه عليه فيكون هو الموصوف بالصدق
ان كان صدقا وبالكذب ان كان كذبا افلا ترى ان من المعلوم انه لا يكون اثبات ونفي حتى
يكون مثبت وناف يكون مصدرهما من جهته ويكون هو المزجي لهما والمبرم والناقض
فيهما ويكون بهما موافقا ومخالفا ومصيبا ومخطئا ومحسنا ومسيئا وجملة الامر
ان الخبر وجميع معاني الكلام معان ينشئها الانسان في نفسه ويصرفها في فكره
ويناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله وتوصف بانها مقاصد واغراض واعظمها
شانا الخبر فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة وتقع فيها الصناعات العجيبة وفيه
يكون في الامر الاعم المزايا التي يقع بها التفاضل في الفصاحة كما شرحنا فيما تقدم ونشرح
فيما نقول من بعد ان شاء الله واعلم انك اذا فتشت اصحاب اللفظ عما في نفوسهم
وجدتهم قد توهموا في الخبر انه صفة للفظ وان المعنى في كونه اثباتا انه لفظ يدل على
وجود المعنى من الشيء او فيه وفي كونه نفيا انه لفظ يدل على عدمه وانتفائه عن الشيء
وهو شيء قد لزمهم وسرى في عروقهم وامتزج بطباعهم حتى صار الظن بأكثرهم ان

فيعود الى ان يعلم ان كان ... من الدليل ... ولذلك لا يتصور ان يكون هنا خبر من غير ان يكون ... ومخبر عنه صح

القول لا ينجع فيهم والدليل على بطلان ما اعتقدوه انه محال ان يكون اللفظ قد نصب
دليلا على شيء ثم لا يحصل منه العلم بذلك الشيء اذ لا معنى لكون الشيء دليلا الا افادته
اياك العلم بما هو دليل عليه واذا كان هذا كذلك علم منه ان ليس الامر على ما قالوه
من ان المعنى في وصفنا اللفظ بانه خبر انه قد وضع لان يدل على وجود المعنى
او عدمه لانه لو كان كذلك لكان ينبغي ان لا يقع من سامع شك في خبر يسمعه وان لا
تسمع الرجل يثبت وينفي الا علمت وجود ما اثبت وانتفاء ما نفى وذلك مما لا
يشك في بطلانه واذا لم يكن ذلك مما يشك في بطلانه وجب ان يعلم ان مدلول اللفظ
ليس هو وجود المعنى او عدمه لكن الحكم بوجود المعنى او عدمه وان ذلك اي الحكم
بوجود المعنى او عدمه حقيقة الخبر الا انه اذا كان بوجود المعنى من الشيء او
فيه يسمى اثباتا واذا كان بعدم المعنى وانتفائه عن الشيء يسمى نفيا ومن الدليل على
فساد ما زعموه انه لو كان معنى الاثبات الدلالة على وجود المعنى واعلامه
السامع وكان معنى النفي الدلالة على عدمه واعلامه السامع ايضا لكان ينبغي اذا
قال واحد زيد عالم وقال الاخر زيد ليس بعالم ان يكون قد دل هذا على وجود العلم
وهذا على عدمه واذا قال الموحد العالم محدث وقال الملحد هو قديم ان يكون قد
دل الموحد على حدوثه والملحد على قدمه وذلك مما لا يقوله عاقل ونقول في ذلك
بعبارة اخرى لا يتصور ان تفتقر المعاني المدلول عليها بالجمل المؤلفة الى دليل
يدل عليها زائد على اللفظ كيف وقد اجمع العقلاء على ان العلم بمقاصد الناس في
محاوراتهم علم ضرورة ومن ذهب مذهبا يقتضي ان لا يكون الخبر معنى في نفس
المتكلم ولكن يكون وصفا للفظ من اجل دلالته على وجود المعنى من الشيء او فيه

او انتفاء وجوده عنه كان قد نقض منه الاصل الذي قدمناه من حيث يكون قد
جعل المعنى المدلول عليه باللفظ لا يعرف الا بدليل سوى اللفظ اذ كنا لا
نعرف وجود المعنى المثبت او انتفاء المنفي باللفظ ولكنا نعلمه بدليل يقوم
لنا زائد على اللفظ وما من عاقل الا وهو يعلم ببديهة النظر ان المعلوم بغير
اللفظ لا يكون مدلول اللفظ طريقة اخرى الدلالة على الشيء هي ابانة واعلامك
السامع اياه وليس بدليل ما انت لا تعلم به مدلولا عليه واذا كان كذلك وكان مما
يعلم ببداية العقول ان الناس انما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض
المتكلم ومقصوده فينبغي ان ينظر الى مقصود المخبر من خبره ما هو
اهو ان يعلم السامع المخبر به والمخبر عنه ام ان يعلمه اثبات المعنى المخبر به
للمخبر عنه فان قيل ان المقصود اعلامه السامع وجود المعنى من المخبر عنه
فاذا قال ضرب زيد كان مقصوده ان يعلم السامع وجود الضرب من
زيد وليس الاثبات الا اعلامه السامع وجود المعنى قيل فان كان اذا اثبت
مع الله تعالى عما يقول الظالمون الها اخر يكون قاصدا الى ان يعلم نعوذ بالله
ان مع الله تعالى الها وكفى بهذا فضيحة وجملة الامر انه ينبغي ان يقال لهم
اتشكون في انه لا بد من ان يكون في الخبر المخبر معنى يعلمه السامع علما لا يكون
معه شك ويكون ذلك معنى اللفظ وحقيقته فاذا قالوا لا نشك قيل لهم
فما ذلك المعنى فان قالوا هو وجود المعنى المخبر به من المخبر عنه او فيه اذا
كان الخبر اثباتا وانتفاؤه اذا كان نفيا لم يمكنهم ان يقولوا ذلك الا من بعد ان
يكابروا فيدعوا انهم اذا سمعوا الرجل يقول خرج زيد علموا علما لا شك معه

آخر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

وجود الخروج من زيد وكيف يدعون ذلك وهو يقتضي ان يكون الخبر على
وفق المخبر عنه ابدا وان لا يجوز فيه ان يقع على خلاف المخبر عنه وان يكون
العقلاء قد غلطوا حين جعلوا من خاصة وصفه انه يحتمل الصدق والكذب
وان يكون الذي قالوه في اخبار الاحاد واخبار التواتر من ان العلم يقع
بخبر التواتر دون الاحاد سهوا منهم ويقتضي الغنى عن المعجزة لانه انما احتيج
اليها ليحصل العلم بكون الخبر على وفق المخبر عنه فاذا كان لا يكون الا على وفق
المخبر عنه لم يقع الحاجة الى دليل يدل على كونه كذلك فاعرفه واعلم انه انما
لزمهم ما قلناه من ان يكون الخبر على وفق المخبر عنه ابدا من حيث انه اذا
كان معنى الخبر عندهم اذا كان اثباتا انه لفظ موضوع ليدل على وجود
المعنى المخبر به من المخبر عنه او فيه وجب ان يكون كذلك ابدا وان لا يصح ان
يقال ضرب زيد الا وقد كان الضرب قد وجد من زيد وكذلك يجب في النفي
ان لا يصح ان يقال ما ضرب زيد الا اذا كان الضرب لم يوجد منه لان تجويز
ان يقال ضرب زيد من غير ان يكون قد كان منه ضرب وان يقال ما ضرب زيد
وقد كان منه ضرب يوجب على اصلهم اخلاء اللفظ من معناه الذي
وضع ليدل عليه وذلك ما لا شك في فساده ولا يلزمنا ذلك على
اصلنا لان معنى اللفظ عندنا هو الحكم بوجود المعنى المخبر به من المخبر عنه او فيه
اذا كان الخبر اثباتا والحكم بعدمه اذا كان نفيا واللفظ عندنا لا ينفك من ذلك ولا
يخلو منه وذلك لان قولنا ضرب وما ضرب يدل من قول الكاذب
على ما يدل عليه من قول الصادق لانا ان لم نقل ذلك لم يخل من ان نزعم ان الكاذب

يُخلي اللفظ من المعنى او يزعم انه يجعل اللفظ معنى غير ما وضع له وكلاهما باطل و
معلوم انه لا يزال يدور في كلام العقلاء في وصف الكاذب انه يثبت ما ليس بثابت وينفي
ما ليس بمنتفٍ والقول بما قالوه يؤدي الى ان يكون العقلاء قد قالوا المحال من حيث
يجب على اصلهم ان يكونوا قد جعلوا ان الكاذب يدل على وجود ما ليس بموجود
وعلى عدم ما ليس بمعدوم وكفى بهذا تهافتًا وخطلًا ودخولًا في اللغو من
القول واذا اعتبرنا باصلنا كان تفسيره ان الكاذب يحكم بالوجود فيما ليس بموجود
وبالعدم فيما ليس بمعدوم وهذا اسدّ كلام واحسنه والدليل على ان اللفظ من
قول الكاذب يدل على نفس ما يدل عليه من قول الصادق انهم جعلوا خاص وصف
الخبر انه يحتمل الصدق والكذب فلولا ان حقيقته فيهما حقيقة واحده
لما كان لحدهم هذا معنى ولا يجوز ان يقال ان الكاذب يأتي بالعبارة على خلاف
المعبر عنه لان ذلك انما يقال فيمن اراد شيئا ثم اتى بلفظ لا يصلح للذي اراد ولا
يمكن ان يزعم في الكاذب انه اراد امرا ثم اتى بعبارة لا تصلح لما اراده ومما ينبغي ان
يحصل في هذا الباب انهم قد اصّلوا في المفعول وكل ما زاد على جزأي الجملة انه
يكون زيادة في الفائدة وقد يتخيل الى من ينظر الى ظاهر هذا من كلامهم انهم
ارادوا بذلك انك تضم بما تزيده على جزأي الجملة وتبني عليها ان ينقطع عن الجملة
حتى يتصور ان يكون زيادة على حده اذ لا يتصور في زيد من قولك ضربت زيدا
ان يكون شيئا براسه حتى يكون بتعديتك ضربت اليه قد ضممت فائدة الى اخرى
واذا كان كذلك وجب ان يعلم ان الحقيقة في هذا ان الكلام يخرج بذكر المفعول
الى معنى غير الذي كان ولم يرد ان الفعل قد عدّي الى مفعول معه وقد اطلق

فلم يُقصد به الى مفعول دون مفعول وزان الاسم المخصص بالصفة مع
الاسم المتروك على شياعه كقولك جاءني رجل ظريف مع قولك جاءني رجل في
انك لست في ذلك كمن تضم معنى الى معنى وفائدة الى فائدة ولكن كمن يريد ها هنا شيئا
وهناك شيئا آخر فاذا قلت ضربت زيدا كان المعنى غيره اذا قلت ضربت ولم
تقصد الى مضروب مخصوص واذا قلت ضربت زيدا وهو بحاله كان المعنى غيره
اذا قلت ضربت زيدا ولم تزد وهكذا يكون الامر ابدا كلما زدت شيئا وجدت المعنى
قد صار غير الذي كان ومن اجل ذلك صلح المجازاة بالفعل الواحد اذا اتي به مطلقا
في الشرط ومُعدّى الى شيء في الجزاء كقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وقوله عز وجل
واذا بطشتم بطشتم جبارين مع العلم بان الشرط ينبغي ان يكون غير الجزاء من حيث
كان الشرط سببا والجزاء مسببا وانه محال ان يكون الشيء سببا لنفسه فلولا ان
المعنى في احسنتم الثانية غير المعنى في الاولى وانها في حكم فعل ثانٍ لما ساغ ذلك
كما لا يسوغ ان يقول إن قمتَ قمتَ وان خرجتَ خرجتَ ومثله من الكلام قوله
المرء باصغريه ان قال قال ببيان وان صال صال بجنان ويجري ذلك في الفعلين قد عُدّيا
جميعا الا ان الثاني منهما قد تعدّى الى شيء زائد على ما تعدّى اليه الاول ومثاله قولك
ان اتاك زيد اتاك لحاجة وهو اصل كبير والدليل على ذلك كثيرة ومن اولاها ان يحفظ
انك ترى البيت قد استحسنه الناس وقضوا لقائله بالفضل فيه وبانه الذي غاص
على معناه بفكره وانه ابو عذره ثم لا ترى ذلك الحسن وتلك الغرابة كانا الا لما بناه على
الجملة دون نفس الجملة ومثال ذلك قول الفرزدق وما حملت امّ امرئ في ضلوعها
اعقّ من الجاني عليها هجائيا فلولا ان معنى الجملة يصير بالبناء عليها شيئا غير الذي كان

ويتغير في ذاته لكان محالاً ان يكون البيت بحيث تراه من الحسن والمزية وان يكون
معناه خاصاً بالفرزدق وان يقضى له بالسبق اليه اذ ليس في الجملة التي بنى عليها ما
يوجب شيئاً من ذلك فاعرفه والنكتة التي يجب ان نراعي في هذا انه لا يتسق لك صورة
المعنى الذي هو معنى الفرزدق الا عند اخر حرف من البيت حتى ان قطعت
عنه قوله هجائيا بل الياء التي هي ضمير الفرزدق لم يكن الذي تعقله منه مما اراده
الفرزدق بسبيل لان غرضه تهويل امر هجائه والتحذير منه وان من عرّض امه
له كان قد عرضها لاعظم ما يكون من الشر وكذلك حكم نظائره من الشعر فاذا نظرت
الى قول القطامي فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي
وجدته لا تحصل على معنى يصح ان يقال انه غرض الشاعر ومعناه الا عند قوله
ذي ويزيدك استبصاراً انما قلنا ان تنظر فيما كان من الشعر جملاً قد عطف
بعضها على بعض بالواو كقوله النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم
وذلك انك ترى الذي تعقله من قوله النشر مسك لا يصير بانضمام قوله والوجوه
دنانير اليه شيئاً غير الذي كان بل تراه باقياً على حاله وكذلك ترى ما تعقل من قوله
والوجوه دنانير لا يلحقه تغير بانضمام قوله واطراف الاكف عنم اليه واذ قد عرفت
ما قررناه من ان من شان الجملة ان يصير معناها بالبنا عليها شيئاً غير الذي كان وانه
يتغير في ذاته فاعلم ان ما كان من الشعر مثل بيت بشار كأن مثار النقع فوق رؤوسنا
واسيافنا ليل تهاوى كواكبه وقول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي وقول زياد وانا وما تلقي لنا ان هجوتنا
لكالبحر مهما تلق في البحر يغرق كان له مزية على مثل قول الفرزدق فما ذكرنا لانك

القطامي اسم شاعر تغلبي

تجد في صدر بيت الفرزدق جملة تؤدي معنى وان لم يكن معنى يصح ان يقال انه معنى
فلان ولا تجد في صدر هذه الابيات ما يصح ان تعد جملة تؤدي معنى فضلاً عن ان يقال
انه معنى فلان ذاك لان قوله كأن مثار النقع الى واسيافنا جزء واحد وليل تهاوى
كواكبه بجملته الجزء الذي ما لم تأت به لم يكن قد اتيت بكلام وهكذا سبيل البيت الاخر
فقوله كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها جزء وقوله العناب والحشف
البالي الجزء الثاني وقوله وانا وما تلقي لنا ان هجوتنا جزء وقوله لكالبحر الجزء الثاني وقوله
مهما تلق في البحر يغرق وان كان جملة مستأنفة ليس فيها في الظاهر تعلق بقوله
لكالبحر فانها لما كانت مبيّنة لحال هذا التشبيه صارت كانها متعلقة بهذا التشبيه
وجرى مجرى ان يقول لكالبحر في انه لا يلقى فيه شيء الا غرق فحصل واذا ثبت
ان الجملة اذا بني عليها حصل منها ومن الذي بني عليها في الكثير معنى يجب فيه ان ينسب
الى واحد مخصوص فان ذلك يقتضي لا محالة ان يكون الخبر في نفسه معنى هو غير المخبر به
والمخبر عنه ذاك لعلمنا باستحالة ان يكون للمعنى المخبر به نسبة الى المخبر وان يكون
المستنبط والمستخرج والمستعان على تصويره بالفكر فليس يشك عاقل في انه
محال ان يكون للجمل في قوله وما حملت ام امرئ في ضلوعها نسبة الى الفرزدق
وان يكون الفكر منه كان فيه انفسه وان يكون معناه الذي قيل انه استنبطه واستخرجه
وغاص عليه وهكذا السبيل ابداً لا يتصور ان يكون للمعنى المخبر به نسبة الى الشاعر
وان يبلغ من امره ان يصير خاصاً به فاعرفه ومن الدليل القاطع فيما بيناه في الكناية
والاستعارة والتمثيل وشرحناه من ان من شان هذه الاجناس ان يوجب الحسن
والمزية وان المعاني من اجلها بالصور المختلفة وان العلم بايجاب ذلك ثابت

تصور

تؤدي معنى

في العقول ومركوز في غرائز النفوس وسنا كذلك انه محال ان يكون المزايا التي يحدث
بها حادثة في المخبر به المثبت او المنفي لعلمنا باستحالة ان يكون المزية التي نجدها
لقولنا هو طويل النجاد على قولنا هو طويل القامة في الطول والتي نجدها لقولنا هو
كثير رماد القدر على قولنا هو كثير القرى والضيافة في كثرة القرى واذا كان ذلك محالا
ثبت ان المزية والحسن يكونان في اثبات ما يراد ان يوصف به المذكور والاخبار به
واذا ثبت ذلك ثبت ان الاثبات معنى لان حصول المزية والحسن فيما ليس
بمعنى محال . والحمد لله وحده والصلوة على خير البشر محمد وعلى آله . وقد كان مكتوبا
في النسخة المنقول عنها بخط كاتبها هذه الاسطر سمعت الشيخ الامام ابا زيد الحجاجي سلمه الله
يقول ان الشيخ الامام الاستاذ ابا بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني رحمه الله ما ... خمسين وعشرين سنة
من سني آخر عمره في استخراج طرق الاعجاز من الكلام حتى كتب عنه من الفصول التي عرفها وبين ... من مآخذ
الفصاحة والبلاغة ما وقفت عليها الى هاهنا ولم يبلغ به عمره تحصيل ما فيه تمام غرضه من
تصنيف هذا الكتاب فأتاه رحمه الله في خلال التاليف الموت وبقيت الى جانبه تمام ما مؤمله
من هذا التصنيف من الفوت وقد كاد رحمه الله ان يأتي لما مهده من قواعد الفصاحة وطرق
البلاغة التي فيها تحصيل الاعجاز بما يتلى من آي القرآن فادركه الموت قبل ان يبلغ كنهها رحمه الله فانه جمع
فيما حقق واحسن فيما جمع لم يسبق اليه في مثل تحقيقه واستنباط طريقه فنفعنا الله بالعلم والنور
التفكر فيما اورد والهمنا الوقوف في العلم بما لم يضرب لنا فيه مثالا ونسأل الله بعلم العصمة والتوفيق
فانه الموفق .

ذكر ابو العيناء الصحابة فقال هم الذين جلوا بكلامهم الابصار العليلة وشحذوا بمواعظهم
الاذهان الكليلة ونبهوا القلوب من رقدتها ونقلوها عن سوء عادتها فشفوا من
داء القسوة وغباوة الغفلة وداووا من العي الفاضح ونهجوا اسبل الطريق الواضح
فرحمة الله عليهم اجمعين . قال الاصمعي سئل ابو عمرو بن العلاء عن اكرم ... فقال ... فصلى الله
... في الخلف حق رسول الله صلى الله عليه فقال خلقه بحث .

الاصل الرابع والاربعون قال الحسن بن علي العجلي الكوفي قال ثنا يحيى بن آدم عن ابن ابي ذئب عن سعيد المقبري عن ابي هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه قلته او لم اقله فصدقوا به فاني اقول ما يعرف
ولا ينكر واذا حدثتم عني بحديث تنكرونه ولا تعرفونه فلا تصدقوا به فاني لا اقول ما ينكر ولا يعرف . قال ابو عبد الله فالرسل
صلوات الله عليهم بعثوا الى الخلق بجمل الامور ومعرفة التدبير في الامور وكيف ولم وكنه الامور عندهم مكنون وقد افشا الله
من ذلك الى الرسل من غيبه ما لا تحمله عقول من دونهم ولفضل النبوة قدروا على احتماله فالعلم انما بدا من عند الله الى الرسل
ثم من الرسل الى الخلق فالعلم بمنزلة البحر فاجرى منه واديا ثم اجرى من الوادي نهرا ثم اجرى منه جدولا ثم من الجدول الى ساقية فلو
اجرى الى الجدول ذلك الوادي لغرقه وافسده ولو مال البحر الى الوادي لافسده وهو قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت
اودية بقدرها فبحور العلم عند الله فاعطى الرسل منها اودية ثم اعطت الرسل من اوديتهم انهارا الى العلماء ثم اعطت العلماء الى
العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم اجرت العامة الى سواقيهم من اهاليهم واولادهم ومماليكهم بقدر طاقتهم فكذلك السواقي
ومن هاهنا ما روي في الخبر ان لله سرا لو افشاه لفسد التدبير وللملوك سرا لو افشوه لفسد ملكهم وللانبياء سرا لو افشوه
لفسد في نبوتهم وللعلماء سرا لو افشوه لفسد علمهم . وانما تفسد لان العقول لا تحتمله فلما زيد في الانبياء في عقولهم
قدروا على احتمال النبوة وزيدت العلماء في عقولهم ونالوا العلم فقدروا على احتمال ما عجزت العامة عنه وكذلك علماء
الباطن وهم الحكماء زيد في عقولهم فقدروا على احتمال ما عجزت عنه علماء الظاهر الا ترى ان كثيرا من علماء الظاهر دفعوا
ان يقطع الوسوسة من الادمي في صلوته ودفعوا ان يكون له مشي على الماء او نطق له الارض او بمياه رزق من غير وجوه
الادميين حتى انكروا عامة هذه الروايات التي جاءت في مثل هذه الاشياء فلو عقلوا العالم لعلموا ما قال مطرف بن عبد الله
حين سار الليل مع صاحب له فاضاء له طرف عصاه كالسراج معه فقال له صاحبه لو حدثنا بهذا كذبنا فقال مطرف
المكذب بنعم الله اكذب . فهذا فلو نظر علماء الظاهر الى ما اعطاهم الله فابصروا لم يستعجبوا من معاليهم ودفعهم هذه
الاشياء ولكنهم لم يبصروا ما اعطاهم من عبد يرزقه الله معرفته وهو اعظم شيء في السموات والارض فلا يستعظمه واذا
رزقه دستجة من جوز في برية من الارض او رغيفا تعجب منه واستعظمه وقال من اين هذا لا يرجع الى نفسه فيقول
هذا الذي اعطاني ما هو اثقل من سبع سموات وسبع ارضين فجعل اقرارا على قلبي وانطق بتعبيرها لساني من اين هذا اكل
اعطيت العطاء الجليل فلم ترعه حق رعايته ولم تشكر المعطي وسهوت ولهوت وتبطلت في صورة الكفور للنعمة مقبلا على
الدنيا والاسباب عما اعطى والكشف غطاء قلبه دعي ما اعطي وعرف عليه ان يدنس خلعة الله التي خلع على قلبه كما عز عليك ان
تدنس خلع الملوك في دار الدنيا فلو ان ملكا خلع على احدهم من هذه الثياب المرتفعة من الخز وما اشبهها الوقاه
ان يحفظه او يمتهنه لكن يصونه ويستره ويلبسه في الاعياد فكيف بالخلعة التي خلعها رب العالمين على قلوب الموحدين
اشعار قلوبهم نور التوحيد حتى عرفوه وامنوا به واشرقت صدورهم ونزع عنها ظلمة الكفر وخلعها عنهم وخلع
عليهم لباس التقوى ثم قال في تنزيله ذلك خير ذلك من آيات الله يصعد ذلك في انه يوم حمر هم على النار حتى لا يمسهم النار
فسمى لباس التقوى وهو مشتق من الوقاية وقال حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم فهو ذلك النور ثم قال وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة ثم قال والله عليم حكيم عليم بما اعطى من هو من عباده ومن
اي طينة خلقه حكيم في امره بالحكمة . فعلى هذا الامانة الجزاف وهو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم
فمن اشتمه لهذه النعمة ولهذا الفضل الذي اعطاه رب العالمين لا يستعظم ان يطوى له الارض او يعطى رغيفا في البرية و
هو الذي يقول في تنزيله ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله فالشفاعة يوم القيمة
ورجل يشفع يوم القيمة في اهل النار وصار ممن يجوز قوله من يدري ان العزة في ذلك الموقف ان اعطاه في دار الدنيا
رغيفا في مفازة من حيث لا يقدر عليه هاد ان يكون قدحه حتى ينكر هذا او ما يحرم انكار هذا الامر قوم جهلوا صنع الله و
تدبيره في خلقه ولم يتبين لهم كرامة الله اياهم . وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو عرفتم الله حق معرفته
لزالت بدعائكم الجبال وعلماء الظاهر عرفوا الله ولكن لم ينالوا جزء المعرفة فلذلك عجزوا عن هذه المرتبة ودفعوا ان

يكون هذا الأحد كاتماً ولو عرفوه حق المعرفة لماتت منهم شهوات الدنيا وحب الرياسة والشح على الدنيا والتنافس
في أحوالها وطلب العز وحب الثناء والمحمدة ترى أحدهم قد نقر سمعه مصغياً إلى ما يقول الناس له وقد وعينه
شاخصة إلى ما ينظر الناس إليه حسنة وقد عميت عيناه عن النظر إلى صنع الله وتدبيره قال الله جل اسمه كل
يوم هو في شأن وقد صم سمعه عن مواعظ الله يقرؤه ولا يلتذ به ولا يكاد يجد له حلاوة كأنما عنى بذلك غيره
كيف يلتذ بما كلم به غيره وإنما صار كذلك لأن الله تعالى خاطب أولي العقول والأبصار وأولي الألباب فمن ذهبت عقله
وبصيرته ولبه في شأن نفسه ودنياه كيف يفهم كلام رب العالمين ويلتذ به ويحلو في الصدر وهو في صفة
غيره وإنما وقع البر واللطف على تلك الصفة وإياهم خاطب وقد تبدلت صفة هذا ومعناه وادعى نفسه
كما فيه ولا يقدر أن يستقصي صفة ذلك ولا نفرغ ما في صدورنا إلى يوم القيامة بين يدي رب العالمين وإنما خاطب الله
بما خاطب من هذه اللطائف في سبيله العقول فهم لا الأبدان فإذا ذهبت العقول ضاعت المخاطبة فإذا
ردوا العقول إلى الله فتشبهن إليه أدركهم مخاطبته فلذوا بلطائفه عنده بالحياة ولهذا حديث رسول الله صلى
الله عليه من قوله إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه قلته أو لم أقله فصدقوا به فإني أقول ما يعرف
ولا ينكر وإذا حدثتم عني بحديث تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوه فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف ٥ فمن تكلم بعد
الرسول بشيء من الحق وعلى سبيل الهدى كان الرسول سابقاً إلى ذلك القول وإن لم يكن تكلم بذلك اللفظ الذي أتى به
بعده فقد أتى الرسول بأصله فمن أجل ذلك قال فصدقوا به قلته أو لم أقله أي لم أقله بذلك اللفظ الذي حدث
به عني فقد قلته إذ جئت بالأصل فالأصل يؤدي إلى الفرع فجاء الرسول بالأصل ثم تكلم أصحابه والتابعون من
بعده بالفروع فإذا كان الكلام معروفاً عند المحققين غير منكر فهو قول الرسول عليه السلم قاله أو لم يقله
بحيث علمنا بصدقه لأن الأصل قد قاله الرسول وأعطاناه وإنما قال ذلك لأصحابه الذين قد عرفهم بالحق
فإنما يعرف الحق المحقون منهم أولو الألباب والبصائر فأما المخلط المكب على شهوات الدنيا المحجوب
عقله عن الله فليس هو المعني بهذا لأن صدره مظلم فكيف يعرف الحق وإنما شرط رسول الله صلى الله
عليه فقال إذا جاءكم عني حديث تعرفونه ولا تنكرونه وإنما ينكر ويعرف العقول التي لها إلى الله سبيل تتصل
إلى الله فنور الله سراجه والعقل بصيرته والحق جنبيته والسكينة طابعه فيرجع إلى خلقه والحق
عنده أبلج يضيء في قلبه كضوء السراج يقيناً وعلانية كما قال الربيع بن خثيم رحمه الله أبوه رحمه الله قال
نا أبو نعيم عن سفيان عن أبيه عن ربيع بن خثيم رحمه الله قال إن على الحق نوراً وضوءاً كضوء النهار تعرفه و
على الباطل ظلمة كظلمة الليل تنكره ٥ فالمحققون هكذا صفتهم يعرفون الحق والباطل هكذا كما وصفه
الربيع رحمه الله وكذلك وعد الله المتقين فقال يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً فجعل لأهل
التقوى مخرجاً من الشبهات والظلمات وأما محض التقوى فالمخرج أن يجعل له نوراً في قلبه يعرف
بين الحق والباطل حتى يكون له مخرجاً من ظلمة الجهل وشبهات الدنيا فإن الجهل ظلمة والدنيا تتراءى على الآدمي
شهوتها التي في جوفه فتشتبه عليه حتى تخدعه فيتبع هواه من هذه الأشياء يجعل له فرقاناً وهو النور
يفرق بين الحق والباطل هذا ثواب المتقي في عاجل دنياه وثوابه في الآخرة فوقه وكرامته ورفعة
درجته ٥ قال له قائل فإن كان النظر في معرفة الحق من الباطل إلى القلب فما الحاجة بنا إلى هذه الآثار
وقال بنا إليها من الحاجة ما لا نستغني عنها وقد سألت عن مسألة لها غور فيفهم فإني أريد أن أستقصي
جوابها لك على الاختصار والإيجاز أن الله تعالى أكرم هذا المؤمن بمعرفته فآمن به واطمأن إليه فوقر
عقله فأنار قلبه وأشرق صدره فالحق نور وعلى القلب المؤمن نور يتقد من قلبه على فكره في صدره
فإذا عرض أمر هو لله حق فوقع ذكره في الصدر على القلب فالتقى نوره ونور القلب امتزجا و

وائتلفا فاطمأن القلب بما فيه وسكن وقد علمت أنه الحق وإذا عرض باطل فوقع ذكره في الصدر على القلب والباطل
ظلمة التقت الظلمة ونور القلب فنفر النور ولم يمتزج معه فاضطرب القلب لولوج الباطل فهذا أمر واضح
قد أنجزه الله حجة على عباده أن جعل على الحق نوراً وفي القلب فلا يحتاج إلى استشهاد أهل النظام فهذا
علم وافر لا يغيب عنه طرفة عين يكون معه حيث ما كان فهو قول رسول الله صلى الله عليه ٥ بذلك حدثنا
بن واصل الأسدي قال نا يوسف بن يعقوب الصفار عن حماد عن محمد عبد الله الأسدي عن وابصة بن معبد قال قال
لي رسول الله صلى الله عليه حيث سأل عن البر والإثم واستفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفس والقلب والإثم
ما حاك في النفس فتردد في الصدر وإن أفتاك الناس ٥ قال فإنما ذكر اطمأنت النفس مع القلب ليعلم أن هذه
نفوس قد ماتت منها الشهوات فعادت القلب في التصور في العبودة ولو كانت نفس شهواته بحالها لم يستحق
أن ينظر ما يحيك فيها وإلى ما تطمئن فالنفوس البطالة تطمئن إلى الجهل ويحيك فيها الحق والخير وتستقر فيها الشر
والباطل ولكن لما ذكر النفس قال البر ما اطمأن القلب والنفس فقال البر ما اطمأن القلب والنفس علمنا أنه إنما
عنى هذه النفوس التي راضها أهلها وأدبوها حتى حادت القلوب في سعتها وصدقها ٥ حدثنا صالح بن محمد قال نا داود
بن سليمان عن عباد عن عطاء عن أبيه قال إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أفتنا بأشياء إن استلبنا بالبقاع بعدك قال
تفتيك نفسك قال وكيف تفتيني نفسي قال ضع يدك على صدرك فإنه يسكن للحلال ويضطرب للحرام دع ما يريبك إلى ما لا يريبك
وإن أفتاك المفتون إن المؤمن يذر الصغير مخافة أن يقع في الكبير ٥ سفيان بن وكيع قال نا ابن إدريس عن شعبة عن بريد بن
أبي مريم عن أبي الجوزاء عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال سمعت جدي صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك إلى ما لا
يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة والحلال بين والحرام بين وقد بين الله في تنزيله فما أحل وحرم فهو الحق
وعليه نور وما بين الحلال والحرام شبهات فكل الذي يسكن عليه القلب ويضطرب فما يسكن عليه القلب
فهو لاحق بالحلال وما نفر عنه القلب فهو لاحق بالحرام هذا عند المحققين الذين وصفناهم بطهارة القلب في
نور اليقين في صدورهم فكلما دخل شيء في صدورهم مما أحله التنزيل سكن عليه القلب والنفس وما حرمه التنزيل
نفر عنه القلب واضطربت النفس وما اشتبه على العامة وعلماء الظاهر أمره فعلى قلوبهم بيان ذلك أنه مما
يلحق بالحلال أم يلحق بالحرام فإن سكن القلب عليه ألحقه بالحلال وإن اضطرب قلبه ونفر منه ألحقه بالحرام هذا
هذا لأهل اليقين وطهارة القلوب لأنه لا يخلو الشبهة من أن يكون حراماً أو حلالاً وإنما اشتبه عند علماء الظاهر
لأنهم لم يجدوا فيه تنزيلاً ولا أثراً منصوصاً عن الرسول صلى الله عليه فتشبه عندهم أمره بالحلال أو بالحرام
وقد أفسدوا الشاهد الذي في قلوبهم والحجة التي اتخذ الله عندهم كما أفسدوا عقولهم قد نسوها وأفسدوا
إيمانهم فاستعملوها وأفسدوا جوارحهم الظاهرة فلطخوها وأفسدوا نظرهم إلى الله فسدوها وإنما
صير رسول الله صلى الله عليه هذه الكلمة علامة القلوب قد ملكت النفوس وخلصت من دنسها وشهوتها
الصدور لا القلوب قد ملكها نفوسها وسجنت شهواتها صدورها وقال الله تعالى ولو أنهم فعلوا
ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً ٥ فوعد
الهداية على فعل ما يوعظون به والأجر العظيم في الآخرة والسابق في الدنيا فهذه مثله وقوله إن تتقوا الله يجعل
لكم فرقاناً بمعنى واحد لأن تقوى القلب هو الفعل بما يوعظ به فقال هاهنا يجعل لكم فرقاناً وقال هناك
ولهديناهم صراطاً مستقيماً والهداية في القلب والفرقان في القلب وهو نور يجعله الله في قلبه فيشرق به صدره
وينجلي عن صدره ظلمة الهواء والشهوات ورين الذنوب فإذا ورد عليه أمر ملتبس عرفه لأنهما قد التقيا
فائتلفا وإذا ورد عليه باطل عرفه لأن القلب قد نفر منه عند اللقاء فعند علم في الأشياء أن هذا لأهل التقوى
والفاعلين بما يوعظ وإنما احتاجت العامة بعد ذلك إلى الشرح والبيان وإلى تمييز الأمور وتلخيصها

العلم الظاهر لما دخل عليهم من آفة النفس وتخليطها وقد تراكمت على صدورهم سحائب تترى من حب الدنيا وحب العلو وحب الثنا
وحب الرياسة وحب الشهوات وفتن الدنيا ورين الذنوب فإذا عرض في الصدور ذكر شيء من حق وعلى الحق نور خالطه الظلمة
من نور العقل ونور الحق الذي ورد على القلب فلم يميزها ولم يعرف القلب ذلك الحق فصاحبه في حيرة منه وإذا
عرض أمر لهو باطل وعلى الباطل ظلمة امتزج الباطل بظلمة الشهوات ورين الذنوب فلم يعلم القلب بشيء من ذلك لأن
نور العقل قد انكمش في القلب ولم يشرق في الصدور فهو بأقربهما في الصدر من العجائب فما ذكر يحتشد حول الباطل حتى
يفر منه فليس لأهل التخليط من هذه العلامة شيء فإنه قال دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وصدره ممتلئ ريبا فكيف
يتبين قد الريب الوارد وأي ريب أكبر من الإصرار على الذنب وأردف ذلك الذنب فإن الإصرار على دقيق الذنوب
من الكبائر وقلبه قد حوى الغل والغش والحقد والحرص على الدنيا والدخول في شبه الأمور مع جوارح منتشرة
من عين لحاظ ولسان هذاء وسمع صغواء فكيف يتبين له ما يريبه مما لا يريبه وقد قال الرسول عليه السلام في
حديثه قال للصدق طمأنينة وللكذب ريبة فكل هذا الكذب يجتمع في قلب فكيف يكون له هذه العلامة قال
له قائل أرأيت أن تختص لنا حديث شر مما أتت به الروايات حدثنا يعرفه المحقون بسرائرهم ولا ينكرونه وحدثنا
ينكرونه لنعرف بها الوجهين جميعا ومن قبل ذلك فأخبرنا عن معنى قولك المحقون ومن هؤلاء فإنك تردده في
كلامك كثيرا قال إن الحق الأعظم الذي منه انشعبت الحقوق لا يسكن إلا في قلب طاهر وكذلك الحكمة
لا تستوطن إلا في قلب طاهر وكذلك اليقين لا يستقر إلا في قلب طاهر فمن لم يطهر قلبه فهذه الأشياء نافرة
عنه لا تجد مأمنا فإذا وجدت قلبا قد تطهر من أدناس الذنوب وصين ودرن العيوب فقد
وجدت مأمنا فإن تبعث فيه فوجدت صاحبه حكيما ووجدته موقنا ووجدته محقا فالحكمة
ينبوع قلبه ومنائر نفسه واليقين مطالعه في الملكوت والحق مستعمله ومن لم يطهر قلبه
فالحق نافر عنه فهو يتبع الحق ليعمل به والحق هارب فلذلك يشتد عليه القيام بالحق ويثقل عليه حتى
يعجز عنه والمحق يحركه فهو كالسهم وكالماء والدهن باللين لينا وكالريح سرعة ومضيا ومن لم يطهر
قلبه فالحكمة معرضة عنه تستتر عنه جهدها وتخفي زينتها كالعروس في أجمل صورة وأحسن زينة
فهي لا تأمن أهل الريبة فتستتر عنهم زينتها حذرها بجهدها وإذا اطلع عليها المتقي أمنته فلم
تستتر ومن لم يطهر قلبه فعقله محجوب عن الله وقلبه بعيد من الله فكيف ينال اليقين ه فأما حديث
يعرفه المحقون وتقبله قلوبهم حدثنا أبو هيثم هرون البلخي قال حدثنا أبو عمرو زكريا بن حازم الشيباني
الشوذاري قال سمعت قتادة عن أنس بن مالك قال خرج رسول الله صلى الله عليه على ناقته الجدعاء فقال
أيها الناس كأن الموت على غيرنا كتب وكأن الحق على غيرنا وجب وكأنما نشايع الموتى عن قليل إلينا
راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون من بعدهم فطوبى لمن شغله عيبه عن عيب
غيره طوبى لمن ذل نفسه من غير منقصة وتواضع لله من غير مسكنة وأنفق مالا جمعه من غير معصية
ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل نفسه وطاب كسبه وصلحت
سريرته وحسنت خلقه وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق
الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ه قال حدثنا علي بن حجر السعدي قال حدثنا إسمعيل بن عياش عن
عيسى بن يونس قال حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن ابن عباس قال كنت ردف رسول الله صلى الله عليه
فقال يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن قلت بلى يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك

احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فسل الله وإذا استعنت فاستعن بالله
فقد جف القلم بما هو كائن فلو جهد الخلق على أن ينفعوك بكلمة لم يكتبه الله لم يقدروا عليه ولو جهد الخلق
على أن يضروك بكلمة لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا واليقين فافعل
فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن
مع العسر يسرا ه حدثنا عبد الوهاب بن فليح المكي قال حدثنا عبد الله بن ميمون القداح قال حدثنا شهاب بن خراش
عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله عليه السلام بمثله ه وعبد الله بن ميمون عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي عن
رسول الله عليه السلام بمثله ه محمد بن أسلم قال حدثنا مطرف بن عبد الله الأسلمي عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الملكي عن المثنى
بن الصباح عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله عليه السلام بمثله ه وأما الحديث الذي ينكره المحقون فمثل
حديث رووه عن الحسن البصري عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه أن سليمن بن داود عليه السلام مر
في موكبه برجل يقال له مر عبدي وهو قائم يصلي فوقف عليه حتى فرغ فلم يرفع به رأسا فلما رأى ذلك
منه نوى الله وكلمه فقال له مر عبدي ألست بن داود الخاطئ جعلت الأسافل أعاليها وجعلت
الآخرة تحت قدميك فصرت محجوبا عن الدارين حقا أقول والله لو أن الله تبارك اسمه كشف الغطا
عنك حتى تنظر إلى الله بمعرفته وترغب إلى الله بالرهبة وتنشأ والدنيا لحب لكنت زاهدا فيما عندك ولكن
استروحت إلى الدنيا وعرفت حلوها من حامضها ولينها من خشنها وحارها من باردها فلها تغضب
ولها ترضى وإليها تستروح وإياها تستمر ه قال سليمن يا مر عبدي كيف لي إن أنا سألت ربي حتى يعيض
عني جميع ما سخر لي قال مر عبدي هيهات هيهات الدنيا أعظم في صدرك وأنت إليها أشد ركونا
من أن تسأل ربك ذلك ه يا بن داود لا يغرنك هذا البيت الذي مثل لك والسرير الذي أنت عليه وما سخر لك
من الشياطين وأنت تقرأ فيما أنزل الله على داود أنه ليس أحد أعطي نهمة من شهوات الدنيا إلا انتقص في
ميزانه يا بن داود ما لك والدنيا قد غرت من كان قبلك ما لك والجمال والشهوات ونظر الناس إليك و
قد عرفت أنه ليس أحد أحب إلى الله من مؤمن خفي الآل أولياء الله يخفون على أهل الأرض ويعرفون
في السما ولا يفتقدون إذا غابوا ولا يعرفون إذا شهدوا وأنهم يا بن داود فإنك نبي يعظك الناس وأنت
مسموع منك يغرك ما أنت فيه فهو منك أن يموت وتذوق مرارة الموت ه وقال يا مر عبدي ما بال
الناس ينظرون إلي وأنت لا تنظر إلي ويسمعون ما سخر الله لي وأنت لا تتمنى قال يا بن داود وأنت صبي تتكلم على قدر
صباك ما أرى في يديك من الفضل والرغبة في الدين فارغب فيه يا بن داود دع عنك الكبر والفخر يا بن
داود منذ كم أنت في هذا الملك قال منذ خمسة عشر سنة قال يا بن داود هل تجد فيما مضى من ملكك شيئا إلا ما
أنت فيه اليوم قال سليمن اللهم لا قال مر عبدي وكذلك أنا أضرب بهذه المسحاة منذ تسع وعشرين سنة لا أجد عنا
تسعة وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وتسعة وعشرين يوما إلا عنائي يومي هذا فما فضلك علي يا بن
ما سمعت به أمس هذا في كلام له طويل فأسقطت منه هذه الأحرف فذكرته ها هنا ه فهذا الحديث
عامته كذب لا تقبله قلوب المحقين وقد جعل الله الرسل أحباءه وأصفياءه ونجباءه وحجته على خلقه
ووضع مراتبهم فمن قال لرسول من الرسل مثل هذا الذي روي في الحديث فقد عابه ومن عابه فقد كفر بالله
وقد جعل الله إيماننا به منوطا به إيماننا بالرسل لا يقبل عنا حتى نؤمن بالرسل كما آمنا به وكيف يجوز أن

بعال المرسل الله جعلت الاخره تحت قدميك والدنيا فوق راسك فقال هذا الرسول من رسل الله واذا على الله والله يقول في تنزيله ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين فسليمن من اهل هذه الايه وسماه محسنا وهذه بحكم انه قال جعلت الاخره تحت قدميك فصرت محجوبا عن الدارين وقال في ايه اخرى ووهبنا لداود سليمن نعم العبد انه اواب فكيف يكون ضعيفا من اثنى الله عليه في تنزيله بما اثنا كما وصفه في هذا الحديث ثم قال النبي محمد عليه السلام اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده فهذا الذى يروى مثل هذا الحديث كان عندنا احسبه من هولا الجهال الذين يتزهدون في الدنيا باو شبعه يريدون ان يأكلوا هذا الطعام بسمه الزهد لم يعرفوا ما الزهاده ولا معناها ولا تفسيرها حسبوا ان الزهاده شتم الدنيا واكل النخاله و لبس الصوف وذم الاغنيا ومدحه الفقرا واشاروا اللحلوا الى الترك وقلوبهم متشحونه بالشهوات معولون على الدنيا عشقا وعلى حب الرياسه موتا وان يقال هذا ابو فلان نعم الرجل هذا زاهد في الدنيا لا ياكل الا مضطرا ولا يقبل من احد شيا ومن يستروح الى هذا القول ويقوه هذا الروح يقاسي عمره شدة فغنى الله تعالى من هذا فعله في تلك الفرصه من مراى ما او خشه دعاه فعليه ذلك الى ان خرج الى انبيا الله ورسله صلوات الله عليهم فكل من وجده منهم قد قلده الله من خزاين الدنيا حفظا ورعاية جرحه وطعن فيه وطلب ذلك منه وعيبه حتى مرق من الدين ومن جهله يزعم انه قال من عبدك لسليمن ليس بقضى نعمه من الدنيا الا ينقص من ميزانك والله تبارك اسمه يقول هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب ثم قال وان له عندنا لزلفى وحسن ماب فمن يستروح الى الدنيا وليها يغضب وليها يرضى يكون هذا ثناء رب العالمين عليه عنده بالزلفى وحسن ماب ونعم العبد فواضع هذا الحديث احسبه كان زنديقا معاديا للرسل وجاهلا من جهله الصوفيين المتشاكله ومن صفه سليمن عليه السلام ان الله تعالى امتحن قلبه للمرتبه العليه وملكه الدنيا وسخر له الشياطين والرياح وعلمه منطق الطير وكان من جلال الله وعظمته على قلبه ما لو جمعت خشية العالمين في ذلك الوقت لدقت في جنب خشيته وتواضعه وكانت الدنيا لا تزن عنده جناح بعوضه وقد اثنا الله تعالى عليه في تنزيله فقال ولقد اتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المومنين وقال ووهبنا لداود سليمن نعم العبد انه اواب وقال كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن ثم قال وكذلك نجزى المحسنين وقال وان له عندنا لزلفى وحسن ماب وقال ففهمناها سليمن وكلا اتينا حكما و علما فمن كان له في التنزيل مثل هذا فامر به ثم يروى مثل هذا الحديث الغير بدل بروايته على انه من احد هذين الصنفين او شيطان تمثل على صوره ادمى تغوى به الناس ومن الحديث الذى ينكره المحفول ما جابه ابن مروان عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان قوم موسى صلوات الله عليه سالوا موسى ان يسل ربه ان يسمعهم كلامه فسمعوا صوتا كصوت الشبور انى انا الله لا اله الا انا الحى القيوم اخرجتكم من مصر بيد رفيعه وذراع شديده فهذا حديث من عرف فهمه عن هذا ما هو حتى برواه و انما الكلام سى خص به موسى صلوات الله عليه من بين جميع ولد ادم فان كان علم قومه احصاحتى اسمعهم كلامه فما فضل موسى عليهم ولقد قصر عندهم خطر كلام الله تبارك وتعالى حتى سمعت بروايه مثل هذه ٣ احاديث

اتى رسول الله [illegible]

وجوزان العبد يكون ذا صوره وجثه فاذا دفع باصبع دفع وان ضرب بقصبه او بمروحه هلك وقع لا يساوى شيا فانه ضعيف وان كان في صورته دهامه وفي خلقه [illegible] وكان قويا متكبرا لجباح في امساكه رجلين فكلما ازداد من هذا ازداد ذكرا حتى ان الرجل ليكون صريعا قد ذهب ذكره ويكون راهبا عن قوس مصبع شديد [illegible] ذكره والذى يضعف فوعه عن هذا اتضع ذكره وان كان عبدا انضع فمنه فوجدنا عماد الاخره كذلك انما عبد تبين ظاهر الحالامن الصوم والصلوه والجهاد والصدقه فاذا نظر الله فيكاملا من العبيد فاذا جاء حميه كلمه غضب وصاد شيطانا وصار ابعد من كيشه من الثريا وان تراه لا له طمع درهم او صعير فد درهم وجدته كالمنسلخ من دينه فهذا الذى العبد الذى يتزين بصورته وجثته فاذا دفع باصبع وقع والذى لا تستفزه طمع ولا غضب ولا رهبة ولا حب الدنيا فهو كالصريع الشديد الذى يعلوا اصحابه صراعه وشده ومن اضعف ممن استفزه شيطان بريح الشهوه فهو في نفخه ونفثه وهمزه يطير به كريشه بفلاه من الارض فانظر كم بين العبدين في تفاوت القيم في دار الدنيا فكذلك تفاوت الرجلين في الاخره وما يخفون مما قلنا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه انه مر بقوم وهم يعالجون حجرا فقال ما هذا قالوا حجر الاشداء فقال الا ادلكم على من هو اشد منه رجل غلبت اربعه العسر عند الصراع فصرعهم فقالوا من هم يا رسول الله قال رجل اشتد عليه فحلم فغلبت نفسه وشيطانه ونفس صاحبه وشيطانه او كما قال ٥٥ قال ابو عبد الله وغاية التواضع ان يترك الاختيار في كل وقت وامر وحال ووجدنا في اخباره المرويه عنه صلى الله عليه انه كان كان عن الاختيار لنفسه مطرق بين يديه مسلما ورسولنا صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل صلوات الله عليه فقال ان ربك يخيرك بين ان تعيش في الدنيا ما شئت وبين لقاء ربك فقال حتى يختار لى ربي فرجع جبريل الى ربه وقال الملك الموت لا تبرح حتى يرجع فرجع فقال ان ربك اختار لك لقاه فجعل يقول اللقاء اللقاء حتى خرجت نفسه فهذا غاية التفويض لم يختر الحيوه مع النبوه والعصمه والكرامه واخباره له ربه وقد علم ما في لقائه لم يهيجه لذه العبوده ولا لذه اللقاء حتى اطهر من هذا ان تعبر اكرم من هذا واخلص لا يسار صلى الله عليه فلما اذا كان عباد البائس حسن وشاه هو ... قال ووجدنا شان القلب انه ملك والجوارح جنوده واعوانه فاذا صلح كان مثله كملك الملك اذا كان لعيسى بعوان [illegible] واعوانه بعول حسنه واعوانه وجنده الفقراء والضعفاء فاذا نظر العاقل الى الملك في عنايه وزينته وبهائه وقوته لم يستعظم ما يرى من اعوانه بعول شباب الملك القوى عنى من ما شافوا رجاله ورسلهم وكتابهم وجملهم في يوم واحد واذا كان القلب فاسدا فهو كملك بصير ضعيف عاطل ليس من الهيئة ليس عنده من الاموال شيء واعوانه في زي وشاره حسنه وكلهم فرسان وهو راجل فاذا نظر العاقل الى ذلك سهم بعول ان هذا الملك ضعيف فقد ذهبوا جميع ذاذ البدو لا يعرفون كسوه هذا الجند وهيئهم ومراكبهم قال الوالي والده لهم تنفذ ويدهم وليس للملك من الماده ما يعطيهم حلعه بلكم

١٩٠

كلهم فكذلك القلب اذا فسد فلا يغرنك صلاته وصومه وصدقته وعمل جوارحه فلو ان جميع جوارحه تزين بجميع الطاعات لم حلعه ... الطاعات على الجوارح وامد اد المده في ذلك نقيون الجوارح عن الطاعات ولم تكن في تلك من الغني ما يمد الجوارح بعيب الجوارح معطله والقلب فقير فاذا اغترر هذا الظاهر على الجوارح وان كان القلب عنيا والجوارح معطله فهو اذ اوى حركه من القلب يوسع الجوارح حيرا ونيرا ٥

[illegible]

الاصل التاسع عشر بن صالح محمد بن معلى حدثنا عمر بن ابي الليلي عن السعدي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل العبادة الفقه وافضل الدين الورع حدثنا عمر بن ابي عمر بن الحسين عن علي بن يوسف عن خالد السمتي بن مسلم عن عتبة
عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين حدثنا عيسى بن احمد
العسقلاني حدثنا يزيد بن هرون ابن يزيد بن عياض عن صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار عن ابي هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين ولفقيه اشد على الشيطان من الف عابد ولكل
شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه والفقه هو الفهم وانكشاف الغطاء عن الامور فاذا عبد الله بما امر
ونهى بعد ان فهمه وعقله وانكشف له الغطاء عن تدبيره فيما امر ونهى فهي العبادة الخالصة المحضة وذلك
ان الذي يؤمر بالشيء فلا يرى زين ذلك الامر وينهى عن الشيء فلا يرى شينه فهو في عمى من امره فاذا رأى
زين ما امر وشين ما نهي عنه عمل على بصيرة وكان افواده ونفسه بها اسخى وحمد على ذلك الفضل وشكر
والذي يعمى عن ذلك فهو جامد القلب كسلان الجوارح ثقيل النفس بطيء التصرف والفقه مشتق
من تفقأ الشيء يقال في اللغة فقأ السن اذا انفتح وفقأ الجرح اذا انفرج عما اندغل والاسم منه
فقء والهاء والهمزة تتبدلان يجزي احدهما عن الاخر فقيل فقئ وفقه والفهم هو العارض الذي
يعرض في القلب من النور فاذا عرض انفتح بصر القلب فرأى صورة ذلك الشيء في صدره حسنا كان
او سيئا فالانفتاح هو الفقه والعارض هو الفهم وقد ذكر الله عز وجل في تنزيله الفقه فقال لهم
قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون فاعلم ان الفقه من فعل القلب وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم للاعرابي حين قرأ عليه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فولى وقال حسبي حسبي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل اي فهم الامر وقول ابي الدرداء انك لن تفقه حتى ترى
للقرآن وجوها كثيرة وان الله عز وجل كلف العباد لما اعطاهم من العلم ان يعرفوه ثم افتضم
بعد المعرفة ان يخضعوا له ويدينوا فشرع لهم شريعة الحلال والحرام ليدينوا له بمباشرتهم الحلال
واجتنابهم الحرام ويؤدوا الله قوانين فذلك الدين وهو الخضوع له والدين مشتق من ذلك
وكل شيء اتضع فهو دون فاذا امرت بامور لتتضع فتمسكت بها اعترفت له ربا فسمى ذلك الفعل
وتلك الامور منه دينا فشرع الله عز وجل لهم الدين فعملوه طائعين اي مفطرين انفسهم له بذلك
وعبدوه فمن فقه اسباب هذه الامور التي امروا بها لماذا امروا واي شيء بهاه يعاظم ذلك
عنده وكبر في صدره شانه فكان اشد تسارعا فيما امر واشد هربا وامتناعا مما نهي فالفقه
في الدين جند عظيم يؤيد الله تعالى به اهل اليقين الذين عاينوا محاسن الامور ومشاينها واقدار
الاشياء وحسن تدبير الله عز وجل في ذلك لهم ومقادير قسمهم ليعبدوه على يسر ومن حرم ذلك
عبده على مكابدة وعسر لان القلب وان اطاع وانقاد لامر الله عز وجل فالنفس انما تخف و
تنقاد اذا رأت نفع شيء او ضرر شيء والنفس جندها الشهوات ويحتاج صاحبها الى
اضدادها من الجنود حتى يقهرها وهي الفقه فالله تعالى صف لنا واحدة من هذه الامور
نعتبر بها غيرها فالنعم احل الله عز وجل النكاح وحرم الزنا وانما هو اتيان واحد لامرأة

واحدة الا ان هذا نكاح وذاك زنا فاذا كان نكاح فمن شانه العفة والتحصين للفرج فاذا جاءت بولد
ثبت النسب وجاء العطف من الوالد بالنفقة والتربية والميراث فاذا كان من زنا ضاع الولد
لانه لا يدري احد من الواطئين لمن هذا الولد فهذا يحيله على ذلك وذاك يحيله على وحرم الله عز وجل
الدماء وامر بالقصاص ليتحاجزوا وليحيوا وكذلك قال في تنزيله ولكم في القصاص حيوة الآية و
حرم الاموال وامر بقطع اليد للسارق لئلا يتناولوا ما ملكت ايديهم وكذلك قال في تنزيله فاقطعوا
ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والنكال الامتناع فامر بقطع يده ليمتنع من ذلك فان عاد فرجل
فعلل ما امر ونهى تبيينة لاولي الابصار والعقول ولمن رزق لبا حدثنا المهدي بن علي السمناني بن احمد بن صالح المصري بن ابي
وهب اخبرني عمرو بن الحارث عن عباد بن سالم عن سالم بن عبد الله عن ابيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه اذا اراد الله بعبد خيرا يفقهه حدثنا محمد بن زنبور المكي بن
اسمعيل بن جعفر المدني بن عبد الله بن سعيد بن ابي هند عن ابيه عن ابن عباس عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا هرون
بن مسلم بن عبيد الله بن الاخنس عن الوليد بن عبد الله بن ابي مغيث مولى بني عبد الدار عن يوسف
بن ماهك قال كان معاوية رضي الله عنه قليل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلما
قام خطيبا الا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في
الدين يا ايها الناس تفقهوا الاصل الخامس والعشرون حدثنا ابي حدثنا الفضل بن محمد المصفا
عن بقية بن شعبة عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن شريح عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه قال يا عائشة ان الذين
فارقوا دينهم وكانوا شيعا من هم قلت الله ورسوله اعلم قال هم اصحاب الاهواء واصحاب البدع واصحاب
الضلالة من هذه الامة يا عائشة ان لكل ذنب توبة ما خلا اصحاب الاهواء والبدع ليس لهم توبة انا منهم
بريء وهم مني براء حدثنا هرون بن حاتم الكوفي بن علي بن حمزة الكسائي عن عباد بن كثير عن ليث عن طاووس عن ابي
هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ان الذين فارقوا دينهم قال ابو عبد الله فهم اهل الاهواء
قوم استعملوا اهواءهم والاهواء متاهة عن الله ذو آله محيث ما مالت اتبعوها قلوبهم وانما صار هلاك
لانه لم يكن في قلوبهم من النور ما يقيدها عن اتباعها فان على الحق يؤدوا او على الايمان ونفاذ الايمان بمشيئة
هيوب فاذا خلا القلب عن ذلك كان ايمانه ذا سقم والسقيم ضعيف فمازت به الهوى فان الله تعالى جاء
الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وهي الحرقة وهي الشهوة التي في قلوبهم تلذذا بها
وابتغاء تاويله فكانت تلك شهوة صادفت في قلوبهم فمالت فسميت زيغا لانها زاغت بقلبها عن الله
فاهل الاهواء كلها استعملوا اشياء ركبوه واتخذوه دينا حتى ضربوا القرآن بعضه ببعض وحرفوه
ومنهم من يرفض حتى جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونسب الرسالة الى علي ومنهم من اتخذه ربا
وخر عليه فقال انت ربي فقام علي فوطئه بقدمه حتى قتله واحرقه بالنار فاما اهل البدع
مثل الخوارج واهل حروراء ابتدعوا من تلقاء انفسهم بدعا فمالت بهم تلك البدع حتى ادتهم الى الخروج
على علي والى حربه وقوم تزهدوا بغير علم فادتهم الجهل الى ان ابتدعوا من تلقاء انفسهم بدعا وحسبوا

ان الزهد في الدنيا بتجنب الاشيا فعلا او العزلة من اهل الدنيا فضيعوا الحقوق وقطعوا الارحام وجفوا الخلق
والفقهوا الى وجوه الاغنيا وفي قلوبهم شهوة الغنا امثال الجبال ولم يعلموا ان صلب الزهد انما هو
بالقلب فان اصل الزهد موت الشهوات من القلب فلما اعتزلوها بالجوارح اكتفوا به وحسبوا انهم
استكملوا الزهد حتى نادى بهم الجهل الى ان طعنوا في الايمة الذين عرفوا استغنتهم المعاش وغنا المال
حتى عابوا الانبيا ونسبوا المسلمين صلى الله عليه الى الرغبة وصاروا اعبدا ذكره كالمعرض عنه الطاعنين عليه
فعابوا وتعل عليهم ذكر مثل ثم ايمانهم الا بالايمان به فان المومنين يدخل في عقد ايمانهم الايمان بالرسل فهم حجة
الله على خلقه ٥ وقوم زعموا انهم توكلوا على ربهم وان الطلب شك والرزق ياتي في وقته فقعدوا ورفضوا
للطلب والمكسب فضيعوا الاهلين والاولاد في خلال ذلك يسلسون في ابواب المطامع ويخادعون
الله في معاملته ٥ وقوم اتخذوا هذا العلم الذي هو حجة الله على عباده حرفة وصيروها ماكلة
فاكدوا بها رياستهم واحتطوا به من العلوج وتمكنوا به في صدور المجالس وصحبوا بها الملوك حيلا
لما في ايديهم من الحطام فلبثوا لهم في العلوا طمعا لما في ايديهم وداهنوهم لما يرجون من نوالهم وساعدوهم على
بغيهم وجورهم ٥ وقوم مفتونون ينسبوا الى الدين فالتقطوا الرخص وزلات العلماء فاتخذوها
دينا وتذرعوا بذلك الى شهواتهم الغاوية لهم وزينوا ذلك للخلق بذلك يستروا على احوالهم السيئة من
تعاطي الاشربة الرديه والمكسبة الرديه واشباه ذلك ٥ واما اهل الضلالة والمشبهة والقدرية
والجبرية والجهمية واشباههم طلبوا امر الله من قبل علم السنة لا من قبله فضلوا عنه فاقضا
الله العباد الاسلام دينا والاسلام تسليم النفوس والدين الخضوع لله فمسلم النفس الله تعالى في
اللغة دان لي اي خضع له والدون مشتق منه سمي دونا لانه تضاع فقال في تنزيله ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين فجعل الدين في تسليم النفس فدا انهم ان سلموا انفسهم
الله قبولا لامره وطاعته فانه لما كانا يعرف بين الحق والباطل وامرنا بالاعتصام به واشار الى دار السلام
ان هذا مصيركم والهادي الى دعوكم فقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وهو عهده الذي ابرزه وقال
والله يدعوا الى دار على الطريق المستقيم البين عن غير تعويج ولا ملويه ودين في هذا الطريق فرائض
معلومه وسننا واخذ ربنا ليوم العرض عليه فالزايغون مالت قلوبهم فابتدعوا وضلوا عن
الله بتركوا الخضوع لله وتسليم النفس الله ففارقوا دينا فصاروا اشيعا واحزابا وكل حزب بما
لديهم فرحون عن حاملها لا تعاله ولا قوام دين لهم سوء اعمالهم سد عليهم باب القدر فاشتدوا
وتعمقوا في عليه حتى هلكوا وادّاهم ذلك الى ان برؤوا الله من قدرته وشاركوه في مشيئته واحكامه وافتوا
وسد عليهم باب دركه الكيفية فاشتدوا وطلبوا الكنه والكيفية حتى عدلوه بخلقه سبحانه وتعلى
وسد عليهم باب العمق فما زالوا يتعمقون حتى تاهوا في الانجاد عنه فضلوا عنه ما لم ينف
عن نفسه حتى جعلوه اصم ابكم اعمى حتى الجاهم الامر الى ان قالوا ليس بشي ٥ وجا عن رسول
الله صلى الله عليه انه قال افترقت بنوا اسرائيل اليهود منهم على احدى وسبعين فرقة كلها في النار

الا واحده وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحده وستفترق هذه الامة
على ثلث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحده قيل يا رسول الله من هذه الواحده قال السواد
الاعظم ٥ ثنا بذلك العصار محمد بن كثير عن عبد الله المذحجي الحمصي ثنا محمد بن حمير حدثني مسلمة بن علي عن عمر
بن ذر عن ابي قلابة الجرمي عن ابي مسلم الخولاني عن ابي عبيدة بن الجراح عن عمر بن الخطاب قال اتاني رسول
الله صلى الله عليه وانا اعرف الحزن في وجهه فاخذ بلحيته فقال انا لله وانا اليه راجعون واتاني جبريل انفا
فقال انا لله وانا اليه راجعون فقلت اجل فانا لله وانا اليه راجعون فمم ذاك يا جبريل قال ان امتك
مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير فقلت فتنة كفر او فتنة ضلالة قال كل ذلك سيكون فقلت ومن اين
ذلك وانا تارك فيهم كتاب الله قال بكتاب الله يضلون واول ذلك من قبل قرائهم وامرائهم يمنع الامراء
الناس حقوقهم فلا يعطونها فيقتتلوا ويتبع القراء اهوا الامرا يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قلت يا جبريل
فبم يسلم من يسلم منهم قال بالكف والصبر اذا اعطوا الذي لهم اخذوه وان منعوه تركوه ٥ ثنا عمر بن
ابي عمر ثنا سليمان خليفة عن يوسف بن خالد السمتي عن سالم بن بشير ثنا محمد سمع جندب المزني يحدث
انه سمع اعلى مولى رسول الله صلى الله عليه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اخوف ما اخاف على امتي
بعدي ضلالة الاهواء واتباع الشهوات في البطون والفروج والعجب ٥ فهذا حديث شريح عن عائشة فقال
انهم بلوا اصناف العجب وهو البدعة واتباع الشهوات وهي الاهواء والضلالة فلما صاروا اهواء
فرقا لانهم فارقوا دينهم فمفارقة الدين تشتت اهوائهم وافترقوا الاهوى الى ما قال جبريل ان الدين فارقوا
دينهم قال وكانوا شيعا فالسنة منهم في شي فبراءه منهم فوجدنا اصحاب رسول الله من بعده قد اختلطوا
اختلفوا في احكام الدين فلم يفترقوا ولم يصيروا شيعا لانهم لم يفارقوا الدين وانما اختلفوا فيما اذن
لهم النظر فيه والقول باجتهاد الراي فاختلفت اراؤهم فاختلفت اقوالهم فصاروا وانما اختلافهم
محمودين لانهم اذا كان واحد منهم على حاله ما امر من اجتهاد الراي والنظر فيه من ذلك ما قال ابو بكر الصديق في الجد
انه بمنزلة الاب وان المال كله له دون الاخ وقال عمر وعلي وزيد المال بين الاخ والجد نصفان ومثل ما قال عمر في
مع امهات الاولاد ان لا يعتقن وقال علي يعتقن ومثل ما قالوا في المشركة فمنهم من شرك ومنهم من لم يشرك وذلك
في زوج وام واخوين لام واخوين لاب وام فاعطوا الزوج النصف واعطوا الام السدس واعطوا الاخوين لام
الثلث ومنهم من شرك بين الاخوين للام والاب في هذا الثلث انهم كلهم لام واحدة ومنهم من لم يعط بني الاب
ولا الام شيئا وجعل الثلث للاخوين للام وذلك نصهما في الكتاب منه ولكل وجه ومذهب
ومثل قول ابن عباس ان العول بدعة لا يعول وقال عامة اصحاب رسول الله صلى الله عليه بالعول وانزلوه منزلة
رجل ترك درهما واحدا ولرجل عليه ثلثا درهم ولرجل اخر نصف درهم فقالوا يقسم هذا الدرهم
الواحد على سبعة اسهم على حصة دينهما ٥ ومنهم من راى طلاق السكران جائزا ومنهم من ابطله ومثل قولهم
في الطلاق قبل النكاح فمنهم من انزله ومنهم من لم ينزله وفي المسح وفي اشيا كثيرة من امر الدين
اختلفوا فكان ذلك الاختلاف رحمة من الله على هذه الامة حيث ايدهم باليقين ووسع على العلما
منهم النظر فيما لم يجدوا حكمه في التنزيل ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه حتى يلحقوه ببعض الاصول
وكانوا اهل مودة وعطف منا صحبهم اخوة الاسلام فيما بينهم قائمة فلما حدثت هذه الاهوا

الموحدين الذا عرضا حبها الى النار ظهرت العداوة وساءت الناس وصاروا احزابا ذلك الى هذا التباين والفرقة انما حدثت
من المسائل المحدثة التي ابتدعها الشيطان فالقاها على افواه اوليائه ليختلفوا او يرمي بعضهم بعضا بالكفر فكل مسئلة حدثت
في الاسلام فخاض فيها الناس واختلفوا فلم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضا ولا فرقة علمنا انه ذكر من مسائل
الاسلام من طرقه وبلغنا كل فرقة يتوبون من تلك الاحوال التي يكونون على احوالهم من الشفقة والرحمة والالفة والمودة و
والنصيحة كما فعل الصحابة والتابعون وكل مسئلة حدثت فاختلفوا فيها فورث اختلافهم في ذلك الى التولي والاعراض
والى التدابر والى الرمي بالكفر علمنا ان ذلك ليس من امر الدين في شيء يجب على كل ذي عقل يجتنبها ويعرض عن الخوض فيها و
يوكد ما قلنا ما ذكر الله في كتابه من حال اهل الاسلام كيف يكونون فقال واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فذكر انهم اصبحوا بالاسلام اخوانا فكلما جاءت مسئلة مما اذا
اختلف فيها ذهبت الاخوة وجاءت الفرقة علمنا ان هذه المسئلة ليست من الاسلام في شيء لان شرط الله في تمسكنا بالاسلام
انا نصبح بذلك اخوانا فصاروا بهذه المسئلة اخوانا يكفر بعضهم بعضا ووجدنا اهل الجدال كما اغرى الشيطان في
قلوبهم بمثل هذه الاشياء المختلفة فلو كان من خشية الله ومن خوف عقاب الله كما خلقت ايديهم ومن لا هوا كانا منهم و
ذكر الموت والصحة والحساب والاهتمام لصحة الامور وطلب الاخلاص فيما بينهم والاشتغال بحسن صنعتهم في
ليلهم ونهارهم وطلب النجاة من رق النفوس الى حرية العبودية لربهم فلما خلت من هذه الاشياء خربت وصارت
في قلوبهم ثلم فوجد العدو فرصته فالقى اليهم مثل هذه الاشياء التي تعلم المستنيرة قلوبهم ان هذا تكلف وحرص فيما
لا يعنيه مثل قولهم في الجبر والقدر وفي الاستطاعة قبل الفعل ومعه وفي طلب كيفية صفات الله وفي الايمان مخلوق
هو ام لا وفي القران ما هو وفي الامامة من استحقها بعد رسول الله صلى الله عليه حتى اداهم ذلك الى الحال فرفضوا ابا بكر
وعمر وجوزوهما واظهروا شتمهما فلولا ان هذا عدو قد خذله الله ونكس قلبه اكان يشتغل بمثل هذا وهم قوم قد
مضوا الى الله باعمالهم فهو يقسم لهم المنازل بهواه ويحمل بعضها على بعض وقال الله عز وجل تلك امة قد خلت لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت ولا تسئلون عما كانوا يعملون وانما بعث رسول الله صلى الله عليه مبلغا ومعلما وهاديا من الحرج
من الرشاد وقد بلغ الرسالة وادى الامانة وعلم وهدى وابلغ في النصيحة فاين القول منه للامة في هذه الاشياء التي ذكرنا
هذا واين هو انه وتعليمه لهم فهل يوجد حديث واحد عن رسول الله صلى الله عليه في الاستطاعة والجبر والقران
ما هو والقران مخلوق او لا فان كان بعث مبلغا وقد بلغ ولم يكتم شيئا من الوحي فاين هذا في الوحي واين هذا
في السنن التي جاءت عنه وكيف ادت عنه ائمة العلماء اداب الاسلام في طعامهم وشرابهم ونومهم وكلامهم و
ولباسهم وهيئتهم وزيهم ولم ينقلوا مثل هذه الاشياء التي ادت اختلاف القائلين عنه الى اكفار بعضهم بعضا ذلك
لنعلم انها مسائل الفتنة وانها تؤدي الى الحيرة وان الكلام في ذلك ما لم يؤد ذلك عنه و وجدنا ان الله تعالى اثنى على
اصحاب محمد عليه السلام فقال محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى قوله ذلك مثلهم في التورية
ان صفتهم في التورية فشهد الله تعالى لهم بهذه الخصال التي هي راس الاسلام ودونه فما ظنك بقوم بلغ من اقدارهم
وفضلهم ان يمدح نبي اسرائيل شانهم ويصف لهم محاسن خصالهم من قبل ان يخلقهم بكذا وكذا الف سنة ثم وصفهم
في الانجيل للامة الاخرين فقال كزرع الى قوله ليغيظ بهم الكفار فاخبر ان اصحاب محمد صلى الله عليه غيظ الكفار فمن
وجدناه ممن ينتحل الاسلام قد صار كمن اصحاب رسول الله صلى الله عليه غيظا فقد ساء ظننا به ونخاف ان يكون في
قلبه داهية يسلبه الاسلام وهو لا يشعر وروي نحو ذلك عن رسول الله صلى الله عليه انه قال من يخادع الله يخدعه الله
ويخلعه من الايمان وهو لا يشعر ۝ بذلك صالح بحديث ۝ وروي عن انس بن مالك انه قال من ذكر اصحاب رسول الله
صلى الله عليه بسوء فليس له في الفيء نصيب وذلك ان الله تعالى قسم الفيء في سورة الحشر بين ثلثة اصناف
فقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم وهم الانصار والذين جاءوا
من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا وهم التابعون

الى يوم القيمة فاما صار العين من هولا حين جاء من بعدهم فتناولهم بالسوء فقد خرج من هذا الصنف ولا نصيب له
في الفضل بن محمد نا محمد بن داود الاسكندراني نا رشدين بن يونس حدثني عطاء عطاء بن خالد قال لما نزلت قوله ومن
يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا صاح ابليس بجنوده وحثى على راسه التراب ودعا بالويل والثبور
حتى جاءه جنوده من كل بر وبحر فقالوا ما لك يا سيدنا قال اية نزلت في كتاب الله لا يضر احدا بعدها من بني ادم قالوا
وما هي فاخبرهم قالوا نفتح لهم باب الاهواء فلا يتوبون ولا يستغفرون ولا يرون الا انهم على الحق فرضي
منهم بذلك ۝ ثنا ايضا باسناده عن الشعبي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل
القران على عشرة بشيرا ونذيرا وناسخا ومنسوخا ومحكما ومتشابها وعظة ومثلا وحلالا وحراما فمن استبشر ببشيره
وانذر بنذيره وعمل بناسخه وامن بمنسوخه واقتصر على محكمه ورد علم متشابهه الى عالمه واتعظ بعظته واعتبر
بمثله واحل حلاله وحرم حرامه فاولئك هم المؤمنون حقا لهم الدرجات العلى مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهو وارثي ووارث الانبياء قبلي ولولا اقسم انه لا نبي بعدي لكان نبيا وكان بعين الله
والا في ضمان الله وكنفه وحيث ما تلى القران غشيته الرحمة وتنزلت عليه السكينة اخضر الرقعة افيح
منور اعلمه الى يوم القيمة ويحشر يوم القيمة في زمرتي وتحت لوائي ولوائي ابيض العمود في الله ومن ضيع
الربح له لسانان لسان يذكر بالمشرق ولسان يذكر بالمغرب يطلع حملة القران والمتحابين في الله حاسر القلم مستحي
واحدة منهن بعد ضيع كلهن ويلقى الله غدا ظمآن مجولا القلب مرتعد الفؤاد فالاتعاظ لا يشتمل على
من الرب مغضوب الدار ومعذب ۝ من الشرح واما قوله اتعظ بعظته واعتبر بمثله واما الاعتبار بمثله فان الاعتبار
القلب فيجعلها من ذاته كالشيء يشرب في الشيء حتى ياخذه سلطانه ويكون املك به واما الاعتبار فتعبير بالشاهد الى
نموذجات الاخرة وكل شيء غاب عن عينك فوصف لك احتجت الى مثاله في الشاهد يعقلك فلينك الى شكله في الغائب
الغائب الى الموصوف واستعانة من العبور اذا رايت هذا الحاضر عرفت بعقلك فلينك الى شكله فاذا كان
وانما قيل عبور لانك عبرت بعقلك في سفينة الذهن على بحر العلم لان فهمك غواص يغوص في هذا البحر
الفهم ذكا غاص على الدر وابدا العقل بالفهم والحفظ فالذهن يشتمل على العلم والعقل بمنزلة وزينة والفهم
يستخرج الدرة منه غوصا والحفظ يمسكه مستودعا الى وقت الحاجة اليه فيخرجه الى عين الفؤاد في الصدر
صورة فاذا كان كذلك اطمانت النفس الى ما تصور في الصدر ووضح وانكشف الغطاء ۝ واما قوله لا اله الا الله
كان القول ذمة الموحدين تمحو حرج دمه وفي شر الدنيا والاخرة وكذلك قوله من اسمع هداي فلا يضل ولا يشقى وروي في الخبر عن الشعبي
اجار الله تابع العلم من الضلالة والشقا فالشقا على وجهين وجه منهما اسعا العشق في الدنيا والوجه الاخر شقاء النفس في سكون
النيران فتابع العلم قد احتجز من الوجهين جميعا فيعمه في الدنيا احد العلب في عموم الدنيا وطلبها بها ويسره في الامور فعلمه في راحة
لانه منشرح الصدر واسع وبدنه في راحة لانه يتيسر عليه امور الدنيا يشتهيها لاذن فيسر فاذا اصحم الله عبدا او اكتنفه كانت صفته هكذا كي
وهو قوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم الى قوله ساء ما يحكمون اي من طمع ممن عمل السيئات ان يجعل محياه ومماته كمحيا ومماة من عمل الصالحات
فقد ساء ما حكم فاكذب الله ظنه واما قوله وحيث ما تلى القران غشيته الرحمة وتنزلت عليه السكينة فذلك لان كلام الله
عز وجل من اللطف وحرق به الوجه حتى يصيبه الرحمة فنزل به على قلب محمد عليه السلام فذلك الاحد على العباد ودفع فذلك هم
فان خاطبهم خطاب اللطف والكرم والشرف ثم اوصل اليهم كلامه وجعل الكلام كسوة من نور فقال يا ايها الناس قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين والكتاب هو الحروف قد بان وانفصل ثم اتصل بالمنطق بالادوات والنور كسوته ثم قال وهدى و
موعظة فالهدى هو الذي يهديك ويثبت به الكل والموعظة ما تعظك به وشفا لما في الصدور وفي الصدور
وساوس النفس ولذات الشهوات علة كسقم القلب بما فعه من الايمان فالقران شفاء من ذلك السقم اذا جاء القلب
مع كسوته فاستضاء الصدر فاما اذا صار الصدر كالمروج والغياض الملتفة شوكا وقصبا وسودتها ثماما
من كثرة اشغال النفس لم يجد القلب الى الله سبيلا لان عماد ذلك على عين الفؤاد في الصدر فاذا صار عينا الفؤاد
في هذه الغياض لم يستبن فيه شيء

جهده لذلك عبد قد فرغ قلبه وصدره حتى صارت كبقعة من الارض جرداء وقلب ازهر فاذا ازدهر القلب جلى الضوء بالصدر اسبات منه اعظه وهدايه الله في نصايحه ولطايفه وصار شفاء لما في الصدور ٥ ٥
واما قوله نادم القلب فانه يندم حين لا ينفعه الندامه وانى له التوبه وقد انكشف الغطا وانما الندم على رفض ميثاق الله واي شي رفض وقد زالت الاشيا التي امر برفضها فليس هناك عزم انما العزم في دار الامتحان لا في دار كشف الغطا ٥ باسناده عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى بن عمران عليه السلام لقي جبريل عليه السلام فقال له ما ثواب اية الكرسي كل ليلة مرة فذكر فيها من الاجر ما لم يقو عليه موسى فسال ربه لا يضعف عن ذلك ثم اتاه جبريل عليه السلام مرة اخرى فقال ان ربك يقول من قراها في دبر كل صلوة مرة واحدة اللهم اني اقوم الكرسي بذكر كل نفس ولمحه ولحظه وطرفة تطرف بها اهل السموات واهل الارض وكل شي في علمك كان او يكون اقرا اية الكرسي بذكر ذلك كله الله لا اله الا هو الحي القيوم الى قوله وهو العلي العظيم فان الليل والنهار اربع وعشرون ساعه ليس فيها ساعه الا تصعد الى منه فيها سبعون الف الف حتى ينفخ في الصور ويشغلوا الملائكة ٥

فالمعطل ينصر ... التعطيل ... عن الصنع ... الصانع ... المعطل ... والكتاب والسنة ... عليهم ... المعطل ...

من كتاب نهاية الاقدام في القاعدة الخامسة في ابطال التعطيل وبيان وجوه التعطيل ٥
اما تعطيل العالم عن الصانع العليم القادر الحكيم فلست اراها مقالة ولا عرفت عليها صاحب مقالة الا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية انهم قالوا العالم كان في الازل اجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة فاصطكت اتفاقا فحصل عنها العالم بشكله الذي تراه عليه ودارت الاكوار وكرت الادوار وحدثت المركبات ولست ارى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع بل هو معترف بالصانع لكنه يحيل سبب وجود العالم على البخت والاتفاق احترازا عن التعليل فما عددت هذه المسئلة من النظريات التي يقام عليها برهان فان الفطرة السليمة الانسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم قادر عليم افي الله شك ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وان هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء فلا شك انهم يلوذون اليه في حال الضراء دعوا الله مخلصين له الدين واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وانما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في التوحيد ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا ٥ وقد سلك المتكلمون طرقا في اثبات الصانع وهو الاستدلال بالحوادث على محدث صانع وسلك الاوائل طريقا اخر وهو الاستدلال بامكان الممكنات على مرجح لاحد طرفي الامكان ويدعي كل واحد في جهة الاستغناء الضرورة وبديهة واما قول ـــــ ما شهدت به الحدوث او دل عليه الامكان بعد تقديم المقدمات دون ما شهدت به الفطرة الانسانية من احتياج في ذاته الى مدبر هو منتهى مطلب الحاجات يرغب اليه ولا يرغب عنه ويستغنى به ولا يستغنى عنه ويتوجه عنه ويفزع اليه في الشدائد والمهمات فان احتياج نفسه اوضح له من احتياج الممكن الجائز الى الواجب والحادث الى المحدث وعن هذا المعنى كانت تعريفات الخلق بحيث وتعلق التنزيل على هذا المنهاج امن يجيب المضطر اذا دعاه امن يهديكم في ظلمات البر والبحر امن يرزقكم من السماء والارض امن يبدا الخلق ثم يعيده وعن هذا قال النبي عليه السلام خلق الله العباد على معرفته فاجتالتهم الشياطين عنها فتلك المعرفة هي ضرورة الاحتياج وذلك الاحتيال من الشيطان هو تسويله الاستغناء ونفي الاحتياج والرسل مبعوثون لتذكير وضع الفطرة وتطهيرها عن تسويلات الشياطين فانهم الباقون على اصل الفطرة وما كان له عليهم من سلطان فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى فولا لينا لعله يتذكر او يخشى ومن رجع الى الله قربت مسافته حيث رجع الى نفسه ادنى رجوع فعرف احتياجه الى الله في تكوينه وبقائه وتقلبه في احواله وانحائه ثم استبصر من آيات الآفاق الى آيات الانفس ثم استشهد به على الملكوت لا بالملكوت عليه اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد عرفت الاشيا بربي وما عرفت ربي بالاشيا ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ومن تعالى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط فتبين بالدلائل والشواهد ان العالم لم يتعطل عن الصانع

الحكيم القادر العليم تعالى وتقدس ٥ واما تعطيل الصانع عن الصنع فقد ذهبت شرذمة الدهرية القائلين بقدم العالم الى ان الحكم بعدم العالم في الازل تعطيل الصانع عن الصنع وقد سبق الرد عليهم بان الايجاد قد تحقق حيث تصور الايجاد وحيث لم يتصور لم يكن تعطيلا وكما ان التعطيل ممتنع كذلك التعليل ممتنع وانتم عللتم وجود العالم بوجوده وسميتم معبودكم علة ومبدا وموجبا وذلك يؤدي الى امرين محالين احدهما ثبوت المناسبة بين العلة والمعلول وقد سبق تقريره والثاني ان العلة توجب معلولها بذاتها لا بالقصد الاول وجود العالم من لوازم وجوده عندكم لا بالقصد الاول قال الغالي لا تزيدا امرا الا اجل الشافل فبطل التعليل ايضا وهذا من الالزامات المفحمة التي لا جواب عنها ٥
واما تعطيل الباري تعالى عن الصفات الذاتيه والمعنويه وعن الاسامي والاحكام فقد ذهب اليه من الفلاسفة فانهم قالوا واجب الوجود لذاته واحد من كل وجه فلا يجوز ان يكون له اجزاء كمية ولا اجزاء حد سواء كانت المادة والصورة او كانت على وجه اخر بان يكون القول الشارح لمعنى اسمه يدل على كل واحد منها على شي هو في الوجود غير الاخر بذاته وذلك لان كل ما هذا صفته فذاته ليست بذاته بل بالاجزاء التي منها قوامه وكل جزء منه لا يكون هو الاخر ولا ذات المجتمع وانما يعنيه واحديته بالوجود فليس يعني بعض معنى اخر سوى وجوده وان وصف بصفة فليس بعض نعوته او اعتبارا او جهات وجوده بل الصفات كلها اما اضافية كقولنا مبدا العالم وعلة العقل كما يقولون خالق ورازق واما سلبية كقولنا واحد ... وليس بمتكثر وعقل اي مجرد عن المادة وقد يكون مركبا من اضافة وسلب كقولنا حكيم ... وسياتي شرح ذلك في كتاب الصفات فالزم عليهم ... الواجب ... الوجود على الواجب بذاته وعلى الواجب بغيره ...
خصوا احد الوجودين بالوجوب والثاني بالجواز ومن المعلوم ان الوجود لم يدخل في معنى الوجود حتى يتصور الوجود ... ولا يلزم ... الالزام ... الاطلاق ولفظ الوجود والمعنيان وان اختلفا في الخارج من الذهن ... العقل ... اللونية ... الوجود على الواجب بذاته والجائز بذاته بالتشكيك ... اولى ... الثاني لا اولى ولا اول ...
اخر يعم به احد الوجودين عن الثاني ... الالزام ... مبدا وعلة ومعقولا وعاقلا وعقلا فان اعتبار كونه واجب الوجود لذاته لا يفيد اعتبار كونه مبدا وعلة واعتبار كونه مبدا وعلة لا يفيد اعتبار كونه عقلا وعاقلا ومعقولا وان ساغ لكم الحكم بكثرة الاعتبارات ساغ للمتكلم اثبات الصفات وتعطيلكم عن الصفات تعطيل عن الاعتبارات وما صار اليه صاحبوا شرذمة من قدماء الحكماء قالوا ان المبدع الاول انيته ازليه ... الابداع ... الاسم ... فلسنا نذكر له اسما من حيث ذاته وانما اسماؤه من حيث اثاره وافاعيله وابدع الذي ابدع ولا صورة له عنده في الذات ... لا علم ولا معلوم ... العلم والمعلوم في المعلول الاول ... هو العنصر فهم المعطلة حقا ونقل عن بعض الحكماء انهم قالوا هو لا موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا مريد ولا متكلم ولا ساكت وكذلك سائر الاسماء والصفات ونسبت هذا المذهب الى الغالية من الشيعة والباطنية ... الاشتراك ... الاسامي ليس يوجب الاشتراك في المعاني ... انكار ... صانعا ... عبارة عنه ... الاشتراك في الاسامي ... الاسم يوجب الاشتراك في المعنى ... اطلاق لفظ الوجود عليه ... الاسماء ... الاعتقاد ... الموجود ... يسمعوا ... الوجه ... الاسامي ... الاعتقاد ... اسم اخر يقابل التضاد ... وجوده او عدمه ... المعدوم والعالم يقابله الجاهل والقادر يقابله العاجز فسموه لضد من ذلك الوجه ... اطلاق لفظ وجود ... اسماء الله تعالى انما تلقى من الكتاب ... المعطل ... الاسامي المشتركة ... حقائقها من حيث المعاني قال ... السميع ... علم ... حي قيوم ... الشيعة ... المعطلة ... ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ... هذا ... العالم والعدل والسميع والبصير من اسماء الحسنى ولا يجوز التشبيه بالصفات ... يطلق على الباري ... يوحيده ... بوصف ... ولا ... الوصف والصفة ... علي رضي الله عنه ... موجود ... الوجود ... عالم ... قادر ... السميع البصير ... العالم ... العلم للعالمين والقدرة للقادرين ... العالم ... والعلم ... الواحد ... العلم للعالمين وعلى هذا المنهاج يسلكون في اطلاق الاسامي ... العلم ... القادرين ... المجهرين على الباقر رضي الله عنه ... العلم للعالمين ... بالمعطل فانه لم يمنع من اطلاق الاسامي والصفات ... ولا موجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز لكنه ... بالقدرة في القادرين ... بالعلم في العالمين ... في الصفات ... والمعاني قائمة بذاته ...

والفرق بين التوفيق والخذلان والشرح والطبع واما الكلام على طرفي الغلو والتقصير والحق بينهما
دون الجاري منها فقالت المعتزلة التوفيق من الله اظهار الايات في خلقه الدالة على وحدانيته وايداع
العقل والسمع والبصر في الانسان وارسال الرسل وانزال الكتب لطفا منه تعالى وتنبيها
للعقلاء عن غفلتهم وتقريبا للطرق الى معرفته وبيانا للاحكام وتمييزا بين الحلال والحرام وان
فعل ذلك فقد وفق وهدى وبين السبيل واوضح المحجة والزم الحجة وليس يحتاج في كل فعل و
معرفة الى توفيق مجدد وتسديد منجز بل التوفيق عام وهو سابق على الفعل والخذلان لا يصح
مضافا الى الله تعالى بمعنى الاضلال والاغواء والصد عن الباب وارسال الحجاب اذ يبطل
التكليف به ويكون العقاب ظلما وقالت الاشعرية التوفيق والخذلان ينسبان الى الله
تعالى بنسبة واحدة على جهة واحدة فالتوفيق من الله خلق القدرة الخاصة على الطاعة والاستطاعة
اذا كانت عنده مع الفعل وهي تتجدد ساعة فساعة فلكل فعل قدرة خاصة والقدرة على
الطاعة صالحة لها دون ضدها من المعصية فالتوفيق خلق تلك القدرة المتفقة مع الفعل
والخذلان خلق قدرة المعصية واما الاثنان في الخلق فنسبتها الى الموفق كنسبتها الى المخذول
والقدرة الصالحة للضدين اعني الخير والشر ان كانت توفيقا بالاضافة الى الخير فهو خذلان
بالاضافة الى الشر والقصد بين الطرفين ان يقسم التوفيق قسمة عموم وخصوص على عموم
الخلق وخصوصهم فعموم الخلق في توفيق الله الشامل لجميعهم وذلك بنصب الادلة والاقدار على
الاستدلال وارسال الرسل وتسهيل الطرق لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وخصوص
الخلق في توفيق الله الخاص لمن علم منه الهداية واراده الاستقامة وذلك اصناف لا تحصى و
الطاف لا تستقصى تدرك من كمالي الاعتدال في المزاج احدهما من جهة الطينة طيبا والثاني من
جهة الشريعة حلالا وهذا في النطفة الحاصلة من الابوين عليهما النقش الاول من السعادة
والشقاوة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن
ثم التربية من الابوين او من الاستاذ والمعلم او من اهل البلد وذوي القرابة والخلطة مونة اخرى
قوية حتى ربما تغير الاعتدال عن النقص الى الكمال وعن الكمال الى النقص وعليه النقش
الثاني من الفطرة والاختيار كما قال عليه السلام فطر الله تعالى العباد على معرفته فاجتالتهم
الشياطين عنها وقال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ثم
الاستقلال بحال البلوغ وكمال العقل يحتاج الى قوي استمداد من التوفيق وذلك منزلة
الاقدام ونهاية الابلام فالتوفيق فيهما ان لا يكله الى نفسه وحوله وقوته وعن [illegible]
التبري من الحول والقوة بقوله لا حول ولا قوة الا بالله صاحبا في كل حال وذلك مطرودة
للشياطين اذ يدخل احبال الشيطان تغريره بحوله وقوته والفطرة هي الاحتياج الى الله تعالى

والتسليم لله والتوكل على الله اذ لا حول ولا قوة الا بالله وذلك هو كنز من كنوز الجنة وهذه الحالة اعني حالة البلوغ
والاستقلال هي مثار القوى الحيوانية الغضبية منها والشهوية قال الصديق الاول يوسف عليه السلام وما
ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وذلك عند مثار القوة وكذا الكليم عليه السلام لما قتل القبطي بغضب
قال هذا من عمل الشيطان وذلك عند مثار القوة الغضبية وتبرأ المصطفى من الفريقين فقال في حال اللهم واقية
الوالدين لا تكلني الى نفسي طرفة عين وعلى هذه الحالة النقش الثالث وهي تمتد الى اخر العمر فلا يزال مواعظ الشرع
يرغبها ويرهبها ولا يجانبه مواقع التقدير بينهما فان ارعى سمعه لمواعظ الشرع وبصره لمدارك التقدير والشرح
صدره وصار على نور من ربه تولاه الشرح والبسط افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وان جعل اصبعه في
اذنه فلم يسمع الايات الامرية واسبل جفنه على عينه فلم يبصر الايات الخلقية صار على ظلمة من طبعه وذلك الطبع و
والختم بل طبع الله عليها بكفرهم ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وربما يكون الطبع عن غشاوة في جوهر
جبلته التشبيها من اصل فطرته وربما يكون حجابا على كفر ونفاق اثره على حلاوة فطرته فالتقدير مصدر والتكليف مظهر
وكل تقدير والمقدر متيسر لما خلق له فالحاصل ان الموكول الى حوله وقوته في خذلان الله والمتوكل على حول الله وقوته
في توفيق الله تعالى وعلى راي القدرية العبد ابدا في الخذلان اذ هو موكول الى حوله وقوته لم يستعن بالله ولم يتوكل على الله
وعلى راي الجبرية العبد ابدا في الخذلان اذ هو خاذل نفسه عن امتثال امر الله لم يعبد الله ولم يحفظ حدود الله و
الحق الذي لا غبار عليه اياك نعبد واياك نستعين محافظة على العبودية واستعانة بالربوبية والتوفيق والخذلان و
والشرح والطبع والفتح والختم والهداية والضلال تنسب الى الله تعالى بشرط ان يكون احق الاسماء احسن
الاسماء ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها واولى الفعلين بحكمته وتقديره اولى الفعلين وجودا واحدهما
حصولا بيدك الخير انك على كل شيء قدير اللهم من احسن فبفضلك يفوز ومن اسا فبخطيئته يهلك لا المحسن
استغنى عن رفدك ومعونتك ولا المسيء غلبك ولا استبد بامر خرج به عن قدرتك فيا من هو هادي
لا هادي غيرك صل على محمد وعلى ال محمد وافعل بي ما انت اهله انك اهل لكل جميل ٥

[illegible]

الخضر صلوات الله وسلامه عليه

اللهم اني استغفرك لما تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك
لما وعدتك من نفسي ثم اخلفتك واستغفرك لما اردت به
وجهك فخالطه ما ليس لك واستغفرك للنعم التي انعمت بها
علي فتقويت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب
والشهادة الرحمن الرحيم من كل ذنب اذنبته او معصية
ارتكبتها في ضياء النهار وسواد الليل في ملاء او خلاء او سر
او علانية يا حليم ٥ قال الاوزاعي رحمه الله عليه من دعا بها غفر الله له ولو
كانت ذنوبه عدد ورق الشجر ورمل عالج او قطر السماء ٥

روي ان الحسن بن علي رضي الله عنهما كان يقف عند باب المسجد ويقول
اللهم عبدك ببابك يا محسن قد اتاك المسيء وقد امرت المحسن
منا ان يتجاوز عن المسيء فانت المحسن وانا المسيء فتجاوز قبيح
ما عندي بجميل ما عندك يا كريم ٥

قال علي عبيدة من فهم تدبير الله له امن زيغ الشيطان واستراح الى حسن الظن بربه
واحرز ثوابا بالتسليم ورضي بما يجري به احكام الله فيه وانما ظهر فضل العلماء
بما فهموا من آداب الله في خلقه فسكنوا من العلم الباطن الى حفظ دائم
وقطعوا تشعب الوساوس عن قلوبهم وحطوا اثقال الحرص توكلا على كفاية
من لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
ومنشئ ارزاق الخلق ضمين بوفاء الرزق ه

قالت الحكما الحفظ عدو الذهن ٥
ذهبوا الى ان من اتكل على الحفظ ترك الاستنباط
الذي يؤدي صاحبه الى الفلج واستبانة
الامور على حقائقها ه

عن سمي عن ابي صالح عن ابي هريرة قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت
له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه
ذلك حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر منه وقال
من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر ٥

قال علي عبيدة امنع الناس من عرضك بما لا ينكرونه من فعلك واطلب التعظيم في قلوبهم بصيانة
واستبق مروتك بالغناء عنهم وتالف ودهم بالبشر لهم واحتجب من بغيهم بترك الاستطالة
عليهم واستتر من الشامتين بحسن العزاء عند المصائب ه علي عبيده صرف صلاح طباع
ابن آدم على الاضداد فلا يعتدل الا باختلافها عليه ولو قامت به حال واحده فسد مزاجه وانهدم
بناوه ومن ذلك ما جرى به الزمان عليه ودبره الله به من حر وبرد وخريف وربيع لانبت
قوى بدنه وصحة غرائزه الا بتعاقب هذه الاحوال على تركيبه ه وانما تكون استقامة ابن
آدم على العدل ورغبته في الفضل وقوام ميزان العقل بتقلبه في السراء والضراء
والخوف والرجاء فان طالت به مدة احد هذه المختلفات صار الى التغير والنقصان
وذلك ان دوام السراء تورثه الطغيان وافراط الضراء يضعضع من اركانه
واطباق الخوف عليه يكلم في عقله ويقدح في علمه ولا يؤمن عليه فساد طبائعه
والرجا مشغلة عن الواجب ويودي الى الاستخفاف بالعواقب فمن فهم تدبير
الله له امن زيغ الشيطان واستراح الى حسن الظن به واحرز ثوابا
بالتسليم ورضي بما يجري به احكام الله فيه ه

كلام لبعض الحكماء في فضل العول في استعمال الريطور تقية المستعان بها في اقتضاب الكلام والمجازه وحذف الاطناب و
الا فاصل المؤثره في الانفس التبرم والكلال وتذكية العقول بحلاوة ثمرة البلاغه واحيا المعاني المقصوده المهذبه
الملائمة لادوات النفس المنتبهة للحاجها والصارفة لها عن حالها المتنامية لفود زمامها والحاملة لها على الاذعان لقائدها
وسائقها الى الفضائل ما يورد عليها من رونق الكلام ووشي الطبيعة ما يلهيها عن الرذائل اذ مثل النفس مثل الانسان
المقسم الراي والفكره والنظر لامور مهمة فهو ان تراءى له حتى يكون نصب عينيه فانه يشتهو ببصره عنه فلا ينطبع صورة
المرء في عقله وان كان البصر يدركه لتشغل العقل وقواه بما هو اهم اليه مما يؤدي البصر اليه وكذلك السمع والشم
وسائر الحواس فالنفس ابدا مشتغلة متقسمة بمهام امورها اما من الخواطر الها جسة عن ذاتها من الاسباب
الموكل بها النفس من النظر في العواقب والاستعداد والتاهب لما عساها يحتاج اليه فيما يستقبل او التلهف
على فواتها مما كانت طمعت في نيله او الندم على ما فرطت فيه او التذمم مما قصرت في فعله مما لزمها او
التعذر بالحيل فيما تتمناه وترجو الوصول اليه فهو واشباههما نوازع تنتزع قوى النفس بالوساوس الشاغلة
لها ابدا لا تفتر النفس عن ذلك في ساعات ليلها ونهارها ما الطبع لا بالاختيار وربما لج بها هذه المذكوره من هذه الخواطر
فتورثها حزنا او غفلة ونسيانا او هلعا وضجرا او ضيقا وسهوا فهي لا تكاد تنصرف عن الدواهي اللازمة لها و
تصغي الى صاحب الاطناب اصغا كليا اذ النوازع الشاغلة طبعه من الريطور تقية المزيده وصرفها عن ضي
سيما اذا كان الخطيب او البليغ غير حاذق ولا ماهر بوضع المعاني مواضعها من الانفس بالتماس الوقوف
على دواعيها ونوازعها وموانعها فتعارض كل واحد منها ما قد فسد بالمعاني المذكوره وتنبيهها بالعلاج
الشافي بالاصغا الى ما يريد ايراده عليها ثم يجمع المعاني الكثيره الحسنة في حرف واحد ويمخض الخطب الكثيره
فيستخرج زبدتها ويتنخل المعاني اللذيذه فيختار نخبتها فيورد على هذه الانفس السقيمة ما يشفيها ويتمكن من
قيادها ويذكي بلادتها ويجلو اغشيتها بلذاذة الايجاز وجمع الوان الوشي في رقعة صغيره من رقاع الكلام
التي هي الحروف القليلة وتنكب الملالة من المصغي بجذب الخواطر المتاثرة في عقله فان تلك الرسوم
الثابتة لا تمحي الا بعجب ما يحدث هناك من رسوم البلاغه واتفاق ما يرد على العقل من المعاني الملائمة
لطمس الرسوم الشاغلة للنفس كانت والمفسدة لها فيجدر بكل بليغ وخطيب بتقديم ما ينفي تلك الموانع
المذكوره بديا ثم يثني بما يذكي الفهم من الاشيا المعجبة للعقل اللذيذة المختصره ثم يثلث بما يطمس به تلك الآثار المتاثره
من هذه الاعراض المفسده المانعة للنفس عن الارتياح والاهتزاز لما يذكرها فضائلها ويحثها على استعمال
ما لها من القوى العقلية والفخرية والمجدية والشرفية وما اشبهها من القوى الغريزية اللازمة للنفس التي
هي شوسها وطباعها ما لم يغلب عليها تلك الاعراض الموصوفة فالواجب على كل بليغ وخطيب وطالب
نيل من هذه الانفس واظهار فضائلها ان يعترض اجتماع قواها هو اول تنبيهه اياها وتذكيته لها
وقت ايراده عليها بما يعجبها من المعاني المزخرفة الموشاة ويعلم ان تلك الحاله اعني اجتماع قوى
النفس كالفرغ والمعظم والسقط لا يكاد يثبت على حالة واحدة زمنا طويلا بل يكاد ان لا يثبت طرفة
عين لسرعة رجوعها الى تلك المعاني المقدم ذكرها فاذا ان لم يتهم بتحين ذلك منها ولم يحذق باقتراض تلك الحاله ولم يقطع
تلك الفاصل وانواع الاطناب عن بلاغة وخطبه فانه يورد على النفوس ما لا تنتفع هو بها بايراد ذلك عليها
ولا النفوس تهتز او تنتفع بما يرد عليها لان النفس تلهى عن استماع ما لا يعجبها ولا يستولي على قواها ولا تنقع
منها موقعا معجبا لذي الرذائل بعضها موعليها اعني على النفس فيسيل ويضمحل من عمر لم يرسم او يتاثر هناك وكذلك
ما يتلوه حتى يمر الكلام المطنب فيه بجميع اجزائه على النفس التي هذه حالها فيسيل الاول قبل ان يلحقه الثاني
فيصير هذرا او باطلا وليعلم المستعمل لهذه الصناعه ان من شان النفس التعشق لما حسن من الاشيا واستحكم
جماله وبلغ غاية البها والكمال فان هذه المذكوره من الاوصاف هي صفات خاصية النفس والنفس اذا احست
بان هذه تعلقت به لانها شبيهه والنفس من صفاتها انها تعشق ذاتها فالذي يجب على صاحب هذه الصناعه
ان يشعر قلبه الحذر من عمران تعلق عليه حسن ما يجي به من الفصل الواحد من فصول البلاغة على عقله ونفسه
فيتبعانه اعني العقل والنفس بتعلق الفصل الاول من فصول البلاغه فيشتغلان بعشقها له واتباعهما اياه
واعجابهما بحسنه وجماله فيضعف قوتهما ولا تتفرغ منهما شي للفصل الثاني والذي يتلوه والواجب
عليه اذا هو فرغ من فصل من الفصول وقد اجاد توشيحه وترسيمه ان لا يستعمل شيا من الاعجاب به
ومع ذلك لا يدع الجهد في جمع قوى العقل والنفس على اجادته وتتميمه فاذا فرغ من ذلك لا يدع شيا
من القوى العقلية والنفسية متعلقا بما قد فرغ منه بل يجمعها كلها ويقبل بها على اجادة الفصل الذي
يتلوه كما فعل في الذي قبله فانه متى ما بقي منه شي من قوى العقل متعلقا بما تقدم او مشتغلا به بنوع
من انواع التعلق اما من جهة الاعجاب به او التعشق له او الاغتمام بانه عسى ان يكون قد قصر فيه او ترك موضع
عيب به فلم يرممه ويهذبه على ما وجب كان هذه الانواع من التعلق بما تقدم يجذب القوى الباقية الى نفسه ولا يدعها
للاقبال على ما يجب الاقبال عليه في اجادة الفصل المستقبل فليحذر صاحب الريطوريقية هذه النوازع للعقل
وليقطعها في كل فصل قطعا محكما فانه كمال الرامي اذا استعمل جميع المهارة والحذق في الرمي وتقبل بالقوى كلها في
اول سهم يرمي به فاجاد اصابة الغرض ثم انه ان اعجب بما قد اصاب واجاد من تلك الرمية ويكون متعلق القوى بالماضي
من فعله متقسم قوى العقل والنفس والحس بذلك ويحتاج الى ان يرمي كرمية او اجود منها فان هو قسم هذه
القوى فبعثه من الاجتماع على مثل الحالة الاولى الا ان يستعمل ترك الاعجاب بما فعل والنسيان لما مضى
ويكون اهتمامه وجمع قواه بما يتلوا اكثر من اعجابه بما مضى لئلا يشتغل بذكره عما يحضره وهذا هو العارض
لاكثر اهل المهارة اذ لم يحترسوا من العلل المقدم ذكرها في كلام كثير ۵ وقال بعضهم تقال في اللسان اداه يظهر بها
البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به الاشيا
ومعز يرد به الحزن ومونس يذهب بالوحشة وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو الى الحسن وحاصد يذهب
الضغينة وزارع يحرث المودة ومله يونق الاسماع ۵ وفي كتاب محاسن الفرس ان ملكا من ملوكهم ولد له ابن فضم
الى مؤدب احسن تربيته فلما بلغ الغلام لو ما اي الكلام افضل قال الحمد لله والصدق فانهما يتقيان وما سواهما اما
باطل يذهب واما عاد يبقى قال ثم ماذا قال كثرة الصمت الا في ابان الكلام قال ثم ماذا قال الاعمال الفكرة اذا

ذكر الاكثار بعد التكلم ٥ قال ابو سعيد الضرير قال الشيباني عندنا الاخرهات الجارحي اسقي الغصا طالما وكل تفكريم
تكلم قال هو الذي اتكلم ثم اتفكر ٥ قال وكان في ايام الاكاسرة مناد ينادي في السوق كل يوم بالفارسية انه يشتد بيس
كوبيد انداز بد بيس بريد ٥ قال دخل المامون على ام الفضل بن سهل حين قتل يعزيها عنه ثم قال لها لا تهتمي فيها انا ذلك
منه عوضا ولم تعتقدي الا ذوبته فقالت يا امير المومنين الا تلومني على ان اجزع على ابن كسبني ابنا مثلك ٥ قال بعض
الحكما اول العلم الصمت والثاني الاستماع والثالث الحفظ والرابع العقل والخامس نشره ٥ وفي كتاب محاسن
الفرس ان احاديث ارقباذ الملك اول من احيا السمر ووظف فيه الاحاديث وقواه بعده الاسكندر واخذ اهل مملكته
بذلك اشد الاخذ فوا سماره من وزرائه وعنهم تذاكروا البلاغة ليلة وهم يصفون فضلها ويأثرون عنها الاحاديث
التي فيها موقعها كان من السلف وما كانوا ياخذونه من النظر فيها مع شرف مكان اهل العي كان عندهم وبذالتهم
في انفسهم وقام بعضهم فدعا للملك فامر الملك بتفسير ابواب الكلام ووجوهه ومذاهبه وما هو في خاصته
ومعانيه وسلطانه وهو العقل او عن العقل وما يجمل بالملوك منه ٥ فقال اقول ويسمع الملك ان الذي خلق
الخلق بحلول العقول جسدانيته وروحانيته فجعله سمة على الاشيا وليوصف الله به جل ثناوه وكيف حكمه وصنعه
وكيف الهيئة وقدرته وما عليه خلقه وما الخير وما الشر والنفع والضر وهل الى دارنا هذه دار والى
عيشتنا هذه عيشة فجاء بتفسير ذلك كله وما سوى ذلك فما علم الله من صوغ هذا الكلام الذي صار به هذا
الانسان واعطى من اداته في لسانه وفمه والريح الذي تظهره والحروف وتقسطه الاجزا على اجزا الفم و
اللسان فان قطع ذلك المكان او عطب عطبت تلك الحروف كالميم والبا اذا ذهبت الشفتان ذهبتا و
الالف فانها لا تكون الا بعمود الشفتين وقوة الريح ومرجع اللسان الذي هو علاتة والواو ايضا يعمل الشفتين
في اشباه ذلك من عمل الفم ولم يجعل الله هذه الحروف على السنة شي من الدواب العجم ولا الحشرات لا الضوء ولا الاتراب
الوحوش ولم يعطها فضيلة تكون بها من الله لهذا الانسان وامره ان يعقد المعاني التي لا تري في الحروف التي تري
وان تكون تلك المعاني التي خفيت على العيون واذنت لها الاسماع هي التي تدخل بلطفها الى النفس وتنفذ بقربها
الى العقل فتولد فيه الرحمة وتنزع منه السخطة وتحدث منه الرضا وتحبب اليه الحسن وتقبح اليه القبيح
وتزرع فيه الحيا حتى ربما قلب الحسن قبيحا والقبيح حسنا عن حيلة وطبانة من صاحبه فالحروف واللسان
اداة لتوصيل الكلام والكلام وحي من النفس عن تقدير العقل فاذا العقل زوره من باطن اخرجه اللسان
الى الظاهر فان كان ما زوره صوابا وصف عقلا وان كان ما زور خطا وصف جهلا وصواب الكلام من صحة
العقل فاذا اخرجه كذلك قبلت القلوب معانيه واستحسنت الاسماع صوغه وجرت عليه طلاوته
ويقع فيه ماوه ولم يكن مجتلبا من ابعده ولا مستكرها عن اعسره ووافقت حلاوة الظاهر لباقة
باطنه فاذا اخرج على خلاف ذلك علته السماجة وغلب عليه الاستكراه وعريت عنه الطلاوة واخذ
من ابعده وتحيف على اعسره واسلمته معانيه وشاعفته مشاونه ٥ ومثل معنى الكلام في الحروف
كمثل الروح في الجسد ترى اعضاه ولا ترى روحه وقد ترى الكلام وتسمع وترى عمله ولا ترى المعنى وكذلك
الاشيا ترى اجلها ولا ترى الطفها فهذا الانسان مكرم موفق مفهم عما اتاه الله من تعلم هذه الحروف

وحلولها فيه حتى اعرف بها عن ذات الله وذات ملائكته وافواج خلقه فهل افتتنها من الله في تعليه المنزلة و
خصيصا الكرامة ولم يجعلها على السنة شي من الدواب العجم فصار جدما بين الناس والبهائم ان الانسان حي ناطق ميت وان
البهيمة حية لا ناطق ميتة فقد شاركت البهائم الناس في الحيوة والموت ولم تشاركهم في العقل والقول ثم نقص عما
فضلت به عليها فهو كالبهيمة الا ان البهيمة ارجى منفعة واخوف مضرة فليس شي ايها الملك اعلى من العقل والبلاغة
ولا اوضع من الجهل والعيابة وضع الله كل شي عنهما فهما الحكمان على الاشيا عن قول مرة وعن فعل مرة والاشيا
مستخزنة لهما لما جعلها الله عليه من الفكر والعبر فلولا العقل ما عرف شي ولولا اللسان ما سمي شي ولا ميز
شي عن شي ولا كانت مشافهة تودي عن شاهد ولا مكاتبة تخبر عن غائب ممن خرمها حرم الخير كله ومن اعظم
النقيصة على الملك والمملوك الجهالة والعي ولست احد البلاغة به اليق والعي به اقبح من الملوك ولا نعلم ايها
الملك شيا اقل من الكلام ولا اكثر ولا اعم ولا اخص ولا اقرب ولا ابعد ولا اعلى ولا ارخص ولا
احسن ولا اقبح ولا اذل ولا اصعب صوابه في المعنى وزينته في الالفاظ واداته في اللسان والحروف وقد
يكتفى منه بالايجاز اذا ادرج المعنى ويحتاج منه الى الاكثار اذا عظم الخطب في كثير من المواطن ان قصر الاقوال
التي يستغنى عنها وعول على المعاني التي يحتاج اليها فانه من ابلغ الكلام واجمعه واحوطه من ورا الحاجة لما
يقتصر من قليله على الكفاية ويستغني بذات صوابه عن الخطا واعلم انه رب تطويل هو ايجاز ورب ايجاز
هو تطويل والايجاز معدن الصواب الذي اذا كثرت المعاني كثر صاحبها الكلام واذا قلت المعاني اقل
صاحبها من الكلام والفضول واحسن بكثيرها كثرة الصواب واقبح بقليلها قلة الخطا ٥ فاما كلام
العامة الذي ذكرنا غلاه ورخصه وقربه وبعده فهو الكلام الذي جعله على السن العامة والخاصة والعاقل
والجاهل فانه يورد الناس ويصدرون وياخذون ويعطون ويامرون وينهون كقولهم لا ونعم وغدا واليوم والليلة
والقابلة وصدق وكذب وجا وذهب في اشباه هذا مما لا بد منه فهو امهات الكلام والمقادير التي هي
اصله وجماهيره وليس فيها شي من البلاغة وانما هو افهام يدل على ما اراد ولا يستغني عنه خاصة ولا عامة
وليس وراه شي الا الخرس والبكم وهو الكثير والبلاغة القليلة وهو الرخيص والبلاغة الغالية وهو
القريب والبلاغة البعيدة في كلام كثير اختصرنا هذا القدر منه طلبا للتخفيف ٥ قال بعض الحكما نظم
الرسائل اشد من نقل الصخر فاما الخراج فان له مثلا اماما يعمل عليها وكذلك للبريد والمظالم وسائر الدواوين
واما الرسائل فلا مثال لها ويحتاج صاحبها في كل سطر يكتبه الى معنى جديد بعيد عن ملك البلاغة بعقله وفهمه ثم اخترع البلاغة ببيته ٥
من اوداد الصولي ٥
عن الفضل بن الربيع عن ابيه الربيع ان رجلا سعى الى ابي العباس السفاح وكتب بسعايته رقعة وقال فيها جئت منتصحا
واريد ثوابا فوقع في رقعته تقربت الينا بما باعدك من الله ولا ثواب لمن آثر عليه وخالف امره ٥ توفي ابو
العباس ع او ادي الحجة سنة ست ولاثين ومايه وكانت ولايته اربع سنين وثمانية اشهر وصلى عليه عمه داود بن علي ودفن بالانبار وكان
آخر ما تكلم به ان قال اليك يا رب لا الى النار ٥ اعترضت امراة اعرابية ابا جعفر المنصور بطريق مكة بعد وفاة ابي العباس
فقالت يا امير المومنين احسن الله عزاك فقد احسن الله اليك في الحالتين واعظم النعمة عليك في المنزلتين سلبك
خليفة الله وافادك خلافة الله فاحتسب عند الله ما سلبك واشكر له ما منحك وتجاوز الله عن امير المومنين
وبارك لك في امرة المومنين فقال المنصور لمن فاجرنا الله على التعزية وبارك لنا في العطية وامر لها بالف درهم ٥
وكان يعرف بعبد الله الطويل اعلم الناس بالحديث والاخبار والانساب مشهور بطلب العلم وله شعر قليل ٥
وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم

قال بعد ذكر مجال الرسائل ووصف صناعتها

... ابن الملك ...

... من ابنا الملوك الذين توطّأت لهم العز ونالوا الغلبة والقهر ودانت لهم البرية حسن الطاعة ذكروا انه كان ذا جمال فائق ومنظر رائق
طويل العشرة للذات معتكفا على لهوه عاصرا من عمره وكان يرجع الى عقل اصيل ورأي ثاقب فبينا هو ليلة من لياليه مع بعض ندمائه قد
جاوبه اذ رفع راسه الى السما فراجع فيها ذكره وردد اعتباره في مجاري الكواكب في افلاكها والقمر في بروجه ثم التفت الى ندمائه
فقال الليل يسري والنهار يجري واحداث سهام تبلي الجديد وتهرم الوليد اني لفي خطب هائل ومحل لا اعلم ما هو وما انا الا كاحد من شيد
الحصون وعمر المدائن بالجنود فعاد شرف اعلامهم وبليت في التراب اجسامهم بعد التمهيد في عز الملك وهيبة السلطان وانا والله
لاحق بهم وعلى مثلهم وارد وما علمت انا فيه مثقول الى حساب لا يحتمي منه الاصالح عمل يقدم في عمره وقت افاله فقالت له
ندماؤه ايها السيد في مملكة القاهر في شرفه ما اطال الله بقا كل السعادة وهنت لك ما خص به اباك الذين طالت بهم النعم في
خفض الدعة ودوام العز والغلبة ثم انقلبوا الى حسن الثواب وكرم المآب فقال اما والله لقد غرتم ما كان حقي واغنتم لا اجا
وهم في عقله قد استحوذ على قلوبهم والهتهم عن المعاد ولن تقرب الى الله التعلل بالاباطيل ولا ينجو مخلوق من عقابه الا بطاعة
فما لي والغرور والتعلل بكان ويكون ثم وثب فاسبغ الوضوء وقام مبتهلا الى ربه نادما على سالف عمره الماضي بالاضاعة وهو
يقول قد هربت اليك بنفسي يا ملجأ الهاربين باوقار الذنوب احملها على ظهري لا اجد شافعا اليك الا معرفتي بانك اكرم
من قصد اليه المضطرون واملى من رجاه الراغبون اسالك يا من لك الطول والحول والقوة ان تحط عني وزر الذي
حنا ظهري وتعصمني من الهوى المسلط على عقلي وتجعلني من الذين انتجبتهم لطاعتك وادخلتهم بالتقوى في سعة
رحمتك ∴ فلم يزل كذلك حتى اسفر له باشير الصبح فدعا برجل من عليه اهل بيته وكان طويل الانس به فقال له
انك اخو من اشعف مواقفي وجاطني بالنصيحة وعاد على بهدايته وقد احببت ان تبادلني رحلا اجد عنده
من عقله نفاذا علما الجنة عنه وانزله به من امور فيها دركا الدنيا والدين فاني اردت ليلتي الماضية فلم ازل
اجيل فكري واقلب في السما بصري فاسهدت وكنت بعد معرفي علما عظيما اجب ان اعطف اليه معونة من ذي
كمال في عقله واستحكم للامور فانهض لي في طلبه وكان مسليا بالعناية به ∴ فقال له ان اكرمه بالتاييد و
عزم له على التقوى ان قبل الملك في بلده رحلا قد اضطرب له الصوت وزهد الناس بالصادح فيه خصال
اربع قد رضيها النفسه في دهره دون ما رغب فيه الناس خالف القنوع ما استعرق به المطامع واحترس
بالصبر من جزع المصائب وتحلى بالصدق في القول وقمع شره نفسه بالنفس فقال له فهل لك سبب
توصلك الى اجابته في مسلك اياه اتيانا للاسترشاد قال وسيلتي اليه رغبتك في لقائه وحرصك
على اجابته قال فانه فاعلمه ما اعلمتك من عظم موقعه مني اذا كان في هذه المنزلة وعلى هذه الضرائب المحمودة
وحثه لجميع ما تصل به اليه فان قبلناه اجلالا واكراما فما احب من بلوغ همته في معونته من بلوغ عاجله
قال له صاحبه اني قد اعلمتك ان عزمه القنوع وحسم الطمع ولست ارجو امواتاته الا بالقاء الله يقتك له و
رغبتك في اخوته فانه يسموا بنفسه عما اقتصر عليه من عمر نقمة الشك ولعب بقنوعه الحرص فال له ان الملك
اذا اجمع مع املي من الثواب عاجل كفاية المهم من الدنيا سارعت اليه النفس واقتصرت عليه الهمة ∴
قال له صاحبه من النجا الى الصبر واعتصم بالرضا على ما ناله من مكاره الدنيا محتسبا للاخرة سعد بمواتاته
نفسه اذا اخذتها بمباينة الهوى وحسمها ما رجا الموافقة قال ايت بصاحبك اعلم واخلو بها وصفته به
ان يحول ان الرحل اذا اذاد نفسه عن طاعة الهوى واخذ عليها الميثاق ساعدته الاقضية في الامور لما
وعد الله على الصبر المحتسب فانه فاعلمه انا لما بلغنا من امره مجتبون والسرو فيه راغبون فنهض اليه من
ساعته فاخبره بحال ابن الملك وقصته وعرض له جميع شانه وما جرى بينهما في امره ∴ فقال

... ابن الملوك لا يحيط بها العدد ولا تحصى ... علمهم ان ...
فتجعله مستراحا للذاته ومتنزها لحدسته لعله تنبعه بالاذى وتعود عليه بالسوء ومنالا من عرضه فقال له الرسول معاذ الله ان
الله ما تخاف وقد دفع فلان ابن الملك عن هذه الطبقة من الناس سجيته حيث تحب في خصاله ولا قوة الا بالله قال له الحكم ان العلم
زين الدنيا وشرح الدين وليس يستفيد احد منهم الى ملك الا اطفا نور حكمته من زخرف دنياه وليس من الاخرة عوض ولا الدنيا الا بشمن
قال له الرسول اعزم على طاعتي واقبل مشورتي واستعن بالله على امرك واسال التوفيق لابن الملك فاني ارجو ان تفوز بنجاته وتسعد
بمواتاته وتحوز جزيل الثواب في دار الله فلم يزل به حتى وافقه على اجابته بما دعاه فيه ووصف من حاله فلما اتاه قربه وادناه ورحب به وحياه
واحب ان يستخبر عقله في امر الدنيا وشان الملوك فقال له ابن الملك المجتمع لبشر علم صلاح الدين مع شغله باخرته قال له الحكيم ان العقل
كالشهاب في دجا الليل فكيف يشاهد صاحبه صرفه فابصره واسفر قناع الظلمة بنوره فقال ابن الملك اني دعوتك لعمر ما سالك عنه
ساعتي هذه ليتضح لي ما وصفت به من العقل والنفاذ في الامور والبصر بالملتبس فقال سل عما احببت وبذلك فقال له ابن الملك فما قوم
الدنيا وصلاح الدين قال الحكم امامة عادلة وسلطان قوي ورعية طائعة فان في امامة العادلة حياة للبهائم فضلا عن الناس وفي قوة
السلطان مجانبة المحارم وفي طاعة الرعية امان من الاختلاف وقوة على الاعداء قال ابن الملك فمن احمد الملوك سيرة واسلمهم حالا عند
الرعية قال من طالت رغبته في المعروف وعدل في الانصاف وتعهد رعيته بالنظر لهم في امورهم قال ابن الملك فبما تستدرك الحظوة عند السلطان
ويكتسب حسن رايه قال بالمبالغة في الطاعة والانتهاء الى امره ومجانبة سخطه والقربة اليه بموافقته قال له ابن الملك فمن ارشد الناس على الملك
واجزهم بشانه قال الوزير الصالح الذي يذكره معاده ويحضه على التقوى ويبذل له النصيحة ويفتح له ابواب البر ويعطفه بالرحمة على
العباد قال فبما يؤمن من سطوة السلطان ويجتنب عقوبته عن الابدار قال باداء الامانة اليه واعطائه الحق من نفسك ودوام خدمتك به
وقطع لسان ذي النميمة اليه باظهار الحيطة عليه والكف عن القول بما لا يجب فان الكلام اذا لفظه اللسان عن العورة لم يملك اعادته
الى القلب ولم يامن صاحبه سوء العاقبة فمن يسمع منه اذا كان طعنا على امر السلطان قال فبما يزداد في حسن رايه وسقوط من احسانه قال بنشر
صنائعه الحسنة وافعاله الجميلة وطي ما اطلع عليه من هفواته والذنوب فان اتهمه عليه بالاجتهاد عند ... الى العباد ... الناصر عن الهم
قال فمن اظلم الناس واوضعهم لقدره قال من تواضع لمن لا يكرمه ورغب فيمن يبعده وقبل مدحة من لا يعرفه قال فمن يسلم من شباك العلوق وقبح
الافعال قال من جعل عقله امينه وحذره وزيره والموعظة زمامه والصبر قائده والاعتصام بالتقوى ظهيره وخوف الله جليسه وذكر
الموت والبلى انيسه قال فما بعث الطمع والشكوى قال البشره والقنوط قال ابن الملك فلا تسر حي امور الدنيا ومخالطة الناس فيهما فما
المعرج عليه الى الله قال الاعراض لكل العلم بما لك في الاحسان وعليك في الاساءة ثم العكوف في تحري ما تقدم وتمثيل عظم هول المطلع فلا واى
الوزرا في ذلك اعون وابهم على المعونة آمن قال الحكيم عزم تؤكده الصدق وصبر على فرائض الحق قال له ابن الملك فهل الرجال في ساحتهم
من ورود الخواطر بالشهوات على قلبه وتعود على الاعتصام عنها من ولد لك به قال الحكيم تجنب العبد من ذلك يمكن الرهبة مع
صالح السيرة ومعاندة الطمع في الراحة وفطم النفس عن رضاع الامل وترقب الاجل وفوات الساعات قال ابن الملك فما
المسلي عن نوازع يحركها الرغبة قال الحكيم اذا ثبت العزم على حسم هوى النفس فعلق قلبك بثواب ما بذلت لربك من
نفسك بعصيتك من سلطان الفتور وبسط لك الاجتهاد في العمل الصالح وفي استشعار ذلك تشاغل عن جميع ما يرد فيه لك
الخواطر ه وايضا من كتاب المتحلي واني احدثك عن تقسيم عن عقلي بما فهم ومن ابن دخلت الآفات على العقول وكيف ضعف النفس مع العلم المركب
في غرائز العباد ان هذا الانسان مطبوع على طبائع متضاده فيه وبعضها ادنى اليه من بعض واخص فالشهوة يحتم الانسان متصله ومنى لعله
لغذاه مطالبه مستدعية وخلف الشهوة الشك والشبهة ومن وراء ذلك العقل والفطنة فمن خرج من حكم شهوة قوي على ما نازع
من الشك وصار بقوته على ذلك متصلا بسلطان العقل فاذا وصل الى احكام عقله بصفاء من ذهنه وسلامة من غلبة هواه وشهوته اشرف
على عواقبه وعاين واحب حور رتبه وما احب العمل به فاستصغر من الدنيا عندها يعاين من نفيس امر الاخرة ورفض فيها من اللذات لما يرى
من عواقب التبعات والقصاص من الظالمين وصار الى الله ولهو والى الجنة نزاعه وشوقه وكانت الدنيا واهلها يحقره عنده يرى
اهلها في سفال من السعادة ونكوص عن حظوظهم من الفوز ه

www.ical.ir

قال علي بن عبيدة اني لما فهمت اخبار زماني ووعيت آداب ايامي وقاسيت طبقات الناس نبهت على علم عظيم واشرفت على سر من الاخلاق دفين ووصلت اليهما بفراغ القلب لهما وعناية الفكر بهما وذلك اني كنت امرأ اجوب من واحدة ووهبت اثنتين وكانت في ست خصال فاما الخصلة التي نجوت منها فذلة الشره في الدنيا وحبي للزهد فيها واما الخصلتان فاني وكلت بحفظ العبر وكنت من همتي كل يوم على وجل واما الخصال الست فقمعي للحسد اذا انبض وقهري للشهوة اني اذا اشارت بغير مستقيم واماتتي للضغائن والاحقاد وصبر وهب لي جميل وسلامة طبعت عليها وخفة مؤونة على الناس وبعض هذه الخصال اعانني على بعض ومنها ما وجدته في الخلقة بغير تكلف ومنها ما اصلحته مني بالرياضة وحسن الادب

ورايت اكرم مواهب الله لعبده سعة في الفهم وسلطانا يملك فيه نفسه ومن فاز بهاتين ثم عرف قدرهما فلا اسف على فائت لان الفهم اذا كان ذا كمال نفض بالعقل ما يرمه الشبهات واخذ اخلاقه على ما حمد من المذاهب وساس نفسه فاهر الها على الخيرات والفهم خزانة للعقل ونور يبصر ما امامه وانما نكص على عقبيه من خانه فهمه وخذله عقله وضيع ما استودعته له الايام وكان ابن يومه ونتيج ساعته ومن ملكته نفسه او زدته الموارد المؤدية واشرفت بعدوه عليه في قبح احواله وبحسبك مؤدبا الخصال التي مدفعها العقلاء ما رأيته في غيرك من حسن يغبطه او قبيح تذم عليه فمن لم يميز ما يعي من الدهر ويتفهم من اخبار الناس فيصطفي الافضل من المحمود على الانقص من المذموم فلا حياة له ولا حيلة لمصلحته والدهر افصح المؤدبين وكفاك من كل يوم خبر يورده عليك ويعلمك من آياته ناحية اتى به الى من بصره وما فيه لمن قبل به عنه وانما الايام مراقي في الادب ودرجات الى العلم المخبر عمن فهم عنها او ورث زيادة وسطع نور علمه ولم يفتقر الى غير نفسه على الابن آدم طبقات في عمره وحالات في ايامه وانما ذلك على قدر غرته بايامه وغفلته عن زمانه وداد الحفظ اخبار الزمان ودرس ما يملكه عليه الايام القيمة عن قليل يحتنك الراي نافذ البصيرة حازها فيما يحيك من امور وعلى حسب احاطة عقله واعانة فهمه له يكون اشرافه على الدهر واحكامه لمعضل ما كلف ولو صحب ذو الغفلة ايام الدنيا بعجائب ما انصرفت به على الغرور ولم يزل جذعا في الغرة واذا رايت ذا العمر منذ ليتهما فما يحدث له الغفلة ظلمة راكدة والمعرفة مصباح للخليقة الطويل والسن القديمة كثر التعجب مما يرى ويسمع فذلك لقلة حفظه للتجربة ولسهوه عما مرت به عليه الليالي

للرودكي: هر كرا ايزدش بخت هوش داد روزكار اورا بسنده اوستاد
هر كه نا موخت از كذشته روزكار نيز نا موزد ز هيچ اموزكار

من الصابر الا من جبار. قال الحكم من جرى مع هواه طلقا جعل للعقل عليه طرقا. قال ابن ابي الدنيا قال بعض الحكماء اوصينا بامرين جامع فقال احفظوا وعوا انه ليس من احد الا ومعه قاضيان باطنان احدهما ناصح والآخر غاش فاما الناصح فالعقل واما الغاش فالهوى وهما ضدان فايهما غلب وهي الآخر. وانشد الغزي

اذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى فقد ثكلته عند ذاك ثواكله
وقد اشمت الاعداء طرا بنفسه وقد وجدت فيه مقالا عواذله
ولم ينزع النفس اللجوج عن الهوى من الناس الا واحد العقل كامله

قال الهدادي لم يعلم هشام شعر الاعشا واحدا

اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى الى بعض ما فيه عليك مقال

قال ابن المعتز وكل مكروه ختم بمحبوب وانتهى الى السلامة فالهم عنه زائل والاجر عليه حاصل. قال بعض مشايخ البصرة اتيت ابا عبد الله بن عرفة ايام حداثتي وعزاري لاستمع نفسي من فضله واجتلي جوهري بادبه فلحظني متوهما للنجابة حاكما على بحسن الاستجابة وقال لي يا بني هل لك جاد مستنجث على طلب العلم فقلت نعم فقال لي نعم قال النعم لا بلد النقر واراد بسطي وبشرى بهذا الود ثم قال اي اقوى في نفسك ان تعلم الحلال والحرام او ان تتعمق في الكلام او ان تواصل اهل الادب والبيان فقلت بل مواصلة اهل الادب فقال اما خال تسمانك وله خلف بر فيك اما انك اذا ابيت الا ذلك لما تجد في طباعك من النزاع اليه والاشتمال عليه فخذ من الشعر القديم افصحه ومن الخبر الماثور املحه واستغن بجليل النحو عن دقيقه ولكن عليك اللغة واحرص ان تعلم ولا تحرص ان ترسم واكنف بادني علمك ولا تتراس على من دونك بل ان كان معه شيء فاره انك دونه حتى ياخذه منه فان من استعجل الرياسة قبل حينها اذلته. قال ابو حاتم قال ابو عبيدة لا تردن على احد خطا في حفل فانه يستفيد منك ويتخذك عدوا.

لعلي بن عبيدة:
وجدت الله جل ثناؤه جعل الرضا وكنوز الغنا في سعة العقول ولين الاخلاق وانفساح النفس وحسن التوكل على كفايته

لابي احمد التمامي رحمه الله:

ومن انعم الاقوام عيشا مسالم لايامه ذو فطنة متغافل
ومن لم يسلم للنوائب لم تزل تفاجيه منها معضلات بلابل

وقال علي بن عبيدة:
الجزع من اعوان الزمان والصبر يناضل الحدثان

للشافعي:

اذا المشكلات تصدينني كشفت حقائقها بالنظر
لسانا كشقشقة الارحبي او كالحسام اليماني الذكر
ولست بامعة في الرجال يسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مدرب الاصغرين اقيس بما قد مضى ما غبر

لابي كلمة الذئب وقالوا انه رافع بن عميرة الطائي:

رعيت الضان احميها بنفسي من اللص الخفي وكل ذيب
فلما ان سمعت الذئب نادى يبشرني باحمد من قريب
سعيت اليه قد شمرت ثوبي عن الساقين في الوقد الركوب
فالفيت النبي يقول قولا صدوقا ليس بالهزل الكذوب
يبشرني بدين الحق حتى تبينت الشريعة للمنيب
فابصرت الضياء يضيء حولي امامي ان سعيت وعن جنوبي
الا ابلغ بني عمرو بن عوف واخوتهم جديلة ان اجيبوا
دعا المصطفى لا شك فيه فانك ان اجبت فلن تخيبوا

ان يرى تحقيق ذلك عقوبة له على تهاونه بخالقه وكما تحجب
الموحد من فعل المشرك كذلك تحجب المخلص من فعل
المرائي وقد جربت ذلك وعاينت لو نفع العيان اقبلت
على مخلوق بقلبك وقولك او سعيك تلتمس منه فلم يكن لك عنده
دفع ولا نفع سوى ما كتب لك في كل ذلك وجفوت اخر
وكان كذلك ورايت عقوبة ربك حين حلت بك من دنياك ودنيا
نفسك او مالك او غيرك كيف عملت ونفذت وتفاقمت
ومالت ورايت ثوابه ونيله وعطاه كيف نفع ودفع و
نفذ وانجح وقضا ونعش وعيش في نفسك او مالك او
دينك او دنياك ففي ذلك لك عبرة لاولي الابصار ٥ ايقن
بان الخطرة الواحدة من الرغبة في المخلوق اذا استقرت
لتشتت عليك الدنيا والاخرة وصيرتها عليك كدرا
وظلمة ونارا وشينا وضيقا وهو لا يرجى لك غفران الذنوب
مادام ايمانك ثابتا ويخاف عليك جميع حسناتك ان
يكون اضر عليك من سيئاتك اذا خالط ايمانك شك وتكدر
من طريق ما ذكرتك ٥ يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا
ناصر ٥ ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ٥

وقال الانطاكي قال اني اخي الله الله في ايمانك تعاهد زيادته ونقصانه وذلك قوته وضعفه
انظر من اين يقوى ومن اين يضعف وخف اذا ضعف ان يذهب لا تامن ذلك ولا تخدع عن
نفسك ولا تغترن منها واعلم ان التحقيق انما يقل لقلة التصديق ويكثر لكثرة
التصديق وانما التحقيق دليل على التصديق وشاهد له التصديق هو الام وهو الاصل
والتحقيق الفرع فانظر في تصديقك اكثر من نظرك في كل شيء وتعاهده واعتبره
بما يكون منك في الخلوة وما تدع من الشهوة حيث لا عين ولا اذن وما يكون عند
الغضب والهوى والمخالفة والذل والعداوة والخروج مما عليك مما لا
يعلمه الا الله فبذلك فاعتبر وعند ذلك فاعرف الضعف والقوة ٥
التصديق عندنا اكثر من التحقيق والمراد من التصديق التحقيق ليس هذا بناقض
ذلك ولا ذاك بناقض هذا لان التصديق ام والتحقيق ابنت والتصديق
اصل والتحقيق فرع والتحقيق عن التصديق كان الفجر عن الشمس افهمه ٥
هذا فانه من اصولنا التي لو نقشت في الحجارة كان ذلك صوابا ان شاء الله
اراد الله تبارك وتعالى من العباد التحقيق لانه لا علم للناس بباطن الناس لا علم
عندهم بعضهم فاراد الله ان يعرف المؤمنون بعضهم بعضا ويعرفهم
من خالفهم واراد نفعهم وزيادتهم وزينهم بظهور التحقيق واراد
تبارك وتعالى ان يكون التحقيق شاهدا لهم على التصديق وجعل التحقيق
كتغير اللون ونحول البدن ونقصان الطعم وقلة المراة يدل على
علة باطنه وكصفا اللون وظهور الدم ونجالة الجسم وشهوة
الطعام واستمرائه يدل ذلك على صحة باطنه فشهد لهم بالتحقيق
على التصديق وعرفهم به علمه وجعلهم به ينظرون اليه ليعملوا
في التصديق قوته وزيادته ويسئلوا عنه اهل الخبرة به وبزيادته
ونقصانه ويسئلوه في ذلك من فضله ويقبلوا على الاسباب التي
جعلها لهم في كتابه وسمائه وارضه فيقووا من حيث

المخلص كراكب السفينة المحكمة ٥ المخلط كالمضطرب
في الموج المشرف على الهلاك ٥ المخلص كالمنتشر في
ضوء النهار ٥ المخلط كالساري في ظلمة الليل ٥ المخلص
كالملك المتوج ٥ المخلط كالمريب الخائف ٥ والمخلص
معصوم من الآفات والهلكات عاجلا وآجلا مقبلا و
مدبرا ضاحكا وباكيا بزكايه وصفايه وضيايه مصباح المتوقد
من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية لا يصيبه كدر وظلمة
عند طلوع الحق عليه في نوبته الى افوله ومضيه ٥
يا عجبا من عبد يدعي العقل والبصر كيف يلتمس مضرة
نفسه ويصرف من منفعتها جهده بل كيف يدع ربه و
يعبد غيره ام كيف يستعين بربه ويرجوا منفعته وهو
يرى المعونة عند غيره ام كيف يسأل ثوابه وهو راغب
في ثواب غيره ام كيف يذوق حلاوة ايمانه وقد خلطه
بشركه ٥ كم من عابد بغير اخلاص قد قتلته عبادته وزاهد
بغيره قد اهلكه زهده وعالم بغيره قد اغتاله علمه و
حكيم بغيره قد اعطبته حكمته وقائل بغيره قد اوبقه
قوله وصامت بغيره قد ارداه صمته ولين بغيره قد اتلفه لينه
وشديد بغيره قد استاصله شدته ومعطي بغيره قد

اغواه عطاؤه وممسك بغيره قد اشقاه امساكه
فليعمل العامل ما شاء ان يعمل بغير اخلاص فانه يعمل في
دماره وخساره شعر او لم يشعر والقليل منه مخوف
كالكثير فان قليل السم مخوف هلاكه ككثيره ٥
المخلص تعرض لمقت الناس في جنب محبة الله فاحبه الله
وحببه الى خلقه وبسط عندهم عذره بعد ما كتم جهده
وزين عندهم من امره ما قبح على نفسه ٥ ثلث
لا يخطئن الصادق الملحة والمحبة والحلاوة ٥ والمخادع
تعرض لمقت الله في جنب محبة الناس فمقته الله ومقته
الى خلقه وقطع عندهم عذره بعد ما اظهر جهده وقبح
عندهم من امره ما تزين به عندهم ٥ ثلث لا يخطئن
الكاذب السماجة والبغضة والكراهة ٥ تهاون
المخلص بنفسه في جنب عظمة الله فعظمه الله عاجلا و
آجلا وكذلك يجزي الرب الكريم كرام عباده ٥ تهاون
المخادع بعظمة الله في جنب تعظيم نفسه فحقره
الله عاجلا وآجلا وكذلك يجزي الجبار المستكبرين من
عباده ٥ المخلص تعامس بنفسه عند هواها ففتح الله
بصره لعساكر الحق ٥ المخادع تعامس حق الله في

جنب هواه فاعما الله بصره عن رؤية الحق ٥ المخلص
طعم بقلبه مرارة الذل كما طعم بفيه مرّ الدواء فصدا
له دون حلاوة الثنا والمنزلة اذ علم انها مسمومة قاتلة
فاطعمه الله حلاوة الحق واصح عليها بدنه ٥ المخلط
طعم حلاوة الثنا وفتن بها حين ذاق منها ونسي ما كان
فيها من السم القاتل فحرمه الله حلاوة الحق واستدرجه
من حيث لم يعلم ٥ المخلص تحامق على نفسه وقام في امر
مولاه بالجد والعقل وطهره الله من الحمق وحشاه عقلا ٥
المخادع تحامق على الحق وقام على نفسه بالجد والعقل
عنده فاعراه الله من العقل وحشاه حمقا ٥ المخلص عامل
الله بقلبه في جميع اموره فاستجلا دينه خدمته واتبع
جسده قلبه ٥ المخادع عامل بجسده وصرف منه قلبه
فاستسمج دينه خدمته فخذله واستقذره ٥ المخلص كالربية
الحفيظ الذكي على قلبه يتعهد من يدخل ومن يخرج يبصر
الباطل من بعيد اذا اقبل فيلمع بشوب الخوف الى
جند الصدق حتى يقبلوا اليه ويقتلوه ٥ المخادع كالنائم
في دار حربه فلا يزال السراق يختلسون ما فيها اذا تحرك

تحرك المفتنة اغار مجمع على ما في داره ودفع اليهم
لسكر النوم الذي في راسه ٥ فانظر ايها المحروم المرحوم
نظر منتبه مجد معتني لعلك تبصر قبل ان يفوتك النظر
فانك على خطر في كل طرفة عين و وضع قدم و
استحي ممن لم يقطع عنك فضله طرفة عين ولم تقطع
عنه حمقك وجهلك طرفة عين ٥ القليل من الكذب
اذا استقر في القلب حول العقل وافسد القلب و
انجس النفس وكدر العقل ولبس الامر وغلط الفهم و
اظلم البصر ووهن الجسد وشان الوجه وابعد
السبيل وعمى الطريق واخرب المنزل وكلل السلاح
وسلط العدو وكشف العورة وسلب الامن وبسط
الهول والبس الذل واورث الجبن واظهر الكسل و
اكثر الفشل وضيع العمل وفرق الهمم وشتت
الشمل وادحض الحجة ونقض المبرم وافسد المحكم
ونغص العيش وانشا الجهل ورد النصيحة وقبل
الفضيحة وانزل الجور واعدم العدل وهيج الهم
وطول الغم وخلط الطبائع وابطل المروة واعمل

السخافه وقرب الفتنه وهدم الهدايه واسا الخلق و
عذب النفس وعطل الادب واوجب المقت وهتك
الستر واعقب الندامه ونشر العيوب واكسب الذنوب
وسلط الشيطن واسخط الرحمن ٥ فمن ابتلي فليهرب
من الكذب على حسب ذلك فانه والله كذلك ومن شك في
ذلك كان شكه من كذبه وهو علامة هلاكه الا ان يخرجه الله
من الظلمة الى النور برحمته ٥ واذا استقر الصدق
بكماله في القلب وتفرغ القلب بكليته له اكمل العقل و
رفق القلب وقدس النفس وصفا العمل واوضح الامر
وجدد الفهم واضا البصر وقوا الجسد وزين الوجه و
قرب السبيل ومهد الطريق وعمر المنزل وشحذ السلاح
وكبت العدو وغطا العوره وكسا الامن وطوا الهول
وسلب الذل واورث الجساره واظهر الجد واكثر
التاييد وانفذ العمل وكفا الهموم وجمع الشمل وكد
الجد وابرم المنقوض واحكم الفاسد وطيب العيش وانسا
العلم وقبل النصيحه ورد الفضيحه وانزل العدل واعدم
الجور وسخر الهمه وفلل الغم وقوم الطبايع وحقق
المروة واعمل الحصافه وابعد الفسه وابتنا الهدايه

واحسن الخلق واراح النفس واحيا الادب واوجب المحبه
وارخا الستر واعقب السلامه وستر العيوب وجذ الذنوب
ودحر الشيطان وارضى الرحمن فمن ابتغى ذلك فليطلب
الصدق على حسب ذلك فهو والله كذلك وبالله الواحد القهار
فليستعن وليكثر تضرعه وتخشعه فانه المعين الهادي الدليل
الكافي المويد الناصر العطوف الروف ولا قوه الا به ٥
الصدق طبيب الايمان والدين والمومن الصادق يعرف
جميع الدا والدوا من نفسه وغيره من قبل الدين والدنيا و
كان ابصر الاطبا وانفذهم رايا فيه وارفقهم واعلمهم يكون
مع اعظم ملوك الناس واكبرهم كذلك يكون اكمل
الصدق واتمه واوسعه وانوره مع اصلب الناس ايمانا
واكمله وافضله معرفه واوسعه واقربه من ربه على حسب
ذلك ينقذه من مهالكه ويدله على موافقه ويعرفه الدا والدوا
من نفسه وغيره ٥ وقال ابو سليمن الداراني الصادق لا
تضره الفتنه ولا غيرها حتى يخرج من الدنيا بل تنفعه ٥
وقال سلم الخواص اسم الله الاعظم هو الصدق ومن
دعا به اجيب ٥ وقال الله توقد من شجرة مباركة
زيتونه الاخلاص لله وحده فهو قد اخيره من ان يضله

شيء من الفتن فكان الصدق بمنزلة الطبيب للمؤمن به معرفة
الدا والدواء كله فالكذب بمنزلة السم القاتل والداء العاضل
ومنه الادواء والامراض والاسقام كلها والجهالة بالداء والدواء كله
وقال ابن منبه كما لا تمكث النار في الماء حتى تطفا كذلك لا تمكث
للرياء مع العمل حتى يبور وكما يبدي من ستر الزانية حبلها و
تخزيها وتفضحها بالفعل كذلك تفتضح السيء من كان يغتر الناس
بالقول الحسن اذا قال ما لا يفعل وكما تكذب معذرة السارق
بالسرقة اذا ظهر عليها عنده كذلك تكذب معصية الله الفاسق
اذا كان يعمل بما يبرأ به لم يرد بقراءته وجه الله ٥
عمرو بن زرارة عن ابي جنادة عن الاعمش عن خيثمة عن عدي بن
حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه يؤمر يوم القيمة بناس
من الناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا
الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا ان اصرفوهم
عنها لا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون
بمثلها قال فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريناما اريتنا
من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال
ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم
الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني
من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم

تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم من
اليم العذاب مع ما حرمتكم من الاجر والثواب ٥
وبلغنا ان رجلا سال النبي صلى الله عليه فيما النجاة غدا قال
في ان لا تخادع العبد ربه قال وكيف تخادع العبد
ربه قال يعمل بما امره الله يريد به غير الله وان من
يخادع الله يخدعه ان المرائي ينادا يوم القيمة باربعة
اسماء يا كافر يا غادر يا فاجر يا خاسر ضل اجرك وحبط
عملك اذهب فالتمس اجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع
وبلغنا ان النبي صلى الله عليه قال واد في جهنم تتعوذ
منه اهل جهنم في اليوم الواحد اربع مائة مرة قالوا
يا رسول الله من يسكنه قال القراء المراؤون باعمالهم
وان ابغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء ٥
قال عباد بن نسي دخلت على شداد بن اوس وهو يبكي
فقلت يا شداد ما الذي ابكاك قال ابيت رسول الله صلى
الله عليه فرايت في وجهه امرا ساءني فقلت بابي انت وامي
ما الذي ارى بك قال شيء اتخوفه على امتي من بعدي
فقلت ما هو قال الشرك والشهوة الخفية فقلت

يا رسول الله او يشرك امتك بعدك فقال اما انهم
لا يعبدون وثنا ولا حجرا ولكن يراؤون الناس باعمالهم
قال عبد الواحد وهو الذي روى الحديث فاتيت الحسن
فقلت له يا ابا سعيد الريا شرك هو قال او ما تقرا به قرانا
قلت اين هو قال في كتاب الله من كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا ٥ قال ابن منبه
ان الله امر الناس بالاخلاص وقال الا لله الدين الخالص ولمن يكون
ما ليس بخالص من الدين ان لم يكن لله فما قدروا الله حق قدره
فانه لا يكون الخلط والغش والعيوب الا في دين من لا يقدر
الله حق قدره فاما امرؤ يستيقن ان الله يحصي على بني ادم
كما قال لا يعزب عنه مثقال ذرة وان كان مثقال حبة من
خردل اتينا بها ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى
فافهم ما قال الله حين امر بالعبادة الخالصة والدين الخالص
ثم جمع ايضا الدين كله فقال الا لله الدين الخالص نوذر الله
بذلك تاديبا كانه لا يريد ان يكون له من الدين ما ليس بخالص
فان الله اهل ذلك وبمنزلة ذلك في العلا والعزة والقدرة
والغنا لا يغيب عنه شيء ولا يشترك منه شيء ولكنه يطلع
على عورتك بالحلم الذي خلق به قلبك ويحصي عملك بالعلم

الذي به خلق عقلك ويعلم ما اخفيت بالحكمة التي بها خلق سريرتك
واعلم ان خلقه لذلك منك اعجب من علمه به وان كان ذلك عجبا فلا
تغترن بشيء من المخادعة في دين الله واعلم ان الله هو للمخادع له
اشد مقتا منه للرجل الغشوم وان كان كليهما مسيئين وان الغشوم
يغشم من قلة العلم وان المخادع يظن انه يغلب بعلمه علم علام الغيوب
وذلك حين تهاون بامر الله ٥ فاخلص طاعة الله بسريرة
ناصحة يصدق الله بها فعلك في العلانية فان من يعمل خيرا ثم اسره
الى الله فقد اصاب موضعه وابلغه قراره وان من اسر عملا
صالحا لم يطلع عليه احد الا الله فقد اطلع عليه من هو حسبه و
استودعه حفيظا لا يضيع اجره ولا يخاف على عمل صالح
اسره الى الله ضياعا ولا يخاف ظلمه ولا هضمه ولا
تظنن ان العلانية هي انجح من السريرة فان العلانية تنفع مع
السريرة الصالحة كما ينفع الشجرة صلاح فرعها مع
عرقها ان كان حياتها من قبل عرقها فان فرعها زينها و
جمالها وان كانت السريرة هي ملاك الدين فان العلانية
معها تزين الدين وتجمله اذا عملها مومن لا يريد الا رضا ربه ٥
ايها المريد ان كنت مريدا فات الامر من وجهه تصب ارادتك
قال من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه اعلم ان

اصل الاخلاص ذكر الله بالقلب ذكرا دائما طريا ابدا كانك تنظر
اليه في قدرته وقربه وقدسه تريه ببصيرة قلبك اقرب اليك
من حبل الوريد وتريه ناظرا اليك كانه قصدك بالنظر
اليك من بين جميع خلقه فان نظرة اليك نظر تام كامل لا يشغله
شيء عن ذلك فاذا كان قلبك كذلك سلمت من الافات واذا
زال عن ذلك وقعت في الاخطار وان كان طرفة عين قال
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم
ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون الخناس
الذي يوسوس في صدور الناس قال اذا ذكر الرحمن خنس و
اذا ترك ذكره انبسط على القلب يوحي ويوسوس ولا
قوة الا بالله ٥ ايها الغافل انما يشق عليك الصدق لانك
جفوته على كثرة بره وجفوته على جلال قدره و
ازديت به على ارتفاع شانه فعوقبت بذلك وانتصر
منك وعسر عليك وحبسك في سجن الكذب وضيقه
وضنكه وبؤسه وعذابه فليكثر عنايتك واهتمامك
وحزنك وتضرعك الى ربك في ان يخلصك من غوائل
الكذب ويعفو عنك ويردك الى روح الصدق فانه
قريب مجيب ٥ اذكر يوم تساق الى ربك وليس لك

عنده شفيع ولا معين الا صدقك واذكر حين توضع
موازينك ولا يثقلها الا صدقك ولا يخففها الا كذبك
واذكر مرورك على الصراط ولا يثبتك عليه الا صدقك
ولا يلبثك فيه الا كذبك وكانك بهذا كله قد عاينت و
ايقنت وحضرت وشهدت وذهلت عما انت فيه
يومك كانه لم يكن قط وكان الذي يستقبلك لم تزل فيه
منذ كنت فان كنت تريد رضا ربك فان رضاه كله في
الصدق وان كنت تريد منفعة نفسك عاجلا واجلا
فكلها في الصدق وليس ساعي يسعى وراءها دونك الا
هو هالك ٥ او ما تتوق نفسك الى منازل من ذكر لك
من الماضين والباقين من اهل الصدق وشرفهم وعزهم
وفخرهم وروحهم وراحتهم وغناهم وملكهم ونصرهم
وفلجهم عاجلا واجلا فلا ترض لنفسك دون منازلهم
اذا لم تقنط ولم تويس منها وانك ان طلبت منها ذلك
طلبت الى كريم قادر يحبيك فيما لا ينقصه ولا يفدحه
ولا يؤوده ويلين لك ما استصعب عليك ويقرب لك
ما بعد منك ويوتيك ما لم يخطر ببالك ولم تبلغه امنيتك

بقدرته وكرمه ثم تحمدك عليه ويثني عليك ويباهي بك ٥ او ما نزهت
نفسك وترتاح من منازل من ذكر لك من الماضين والباقين من اهل
الكذب وخساستهم وذلتهم وجهالتهم وهوانهم وكربهم وفقرهم و
عذابهم وخذلانهم عاجلاً واجلاً فلا تامن على نفسك منزلتهم اذ لم
تومن وانك ان طلبت ذلك طلبت الى نفس لئيمة عاجزة غادرة
ماكرة معطبة متلفة لا تقدر على نجاحك وخلاصك ولا تتوانا في
تلفك ودمارك طاقتها لم يبعد عليك القريب وتوعر لك السهل
وتقحمك امواجاً لم تحسنها ثم تذمك عليه عند ربك وتتبرا منك اللهم
سلمه ٥ ايها البائس المستكبر انظر الى بؤسك ومسكنتك وارحم
نفسك وارفق بها عن هلاكها ولا تعنها على عطبها واكثر
تضرعك الى من بيده ملكوتها تقلبها كيف يشاء وليشغلك خوف
احسانك ان يكون مكراً لك او مدخولاً بما لا يرضاه ربك او خذلانا
لك في العاقبة عن قصدك لاسائك وارغامك لربك الذي خلقك
فسواك وعلمك وهداك ورباك وغذاك بالوان النعم صغيراً
وكبيراً وكان قادراً على ان يعوضك من علمك جهلاً ومن هداك
ضلالةً ومن عافيتك بلاءً كما رايت قدرته في ذلك على كثير من
خلقه فاختار لك بفضله ما هو ارفق بك وادين لك واجدى
عليك ثم عرف لك حرمتك من غير استحقاق منك ذلك بشئ

كان منك وجعل لك منزلة وقدراً وخطراً ان احسنت اعانك
اذا كنت مريداً وان اسأت غفر لك اذا كنت كارهاً نائباً اظهر
احسانك وستر اساتك فمن اقام عبادته لم يرض منه دون ان يستر
عليك عيوبك ويغفر لك ذنوبك ويواسيك ويعينك ويكف
عنك شره واذاه ويرحمك ويتعطف عليك فان لم يفعل ذلك
ردّ عليه عبادته وازال عنه نعمته وان فعل ذلك بك رضي عنه وارضاه
واكرمه وحباه اكراماً لك وخصومه عنك ومناضله دونك و
حفاظاً عليك اخدم لك الارض وما عليها والسماء وما فيها ثم قام
يدفع آفات ما بينهما عنك اذ كانت محيطة بك ومشرفة
عليك ومقبلة اليك قد حشيت دارك بها ثم خاصم عنك
ملائكته حين عيروك وارادوا تلفك حتى ابتلا منهم من ابتلك السماء
بالذنوب والعيوب وركوب الشهوات والتعلق من
عقوبته فيك وردّاً عنك وسخر الاخرين للاستغفار لك والرفق
بك والله لو فعل ذلك بعض مملوكك ذلك لك يرجوك ويخافك ويفتقر
الى ما في يديك لكان يستوجب عليك البر والكرامة والتعظيم والشكر
والايثار فكيف يا غافل اذ فعل بك ذلك سيدك الذي لا يخافك
ولا يرجوك ولا يفتقر اليك لو عرفته ما كثرت حاجتك
الى كثرة الوعد والوعيد وما اقل ما يغني عنك الوعد والوعيد
دون معرفته والتصديق له ما اظنك تنتفع بما تسمع وتقرا

اكثر من استجلابك بقلبك واقرارك بلسانك وتحجبك من حكمة متقنة
اذ لم يكن له عقل ثابت وانتباه ثاقب وهذه كلها اسباب الغرور
اذ لم يكن معها انتباه وعقل وبالله التوفيق اللهم كل خلقك ضعفا
مضطرون اليك فاستغرق قطرات جهلهم في بحور حلمك الذي
لا تدرك قعرها ولا تبلغ حدها وتغمد هفوات ذنوبهم
بستور عفوك الذي لا يدرك مقدار كثافتها وحصانتها و
اعنهم بجودك على ما سالتهم وكلفتهم على ما عرفت من ضعفهم يا قوي
يا عزيز فان الانفس اليك مضطرة والقلوب اليك والهة والعيون
اليك شاخصة والايدي اليك شائلة والصدور اليك مائلة فان
الموفق بيدك ولك الحمد على ما الهمت وعلمت من ذلك رب
العالمين ٥ وقال بعض الحكماء لا تطمع في السهر مع الشبع ولا
تطمع في الحزن مع كثرة الطرب ولا تطمع في الخوف مع الرغبة
ولا تطمع في الانس بالله مع الانس بالمخلوقين ولا تطمع في الفكرة
مع تفرق القلب في اودية الاموال ولا تطمع في الهام الحكمة مع
الرياسة ولا تامن الخديعة في الالهام مع ترك التقوى ولا
تطمع في صحة امورك مع مخالطة الظلمة ولا تطمع في
حب الله مع حب المال والشرف ولا تطمع في لين القلب مع
الجفا لليتيم والارملة والمساكين ولا تطمع في رحمة الله مع
ترك الرحمة للمخلوقين ولا تطمع في الرشد مع ترك مجالسة

العلما ولا تطمع في الحب في الله مع الطمع وحب المحمدة و
التكرمة ولا تطمع في الورع مع الحرص على الدنيا ولا تطمع في
القناعة والرضا مع قلة الورع ٥ ان الذي يصح عقله وصفا
عقد معرفته اذا اتاه العز عند الخلق عفوا من غير طلب هاله
ذلك وافزعه وخاف بوائقه وخشي ان يكون ذلك فصيبه من
عز السما او يحمله ذلك على التكبر والتجبر والتطاول والآفات
وفر منه اذ دامن اقرب المنازل الى العبودية الذل فكيف
يلتمس ويتمنا او يتكلف ما لم ياته من العز ولكن الشان في صحة
العقل وصفا المعرفة على يوفق الله ٥ واعلم يقينا ان الذي
ثبت له عند خالقه قدر في السماء لا يطلب قدرا ومنزلة عند
غيره والطالب لذلك لا يطلبه الا بقدر ما سقط من قدره ومنزلته
في السما على قدر ذلك يطلب في الارض من المنزلة والقدر عند الخلق ٥
وقد جعل الله للامور اسبابا ورايت اقرب الاسباب الى الصدق
واعون الاشيا عليه واهشك الاشيا له بلشا اشيا كادان يجتمع
الصدق كله فيها او قد اجتمع باذن الله احدها ذكر الله دائم في
القلب يباشره مباشرة كانه جل جلاله نصب عينك وانت
ناظر اليه في جميع احوالك كما قال اعبد الله كانك تراه ٥
والثاني لسان صموت لا يكاد ينطق الا عند ما يخاف العقاب
على السكوت فاذا نطق وكانما يخاطب ربه ويحاوره وذلك
لقلبه ٥ والثالث جسد خامل لا يكاد يعرف فاذا عرف

اخمل امره حتى لا يكاد يطلع على امره ٥ في الصدق وشرفه ومنزلته:
واعلم ان الصدق ابعد الاشيا كلها مطلبا واعز الاعمال كلها وجودا
وذلك لعظم خطره وشرف منزلته وارتفاعه على ساير الامور فانه ملك
الخيرات كلها وامام البر كله فان فوق كل بر بر وفوق كل عمل
عمل وليس فوق الصدق الا الله وحده فان منزلة الصدق من الاعمال
منزلة الخليفة من الرعية والعمال فان الوصول الى العمال الف مره
اهون من الوصول الى الخليفة مرة ولكن من وصل اليه وصار له عنده
منزلة وخصوصية كان له من تحت يده وذلك لمن دونه واجتمع له
الملك الجليل ولا يكاد يصح الصدق ويصفو الا على قدر صحة المعرفة
وصفاها وشدة اليقين وثباته والله المستعان ٥
عبد النفس عبد الدنيا والخلق ٥ عبد الرب سيد الدنيا والخلق بعد
الله ٥ لا تنظر الى غير الله لا يتول رياضتك غير الله ٥ لا تعبد غير
الله لا يستعبدك شي سوى الله ٥ لا تطمع في غير الله لا يطمع فيك
غير الله ٥ لا تستعمل حركاتك لغير الله لا يستعملك غير الله ٥ لا تنس
جلال الله لا تزل جليلا بالله ٥ لا تغفل قدرة الله تكن قادرا بالله ٥
كن ناصحا لله تكن اماما لاوليا الله ٥ اخلص كل امورك لله تخلص
لك كل معونة الله ٥ انصر حقوق الله ينصرك الله ٥ لا تعظم
عليك المكاره في ذات الله لا يعظم على الله تسهيله لك الصعاب ٥ ان
تكرمت له فايقن بانه اكرم منك لك ٥ وان احتملت له فايقن بانه

منك لك احمل ٥ وان نظرت له فايقن بانه انظر منك اليك ٥
وان صفوت له فايقن بانه اصفا لك منك ٥ وان اخلصت له
فايقن بانه اخلص منك لك ٥ وان بذلت له فايقن بانه ابذل منك لك ٥
وان جمعت له فايقن بانه اجمع منك لك ٥ وان حفظت عليه
فايقن بانه احفظ منك عليك ٥ وان دنوت منه فايقن بانه ادنا
منك اليك ٥ ملك من ملوك الدنيا يكره ان يساويك في مكافاة
برك ويانف من ذلك حتى يتفضل على قدره وخطره فكيف بملك
الملوك ٥ انت فقير الله فهما منك اليه وفهما منه اليك وهو غني عنك
فهما منك لله وفهما منه اليك ٥ كيف اوهمتك نفسك ان تصفو
منزلتك عنده من غير ان يصفو له كل هواك في جلاله وقدسه
وانت في جفاريتك وبذا لك ثم لا تصفو عندك منزلة من لم تر انه قد
صفا لك كل هواه قد جعل ذلك حجة عليك ودليلا عليه وعلى
امره وقد ضرب في نحو ذلك مثلا لعباده فقال ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه وقال
انت لا تقبل دون حقك الاعلى الا اغماض والكره فكيف ترضون
لي ما لا ترضون لانفسكم ٥ لا ايثار على الله من الجهل بالله و
الجهل بالله من الميل عن الله والميل عن الله من الجهل بالله بالجهل
به مال عنه وبالميل عنه ازداد جهلا به ٥ والايثار لله من المعرفة
لله والعلم بالله والعلم بالله من الايثار لله عرف الله فاثره واثره

وازداد علما به وما اقل كثير علم العالمين بالله في قليل علم الله ولا قليل
منه وما اصغر جليل تعظيم المعظمين لله في يسير عظمة الله ولا يسير منها ٥
والخلق خوطبوا ودون حجاب النور الجليل على قدر ما هم عليه من ضعف
التركيب ولم يحملوا اكثر مما حملت طاقتهم الضعيفة والفهم
السخيفة فكان يكون ذلك موديا عما وراءه مما دعوا الله مثل الاطفال
والبهائم لا يخاطبون الا بنحو طبعهم والفهم ولو ارتفع الحجاب لما
احتملوه ولا اطاقوه لتكون الامور لئلا بعضها على بعض بحكمة
احكم الحاكمين ٥ وصلى الله على محمد وعلى جميع النبيين والمرسلين ٥ تم كتاب الصدق والاخلاص ٥

قال الشيخ العارف ابو الحسن الزنجاني رحمه الله وكان المشايخ بالاستقامة لا ينافي له الصدق الا بعد ان موطن الصبر على مكروه
النفس لانه من مال قلبه الى نفسه من جهة الموافقة لا يشم رائحة الصدق لان محل الصدق ان يكون لله عبدا حقا فاذا مال قلبه الى
نفسه صار لنفسه دون الله وهذا اصل لا خلاف فيه ... [illegible]
... [illegible]
ان المكروه عشق الصدق ... [illegible]
كما قيل في حكاية ... [illegible]
فالجنة في الدنيا الصدق ... [illegible]
بتفرده لله وحقوا ... [illegible]
الله قليلا ... [illegible]
مطية المؤمن ... الا بالصدق وصدقه لقطاعه عما سوى الله ... قال رحمه الله قال الله تعالى لنبيه عليه

فصل في المعرفة ايضا

السلام فاعلم انه لا اله الا الله وقال عز وجل ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته وقال
النبي عليه السلام لو عرفتم الله حق معرفته لزالت الجبال بدعائكم وقال الشيخ ابو القاسم رحمه الله
المعرفة علم الاشيا باعيانها والعلم معرفة الاشيا بحقائقها فالمعرفة فرض لازم على كل عاقل
بالغ وهو ان يعرف كل عاقل انه بذاته محدث وان له محدثا احدثه على ما شا ومحدثه لا يشبهه بوجه وهو
ما قال النبي عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ابو بكر الوراق وهو انه اذا نظر في نفسه راها
مكونة من قطرة ماء مهين ثم من دم ثم من مضغة ثم من علقة وراى صورة بدل الانسان على حكمة صانعه علم
يقينا ان له خالقا مصورا صوره ومدبرا دبره على ما اراد وقال غيره اذا نظر العاقل في نفسه راه
شيئا موجودا بعد ما كان معدوما فيعلم انه لم يحدث نفسه ولا ظهر بالبخت علم يقينا انه احدثه غيره ثم

فصل في الصدق والاخلاص ٥

علم ان محدثه لو كان محدثا مثله لاحتاج الى محدث يحدثه فعلم يقينا ان محدثه قديم ازلي
لا ابتداء له ثم راى نفسه اجزاء مؤلفة محتاج بعضها الى بعض علم يقينا ان محدثه ليس بذي
اجزاء ولما نظر في نفسه راى جسما تركب فيه الروح فيحيى به علم ان محدثه ليس بجسم ولا ذي
روح مركب فيه كالاحياء بل هو حي بذاته ولما راى نفسه محلا للاعراض والحوادث وهي
مضطرة اليها علم ان محدثه ليس بمحل للاعراض والحوادث ولما نظر في الاشياء راها اجساما
او جواهر او اعراضا او خيالا علم ان محدث هذه الاشياء ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا
خيال وراى نفسه ساكنا متحركا متمكنا منتقلا علم يقينا ان محدثه لا يوصف بحركة ولا سكون ولا
تمكن ولا انتقال وراى نفسه متغيرا متحولا من حال الى حال علم يقينا ان محدثه لا يعتريه التغير
ولا انتقال من حال الى حال وراى نفسه محتاجا في كل وقت الى ما به يقوم ويقعد ويربو علم يقينا
ان محدثه ... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
به علما كما ... [illegible]
يحيطون به علما وكيف ... [illegible]
اذا كان ... [illegible]
صنعه لا يشبهه ثم اعلم بان المعرفة فعل العارف وخلق لله عز وجل يظهر من العارف بتوفيقه و
هدايته ويقال بلفظ اخر ان الله تعالى اذا تفضل على عبد من عبيده وخصه بمعرفته نور قلبه بنور
الهداية فيصير قلبه بصيرا اذ لك النور قابلا لتعريف الله تعالى اياه نفسه فيعرفه
بما عرفه به نفسه فيعرفه بمعرفته انه موجود لا من علة كسائر الموجودات وانه
واحد لا بوحدانية كسائر الآحاد فيعرفه معرفة بلا ادراك بل يقف على قدر ما عرفه
ربه مع علمه انه عما وصف به نفسه لا يشبه شيئا من خلقه فيقبله من الله تعالى قبول
طائع مستسلم لربه وينزهه عن دركه واحاطته ويسلم الى الله عز وجل تسليم عبد مذعن
لربه ومن جاوز هذا الحد في المعرفة اداه ذلك الى الزندقة والالحاد كما قال الله تعالى ان الذين
يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون والالحاد في اسماء الله تعالى ان يتعارفها فكره ليحيط
بها فاذا فعل ذلك لا يخلو من احد امرين اما ان يتصور في وهمه شيئا فيعتقد انه هو وهو لا يشبه
الاوهام فيصير بذلك زنديقا او ينحرف من هذه الحالة فينكره اصلا فيصير الى التعطيل ثم
من عرف الله بالملك والغنى استغنى به ومن عرف الله بالقرب استحيا منه ومن عرف الله
بالاحسان احبه ومن عرف الله في الفضل احتمد وطاعه شكرا ومن عرف الله بالعدل خاف

منه وقيل من عرف الله بالقدرة قدر ومن آمن بالقدر صبر وهذا يرجع الى النفس بعد
صحة الاعتقاد وبصحة الاعتقاد يكون مؤمنا وبصفو المعاملة من طريق الاحوال
يكون عارفا فالناس يتفاوتون في الاحوال ويتساوون في الاحوال والارتفاع في الدرجات
على قدر الاحوال كما قال ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات وقوله عز وجل فاعلم انه لا اله
الا الله اي فاعرف ان لا اله لم يدبر الامور ويتولاها الا الله ولا اشكال في هذا لان الله تعالى
امره بالعلم وهو كان عالما معناه تمسك بعلمك انه لا اله الا الله قال سهل التستري كان متمسكا
به وقيل معناه اطلب التثبت قال من يبتغ تثبت تثبيت الله عز وجل وبحيث هذا الخطاب
تعليم الامة كما علمهم في الفاتحة بقوله اهدنا الصراط المستقيم الا بعد ما هداهم اي ثبتنا على الصراط
المستقيم الذي هديتنا اليه وكما قال عز وجل يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة
الدنيا وفي الاخرة احرار من ثبت على كلمة الاخلاص في الدارين فبتثبيت الله اياه ثبت
وقوله وما قدروا الله حق قدره حيث وصفوه بصفة خلقه او شبهوه بشيء من خلقه او
اعبدوا اشيا دونه وقد اخبرهم انه لا يملك الضر والنفع احد دونه فانت مطالب
بالعفو كما انك مطالب بالتصديق واذا صدقت دخلت في ميدان العارفين واذا
حققت دخلت في مرتبة المستقيمين وانك مامور بالاستقامة في كل شيء من اصول دينك وفروعه
وقوله عليه السلام لو عرفتم الله حق معرفته الخبر اي لو تحققتم في معرفتكم لرفع الله
قدركم حتى لو سالتم الله ان يزيل الجبال لازالها بدعائكم وهذا معنى ما قيل من عبد الله
بالخطرات قضيت حوائجه بالخطرات ومن عبد الله بصدق الافتقار سقط ذلك
اعمال الثقلين اي جاوز قدره اعمال الثقلين وجملة هذا يرجع الى حرف وهو انك عرفت
نفسك عبدا كما انك عرفت خالقك ربا فكما ان ربوبيته منزه عن ان يمازجه شيء من
العبودية كذلك تحتاج ان يكون عبوديتك منزهه عن شوب يخالف العبودية والعبودية
الذلة والاذعان لله تعالى وهو ان يكون له فردا لا يشرك فيك احد غيره ولا ينظر
قلبك الى احد سواه ولا تعتمد احدا دونه ثم تكون ارادتك لله تعالى في كل ما تاتي وتذر
ويكون في ذلك مقتفيا اثر الرسول عليه السلام في كل نفس فاذا صح منك ذلك اكرمك
الله تعالى بالبصيرة فاراك من عجائب صنعه ولطائف بره ما تعجز الخلق عن وصفه
ولا يحيط به علما غيره وذلك وعد من الله تعالى لمتبعي نبيه عليه السلام قل هذه سبيلي
ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني قال وكان شيخنا ابو الحسن الفارغي

يقول بعمه واصهار فتى اسست وداه دين ديدني است قال وكان يحكي عن الشيخ
الحكيم هرشهادتي كه وراه مشاهدت نيست ودارا ان شهادت جز
دوري نيست وان مشاهدت ديدار است وهو ثمرة الاستقامة والاستقامة
حقيقة المتابعة وصفو المعرفة وصدق الافتقار في كل نفس وبالله التوفيق

فصل في الصدق قال رحمه الله قال الله عز وجل ليسال الصادقين عن صدقهم و
قال قال الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال من المؤمنين رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه وقال عز وجل انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله الى ان قال اولئك
هم الصادقون وقال اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين وقال والذين امنوا
بالله ورسوله اولئك هم الصديقون وقال النبي عليه السلام الصدق طمانينة والكذب ريبة و
قال الصدق مطية المؤمن وقال عليه السلام الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى
الجنة والكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وقال ابو بكر الوراق المكروه
غش الصدق وامه وابوه ثم فر من المكروه فكانما فر من الحق فالصدق للمؤمن بمنزلة
الروح للجسد به يحيى فحيوة قلب المؤمن بالصدق ومن لا صدق له فلا حيوة
لقلبه وقال عز وجل او من كان ميتا فاحييناه قيل في التفسير كان ميتا بالكفر
فاحييناه بالايمان والصدق اصل الايمان اي فاحييناه بالصدق ومنه المصدق
والمنافق لا صدق له فلا ثمرة لا قراره ومثله مثل خشب لا عرق له في الارض ليحيى
به وينمو كما قال تعالى كانهم خشب مسندة لا حيوة فيها فاول الصدق بالعقد
وهو تصديق ما اقر به ثم في الفعل فيوافق فعله عقده فيسمى به صادقا كما قال
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في
سبيل الله اخبر عن موافقة افعالهم اعتقادهم ثم قال اولئك هم الصادقون اخبر ان
الصادق من وافق افعاله اعتقاده ومن وافق احواله اعتقاده بعد افعاله فهو
صديق لان الصديق على ميزان فعيل ويستعمل هذا اللفظ في الغلبة والكثرة يقال رجل
شريب اذا كان مدمنا للشرب ورجل سكيت اذا كان دائم السكوت فالصديق من
كان صادقا في افعاله واحواله واعتقاده فالصدق في الاعتقاد ان يعتقد ما امر
باعتقاده من غير تمثيل ولا تعطيل والصدق في افعاله ان يكون عزمه في افعاله لله
خالصا وظاهر افعاله يكون للسنة موافقا ثم يكون فيها خائفا من تقصير راجيا

ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون اخبر عن صدقهم واعتقادهم صح

فيها فضل ربه ان يتقبل منه فضلا كما وفقه فضلا وصدقه في احواله ان لا يشوب
احواله بأضدادها مثل ان يخاف الله خوفا لا يشوبه قنوط ثم لا يخاف سوى الله مع الله
الاخوف تسليط ثم لا يركن الى خوفه بل يخاف فيه صدقه في خوفه وكذلك في كل حال
من احوال القلب على هذا النمط ثم يحتاج الى الصدق صدقه كما يحتاج الى صدقه وهو ان
يرى صدقه هبة من الله يفعل له ولا يرى صدقه منة الى الله فقوله لبسان الصادقين
عن صدقهم الى هذا المعنى يرجع وان قالوا فيه ان معناه لبسال المؤمنين عن ايمانهم و
الموحدين عن توحيدهم فالى هذا المعنى يرجع هل صدق في صدقه ام لا وهل استقام
في صدقه ام لا فاستقامته في صدقه ان يكون صدقه لله لا لمطالعة عوض وان يكون
صدقه بالله لا بنفسه لان نفسه ليس بمحل للصدق وصدقه في صدقه ان يرى هذه
المنة من الله تعالى عليه في صدقه ويكون رهين شكره في هذه المنة العظيمة فيتنبه
ويستر ثمره يخاف فله صدقه في صدقه فيفزع الى الله بعلم مبتهلا من قلة صدقه
فاذا استقام في الصدق تكرم بالاخلاق الجميلة المرضية عند الله عز وجل حسب
ما طالع من معاني صفات الله عز وجل فاذا طالع صفة الرحمة صار رحيما واذا طالع
صفة الاحسان صار محسنا واذا طالع صفة الكرم صار كريما واذا طالع صفة الحلم
صار حليما واذا طالع صفة الغفران صار متجاوزا واذا طالع صفة البر صار بارا
فتكرم بهذه الكرامات زيادة على تلك المقامات فهو الصديق حقا وهذه ثمرة الصدق
في الدنيا والاخرة يسمى الى العقبى الا انه لا يتاتى له الصدق الا بعد ان يوطن الصبر على مكروه الستر ٥
او اكتاف المعرفة
قال ابو بكر محمد رحمه الله
بسم الله الرحمن الرحيم
كتاب امرئ ابصر فقره الى ربه فطلب الغنا به في اسباب ما اظهر عنده من
الدلائل عليه فاستظهر بتاليف ما عنده من العلم على ما فيه من الجهل عند داعي الله
عنده ولا منازع يرضاه عند ما استبان له الحق وابصر شدة حاجته اليه
فقد قصدك الكتاب ايتها النفس بالدعا اليه وبالله فاستعين على حسن الاجابة لها
ولا تستحي بمنازعة غيرك اليه دون افتقارك اليه ٥ اللهم بك اعيذ
من جفائها وتفضلك اجيرها من سخافها انك ذو الفضل العظيم ٥

ان لما رايت الاشيا كلها اصولا تقيمها واساسا تحملها نظرت الى الزم الاشيا
لك ايتها النفس واجداها عليك واولاها بك فرايت ذلك دينك الذي هو مولاك
الذي شرع لك ورايت قوام امورك كلها به لا تستغني شيء من امورك
عنه طرفة عين كما ان قوام اركانك كلها بالروح ثم نظرت الى اصل ذلك الذي
تقيمه واساسه الذي يحمله فوجدت ذلك معرفة ربك اذ لا اصل سواه
ولا اساس دونه ثم اني رايت في الاصول تفاوتا وتفاضلا كما في الفروع
ورايت قوة الفروع بقوة الاصل فاضطرتني الحاجة الى تقويته هذا الاصل
غاية الطمع ~~وتقوية~~ وتوقي ضعفه غاية الجهد اذ رايت لا تحمل عاجلي
واجلي غير هذا الاصل وعلى قدر قوته تكون قوة امورك كلها وعلى قدر
ضعفه تضعف امورك كلها فجمعت من بعض دلائل ذلك في هذا الكتاب
من الامر الوسط الذي يرتفع عن الضعيف ويرقى الى ما هو اعلا واقوى في
اصلب وارسخ مما لم ارسمه في الكتاب وبالله التوفيق والعصمة ٥
ورايت هذا الاصل من المعرفة اضيع من كل ضائع في زماني ولذلك ضاع
ما وراءه من الامور والاعمال والاحوال حتى صارت ضعيفة سخيفة
واهية كدرة مظلمة مختلطة ملتبسة مدخولة صعبة شديدة مسعة
وذلك ان الساعي انما يسعى للامور والاعمال ويريد احكامها مع تضييع
هذا الاصل ويظن انه قد استحكم له هذا الاصل والتام وكمل وانما يحتاج
الى احكام الفرع وذلك من خدع الشيطان وضعف العقول ودروس
الحق وطموس الاعلام والعلام فيما ارى والله اعلم ٥
ولو علم المخدوع ان الذي اصاب من ذلك عليل غير كثير وناقص غير تام و
ضعيف غير قوي ومضطرب غير ثابت واختبر نفسه بمحنة دقيقة
لطيفة في باطنه وضميره ونوائبه واحواله وعرف معيار ذلك

ومقداره وميزانه ثم عايره بمعياره وقدّره بمقداره ووزنه بميزانه واختبره
بامتحانه لعله كان يستبين قلة ذلك وضعفه ووهنه واضطرابه وتخلطه و
عرف ان ما يكابد من اعمال البر والصدق والورع واحكام الاخلاق و
الطبائع ويمتنع ذلك عليه امتناعا شديدا وان ما ارتفع له من ذلك في
وقت انهدم في وقت اخر وانهار وانفسخ وما بنا من جانب انثلم من
جانب اخر وما استبان له من وجه خفي عليه بعد ذلك وخفي عليه وجه غير
ذلك ان كل ذلك من فساد الاصل وضعف الاساس وكيف وهو لا يقدر
ان يؤمن بذلك ويصدق به ان حكي له وان قرئ به لم يعلم كيف يقصد له او
يبتدي فيه او يطلبه وقد ذكر عن محمد بن ادريس قال حدثنا محمد بن ابي الحواري
عن عباد قال سمعت عبد الله بن عبيد يقول الزهد الايمان ٥ قال محمد فقلت
لمحمد ما تفسير هذا فذكر لي حديث بقيه اذا كان الايمان في شغاف القلب
احب العبد الدنيا وارادها واذا دخل سويداء القلب لم يحب الدنيا و
لم يردها ٥ وذكر ابرهيم بن عبد الله عن عوث بن جابر عن عقيل بن معقل
عن وهب بن منبه قال اذا كان لصاحب الدين ايمان صلحت اخلاقه كلها
واذا ضعف الايمان ضعف الدين كله واذا وهب الله للعبد الايمان
واذن له به لم يقرده الايمان في شيء من معصية الله ولم يوثر شيئا على
طاعة الله لما قد امن به من وعد الله ووعيده وكل الذي اخبرنا عن نفسه
واذا اصلح العبد ذلك كله استوجب بذلك ما وعد الله المؤمنين الذين
صبروا في طاعة الله قال النبوة نعم في الدنيا حسنة ولاجر الاخره اكبر
لو كانوا يعلمون فاعتبري ايتها النفس بهذا الوصف ومما استبان لك من
تضييع هذا الاصل واحذري هذه المنزلة بعد ما رايت واقررت به وارغبي
الى الله في ان يمن عليك باحكام هذا الاصل ولا تيأسي منه

بعد ما من عليك بمعرفته اذ لك وعظم شكر هذه المعرفة وتفرغي لهذا الاساس
فقد روا ابرهيم عن عوث عن عقيل عن وهب في حديث الحكيم قال له فتاه و
هو يجاوره ضع لي قواعده ثم اخبرني كيف اشرف عليه وباية ابدا
وباية اختم عبثي لي ذلك كله وفصله لي: قال الشيخ ابدا بايمانك فاني رايته
وهنا ضعيفا قائده متردد وهو اليقين وسائقه كسلان وهو العمل
قال الحكماء اذا استقبلوا الذين يقضوا بنيان امور الدنيا وعزلوا اطلبه
ثم استقبلوا بنيان دساكر الحكمة فاسسوا قواعدها بالصخور الراسية
التي هي روس اخلاق الدين الكاملات وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه
ورسله ووعده ووعيده وقدرته وقيامه وحسابه وجنته وناره فهذه
الصخور التي من اسس بها حملت له ما حملها ٥ اخبرنا ابرهيم بن عبد الله قال انا
عوث بن جابر عن عقيل بن معقل عن وهب بن منبه قال يا بني اسس دينك بالايمان
وثيق يطيق ما حمله فان الايمان اذا كان وثيقا حمل البنيان كله ثم ابن عليه بالصلوة
الناصحة والزكوة الكاملة والصوم الخالص ثم شرف بنيانك بالاحسان
الى الناس في الذي بينك وبينهم ثم استر على بنيانك بحلم ثخين لا يبذو امن
تحت العورة ثم اقفل بابك بالصمت الا في شيء من الحديث تفعل ثم
اجعل مفتاح قفلك طاعة الله بها تفتح وبها تغلق واذا فعلت ذلك
فقد بنيت لك حصنا يحرز لك ما وضعت فيه من دينك اذا نظر اليه
عدوك يئس منه وراى انه لا يرام بابك ولا يستطاع شيء مما في
حصنك ثم تعاهد بنيانك تعاهدا حفيظا لا تنقبه الذنوب فان
الذنب الواحد يخرق الدين ويفسده على صاحبه كما يفسد الحصن
على اهله اذا نال العدو منه خرق باب واحد ٥ قال وان مثل الايمان
في صدر العبد اذا اخلصه واستقام له كمثل اليعسوب للنحل ما

ما استقام لها في بنيها ولم يتبع غيرها لا نزال يبتغي له في الارض ويكسب له
ويجمع جهدها من كل الثمرات ثم ياتيه به عسلاً صافيا قد كفته عناه واذا
استقام للنحل يعسوبها وصح وصبر مكانه جمعت عليه من كل مكان
وعمرت بنيه واصلحت معيشته واذا هلك يعسوب النحل خرب
بنيانها وتفرق جمعها وانقطع معيشتها وبين فيها هنالك كل الهلكة
وكذلك الايمان اذا استقام وخلص في قلب العبد وصبر مكانه جانه
المنافع من كل مكان لا يذوق نصيب ذلك ولا عناه واذا هلك الايمان
خرب القلب وانقطعت المنافع وتفرقت الاخلاق الصالحة ثم
لا تسل احدا عن هلكة ذلك فانه يهلك اسوأ الهلكة ٥ قال ومثل
الايمان اذا اذن الله للعبد ووهبه له كمثل نهر ظهر في صعيد من الارض
كان ميتا قبله فلما ظهر عليه النهر وشرب الصعيد منه احيا الماء ما كان
منه ميتا واحدث فيه ما لم يكن قبله واحدث الصعيد من النبات والهيئة
ما لم يكن يرى منه ولا يعرف له وانبت الثمار والزرع والريحان واحيا الماء
وطيب ريحه وطعمه وذكر منه ما كان منسيا وعرف منه ما لم يكن
يعرف وحوله الماء واحسن زينته ٥ وكذلك الايمان اذا اذن الله به
للعبد ودخل قلبه احيا الله به ما كان منه ميتا واصلح اخلاقه ودينه وذكر
منه ما كان منسيا وعرف ما لم يكن يطر ان يعرفه وحوله الايمان و
احدث له رايا غير رايه وزينه واكثر جماله وصرف هواه وقلب
قلبه وجعله رجلا كاملا بعد ما كان كالبهيمة فمن وهب الله له
الايمان فقد وهب له الموهبة الكاملة فان الايمان بالله يصلح العبد
افضل ما يصلح الماء من الارض الميتة ٥ يا بني فسل الله الايمان واعلم
انها مسلة يجمع الخير كله فاذا وهب الله الايمان للعبد فقد

وهب له ما يصلح اخلاقه ودينه فاذا اصلح اخلاقه ودينه استوجب
بذلك على الله افضل الكرامة فاستعن بالله واحذر البلاء والفتنة ولا
يذبذبنك تصرف الدنيا باهلها فانها تحول بهم في ساعة
او بعض ساعة ٥

رسالة لابي بكر الوراق رحمه الله الى بعض اخوانه ٥

اعلم ان عمارة القلب الفكرة وحصون البدن العزلة وغنا النفس ال
وروح الاعمال الاخلاص وعماد الامور الصبر ومطية العقل الوفاء والـ
من ملك خصال من الارادة والعدم والشغل فمن لم يكن ارادته مرضاة الرب و
وشغله في احكام العمر اصبح خاسرا وامسى هالكا وهو لا يشعر واقرب الا
عز وجل حفظ القلب واقرب الاشيا الى حفظ القلب حفظ النية ٥ واقرب الا
محاربة العدو ومجاهدة النفس واقرب الاشيا الى مجاهدة النفس مجاهدة الاماني ٥ واقرب
الاشيا الى احكام العمر احكام ليلك الذي تمسي فيه ونهارك الذي تصبح فيه واقرب الاشيا الى احكام
اليوم والليلة احكام الساعة التي انت فيها فانظر ان تحكم في كل ساعة ما تحتاج الى احكامه
فبذلك يكون احكام عمرك وتجاهد شهواتك فبذلك يكون قهر اعدائك من الشياطين وتحفظ ارادتك
فبذلك تدرك مرضاة الرب تبارك وتعالى ومن كان هكذا اصبح سعيدا وامسى فائزا وكان حياته نورا
وفاته غبطة وسروره ومن ضيع ساعته ضيع عمره ومن ضيع مجاهدة شهواته غلبه عدوه
ومن ضيع ارادته فاته مرضاة ربه والسلام ٥ لا ادري ما حالك واحب ان اعلم واستودعك
الله واستودعه دينك وامرك ٥

مجلس شورای ملی
کتابخانه